دار التقريب بين المذاهب الإسلامية

الموسوعة القرآنية

خصائص السور

المجلد الأول

إعداد

جعفر شرف الدين

تقديم

د. عبد العزيز بن عثمان التويجري



الموسوعة القرآنية
خصائص السُّوَر

دار التقريب بين المذاهب الإسلامية

الموسوعة القرآنية

خصائص السور

المجلد الأول

إعداد

جعفر شرف الدّين

تقديم

د. عبد العزيز بن عثمان التويجري

مراجعة

الأستاذ أحمد حاطوم

د. محمد توفيق أبو علي

دار التقريب
بين المذاهب الإسلامية

شارع جان دارك ـ بناية الوهاد
ص.ب ٨٣٧٥ ـ بيروت ـ لبنان
تلفون ٢/٣٥٠٧٢١ (٠١)
تلفون + فاكس: ٦٠٢٠٢٩ ـ ٣٥٣٠٠٠ (٩٦١١)
e-mail: allprints@netgate.com.lb

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م

الإخراج الفني: زاهية عاصي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يأتي في مقدمة اهتمامات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، نشر المفاهيم الصحيحة للثقافة الإسلامية، وتيسير الوصول إلى المصادر الأصلية للمعرفة الدينية التي تستند إلى القرآن الكريم، من حيث ضبط المصطلحات، وشرح المفردات، وتحليل المدلولات التي تعبّر عن الحقائق القرآنية الساطعة بدقةٍ وأمانةٍ.

وفي هذا الإطار تأتي **الموسوعة القرآنية** التي تصدر عن **دار التقريب بين المذاهب الإسلامية**، وهي عمل موسوعيّ جديد، يتناول خصائص السور القرآنية، على نحوٍ يساعد في فهم آي الذكر الحكيم، والولوج إلى الآفاق الممتدة لعالم القرآن، كما يساعد في سبر أغوار معانيه السامية، والإلمام بقسماتٍ مُضيئة من مبناه الذي جمع البساطة إلى الإعجاز.

ومضمونُ هذه الموسوعة، ماثلٌ في أبواب تسمّى مباحث، تتناول، من كل سورة: أهدافها، وترابط الآيات فيها، وأسرار ترتيب ورودها بين السور الأخرى، ومكوّناتها، ولغة التنزيل العائدة إليها، ومعانيها اللغوية، ومعانيها المجازية، ومسائل متفرقة تواجه القارئ، عنوانها في الموسوعة: لكل سؤال جواب. وقد انتُقِيَت موادُّ هذه الموسوعة من أُمّهات كتب التراث العربي الإسلامي، ومن المؤلفات الحديثة في علوم القرآن.

والجديد اللافت في الموسوعة: أنها جمعت، في حيّز واحد، موضوعات قرآنيةً متفرّقة، تعوّدنا أن نطلبها في مراجع مختلفة، تندرج في ما يعرف بـ **علوم القرآن**، وأن أوثق المراجع المتفق عليها، وأوفاها، قد اختيرت لها، فجاءت مباحثها مستوفية لموضوعاتها، محققة لأغراضها.

وجانبٌ آخر تكشفه لنا الموسوعة: أنها جاءت تطبيقاً واضحاً لِتسمية الدار التي تَصْدُر عنها، **دار التقريب بين المذاهب الإسلامية**، وجاءت دَعْوةً إلى التوحيد في زمنٍ لم تَظْهرِ الحاجةُ فيه إلى التوحيد، في دنيا المسلمين، مثلما تظهرُ الآن، فكان لنا، من ذلك، سِمَةٌ أخرى حَمَلَتْنا على دَعْم هذا العَمَل ورعايتِهِ، ودفَعَتْنا إلى المساهمة فيه بتقديمه إلى جمهور القراء.

وفّقنا الله إلى ما فيه الخيرُ والتقدم لأمتنا، وشدَّ من أزر العاملين من أجل تعميق التقارب والترابط والتضامن بين المسلمين كافة. إنه سميع مجيب الدعاء.

الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري
المدير العام للمنظمة الإسلامية
للتربية والعلوم والثقافة
(ايسيسكو)

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

يُسعدنا أن نُقَدِّم للقارئ هذا العمل القرآنيّ الموسوعيّ الجليل، الذي يُغْني عن مكتبة، ويُوفِّر معرفةً بالكتاب المُنَزَّل تجعل المسلم أكثر وعياً لدينه، وأعمق إيماناً بمُعتقده، ويُتيح، للمسلمين، المنتمين إلى المذاهب المتنوعة، مزيداً من التفاهم، والسَّيْر المبارك نحو تقارُبٍ منشود بلَغَ تَطَلُّعُنا إليه، وهَجْسُنا بتحقيقه بين المسلمين: أننا جعلناه عنواناً لمؤسستنا، فسميناها **دار التقريب بين المذاهب**؛ فَغَدَا، بالتسمية، شعاراً نرفعه ونعمل له. كما تتيح هذه المعرفة، لغير المسلمين، مزيداً من فهم الإسلام وأحكامه، يُسهِّل الحوار بين المسلمين من جهة، وأبناء الرسالات الأخرى، من جهة ثانية.

إن **الموسوعة القرآنية** سِفْرٌ نفيس، فريد في بابه، يَسُدّ ثُغْرة في المكتبة العربية الإسلامية، ويشكل حاجة للكاتب، والمثقف، واللغوي، والأستاذ، والطالب، وكلّ معنيّ بالإسلام. وقد أعدَّها واحدٌ من أبناء هذه الأمّة، يجمع إلى المعرفة التقوى والذَّوْق العرفاني، ونعني به الأستاذ جعفر شرف الدين؛ الذي ولَّف بين الموضوعات، وصاغ منها منظومة متراصّة البنيان، وظيفتها الإبانة عن خصائص السور القرآنية؛ وكان له ما أراد.

وحين عَقَدت المؤسسة العزم على إصدار هذا العمل الموسوعي، كانت تعِي جيّداً ثِقَل المهمّة التي ستضطلع بها، وسَعَة الجهد الذي ستبذله، ليأتي العمل

متطابقاً مع اسمه، دالاً على عنوانه.

وعندما قررنا نشر **الموسوعة** لم يكن العامل الرئيسي الذي استندنا إليه هو الكَسْبَ المادي، بل شعورَنا بالمسؤولية إزاء الأمة، وضرورة مشاطرتها الهمومَ من خلال موقعنا، ومن طريق نشْرِ ثقافةٍ إسلامية رحبة الرؤية، متنوعة المشارب الصافية، تَنْزِع إلى التوحُّد في منهج من التغاير المفْضي إلى التكامل.

إن **دار التقريب بين المذاهب**، المتطلّعة إلى تحقيق الهدف المبيَّن، لم تألُ جهداً في إعطاء هذا العمل ما يستحق من علم وخبرة وعناية واهتمام.

إن عَمَلَنا هذا قد استغرق، من الجهد والمكابدة، سنواتٍ بذلنا فيها ما نستطيع، لنُصدِر أوّل موسوعة قرآنية تتسم بالشمول، والعمق، والوضوح.

وبعد،

فهذا ما استطعنا إنجازه وتقديمه، إلى المكتبة العربية الإسلامية في هذه المرحلة الدقيقة التي يمر بها العرب والمسلمون.

فإنْ كُنّا قد نجحنا، كان ذلك بفضل الله ومَنِّه؛

وإلاّ، فإننا نحمد الله الذي أقدرنا على المحاولة، طامعين في ثوابٍ لها وأجر.

إننا، في كل حال، نسأله التوفيق والقبول والرِّضا، وآخِرُ دَعْوانا أن الحمدُ لله رب العالمين.

دار التقريب بين المذاهب الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

هذا عملٌ قَلَّ نَظيرُه، يَسُدُّ نَقصاً في المكتبة العربية ـ الإسلامية، انبَرَى له السَّيد جعفر شرف الدين، فاختار موضوعاته، وألَّف بينها، ثم صاغَ من أشتاتِها وَحْدةً متراصَّة، موضوعُها العام: **خصائص السُّوَر القرآنية**.

ونحنُ، أمام غِنَى هذا العَمَل، وكَثرَة احتمالاته، وتنوُّع مصادِرِه، قد حَزَمْنَا أمْرَنا بمعيارِ قِوامُه: الدَّلالة، والوضوح، واجتِناب التَّكرار.

إننا، في مواضعَ مِن الموسوعة، اضطُرِرنا إلى شيءٍ من التصرُّف لم يُمَسَّ معه تناغُمُ النص، واستدركنا به ما لم يلتفِتْ إليه بعضُ المؤلفين الأجلاَّء، فأدْخَلْنا على نُصُوصِهم قَدْراً من التعديل الموضح.

وكلمةٌ في السِّياق المَنهَجي مضمونُها: أنَّنا ذَيَّلْنا مَدْخَل كل بحث بإشارة إلى مصدره، فصَّلناها وكرَّرناها، في كل مَبْحث من مباحث **السُّوَر**، **وكان ذلك، مِنَّا، تسهيلاً على القارئ، وتوفيراً لِجَهْده**.

أمَّا توثيقُنا للسُّوَر والآيات، فقد اعتمدنا فيه المنهجَ التالي:

في كل مَبْحَث من المباحث الثمانية التي تتناول كل سورة، تَرِدُ فئتان من الآيات:

ـ آياتٌ من **سورة المبحث**، وهي بطبيعتها وطبيعة البحث، أكثَرُ عدداً من سواها؛

- آياتٌ من سورٍ أُخرى، يُستشهد بها للإيضاح، أو المقارنة، أو ما شابه.

وفي عملية توثيقِ لآيات الفئتين والإحالة عليها، اعتمدنا منهجاً من المفيد عرضه.

ألف - آيات سورة المبحث:

عندما نكون في مَبْحَثٍ يتناول سورةً بعينها من السور، سورة «النبأ» مثلاً، وتَرِد، في سياق المبحث، آياتٌ من هذه السورة، فإننا نوردها دون أن نُسَمّي سورتها، مُكْتفِين، من الإشارة إلى اسم السورة، بهلالين قرآنيّيْن مُزَهْرَيْن نضع بينهما الآيات، بنصِّها الكامل كانت أم بنصِّها المُجتَزَأ، مِنْ أوّلها كان الاجتزاء أو من آخِرِها.

فإن كانت الآيات بنصها الكامل، أو بنصها المجتَزَأ المتضمِّن خواتمَ الآيات، تَلَا كُلَّ آيةٍ رقمُها، وكُتِب الرقم داخل الهلالين المزهَرين، نحو:

- ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ١٠﴾؛

- ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ٣٧﴾؛

وإن كانت بنصِّها المجتَزَأ الذي **لا** يحوي خواتم الآيات، جعلنا رقمها خارج الهلالين مع ذكر «الآية»، نحو:

- ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية ٣٧].

باء - آيات السور الأخرى:

عندما تَرِدُ، في المَبْحث، آياتٌ من سوَرٍ أخرى، نورد هذه الآيات،

بالكيفيات المبيّنة في الفقرة «ألف»، مع ذكر السورة التي تنتمي إليها كل آية.
وهذه بعض الأمثلة:

ـ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [القيامة]؛

ـ ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ [المدّثر]؛ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وبعد،

فإننا نسأله، جلَّ وعَلا، أن يتقبَّل عملنا قَبُولاً حسناً، وأن يُسَدِّد خُطانا إلى ما نحبُّ ونرضى؛ إنه هو السميع العليم.

أحمد حاطوم

محمد توفيق أبو علي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة وإهداء

الصلاة والسلام على خير خلقه، وخاتم رسله، وسيد أنبيائه، البشير النذير، السراج المنير، الطهر الطاهر، العلم الظاهر، المنصور المؤيد، المحمود، الأحمد، أبي القاسم محمد، وعلى آله الميامين، وأصحابه الطيّبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

والحمد لله ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق]. ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود] ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت/٤٢]، ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة]، ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢﴾ [النحل]، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝١٨﴾ [القيامة].

ولهذا تميّز الكتاب المجيد بهذا الاسم المضيء، (القرآن)، فكان له عَلَماً، يَخفِق في كل قلب، ويتردّد على كل لسان، يُراود كل لُبّ وجَنان، بروح المعاني ومهجة البيان. فالقرآن مصدر القراءة، والقراءة مصدر المعرفة، والمعرفة مصدر الحضارة، والحضارة تاج الحياة.

شَغَل القرآنُ المجيد على مر العصور والقرون، كبار العلماء في شتى علومهم وفنونهم، فاهتمّوا بحفظه، وتلاوته، وتجويده، وكتابته، وتنقيطه، ولغته، وتقعيد قواعده، وابتدعوا علوم البلاغة ليُثبِتوا بها إعجازه. وحفِظوا لَهَجات

العرب، وضبطوا مخارج حروفها، لئلا تُنطق التاء طاء، والضاد ظاء، والقاف كافاً الخ. . . واستحدثوا ما سُمّي بالإخفاء، والإقلاب، والإدغام. وقد ثبت، بما لا يقبل الشكّ، أنّه، لولا القرآن لم تضبط لغة، ولا شعر؛ بل لم يُضبط النطق والكتابة بلغة الضاد.

إنه القرآن. وكفى به حافظاً للّغة العربية، وعلومها، محتضناً لتراثها، وتاريخها، وسدّاً منيعاً يَعْصِمها من الزعازع. وها هي آياته البينات تنطق بهذه الآيات المعجزات المتحديات:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر].

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البروج].

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف].

﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف].

﴿كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [فصلت].

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر/٢٨].

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝١٣﴾ [هود].

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٣٨﴾ [يونس].

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٢٣﴾ [البقرة].

هذه الآيات البينات خطاب للناس أجمعين، ينطلق عَبْرَ ألف وأربعمائة سنة، بنبرة واثقة عالية: أنِ أْتُوا بمثل هذا القرآن، بعشر سور مثله، بسورة من مثله. ويتصاعد التحدي: أنِ ادْعُوا من استطعتم، ادعوا شهداءكم ليؤازروكم على الإتيان بمثل هذا القرآن، بعشر سور، بسورة واحدة، وَلِمَ لا تستطيعون وقد أنزله الله بلسان عربي مبين، وجَعَله قرآناً عربياً غير ذي عِوَج؟

ويتنامى التحدي ويتكرر، ويعرِض الحروف التي تتألف منها آيات القرآن وسوره. فهي ليست لغزاً، ولا أحجية، ولا سِرًّا. إنها، بالتحديد، الأبجدية العربية من أَلِفِها الى الياء. إنها اللغة التي تتخاطبون بها في نَدَوَاتكم ومجالسكم، وتُنْشِدون بها في عُكَاظكم ومِرْبَدِكم، وتتغنَّوْنَ بها في رَجَزكم وحُدائكم، في شعركم ونثركم. وتتغنى بها الركبان بَعْدَكم، حتى لَتَكونَنَّ من المحفوظات ثم من المأثورات، ثم من المُعَلَّقات.

أليست من حروف الأبجدية: الألف والحاء والراء والسين والصاد والطاء والعين والكاف والميم والهاء والياء؟ ثم أليست هذه الأبجدية هي التي تَكَوَّنَ بألفاظها القرآن: سُوَراً وآيات. ثم أليست هذه الحروف هي التي افتتح الله سبحانه بها كثيراً من السُّوَر، وأعلن أن هذا القرآن إنما كتب بهذه الحروف؟ فاقرأ:

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ [يوسف].

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس].

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود].

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [ابراهيم/١].

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [الحجر].

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة].

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [لقمان].

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [السجدة].

﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ [الرعد/١].

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف].

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ [غافر].

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت].

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [الجاثية].

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾ [الشورى].

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [النمل].

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ [الشعراء].

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ [القصص].

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ [مريم].

بعد هذا الحشد من الآيات التي افتتح الله سبحانه وتعالى بها بِضعاً وعشرين سورة مباركة، واستهل الافتتاح بإعلان هوية اللغة التي نَزَل بها القرآن المجيد، وتسمية الحروف التي انتظمت بها آياته وسُوَرُه، أَفَلَيس حُكْماً مطلقاً بهذا الموضوع هذا الإعجازُ الصاعق:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء]. وها قد مضى أربعةَ عشَرَ قرناً، دون أن تتحرك جامعة أو مَجمعٌ أو جماعة للإتيان بآية من آياته، فضلاً عن عشر سُوَرٍ أو سورة واحدة. ذلك أن إعجاز القرآن المجيد ليس بنَظْمه الفني، ولا بِسَمْته

البلاغي، ولا بِنَهجه البياني فحسب، وإنما بدعوته الآخذة بالأعناق الى المحبة، والخير، والجمال، والمعرفة، والعلم، والعمل؛ وإنما بعقله الكوني، وفكره العلمي، وسَبْقه الزمني. لقد تناول القرآن المجيد الإنسان نُطْفة، وعَلَقَة، ومُضْغة، لحماً وعظاماً، وليداً ورضيعاً وغلاماً، شاباً وكَهْلاً وشيخاً، حيّاً وميتاً، دنيا وآخرة.

وتناول الكون أرضاً وسماءً، بحاراً وماءً وأنهاراً. وما في أعماق الأرض من معادِنَ وخزائن، وما في صحرائها وأدغالها من إنسان وحيوان ومن طبيعة خاصة. وما في طبقات السماء من كواكبَ ونجوم وأجرام. وما في أعماق البحار من عوالمِ الحيوان والنبات والجماد والمَحار.

وتناول تعاوُنَ عناصر الكوْن هذه وتناغُمها وانسجامها وتكامُلَها: الأرض مع السماء، والشمس مع القمر. وكلاهما مع الأرض والبشر والشجر، والماء والهواء. وكلٌّ منها مع الانسان والطبيعة والبيئة والحياة.

تناولها القرآن المجيد في شتّى سُوَره المباركات، وآلافٍ من آياته البينات بليلها ونهارها، بجبالها ووديانها، بظلامها ونورها، بظِلّها وحَرُورها، بربيعها وخريفها، بصيفها والشتاء.

وتناول الأديانَ بِرُسلها ورسالاتها، بكُتُبها وأنبيائها، بتوراتها وإنجيلها، بِزَبورها ومزاميرها وقرآنها، بإبراهيمَ وإسحقَ ويعقوب، بنوحٍ وهودٍ وصالحٍ، بداودَ وسليمانَ واليَسَعَ، بزكريا ويحيى ويونُس، بموسى وهارون، بعيسى ومحمد، وهو(ص) خاتمهم وسيدهم وسيِّد الخلق أجمعين.

وأمر القرآن المجيد بالمعروف: محبة وصدقاً وخيراً. . هجرة وجهاداً وصبراً. ونهى عن المنكر: غيبةً وافتراءً وبهتاناً، استعلاءً واستكباراً وامتهاناً.

وفتح العقول والأبصار والأفئدة على العلم والعمل. فسبحان من عَلَّم بالقلم، عَلَّم الانسان ما لم يعلم. قال تعالى في سورة الرحمن: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ

ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾﴾ ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾ ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن].

واشترع الشرائع، وسن القوانين، ووضع الأنظمة، وأقرّ العُرف. وصاغ أجَلّ العبر وضَرَب أروع الأمثال وقصّ أحسن القَصَص.

وبذلك لم يلامس كتابٌ إلهي أو بَشَرِيٌ، في سحيق التاريخ وجديده، أعماق الروح وطُمَأنينة اليقين، كما لامسَهما القرآن المجيد. ولا استُشهِد في سبيل دعوته، ونَشْر كلمته، كما استُشهد المسلمون الأولون ومن تبعهم بإحسان الى يومنا الحاضر. كما أنه لم يَسْتَشْرِ في المقابل عُنْفٌ كما استشرى عُنُفُ أعداء القرآن، حتى تعدّاه الى الناطقين بلغته، المنتسبين الى هويته. وما صُمُود القرآن المجيد أمام الدَّعَوَات الهدّامة إلا آيةٌ من آياته، ومعجزة من معجزاته، لا يضارعها سوى آيات التحدي لِنَفْس الناطقين بلغته، والصمت المُطْبِق الذي لا يمكن أن يفسّر إلا بالعجز أمام إعجازه، والهزيمة أمام أبعاد إنجازه.

وبذلك تجلّى عجز الانسان في تدبيره وتفكيره أمام عظمة الله في قرآنه. وتَجلّى نقص المخلوق، أمام كمال الخالق. وبدا القرآن رفيعاً مترفعاً، في حينَ بدت الكتب البشرية صغيرة صاغرة.

وهذا ما كنتُ أحِسُّه، ويَسْري في عروقي، إبّان الصِّبا وفي طَورِ الشَّباب، كُلَّما سمعتُ تلاوةَ الكلام المُنَزّل، وأتاني، من قرآن الفجر، ضوءٌ يُوَشّي الغَبَشَ المُنداحَ من حولي، مع كل صُبْحٍ جديد.

وظَلَّ ذلك رجْعاً يتردّد في صدري، يراوِدُ مني سَمْعي والفؤاد، ويؤنِسُني في وَحشتي، حتى تكوَّن لي منه شيءٌ كالنداء، هَتَفَ بي وألَحّ، ثم دفعني إلى المكتبة الإسلامية دفعاً رأيتُني معه أبحثُ وأُنَقِّب، أطلب المصادر القرآنية المتنوعة: من مصادر اللغة، إلى مصادر البيان، إلى مصادر النزول وأسبابه؛ من

مصادر القُدامَى إلى مصادر المُحدَثين. . . كل ذلك طلبته لأخرج منه بموسوعة تَروي شيئاً من غُلَّة العِطاش إلى فَهم الكلام المُنَزَّل، والولوج إلى دنياه.

ووفَّقني سبحانه في سَعْيِي، فكان لي، ولِقرّائي، شيءٌ مما تطلعتُ إليه، وكان سِفْرٌ متواضِع قَرَّت به عيني، سمَّيتُه **الموسوعة القرآنية**.

أما طريقة إعداد موضوعاتها وتهيئة أبحاثها، وتحضير موادّها، فقد اعتمدتُ في ذلك ما يعتمده أصحاب دوائر المعارف، بفارق شكلي يتعلق بالاختصاصيين والباحثين المعتمدين لكتابة موادِّها. فبدلاً من أن نتوجه الى من نراهم مؤهلين لهذه المهمات، بإعداد كلٍّ منهم المادةَ التي يكون الفارسَ في حلبتها ـ بدلاً من أن نتوجه بذلك إلى هؤلاء الفرسان، كما يتوجه أصحاب الموسوعات، توجهنا إلى مؤلفاتهم في شتى الموضوعات، فعمدنا إلى اختيار عدة كتب لكل موضوع، ثم اعتمدنا كتاباً منها، إذا كان مستوفياً لشروط المادة المطلوبة. وإلا فإننا نأخذ فصلاً أو بحثاً من عدة كتب، حتى إذا تكامل الموضوع اعتمدناه.

وقد فَرَضَ عليّ جلال القرآن وقُدسيَّتُه أن أتبع في ترتيب خصائص السور المباركة، ترتيب هذه السور نفسه، من «الفاتحة» ورقمها: ١، حتى «الناس» ورقمها ١١٤.

وإنني هنا أنوّه، بمن بذل جهده معي في توثيق مواد **الموسوعة القرآنية** وتنسيقها. إنها مديرة مكتبي ابنتي هدى علي الزايدي زادها الله هدى. ورُبَّ وَلَدٍ لك لم يخرج من صُلْبك، ولم تلده أم أولادك.

وإنني لأرجو أن أفوز بمصداقية النية التي دفعتني للقيام بهذا العمل التوثيقي. وهي نيّة خالصة للقرآنيين حقاً، والإسلاميّين صدقاً، وللناطقين بلغة الضاد حيّها دون مهجورها، وغضّها دون يابسها. وهي، مِن قَبْلُ ومن بَعْدُ، للقرآن وللإنسان. وهي أوّلاً وآخِراً، لِمُنْزِل القرآن، وبارئ الانسان، وللقرآنيّ الأول، وللإنسان الأول، ذلك الذي هبط عليه القرآن نبيّاً، للإسلام وللإنسان.

ولا مندوحة لي، في ختام هذه المقدمة، من الإشادة بجهدٍ كريم، كان له أبلغ الأثر في استقامة هذا العمل بهذه الكيفية التي آل إليها، وأعني به جهد الباحثين اللغويين، الأستاذ أحمد حاطوم والدكتور محمد توفيق أبو علي، اللذين راجَعَا هذه الموسوعة، فدقَّقا في نصوصها، وحقَّقا لفظها، وضَبَطا ما يحتاج إلى ضبط، من الحروف وعلامات الوقف؛ وعَدَّلا، من ذلك وأضافا، ما يقتضي الإضافة والتعديل؛ ووحَّدا ما يتطلَّب التوحيد من إشارات الإحالة، بالأرقام، وذَكَرا، حيثُ يلزم، أرقام الآيات التي لم تُذْكر أرقامها، وأسماء السُّوَر التي لم تُذكر أسماؤها، وتثبَّتا مما ذُكر من الأسماء والأرقام، تثبُّتهما من نصوص الآيات نفسها، وبَذَلا، في غير هذه الجوانب، من العناية ما يستحقان جزيل الشكر عليه.

وإنني، وأنا أُنهي هذا التقديم، أختتمه بإهداء هذا المجهود الى روح من بث في روحي روح الايمان: إلى روح الغائب عن عيني، الحاضر في فكري وقلبي، المالئ سمعي وبصري، أبي، نَضَّر الله ضريحه وأكرم مثواه.

إنني أتشرف بإهدائه إليه، لا برّاً به أباً ومربياً وهادياً فحسب، وإنما لأنه كان: أول من فتح سمعي وبصري على قيام الصلاة، لدلوك الشمس، إلى غسق الليل، وقرآن الفجر. وأخلص من شرح صدري للحفاظ على الصلوات والصلاة الوسطى، والقيام لله قانتاً.

فإليك يا سيدي. يا من بسطْتَ عليّ جناحيك، طفلاً ويافعاً، وزَقَّقتني المعرفة، فتى وشاباً، أُهدي هذا الجهد. وقد عممتني السنون بوقَار الشَّيب. عسى أن يكون لك به قُرَّة عَيْن.

ولدك

جعفر شرف الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

للقرآن المجيد خصائص عامة، ولكل سورة من سوره الكريمة خصائص تنفرد بها. فمن خصائص القرآن الكريم تَعَدُّد أسمائه المباركة، وصفاته الطيبة، وسماته المقدَّسة فهو:

القرآن الكريم، والفرقان العظيم، والكتاب المجيد، والنور المبين، والكتاب المكنون، والذكر الحكيم، والذكر المبارك، والصراط المستقيم، والعروة الوُثقى، والحكمة البالغة، والقول الفصل، وأحسن الحديث، وصحف مُكَرَّمة، وتنزيل رب العالمين، وبيان للناس، وبلاغ للناس؛ وغيرُها من الأسماء الشريفة، والنعوت المنيفة كالمثاني، والفصل، والمفصَّل، والحكم، والحكمة، والحكيم، والمهدي، والبيان، والبرهان، والمبارك، والمجيد، والوحي، والرسالة، والإمام.

والقرآن المجيد كنز، وإعجاز، ولغة، وبيان وتشريع، وتاريخ، وسِيَر، وعِبَر، وقِصَص، وعلم، وعمل؛ وقد اكتنزت بهذه المعطيات الأبكار:

١ ـ سُوَرُه السبع الطوال وهي البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال.

٢ ـ سُوَرُه المِئُون: المؤمنون، والأنبياء، والحجر، والكهف، والإسراء،

ويوسف، والنحل، وطه، والشعراء، والصافّات، وهود، ويونُس.

٣ ـ سُوَرُه المفصَّلَة: الحُجُرات، والبروج، والطارق، والبيِّنة، والزَّلْزَلة، والناس.

٤ ـ المثاني وتطلق على السور البواقي جميعاً، وهُنَّ:

سوَر الممتحنات: الفتح، والحشر، والسجدة، والطلاق، والقلم، والحُجُرات، والمُلك، والتغابن، والمنافقون، والجمعة، والصَّف، والجن، ونوح، والمجادِلة، والمُمْتحِنة، والتحريم.

وسور «ألم»: البقرة، وآل عمران، والأعراف، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة.

وسور المسبّحات: الإسراء، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى.

وسور «الحمد»: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر.

وسورة «ألر»: يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحِجْر.

والسور «العِتَاق»[1]: الإسراء، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء.

وسور «العزائم»: السجدة، وفصّلت، والنجم، والعلق.

وسور «قل»: الكافرون، والإخلاص، والفلق، والناس.

وسور «الطواسين»: الشعراء، والنمل، والقَصَص.

والسورتان الزهراوان: البقرة، وآل عمران.

والسورتان القرينتان: الأنفال، والتوبة[2].

---

(١) أول ما أنزل من السور.

(٢) من فهارس القرآن الكريم. ويشتمل على ١٥٠٠ فن ومطلب، للأستاذ محمود رامیار: شركة أوفست المساهمة، طهران ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م، ص١٠٢٤.

وجميعُ سورِه المباركة المائةِ والأربَعَ عَشْرَةَ سورة، وأحزابُه الستون، وأجزاؤه الثلاثون؛ وآياتُه المباركات البالغةُ سِتة آلافٍ ومائتينِ وستًّا وثلاثين آية[1].

هذه الآيات البيّنات موزّعة على عناوين موضوعية، هي:

الأديان والأنبياء: ٢٠٦١ آية.

الكون والدنيا: ٢٩٨٦ آية.

الإنسان والأسرة: ٢٠٧٦ آية.

التاريخ والسِيَر والقِصَص والأمثال: ٣١٨٠ آية.

العلم والعمل: ٢٣٦٧ آية.

الأمر بالمعروف (الأخلاق والتشريع): ٣١٩٤ آية.

النهي عن المنكر (الأخلاق والتشريع): ١٦٨٥ آية.

وهنا يبرز سؤال: كيف تكون آيات القرآن المجيد ٦٢٣٦ آية، وقد بلغت بعد توزيعها على مواضيعها أضعافاً مضاعفة؟

الجواب كامنٌ في الآيات ذاتها، فَرُبَّ آية تناولت موضوعاً واحداً، وآية تناولت موضوعين، وآيةٍ تناولت ثلاثة موضوعات أو أكثر. وبذلك، فإن عدد الموضوعات التي تناولتها آيات القرآن الكريم، تتعدى مجموع عدد آياته، فتصبح أضعافاً كما رأينا في الأرقام السابقة.

إنّ التّاريخ البشريّ كلّه، قديمه والمُحْدَث، لم يعرف كتاباً منزلاً من عند الله، أو مؤلّفاً من مؤلّفات البشر، قد نال ما ناله القرآن الكريم من اهتمام المسلمين والعرب، والمستعربين والمستشرقين؛ فقد اهتموا به وبعلومه وفنونه؛ بإعجازه الفكري والبلاغي والغيبي والعلمي، بتنوُّع معطياته ومبتكراته. ويكفي في

(١) المرجع السابق، ص١٠٣٤.

وصف ذلك أن نسجل لابن النديم، أحد كبار جهابذة التتبع لآثار المؤلّفين والمؤرّخين والعلماء والكُتّاب والشّعراء، وتحديد أسماء السابقين إلى جمع القرآن المجيد، على عهد النبي (ص) وتعدادها في الصفحة [٤١] من كتابه «الفهرست» كما يلي:

علي بن أبي طالب.

سعد بن النعمان بن عمرو.

أبو الدرداء عويمر بن زيد.

معاذ بن جبل بن أوس.

زيد بن ثابت بن زيد بن النعمان.

أُبَيّ بن كعب بن قيس بن مالك بن امرئ القيس.

عبيد بن معاوية بن زيد بن ثابت بن الضّحاك[1].

وإحصاء الكتب المؤلفة في علوم القرآن، من عصر النبيّ (ص) حتّى عصره، وعددها في الصفحتين [٥٠ و٥٧] من كتابه «الفهرست» كما يلي:

١ ـ الكتب المؤلّفة في نزول القرآن.

٢ ـ الكتب المؤلّفة في قراءة القرآن.

٣ ـ الكتب المؤلّفة في وجوه قراءات القرآن.

٤ ـ الكتب المؤلّفة في لغات القرآن.

٥ ـ الكتب المؤلّفة فيما اتفقت ألفاظه ومعانيه في القرآن.

٦ ـ الكتب المؤلّفة في غريب القرآن.

---

(١) تاريخ القرآن للمحقق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ص٩٥.

٧ ـ الكتب المؤلَّفة في أحكام القرآن.

٨ ـ الكتب المؤلَّفة في متشابه القرآن.

٩ ـ الكتب المؤلَّفة في ناسِخ القرآن ومنسوخه.

١٠ ـ الكتب المؤلَّفة في أجزاء القرآن.

١١ ـ الكتب المؤلَّفة في عدد آي القرآن.

١٢ ـ الكتب المؤلَّفة في لامات القرآن.

١٣ ـ الكتب المؤلَّفة في النقط والشكل في القرآن.

١٤ ـ الكتب المؤلَّفة في الوقف والابتداء في القرآن.

١٥ ـ الكتب المؤلَّفة في وقف التمام.

١٦ ـ الكتب المؤلَّفة في مقطوع القرآن وموصوله.

١٧ ـ الكتب المؤلَّفة في معانٍ شتى من القرآن.

١٨ ـ الكتب المؤلَّفة في تفسير القرآن.

١٩ ـ الكتب المؤلَّفة في اختلاف المصاحف[١].

و«فهرست» ابن النديم، من المصادر المهمّة، لمن يريد الوقوف على ثقافة حقبة القرون الأربعة الأولى للإسلام. ويعتبر الأول من نوعه، وهو عمدة في موضوع التراجم، وأصول التأليف في هذا المضمار. وهو على اعتدال حجمه يُعَدّ ذخيرة قيّمة.

ولا يستطيع المتتبّع، بسهولة ويسر، أن يقف على إحصاء ما ألّفه العلماء والباحثون قديماً وحديثاً حول القرآن. ومن المؤلّفات الجديدة موسوعة قرآنية صدرت عن دار الرفاعي في الرياض، بعنوان: «معجم مصنّفات القرآن الكريم»

---

(١) تاريخ القرآن، صفحة ١٧٤ ـ ١٧٥.

ويقع في سبعة مجلّدات من القطْع الكبير، فَهْرَسَ فيها مؤلّفه ما توصّل إليه من المؤلّفات المصنّفة في تفسير القرآن وعلومه. وصَدَرَ، قبله وبعده، كثير من المعاجم القرآنية في لبنان ومصر، وفي الجمهورية الإسلامية في إيران، وسورية.

وإذا كان ابن النديم قد أحصى، في حدود سنة ٣٧٧هـ، واحداً وعشرين نوعاً من المؤلّفات القرآنية، لكلّ نوعٍ فريقٌ من المؤلفين، فكيف لنا أن نغطّي الحقبة التي تفصلنا عنه، إذا لم نتوفّر على التواصل مع التراث جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن.

ويغوص الباحثون في كل عصر، كما حدث ويحدث، ويستخرجون اللؤلؤ من أصدافه، والمرجان من مَحَارِه، ثم يصوغونه لآلئ قرآنية مضيئة، تزين أعناق العصور الفكرية المزدهرة. وقد زيّنا بدورنا «معارف المكتبة القرآنية» بعقودٍ منها، في هذه الموسوعة التي تُعْنَى بخصائص السور القرآنية، بمجلدها الأول، هذا الذي تقرأه، والمجلدات اللاحقة إن شاء الله. وقد أوردنا منها ثماني خصائص كوّنت ثمانية مباحث، لأعلام السلف والخلف، وهي:

١ ـ أهداف السورة ومقاصدها.

٢ ـ ترابط الآيات في السورة.

٣ ـ أسرار ترتيب السورة.

٤ ـ مكنونات السورة.

٥ ـ لغة التنزيل في السورة.

٦ ـ المعاني اللغوية في السورة.

٧ ـ لكل سؤال جواب في السورة.

٨ ـ المعاني المجازية في السورة.

سورة الفاتحة

١



أهداف سورة «الفاتحة»(*)

تُسَمَّى «الفاتحة» لأنَّ الله عزَّ وجل افتتح بها كتابه، ولأن المسلم يفتتح بها الصَّلاة. وقيل لأنها أول سورة نزلت من السماء، فأول آيات نَزَلَتْ من السماء هي الآيات الأولى من سورة «إقرأ»، وأول سورة نُزِّلت من السماء هي سورة «الفاتحة».

وتسمَّى «سورة الحمد» و«أمّ الكتاب»، و«أمّ القرآن»، لأنها أصل القرآن، أو لأنها أفضل سورة في القرآن، فقد اشتملت على أصول العقيدة وعلى الأهداف الأساسية للقرآن، ففيها الثناء على الله وتعظيمُه ودعاؤه..

وتسمَّى «الشافية» لأن فيها شفاء ودواء.

وتسمَّى «الصلاة»، قال النبي (ص): «يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين».

يبدأ المؤمن قراءة الفاتحة بقوله: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. وتعرف الجملة الأولى بالاستعاذة، وتعرف الثانية بـ «التسمية» أو «البسملة».

وقد أمر الله بالاستعاذة عند أول كل قراءة، فقال في سورة النحل المكيَّة: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل]. وإنما خصت القراءة بطلب الاستعاذة، لأن القرآن مصدر هداية، والشيطان مصدر ضلال؛ فهو يقف للإنسان بالمرصاد

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «أهداف كل سورة ومقاصدها» لعبدالله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

في هذا الشأن على وجه خاص، فعلّمنا الله أن نتقي كيده وشره بالاستعاذة.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ①﴾: هي بداية مباركة لسُوَر القرآن، ولكل عمل يعمله الإنسان، فيتجرد من حوله وقوته، ويبارك العمل باسم الله وبركة الله وقدرته.

وقد تكلم المفسّرون كثيراً في معنى البسملة وفي علاقة بعض ألفاظها ببعض. قال بعضهم: معنى «بسم الله»: بَدَأْتُ بعون الله وتوفيقه وبركته. هذا تعليم من الله لعباده ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها حتى يكون الافتتاح ببركة اسمه جَلَّ وعَزَّ.

وقال الإمام محمد عبده: إنها تعبير يُقصد به الفاعل إعلان تجرُّده من نسبة الفعل إليه، وأنه لولا من يُعَنْوِنُ الفعلَ باسمه لما فَعَل، فهو له وبأمره وإقداره وتمكينه، فمعنى: «أفعل كذا باسم فلان»: أفعله مُعَنْوَناً باسمه ولولاه ما فعلته.

قال الأستاذ الإمام: وهذا الاستعمال معروف مألوف في كل اللغات، وأقربه ما يُرى في المحاكم النظامية حيث يبتدئون الأحكام قولاً وعملاً، باسم السلطان أو الخِدِيْوي فلان.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الحمد هو الثناء بالجميل على واهِب الجميل و﴿ٱللَّهِ﴾ علم على الذاتِ الأقدس، واجبِ الوجود، ذي الجلال والإكرام. وهي جملة خبرية معناها: الشكرُ لله، وفيها عرفان لله بالفضل والمِنَّة، كما ورد في الأثر: «يا ربِّ لك الحمد كما ينبغي لِجلال وَجْهك وعظيم سلطانك».

وفي الفتوحات الإلهية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الشكر لله المعبود للخواصّ والعوامّ، المفزوع إليه في الأمور العظام، المرتفع عن الأوهام المحتجِب عن الأفهام، الظاهر بصفاته وآلائه للأنام.

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ②﴾: الرب هو المالك المتصرف، ويطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح والتربية.

والمتصرف للإصلاح والتربية يشمل العالمين، أي جميع الخلائق. قال في تفسير الجلالين: «أي مالك جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والدوابِّ وغيرِهم، وكل منها يطلق عليه عالَم يقال له عالم الإنس وعالم الجن، إلى غير ذلك».

والله سبحانه لم يخلُقِ الكون ليتركه

هَمَلاً، وإنما هو يتصرف فيه بالإصلاح ويرعاه ويربيه، وكل العوالم تُحفظ وتُتعهد برعاية رب العالمين.

والصلة بين الخالق والخلائق صلة دائمة ممتدة في كل وقت وفي كل حالة.

لقد حكى القرآن عن عقائد المشركين، وصوّر التَّخَبُّط الذي كان يحيط بالبشرية في الجاهلية. فمنهم من اتخذ أصناماً يعبدها من دون الله، ومنهم من جعل الآلهة المتعددة رموزاً للذات الإلهية، وقالوا كما ورد في التنزيل: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُمر/٣]. وقال القرآن عن جماعة من أهل الكتاب: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة/٣١].

وكانت عقائد الجاهليات السائدة في الأرض كلها يوم جاء الإسلام، تعج بالأرباب المختلفة، بوصفها أرباباً صغاراً تقوم إلى جانب كبير الآلهة كما يزعمون.

جاء الإسلام وفي العالم ركام من العقائد والتصورات والأساطير والفلسفات والأوهام والأفكار، يختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بالزائف، والدين بالخرافة، والفلسفة بالأسطورة.. والضمير الإنساني تحت هذا الركام الهائل يَخْبِطُ في ظلمات وظنون لا يستقر منها على يقين.

ومن ثَمَّ كانت عناية الإسلام الأولى موجهة إلى تحرير أمر العقيدة، وتحديد التصوّر الذي يستقرّ عليه الضمير في أمر الله وصفاته، وعلاقته بالخلائق وعلاقة الخلائق به على وجه القطع واليقين.

وكان من رحمة الله بالعباد إنقاذُهم من الحَيْرة، وإخراجُهم من الضلال إلى الهدى بهذا الدين الحنيف بما فيه من جمال وبساطة، ووضوح وتناسق وسهولة ويسر، وتجاوب مع الفطرة.

﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: الرحمٰن: صفة ذاتية هي مبدأ الرحمة، الرحيم: صفة فعل تدل على وصول الرحمة والإحسان وتعديهما إلى المنعَم عليه.

ونلاحظ أن كلمة الرحمٰن لم تذكر في القرآن، إلا وقد أجريت عليها الصفات، كما هو شأن أسماء الذات.

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرحمن]، ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]. أما

«الرحيم»، فقد كثر استعمالها وصفاً فعلياً، وجاءت بأسلوب التعدية والتعلق بالمنعم عليه. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة] و﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب] و﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس]. كما جاءت الرحمة كثيراً على هذا الأسلوب ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف/١٥٦] ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الكهف/١٦].

فـ «الرحمٰن»: اسم الله يدل على قيام الرحمة بذاته سبحانه، و«الرحيم» صفة تدل على وصول هذه الرحمة إلى العباد.

تقول: فلان غني بمعنى أنه يملك المال، وفلان كريم بمعنى أنه ينقل المال إلى الآخرين.

ورحمة الله لعباده لا حد لها، فهو الذي خلقهم وأوجدهم وسخّر لهم الكون كله وأمدّهم بنِعَمه التي لا تُعد ولا تُحصى، ثم هو يفتح بابه للتائبين ويعطي السائلين، ويجيب دعاء الداعين. قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة].

إن واجبنا أن نغرس في أبنائنا محبة الله، وأن نعوّدهم عبادته حُبًا له واعترافاً بفضله وإحسانه، وذلك هو منهج الإسلام. فإن الله في الإسلام، لا يطارد عباده مطاردة الخصوم والأعداء، كآلهة الأولمب في نَزَواتها وثوراتها، كما تُصَوِّرها أساطير الإغريق، ولا يدبِّر لهم المكائد الانتقامية كما تزعُم الأساطير المزورة في العهد القديم، كالذي جاء في أسطورة برج بابل في الاصحاح الحادي عشر من سِفْر التكوين.

فالله، في الاسلام، رحمٰن رحيم، ليس مولعاً بالانتقام والتعذيب. وبعض النّاس يحلو لهم أن يصوّروا الإله منتقماً جبّاراً لا همّ له إلاّ تعذيبُ الناس وإلقاؤهم في نار جهنم، وهي نغمة نابية عن روح الإسلام، غريبة عن نصوصه وتشريعاته السمْحة.

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: أي أن الله هو المالك المتصرّف يوم القيامة، فالناس في الدنيا يملكون ويحكمون ويتصرفون، فإذا كان يوم القيامة وقف النّاس جميعاً للحساب الصغير والكبير، السُّوقَة والأمير، الوزير والخفير، الملك والأجير، كل الناس قد وقفوا حفاة عراة مجرّدين من كل جاه أو

سلطان أو رتبة أو منزلة، وينادي الله سبحانه: لِمَنِ المُلْكُ اليوم؟ فيكون الجواب: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝١٦﴾ [غافر].

و﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ وهو يوم الحساب والجزاء، قال ابن عباس: ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ هو يوم حساب الخلائق، وهو يوم القيامة يَدِينهم بأعمالهم إنْ خيراً فخير وإن شراً فشرّ، إلاّ مَنْ عفا عنه، فالأمر أمره. قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

والاعتقاد بيوم الدين كلية من كليات العقيدة الإسلامية، وأساس من أسس السعادة والنجاح للفرد والمجتمع.

فالمؤمن، عندما يتيقّن أن هناك يوماً للجزاء والحساب يدفعه إيمانه إلى مراقبة الله والتزام أوامره واجتناب نَواهيه. ولهذا فإن التشريعات الإسلامية تتخذ طابعاً مميّزاً في التطبيق، فإن المؤمن ينفذها راغباً في ثواب الله راهباً لعقابه.

أمّا التشريعات الوضعية، فإن تنفيذها مرتبط بالخوف من السلطة. وعندما يتأكد الشخص من بُعده عن أعين السلطة، فإن هذا يُهوّن عليه ارتكاب المخالفة.

أما القانون الإلهي، فإنه مرتبط بسلطة عليا لا تغيب ولا تختفي أبداً. إنها سلطة الله الذي يعلم السر وأخفى، ويَطَّلع على الإنسان أينما كان وحيثما وجد.

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾:

لا نعبد إلاّ إيّاك ولا نستعين إلاّ بك. فأنت المستحق للعبادة، وأنت ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝٤٠﴾ [الأنفال].

ومعنى العبادة خضوع لا يُحَدّ لعظمةٍ لا تحد، وهي تدل على أقصى غايات التذلّل القلبي والحب النفسي، والفناء في جلال المعبود وجماله، فناء لا يدانيه فناء.

هي سعادة المؤمن، بأنه يقف بين يدي الله خاشعاً خاضعاً عابداً مُتَبَتِّلاً،

ذاكراً لآيات الله، معتزاً بصلته بالله، مناجياً إلهاً سميعاً بصيراً مجيباً.

والعبادة لله تحرر المؤمن من كل عبودية لغير الله، لأنه يثق بأن الله هو الخالق الرازق المعطي المانع، وأن بيده الخلق والأمر، وأن أمره بين الكاف والنون: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس].

وإذا صدقت عبودية المؤمن لله تَحَرَّر من عبوديته لكل العبيد، فازداد عزاً بالله، وثقةً به واعتماداً عليه، وصار سعيداً بحياته، راضياً عن سعيه، واثقاً بأن هناك جزاءً عادلاً في الآخرة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة].

والمؤمن حين يقف بين يدي الله فيقول:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾، يُحِسُّ سعادةً أيَّ سعادة، حيث يقف وهو المخلوق الضعيف ليخاطب الله القادر، بقوله: إياك نعبد.. فأنا عابد في محرابك، مستعين بك في أموري كلها.

قول عبد الله بن عباس، وابن جرير الطبري

١ ـ عن ابن عباس، قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إياك نوحِّد ونرجو يا ربنا ونخاف، و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إياك نستعين على طاعتك وعلى أمورنا كلها.

٢ ـ وقال الطبري: معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: لك اللهم نخشع ونَذِلّ ونستكين إقراراً لك بالربوبية لا لغيرك. ومعنى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وإياك ربنا نستعين على عبادتنا إياك، وطاعتنا لك في أمورنا كلها ـ لا أحد سواك، إذا كان من يكفر بك يستعين في أموره بمعبوده الذي يعبده من الأوثان دونك، ونحن بك نستعين في جميع أمورنا مخلصين لك العبادة.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾:

الصراط المستقيم: هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف، وقد كثر كلام المفسرين في المراد بالصراط المستقيم.

قال ابن عبّاس: الصّراط المستقيم، هو الإسلام. وقال الإمام علي: الصّراط المستقيم، هو كتاب الله تعالى

ذكره. وقال أبو العالية: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ الصراط هو الطريق، والمعنى وفقنا إلى طريق رسول الله (ص).

وكلّ هذه الآراء تلتقي على أن معنى الصّراط المستقيم هو: جملة ما يوصل النّاس إلى سعادة الآخرة والدنيا من عقائد وآداب وأحكام من جهتي العلم والعمل. وهو سبيل الإسلام الذي ختم الله به الرسالات السماوية، وجعل القرآن دستوره الشامل، ووكل إلى محمد (ص) تبليغه وبيانه.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾:

أي: طريق من أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من الملائكة والنبيين والصّدّيقين والشهداء، والصالحين، الذين أطاعوك وعبدوك.

أو هو طريق السعداء المهتدين الواصلين.

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ۝٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ۝٧٠﴾ [النساء].

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾: وهم الكافرون أو هم اليهود.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: وهم المنافقون الحائرون المتردّدون بين إيمانهم الظاهر وكفرهم الباطن.

طوائف الناس أمام الحق:

تعدّدت أقوال المفسرين في بيان معنى المُنْعَم عليهم، والمغضوب عليهم، والضالين، والذي نراه:

أن المنعم عليهم هم المؤمنون الصادقون؛

والمغضوب عليهم هم الكافرون الجاحدون؛

والضالّون: هم المنافقون الخائنون.

ودليل ذلك ما ورد في أول سورة البقرة حيث ذَكرتِ السورة أن النّاس أمام الحق ثلاثة أقسام:

المؤمنون: وقد جرى الحديث عنهم عنهم في أربع آيات أولها:

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة].

والكافرون: وقد تحدثت عنهم السورة في آيتين من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾ [البقرة].

والمنافقون: وقد تحدثت عنهم السورة في ثلاث عشرة آية تبدأ بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة].

في أعقاب السورة

جمع الله معاني القرآن في سورة الفاتحة، فقد اشتملت على تعظيم الله وحمده والثناء عليه، وهذا هو أصل العقيدة: الإيمان بالله والاعتقاد أن الله سبحانه، يتصف بكل كمال ويُنَزَّه عن كل نقص.

ففي النصف الأول من الفاتحة ثناء على الله بما هو أهله.

وفي النصف الثاني دعاء بالتوفيق والاستقامة على الصراط المستقيم.

فكأن الفاتحة قسمان، قسم يتوجه العبد فيه بالثناء على الله، وقسم يدعو فيه ربه ويطلب لنفسه الصلاح والهُدَى. وقد ورد في صحيح مسلم، عن أبي هريرة عن رسول الله (ص): «يقول تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل.. إذا قال العبد: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله أثنى عليّ عبدي، فإذا قال ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قال الله: مجّدني عبدي، وإذا قال ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾. قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

ولعل هذا الحديث الصحيح، يوضح سر اختيار هذه السورة المباركة، ليقرأها المؤمن سَبْعَ عَشْرَةَ مرة في كل يوم وليلة، أو ما شاء الله أن يُردّدها كلّما قام بدعوه في الصّلاة.

فكأنها في الإسم «مُجَمّع أشِعّة» تنير

بضوئها كل شيء، وتبسط نورها في المؤمن فيزداد يقيناً وإيماناً. وهي نشيدٌ إلهي يردده المؤمن معترفاً لله بالفضل، شاكراً له جميل نِعَمِه، مستهدياً إيّاه إلى الصراط المستقيم.

والنصف الأول من السورة يتعلق بالعقيدة والفكر، والنصف الثاني يتعلق بالسلوك والعمل.

والمتتبع لأهداف القرآن الكريم، الواقف على مقاصده ومعارفه، يرى أنه جاء تفصيلاً لما أجملته هذه السورة وحددته من صلاح العقيدة، واستقامة السلوك.

قال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء].

وقال (ص): «ليس الإيمان بالتمنّي، ولكنْ ما وَقَرَ في القلب وصدّقه العمل».

وفي «صحيح البخاري»: أن سورة الفاتحة رُقْيَةٌ من الداء، وشفاء من الأمراض، فكأنها شفاء حسي ومعنوي، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء/ ٨٢].



المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الفاتحة»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

اختلف العلماء في تاريخ نزول الفاتحة، فقيل إنها نزلت بمكة بعد سورة «المُدَّثِّر»، وهو قول أكثر العلماء. وقيل إنها نزلت بالمدينة، وهو قول مُجاهد. وقيل إنها نزلت مرتين: مرة بمكة ومرة بالمدينة. وسبب ذلك، التنبيه إلى شَرَفِها وفضلها. وإذا كانت قد نزلت بعد سورة «المدثّر»، فهي خامسة سور القرآن في النزول. وقد نزلت بذلك في مرتبتها كفاتحة للكتاب، بعد المناسبات التي اقتضت سَبْقَ السُّوَر الأربع لها. وبهذا تكون من السور التي نزلت بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة.

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لأن القرآن افتُتح بها في مُصْحف عثمان، وهو المصحف الذي اعتمد على ترتيبه جمهور المسلمين، وتبلغ آياتها سبع آيات.

الغرض منها وترتيبها

نزلت هذه السورة لتكون من القرآن بمنزلة المقدمة للكتاب، لأن نظام التأليف يقضي بألا يفاجئ المؤلف قرّاء كتابه بمقصوده منه، بل يجب أن يبدأه بمقدمة تبيّن غرضه منه، ليكون القارئ على بصيرة به قبل الشروع فيه. وهذه المقدمة يجب أن تشتمل على ثلاثة أركان:

أوّلها، افتتاحها باسم الله، والحمد

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفني في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

لله، والثناء عليه؛ شكراً له على ذلك التأليف الذي هَدَى إليه.

وثانيها، إظهارُ الخضوع له، وبيانُ أنه لا عَوْنَ إلاّ منه سبحانه.

وثالثها، الالتجاء إليه بالدعاء لاستمداد ذلك العون.

ويجب أن تشتمل، مع هذا، على ما يسمّى براعة الاستهلال، وهي أن يؤتى قبل الشروع في المقصود بما يُشعِر به، ليدرك القارئ الغرض من وضع الكتاب، ويكونَ على بصيرة به قبل الشروع فيه.

وقد اشتملت هذه السورة على هذه الأركان الثلاثة. فجاء في أولها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾، فافتتحت باسم الله والثناء عليه بهذه الصفات التي تفرّد بها دون غيره. وقد كان العرب، في جاهليتهم يفتتحون كلامهم بقولهم: «باسمك اللهم»، فاستبدَلَ به القرآن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾، إشارةً إلى أن عهد الإسلام عهد رحمة، وهو العهد الذي يجب أن يَشْمَل العالم كله، ويكون خاتمة العهود كلها. وهذا هو ركنها الأول.

ثم جاء فيها بعد ذلك ركنها الثاني بقوله تعالى:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾

وفي ذلك إقرار بأنه لا معبودَ غيرُه، ولا عَوْنَ إلاّ منه.

ثم جاء ركنها الثالث بقوله تعالى:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾.

وفي ذلك براعة الاستهلال المطلوبة، لأنه يشير إلى أن المقصود بالقرآن وضع دين جديد للخلق، يشتمل على أحكام لا عِوَج فيها ولا انحراف، ويُصْلح ما أفسده الناس في شرائع الله من قبل.

ولا شك أن هذه الفاتحة، بهذا الشكل، لم يَسْبِق إليها كتاب قبل القرآن. وقد صارت بعده قدوة تُتبع، وسُنّةً تُحتَذَى، وكفى ذلك دليلاً على فضلها وحسن ترتيبها.

أسرار ترتيب سورة «الفاتحة»(*)

افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة، لأنها جَمَعَت مقاصد القرآن، ولذلك كان من أسمائها: أمُّ القرآن، وأمُّ الكتاب، والأساس[1]. فصارت كالعنوان ببراعة الاستهلال.

قال الحسن البَصْري: إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن، ثم أودع علوم المفصّل في الفاتحة. فمَن عَلِمَ تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المُنزلة. أخرجه البيهقي في شُعَبِ الإيمان[2].

وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزَّمَخْشري، باشتمالها على الثناء على الله بما هو أهله، وعلى التعبُّد، والأمر والنهي، وعلى الوعد والوعيد، وآيات القرآن لا تخرج عن هذه الأمور[3].

قال الإمام فخر الدين: المقصود من القرآن كله، تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمَعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر.

فقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ يَدُل على الإلهيات، وقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) الكشاف ١/ ٤ بولاق. ومن أسمائها: السبع المثاني، والقرآن العظيم، والوافية والكنز (الإتقان: ١/ ١٨٩ - ١٩١).

(٢) الشعب، ٧٢ ورقة ٨٧أ. دار الكتب المصرية.

(٣) أنظر: الكشاف: ١/ ٤ وفيه (التعبد بالأمر والنهي).

يدل على نَفْي الجبر، وعلى إثبات أنَّ الكل بقضاء الله وقدره. وقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾، إلى آخر السورة، يدل على إثبات قضاء الله، وعلى النبوات، فقد اشتملت هذه السورة على المطالب الأربعة، التي هي المقصد الأعظم من القرآن[1].

وقال البيضاوي: هي مشتملة على الحِكَم النظرية، والأحكام العملية، التي هي سلوك الصراط المستقيم، والاطلاع على مراتب السعداء، ومنازل الأشقياء[2].

وقال الطيبي: هي مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التي هي مناط الدين:

أحدها: عِلم الأصول، ومعاقدة معرفة الله عز وجل وصفاته، واليها الاشارة بقوله تعالى:

﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، ومعرفة المعاد، وهو المومأ إليه بقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾.

وثانيها: علم ما يَحْصُل به الكمال، وهو علم الأخلاق. وأَجَلُّه الوصول إلى الحضرة الصَّمَدانية، والالتجاء إلى جناب الفردانية، وسلوك طريقة الاستقامة فيها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

قال: وجميع القرآن تفصيل لِمَا أجملته الفاتحة، فإنَّها بُنِيت على إجمال ما يحويه القرآن مفصّلاً، فإنها واقعة في مطلع التنزيل، والبلاغة فيه: أن تتضمن ما سيق الكلام لأجله، ولهذا لا ينبغي أن يُقَيَّدَ شيء من كلماتها ما أمكن الحمل على الإطلاق[3].

وقال الغزالي في «خَوَاصّ القرآن»: مقاصد القرآن ستة، ثلاثة مهمة، وثلاثة تتمة.

---

(١) مفاتيح الغيب: ١/ ٦٥.

(٢) تفسير البيضاوي: ١/ ٣٥ بحاشية الشهاب الخفاجي.

(٣) الطيبي هو: الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي الإمام المشهور، وأحد كبار علماء الحديث والتفسير واللغة. توفي عام ٧٤٣ هـ. أنظر الدرر الكامنة لابن حجر: ٢/ ١٥٦، والبدر الطالع للشوكاني: ١/ ٢٢٩، وبغية الوعاة للسيوطي: ٢٢٨.

وكلامه هذا في شرح الكشاف له. مخطوط بالأزهرية. ج١ ورقة ١٢٩.

الأولى: تعريف المدعوّ إليه، كما أشير إليه بصدرها؛ وتعريف الصراط المستقيم، وقد صرح به فيها؛ وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى؛ وهو الآخرة، كما أشير إليه بقوله:

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

والأخرى: تعريف أحوال المطيعين، كما أشار إليه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية ٧].

وتعريف منازل الطريق، كما أشير إليه، بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.





مكنونات سورة «الفاتحة»(*)

١ ـ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾:

هو يوم القيامة. أخرجه ابنُ جرير[١] وغيره من طريق الضحاك، عن ابن عباس.

٢ ـ ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية ٧]:

هم النبيّون، والصِّدِّيقون، والشهداء والصالحون، كما فسّره في آية النساء[٢].

٣ ـ ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾:

الأول: اليهود. والثاني: النصارى. كما أخرجه أحمد، وابن حبّان، والترمذي[٣]، من حديث عدي بن

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِمات الأقران في مُبْهَمات القرآن» للسيوطي، إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) ١/٥٢.

(٢) هي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء].

(٣) أحمد في «المسند» ٤/٣٧٨ ـ ٣٧٩، وابن حبّان (١٧١٥)، والترمذي (٢٩٥٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب. وانظر الترمذي (٢٩٥٧). ورواه أيضاً: عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، كما أخرجه في «الدر المنثور» ١/١٦، والطبري مجزأ ١/١٦ و ٦٤. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/٢٠٨: «رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح، غير عباد بن حبيش وهو ثقة».

وفي التعليق على «الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني» ١٨/٦٨: «وهو حديث حسن».

حاتم قال: قال رسول الله (ص): «إن المغضوب عليهم هم اليهود، وإن الضالّين هم النصارى».	وأخرجه ابن مردُوَيه[1] من حديث أبي ذر.



(١) بضمّ ما قبل الواو وفتح ما بعدها، على عادة المحدثين، بخلاف النحاة فيفتحون ما قبل الواو والواو، ويسكنون ما بعدها.

انظر «تدريب الراوي» للسيوطي ١/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

وابن مردويه هو: أبو بكر أحمد بن موسى الأصبهاني، حافظ مشهور، له «التاريخ» و«التفسير المسند». توفي سنة (٤١٦هـ).

لغة التنزيل في سورة «الفاتحة»(*)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ③ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦﴾

تنتهي آيات هذه السورة بصوت النون أو الميم، مسبوقين بالياء، وفي ذلك ضرب من الإتقان في البناء، يحققه هذا النمط البديع من «النظم». وإني لأميل مع القائلين: إن البَسْملة هي الآية الاولى في كلام الله، فيكون العدد سبع آيات.

إنّ «الفاتحة» هي أمُّ القرآن، ومن أجل ذلك حَفِلت بالأفكار الكبرى، التي تَمَيَّز بها دينُ الله، أي الإسلام، وهي أنه ـ عزّ اسمه ـ ربّ العالمين، الرحمٰن الرحيم،. . . وهو وحده الذي يختصّ بالعبادة، وهو وحده المستعان، وفي هذه الآية الخامسة نجد «إياك» وقد قدّمت على الفعلين «نعبد» و«نستعين».

وقد أشار أهل العلم إلى أن التقديم مؤذن بأنه، وحده، تقدّست أسماؤه، مخصوص بالعبادة، وهو المستعان لا يشاركه في ذلك غيره، وهذا كله مستفاد من هذه الطريقة في بناء الجملة، وما كان من «التقديم» الذي أشرنا إليه. وإني لأرى أن التقديم قد حقق أيضاً غرضاً أسلوبياً وهو الحفاظ على «النظم»، الذي يوفره ورود الآي على الميم والنون في أواخر الفواصل. وقد تَحَقَّقَ ضرب من التساوق البديع

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.

في تقديم «إيّاك» على الفعلين كما بيّنا، وفي ذلك كلّه اتّفاق في النّظم، يتحقق في جماع مواد هذه السورة : ثم ماذا؟

إن طول الآيات كلها قَدَرٌ يكاد يكون متساوياً في مادّته؛ وبهذا ضرب من التوافق والانسجام يخدم هذا البناء المتساوق في مادّته؛ ومن أجل هذا يعمد أهل التلاوة إلى الوقوف على قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في الآية السابعة وقفة قصيرة، ليتحقّق نمط من التساوي في طول الآي.



المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «الفاتحة»(*)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ①﴾: «إسم» (في التسمية) صلة زائدة، زيدت ليخرج بذكرها من حكم القسم إلى قصد التبرك، لأن أصل الكلام «بالله»(1). وحذفت الألف من «بسم» من الخط تخفيفاً لكثرة الاستعمال، واستغناء عنها بباء الإلصاق في اللفظ والخط. فلو كتبت «باسم الرحمن» أو «باسم القاهر» لم تحذف الألف.

والألف في «اسم» ألف وصل، لأنك تقول: «سُمَيّ» وحذفت لأنها ليست من اللفظ(2).

وقوله: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة/12] فهذا موصول لأنك تقول: «ثَنْيَ عَشَرَ». وقوله: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة/60] موصول: لأنك تقول: «ثِنْتَيْ عشرة»، وقال ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ [يس/14]، وقال: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم/28]، لأنك تقول في «اثنين»: «ثَنْيَيْنِ» وفي «امرئ»: «مرئ» فتسقط الألف. وإنما زيدت لسكون الحرف الذي بعدها لما أرادوا استئنافه فلم يصلوا إلى الابتداء بساكن، فأحدثوا هذه الألف ليصلوا إلى الكلام

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرخ.

(1) الجامع 1/99.

(2) البحر 1/16 والجامع 1/99 والمشكل 1/65، 66 وإعراب القرآن 1/3. وأقوال الأخفش هذه مستفادة من كتب، غير معاني القرآن، تتناول ما سقط من الموضوعات في مقدمة الفاتحة.

بها. فإذا اتصل (الكلام) بشيء قبله استغنى عن هذه الألف. وكذلك كل ألف كانت في أول فعل أو مصدر، وكان «يفعل»[1] من ذلك الفعل ياؤه مفتوحة فتلك ألف وصل، نحو قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا﴾. لأنك تقول: (يهدي) فالياء مفتوحة. وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [البقرة/١٦ و١٧٥]، وقوله: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا﴾ [غافر/٣٦]، وقوله: ﴿وَعَذَابٍ ۝٤١ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص]، وأشباه هذا في القرآن كثيرة. والعلة فيه كالعلة في «اسم»، و«اثنين» وما أشبهه؛ لأنه لما سكن الحرف الذي في أول الفعل، جعلوا فيه هذه الألف ليصلوا إلى الكلام به إذا استأنفوا، أي: إذا ابتدأوا.

وكل هذه الألفات اللواتي في الفعل إذا استأنفتهن، أي إذا ابتدأت بهن، كُنَّ مكسورات، فإذا استأنفت، أي إذا ابتدأت، قُلْتَ: (إهدنا الصراط) و(إبْنِ لي) و(إشتروا الضلالة)، إلا ما كان منه ثالث حروفه مضموماً فإنك تضم أوله إذا استأنفت، تقول: (أُركض برجلك) [ص/٤٢]، وتقول (أُذكروا الله كثيراً) [الأنفال/٤٥]، وإنما ضُمَّت هذه الألف، إذا كان الحرف الثالث مضموماً، لأنهم لم يروا بين الحرفين إلا حرفاً ساكناً، فثقُلَ عليهم أن يكونوا في كسرٍ ثم يصيروا إلى الضم، فأرادوا أن يكونا جميعاً مضمومين إذا كان ذلك لا يغيّر المعنى.

وقالوا في بعض الكلام في «المُنْتِن»: «مِنْتِن». وإنما هي من «أنتن» فهو «مُنْتِن»، مثل «أكرم» فهو «مُكرِم». فكسروا الميم لكسرة التاء. وقد ضم بعضهم التاء فقال «مُنْتُن»[2] لضمة الميم وقد قالوا في «النَّقِد»[3]: «النُّقِد»

---

(١) عبر بـ«يفعل» عن الفعل المضارع وهذا ديدن الأوائل من النحاة والمعربين.

(٢) ذكر ابن منظور في اللسان كسر الميم والتاء، ولم ينسبهما لغتين ونقل رأي ابن جني فيهما، ورأي الجوهري ورأي أبي عمرو في ذلك (نتن) وفي البيان ٦/ ٢٤ نقل الرأي في الاتباع بالكسر ولم ينسبه.

(٣) في الأصل: النقد، وليس ذلك صواباً بدلالة ما بعده من قوله فكسروا النون لكسرة القاف. والنقد صفة الضرس إذا انتكل وتكسر فهو نقد؛ اللسان نقد؛ ولم يذكر لغة الاتباع ومن يأخذ بها. وجاء في خلق الإنسان للأصمعي: يقال نقدت أسنان فلان فهي تنقد نقداً وهو أن يقع فيها القادح.... وقال الشاعر هو صخر الغي:

تَيْسُ تُيوسٍ إذا يُناطِحُها ... يَألَمُ قَرْناً أرومُه نَقِدُ

يعني: أصله قد نَقِدَ أي انكسر مما يناطح: و«الأروم» جمع «الأرومة».

فكسروا النون لكسرة القاف. وهذا ليس من كلامهم إلا فيما كان ثانيه أحد الأحرف الستة نحو «شعير». والأحرف الستة هي: الخاء والحاء والعين والغين والهمزة والهاء.

وما كان على «فُعِل»[1] مما هي في أوله هذه الألف الزائدة فاستئنافه، أي الابتداء به أيضاً مضموم نحو: (أُجْتُثَّتْ مِنْ فوقِ الأرضِ) [ابراهيم/٢٦] لأن أول «فُعِل» أبداً مضموم، والثالث من حروفها مضموم.

وما كان على «أفعل أنا»[2]، فهو مقطوع الألف وإن كان من الوصل، لأن «أفعل» فيها ألف سوى ألف الوصل، وهي نظيرة الياء في «يفعل». وفي كتاب الله عز وجل ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر/٦٠]، و﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ [النمل/٣٩ و٤٠] و﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف/٥٤][3].

وما كان من نحو الألفات اللواتي ليس معهن اللام في أول «اسم»، وكانت لا تسقط في التصغير فهي مقطوعة تكون في الاستئناف على حالها في الاتصال نحو قوله: ﴿هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسْعٌ﴾ [ص/٢٣]، وقوله ﴿يَٰٓأَبَانَا﴾ [يوسف/١١ و١٧ و٦٣ و٦٥]، وقوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾ [المدثر]، و﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [القصص/٢٦]، و﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ﴾ [المؤمنون/٩٩]، لأنها إذا صُغرت ثَبَتَتْ الألف فيها، تقول في تصغير «إحدى»: «أُحَيْدى»، و«أحد»: «أُحَيد»، و«أبانا»: «أُبَينا» وكذلك «أُبيان» و«أُبيون». وكذلك (الألف في قوله) ﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة/١٠٠]، ﴿أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [البقرة/٢٤٦]، لأنك تقول في «الأنصار»: «أُنَيصار»، وفي «الأبناء» «أُبَيْناء» و«أُبَيْنُون».

وما كان من الألفات في أول فعل أو مصدر، وكان «يفعل» من ذلك الفعل ياؤه مضمومة، فتلك الألف مقطوعة، تكون في الاستئناف على حالها في الاتصال، نحو قوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة/٤]، لأنك تقول: «يُنْزَل». فالياء مضمومة. و﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾ [البقرة/

(١) يقصد أن يكون الفعل مبنياً للمجهول.

(٢) يقصد أن يكون الفعل مبنياً للمتكلم مضارعاً.

(٣) وفي الأصل إيتوني بالياء.

٢٠٠][1]، تقطع لأن الياء مضمومة، لأنك تقول: «يؤتي». وقال ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [البقرة/ ٨٣][2] و﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل/ ٩٠] لأنك تقول: «يُؤتي»، و«يحسن». وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ [يوسف/ ٥٤][3]، و﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۝٧٩﴾ [يونس][4]، فهذه موصولة لأنك تقول: «يأتي»، فالياء مفتوحة، إنما الهمزة التي في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ﴾ همزة كانت من الأصل في موضع الفاء من الفعل، ألا ترى أنها ثابتة في «أتيت» وفي «أتى» لا تسقط. وسنفسر لك الهمز في موضعه إن شاء الله. وقوله: (آتنا) يكون من «آتى» و«آتاه الله»، كما تقول: «ذهب» و«أذهبه الله ويكون على أعطنا». وقال: ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا﴾ [الأعراف/ ٣٨] على «فَعَل» وأَفْعَلَهُ» غيره.

وأما قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ فوصلت هذه الأسماء التي في أوائلها الألف واللام حتى ذهبت الألف في اللفظ. وذلك لأن كل اسم في أوله ألف ولام زائدتان، فالألف تذهب إذا اتصلت بكلام قبلها. وإذا استأنفتها كانت مفتوحة أبداً، لتفرق بينها وبين الألف التي تزاد مع غير اللام، ولأن الألف واللام هما حرف واحد كـ «قد»، و«بل». وإنما تعرف زيادتهما بأن تروم ألفاً ولاماً أخريين تُدْخلهما عليهما. فإن لم تصل إلى ذلك عرفت أنهما زائدتان. ألا ترى أن قولك: «الحمد لله» وقولك: «العالمين» وقولك «التي» و«الذي» و«الله» لا تستطيع أن تُدْخِل عليهنّ ألفاً ولاماً أخريين؟ فهذا يدل على زيادتهما، فكلما اتصلتا بما قبلهما ذهبت الألف، [إلا أن توصل بألف الاستفهام فتترك مخففة، (و) لا يخفف فيها الهمزة إلا ناس من العرب قليل، وهو قوله ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس/ ٥٩] وقوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [النمل] وقوله ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس/ ٩١].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٠٠ و٢٠١ وسورة الكهف، آية: ١٠.

(٢) وسورة النساء، آية ٣٦، وسورة الأنعام، آية: ١٥١. وسورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٣) وجاءت الهمزة مكتوبة ياء.

(٤) وجاءت الهمزة مكتوبة ياء.

وإنما مدت في الاستفهام ليفرق بين الاستفهام والخبر. ألا ترى أنك لو قلت وأنت تستفهم: «الرجل قال كذا وكذا» فلم تَمُدُّها صارت مثل قولك «الرجل قال كذا وكذا» اذا أخبرت؟

وليس سائر ألفات الوصل هكذا. قال ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ۝١٥٣﴾ [الصافات]، وقال ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [سبأ/٨]. فهذه الألفات مفتوحة مقطوعة، لأنها ألفات استفهام، وألف الوصل التي كانت في «أصطفى» و«أفترى» قد ذهبت، حيث اتصلت الصاد (والفاء) بهذه الألف التي قبلها للاستفهام. وقال من قرأ هذه الآية ﴿كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ۝٦٢ أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾ [ص] فقطع الف «أتخذناهم» فإنما جعلها ألف استفهام وأذهب الف الوصل التي كانت بعدها، لأنها إذا اتصلت بحرف قبلها ذهبت. وقد قرئ هذا الحرف موصولاً[1]، وذلك أنهم حملوا قوله ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٦٣﴾ [ص] على قوله ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ۝٦٢﴾ [ص].

وما كان من اسم في أوله ألف ولام تقدر أن تدخل عليهما ألفاً ولاماً أخريين، فالألف من ذلك مقطوعة تكون في الاستئناف، أي في ابتداء الكلام، على حالها في الاتصال، نحو قوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف/٥٩][2] لأنك لو قلت «الإله» فأدخلت عليها ألفاً ولاماً جاز ذلك. «ألواح» و«إلهام» و«إلقاء» مقطوع كله، لأنه يجوز إدخال ألف ولام أخريين. فأما «إلى»، فمقطوعة ولا يجوز إدخال الألف واللام عليها لأنها ليست باسم، وإنما تدخل الألف واللام على الاسم. ويدلك على أن الألف واللام في «إلى» ليستا بزائدتين، أنك إنما وجدت الألف واللام تزادان في الأسماء، ولا تزادان في غير الأسماء، مثل «إلى» و«ألا». ومع ذلك تكون ألف «إلى» مكسورة وألف اللام الزائدة لا تكون مكسورة.

---

(١) نسبت في الطبري ٢٣/ ١٨١ إلى عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض قراء مكة، وهي الراجحة عنده، وفي السبعة ٥٥٦ والكشف ٢/ ٢٣٣ والتيسير ١٨٨ إلى أبي عمرو والكسائي، وفي البحر ٧/ ٤٠٧ سماهم بالنحويين وحمزة، وفي الجامع ١٥/ ٢٢٥ زاد ابن كثير والأعمش وفي حجة ابن خالويه ٢٨١ بلا نسبة.

(٢) والآيات: ٥٩ و٦٥ و٧٣ و٨٥، وسورة هود، الآيات: ٥٠ و٦١ و٨٤.

وأما قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فرفعه على الابتداء. وذلك أن كل اسم ابتدأته لم توقع عليه فعلاً من بعده فهو مرفوع، وخبره إن كان هو إياه، فهو أيضاً مرفوع، نحو قوله ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح/٢٩] وما أشبه ذلك. وهذه الجملة تأتي على جميع ما في القرآن من المبتدأ فافهمها. فإنما رفع المبتدأ ابتداؤك إياه، والابتداء هو الذي رفع الخبر في قول بعضهم[١]، [و] كما كانت «أنَّ» تنصب الاسم وترفع الخبر فكذلك رفع الابتداء الاسم والخبر. وقال بعضهم: «رفع المبتدأ خَبَرُه» وكلٌّ حسن، والأول أقيس.

وبعض العرب يقول (الحمدَ للهِ)[٢] فينصب على المصدر، وذلك أن أصل الكلام عنده على قوله «حمداً لله» يجعله بدلاً من اللفظ بالفعل، وكأنه جعله مكان «أَحْمَدُ» حتى كأنه قال: «أحمدُ حمداً» ثم أدخل الألف واللام على هذه.

وقد قال بعض العرب (الحمدِ لِله)[٣] فكسره، وذلك أنه جُعِلَ بمنزلة الأسماء التي ليست بمتمكنة[٤]، وذلك أن الأسماء التي ليست بمتمكنة تُحَرَّكُ أواخرُها بحركة واحدة لا تزول علتها، نحو «حيثُ» جعلها بعض العرب مضمومة على كل حال، وبعضهم يقول «حوث»[٥] و«حيثَ»[٦] ضم وفتح. ونحو «قبلُ» و«بعدُ» جعلتا مضمومتين على كل حال. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ

---

(١) هو رأي البصريين في كتاب «الإنصاف» ١/٣.

(٢) نسبت في معاني القرآن ١/٣ إلى أهل البدو في الشواذ (١) زاد رؤبة أيضاً وفي الجامع ١/ ١٣٥ زاد سفيان بن عيينة عليه. وزاد في البحر ١/١٨ هارون العتكي عليهما.

(٣) نسبت في معاني القرآن ١/٣ إلى أهل البدو أيضاً. وفي إعراب ثلاثين سورة ١٨ إلى الحسن ورؤبة، وفي الشواذ ١ كذلك، وفي المحتسب ١/٣٧ أهمل رؤبة وزاد ابراهيم بن أبي عبلة وزيد بن علي. وقصرت في الإبانة ٧٥ على الحسن وفي الجامع ١/١٣٦ أسماه الحسن بن أبي الحسن وزاد عليه زيد بن علي وقصرت في البحر ١/٨ على الحسن وزيد بن علي أيضاً.

(٤) يرى بعضهم في هذه القراءة أن: تفسيرها المقبول هو أنها جرت اتباعاً لحركة اللام، كما ضمت اللام اتباعاً لضمة الدال في قراءة بعضهم.

(٥) حار ابن منظور في اللسان (حيث) في نسبة: حوث إلى طيئ. أو تميم وأورد عن اللحياني أنها لغة طيئ وحدها.

(٦) في الأصل: «حيث» و«حوث» بتقديم «حيث» وإنما أخرت عن أختها لقوله فيما بعدها ضم وفتح.

﴿بَعْدُ﴾ [الروم/ ٤] فهما مضمومتان إلا أن تضيفهما، فإذا أضفتهما صرفتهما. قال تعالى ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ [الحديد/ ١٠] و﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [التوبة/ ٦٩] و﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر/ ١٠] وقال ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد/ ٢٢] وذلك أن قوله ﴿أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ اسم أضاف إليه (قبل) وقال ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [يوسف/ ١٠٠] وذلك أن قوله ﴿أَن نَّزَغَ﴾ [يوسف/ ١٠٠] اسم هو بمنزلة «النَّزْغ»، لأن «أنْ» الخفيفة وما عملت فيه بمنزلة اسم، فأضاف إليها «بعد». وهذا في القرآن كثير.

ومن الأسماء ما ليس متمكناً، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى﴾ [الحجر/ ٦٨] و﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ [آل عمران/ ١١٩] مكسورة على كل حال. فشبهوا «الحمد» وهو اسم متمكن في هذه اللغة بهذه الأسماء التي ليست بمتمكنة، كما قالوا «يا زيدُ». وفي كتاب الله: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ [غافر/ ٣٦] هو في موضع النصب، لأن الدعاء كله في موضع نصب، ولكن شبه بالأسماء التي ليست بمتمكّنة فترك على لفظ واحد، يقولون: «ذَهَبَ أمسِ بما فيه»[1] و«لقيته أمسِ يا فتى»[2]، فيكسرونه في كل موضع في بعض اللغات. وقد قال بعضهم: «لقيته الأمسِ الأحدث» فجرّ أيضاً، وفيه ألف ولام، وذلك لا يكاد يعرف.

وقال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم]، وسمعنا من العرب من يقول: «هي اللاتِ قالت ذاك» فجعلها تاء في السكوت، و«هي اللاتِ فاعلم» جُرَّ في الموضعين. وقال بعضهم «من الآنَ إلى غد» فنصب لأنه اسم غير متمكن. وأما قوله: اللات فاعلم فهذه مثل «أمسِ» وأجود، لأن الألف واللام التي في «اللات» لا تسقطان وإن كانتا زائدتين، وأما ما سمعنا في «اللات والعزى» في السكت عليها فـ«اللاه»[3] لأنها هاء فصارت تاءً

(١) من أمثال العرب، الفاخر ٢١٦ ٣٥٤ ومجمع الأمثال ١٤٥١.

(٢) نسب البناء على الكسر إلى أهل الحجاز، بينما نسب إلى تميم لغة عدم الصرف فيه. اللسان (أمس).

(٣) في معاني القرآن ٣/ ٩٧ أنها للكسائي وفي الجامع ١٧/ ١٠١ أن الدوري أخذها عن الكسائي، وأن البزي أخذها عن ابن كثير، فقرأ بها.

في الوصل وهي في تلك اللغة مثل «كان من[1] الأمر كيتِ وكيتِ». وكذلك «هيهات» في لغة من كسر. إلاّ أنه يجوز في «هيهات» أن تكون[2] جماعة فتكون التاء التي فيها تاء الجميع التي للتأنيث، ولا يجوز ذلك في اللات[3]، لأن «اللات» و«كيت» لا يكون مثلهما جماعة، لأن التاء لا تزاد في الجماعة إلا مع الألف، فإن جعلت الألف والتاء زائدتين بقي الاسم على حرف واحد[4].

وزعموا أنّ من العرب من يقطع ألف الوصل. أخبرني من أثق به أنه سمع من يقول: «يا إبني» فقطع. وقال قيس بن الخَطِيم[5] (من الطويل وهو الشاهد الأول):

إذا جاوز الإثنين سِرٌ فإنَّهُ
بنشرٍ وتكثير الوشاة قمين[6]

وقال جميل[7] (من الطويل وهو الشاهد الثاني):

ألا لا أرى إثنين أكرمَ شيمةً
على حَدَثانِ الدهر مِنّي ومِنْ جُمْل[8]

وقال الراجز[9] (وهو الشاهد الثالث):

يا نفسِ صَبْراً كلّ حيٍ لاقِ
وكل إثنين إلى فراقِ

(1) ساقطة في الجامع ١٧/ ١٠١.

(2) في الصحاح «ليت»: يكون بالياء.

(3) في الصحاح (ه هيه) : «في اللات والعزى».

(4) نقله في الصحاح «ليت وهيه» والجامع ١٧/ ١٠١.

(5) هو قيس بن الخطيم الأوسي. انظر ترجمته في الأغاني ٣/ ١٥٩، دار الكتب المصرية، وطبقات الشعراء ٢٢٨ ومعجم الشعراء ١٩٦ والموشح ١١٦.

(6) في الكامل ٢/ ٧٠٣ أنه لجميل بن عبد الله بن معمر بلفظ «بنث» وافشاء الحديث قمين وفي الصحاح «ثنى» بلفظ «بنث» معزواً إلى قيس بن الخطيم وفي اللسان «ثنى» و«نث» و«قمن» كذلك وفي الأمالي ٢/ ١٧٧و٢/ ٢٠٢ كذلك.

(7) هو جميل بن عبد الله بن معمر شاعر الغزل. انظر ترجمته في الأغاني ٧/ ٧٧ بولاق والشعر والشعراء ٤٣٤ وطبقات الشعراء ٦٦٩ والموشح ٣١١.

(8) ديوان جميل بثينة ١٨١ بلفظ أحسن بدل أكرم. وفي اللسان «ثنى» كذلك.

(9) في الخصائص ٢/ ٤٧٥ بلا عزو وفي الهمع ١٥٧ العجز بلا عزو أيضاً وفي الدرر ٢١٦ كذلك وقال «ولم أعثر على قائل هذا البيت ولا تتمته» ويمكن حمل الأبيات كلها على الضرورة.

وهذا لا يكاد يعرف.

وأما قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ فإنه يجرّ، لأنه من صفة «الله» عزّ وجل.

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ جر باللام كما انجرّ قوله:

﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾: لأنه من صفة قوله ﴿لِلَّهِ﴾ فإن قيل: «وكيف يكون جرّاً وقد قال»:

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ فلأنه، إذا قال في غير القرآن: «الحمد لمالك يوم الدين»، فإنه ينبغي أن يقول: «إياه نعبد»، فإنما هذا على الوحي. وذلك أن الله تبارك وتعالى خاطب النبي (ص) فقال: «قل يا محمد»: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ وقل: «الحمد لمالك يوم الدين» وقل يا محمد: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾.

وقد قرأها قوم (مالكَ)[1] نصب على الدعاء وذلك جائز، يجوز فيه النصب والجر، وقرأها قوم (مَلِك)[2]. إلاّ أن «المَلِك» اسم ليس بمشتق من فعل نحو قولك: «مَلِك ومُلوك» وأما «المالك» فهو الفاعل كما تقول: «مَلَكَ فهو مالِكٌ» مثل «قَهَر فهو قاهر».

وأما فتح نون ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، فإنها نون جماعة، وكذلك كل نون جماعة زائدة على حد التثنية أي على غرارها، فهي مفتوحة. وهي النون الزائدة التي لا تغيّر الاسم عمّا كان عليه: نحو نون «مسلمين» و«صالحين» و«مؤمنين». فهذه النون زائدة لأنك تقول: «مسلم» و«صالح» فتذهب النون، وكذلك

(١) الطبري ١/ ١٥٢ بلا عزو وفي ١/ ١٥٤ لم يُجزها وفي إعراب ثلاثين سورة ٢٣ إلى أبي هريرة وفي الشواذ (زاد عمر بن عبد العزيز) وفي الإبانة ٧٥ إلى أبي الصالح ومحمد بن السميفع اليماني وفي المشكل ٨ أورد جواز النصب ولم يعزه وفي الجامع ١ /١٣٩ إلى محمد بن السميفع وفي البحر ١/ ٢٠ إلى الأعمش وابن السميفع وعثمان بن أبي سليمان وعبد الملك قاضي الهند وعمر بن عبد العزيز وأبي صالح السمان وأبي عبد الملك الشامي.

(٢) في الطبري ١/ ١٥٦ إلى ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي الكريم. وفي حجة ابن خالويه ٣٨ بلا نسبة وفي إعراب ثلاثين سورة ٢٢ كذلك وفي الشواذ (بكسر اللام) إلى أبي حيوة وشريح، وبسكونها إلى عبد الوارث عن ابن عمرو وفي حجة الفارسي (٥) إلى غير عاصم ولا الكسائي و(٦) إلى عاصم. وفي الإبانة ٧٣و٧٥و٧٦ والكشف ١/ ٢٥و٢٧و٢٨و٢٩و٣٢، تفصيل في أمرها. وفي الشكل (٨) بلا نسبة وفي التيسير ١٨ إلى غير عاصم والكسائي، وفي البحر ١/ ٢٠ تفصيل في أمرها.

«مؤمن» قد ذهبت النون الآخِرة، وهي المفتوحة، وكذلك «بنون». ألا ترى أنك إنما زدت على «مؤمن» واواً ونوناً، وياءً ونوناً، وهو على حاله لم يتغيّر لفظه، كما لم يتغيّر في التثنية حين قُلْتَ «مؤمنان» و«مؤمنين». إلاّ أنك زدت ألفاً ونوناً، أو ياءً ونوناً للتثنية. وإنّما صارت هذه مفتوحة ليفرّق بينها وبين نون الاثنين. وذلك أن نون الاثنين مكسورة أبداً، قال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة/ ٢٣] وقال ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ [يس/ ١٤] والنون مكسورة.

وجَعَلْتَ الياء للنصب والجرّ، نحو «العالمين» و«المتقين» فَنَصْبهما وجرّهما سواء، كما جَعَلْتَ نَصْبَ «الاثنين» وجرّهما سواء؛ ولكن كَسَرَ ما قبل ياء الجميع وفتح ما قبل ياء الاثنين لِيَفْرِقَ ما بين الاثنين والجميع، وجَعَلَ الرفع بالواو ليكون علامة للرفع، وجَعَلَ رفع الاثنين بالألف.

وهذه النون تَسقط في الإضافة كما تسقط نون الاثنين، نحو قولك، «بنوك» «ورأيت مسلميك» فليست هذه النون كنون «الشياطين» و«الدهاقين» و«المساكين». لأن «الشياطين» و«الدهاقين» و«المساكين»[1] نونها من الأصل ألا ترى أنك تقول: (الشيطان) و«شُيَيطين» و«دهقان» «دُهَيقين» و«مِسكين» و«مسيكين» فلا تسقط النون.

فأمّا «الذين»، فنونها مفتوحة، لأنك تقول: «الذي» فتسقط النون لأنها زائدة، ولأنك تقول في رفعها: «اللذون» لأن هذا اسم ليس بمتمكن مثل «الذي». ألا ترى أن «الذي» على حال واحدة. إلا أن ناساً من العرب يقولون: «هم اللذون يقولون كذا وكذا» فجعلوا له في الجمع علامة للرفع، لأن الجمع لا بد له من علامة، واو في الرفع وياء في النصب والجر وهي ساكنة. فأذهبت الياء الساكنة التي كانت في «الذي» لأنه لا يجتمع ساكنان، كذهاب ياء «الذي» إذا أدخلت الياء التي للنصب، ولأنهما علامتان للإعراب، والياء في قول من قال «هم الذين» مثل حرف مفتوح أو مكسور بُني عليه اسم وليس فيه

---

(١) حار الأشموني بين هُذَيل وعَقيل في نسبة هذه اللغة ١/ ١٥٨.

إعراب. ولكن يدلّك على أنه المفتوح أو المكسور في الرفع والنصب والجر الياء التي للنصب والجر لأنها علامة للإعراب.

وقد قال ناس من العرب «الشياطون»[1] لأنهم شبهوا هذه الياء التي كانت في «شياطين» إذا كانت بعدها نون، وكانت في جمعٍ وقبلها كسرة، بياء الإعراب التي في الجمع. فلما صاروا إلى الرفع أدخلوا الواو. وهذا يشبه «هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ» فافهم.

وأما قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الآية ٥] ولم يقل (أنت نعبد) فلأنّ هذا موضع نصب، والله أعلم. وإذ لم يَجُز، في موضع النصب على الكاف أو الهاء وما أشبه ذلك من الإضمار الذي يكون للنصب، جعل «إياك» أو «إياه» أو نحو ذلك ممّا يكون في موضع نصب. قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ [سبأ/ ٢٤] لأنّ هذا موضع نصب، تقول: «إنّي أو زيداً منطلق». و﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء/ ٦٧]. هذا في موضع نصب. كقولك: «ذهب القوم إلا زيداً». (و) إنما صارت (إياك) في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ في موضع نصب من أجل (نعبد) وكذلك:

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[2] أيضاً. وإذا كان موضع رفع جعلت فيه (أنت) و«أنتما» و«أنتم» و«هو» و«هي» وأشباه ذلك.

وأما قوله تعالى ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ فبمعنى: «عَرِّفنا»، وأهل الحجاز يقولون: «هديته الطريق» أي: عرفته، وكذلك «هديته البيت» في لغتهم، وغيرهم يلحق به «الى»، ثم قال:

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية ٧] نُصِبَ على البدل. و(أنعمت) مقطوع الألف لأنك تقول «ينعم» فالياء مضمومة فافهم. وقوله:

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية ٧] هؤلاء صفة ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

---

(١) لم اعثر على من تكلم بهذه اللغة، ولكن جاء في اللسان «شطن»: وقرأ الحسن ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠﴾ [الشعراء]. قال ثعلب: «هو غلط منه» وقال في ترجمة «جنن»: ««المجانين» جمع «المجنون» أمّا «مجانون» فشاذ كما شذّ: «شياطون» في «شياطين».

(٢) في الصحاح «هدى» نقل هذا الرأي الأخفش.

لأن «الصراط» مضاف إليهم، فهم جر للإضافة. وأجريت عليهم «غير»[1] صفة أو بدلاً. و«غير» و«مِثْل» قد تكونان من صفة المعرفة التي بالألف واللام، نحو قولك، «إني لأمرُّ بالرجل غيرِك وبالرجلِ مثلِك فما يشتمني»، و«غير» و«مثل» إنما تكونان صفة للنكرة، ولكنهما قد احتيج إليهما في هذا الموضع فأجريتا صفة لما فيه الألف واللام. والبدل في «غير» أجود من الصفة، لأنّ «الذي» و«الذين» لا تفارقهما الألف واللام، وهما أشبه بالاسم المخصوص من «الرجل» وما أشبهه.

و«الصراط» فيه لغتان، السين والصاد، إلا أنّا نختار الصاد، لأنّ كتابتها على ذلك في جميع القرآن[2].

وقد قال العرب «هم فيها الجَمّاء الغفير» فنصبوا، كأنهم لم يدخلوا الألف واللام، وإن كانوا قد أجروهما كما أجروا «مثلك» و«غيرك» كمجرى ما فيه الألف واللام، وإن لم يكونا في اللفظ. وإنما يكون وصفاً للمعرفة التي تجيء في معنى النكرة. ألا ترى أنك إذا قلت: «إني لأمرُّ بالرجلِ مثلِك» إنما تريد «برجل مثلك». لأنك لا تُحدّد له رجلاً بعينه ولا يجوز إذا حددت له ذلك، إلا أن تجعله بدلاً ولا يكون على الصفة. ألا ترى أنه لا يجوز «مررت بزيد مثلك» إلا على البدل. ومثل ذلك: «إني لأمرُّ بالرجل من أهل البصرة» ولو قلت: «إني لأمرُّ بزيدٍ من أهل البصرة» لم يجز إلا أن تجعله في موضع حال. فكذلك ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

---

(١) في التهذيب «غير» رأي الأخفش في هذا البداية وفي إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٤٧٧ أنه يراه نصباً على الاستثناء وفي البحر١/ ٢٩، كذلك وفي إعراب القرآن ١/ ١٠ أضاف إلى ذلك أنه نصب على الحال.

(٢) جاء في لسان العرب (سرط) أن الصاد في «الصراط» لغة وأن السين هي الأصل، وأن عامة العرب تقولها بالسين، وقريش الأولون تقولها بالصاد. وفي السبعة ١٠٥ نسبت القراءة بالسين إلى ابن كثير أبي عمرو في رواية، وفي حجّة الفارسي١/ ٣٧ إلى ابن كثير وابن عمرو ونسب إليهما كذلك القراءة بالصاد وفي الإبانة ١٣و٧٣ إلى ابن كثير في رواية قنبل وفي ١٣ أيضاً أنها لحمزة في رواية خلف وفي التيسير ١٨و١٩ إلى قنبل وفي البحر ١/ ٢٥ إلى قنبل ورويس ، وفي حجة الفارسي ١/ ٣٧ قراءة الصاد إلى أبي بكر وفي الإبانة ١٣ غير ابن كثير وحمزة وفي التيسير ١٩ إلى غير قنبل وخلف وخلاد وفي البحر ١/ ٢٥، إلى الجمهور في إعراب ثلاثين سورة ٢٨ بلا نسبة وفي الجامع ١/ ١٤٨ كذلك.

وقد قرأ قوم (غيرَ المغضوبِ عليهم)[1] جعلوه على الاستثناء الخارج من أول الكلام، ولذلك تفسير سنذكره إن شاء الله، وذلك أنه إذا استثنى شيئاً ليس من أول الكلام في لغة أهل الحجاز فإنه ينصب [و] يقول «ما فيها أحد إلا حماراً» وغيرهم يقول: «هذا بمنزلة ما هو من الأول» فيرفع. فذا يجر ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾ في لغته[2]. وإن شئت جعلت «غير» نصباً على حال ويها نكرة والأول معرفة. وإنما جُرَّ لتشبيه (الذي بـ «الرجل»).



(1) في الطبري ١/ ٨٣ أورد شذوذ هذه القراءة، وأورد رأي الأخفش هذا، وفي السبعة ١١٢ نسبت إلى النبي الكريم وعمر بن الخطاب والخليل بن أحمد عن أبن كثير وفي الإبانة ٧٦ إلى ابن كثير برواية الخليل بن أحمد، وفي المشكل ١٢ كذلك، وأضاف إليه «وغيره» وزاد في البحر ١/ ٢٩ عمر وابن مسعود والإمام علي بن أبي طالب وعبد الله بن الزُّبَيْر.

(2) قراءة الجرّ في حجّة الفارسي ١٠٥ إلى نافع وعامر وابن عامر وحمزة والكِسائي وابن كثير بخلاف، وفي المشكل ١١ علّل الجرّ، ولم ينسبه، وفي البحر١/ ٢٩ إلى الجمهور.



لكل سؤال جواب في سورة «الفاتحة»(*)

إنْ قيل: الرحمٰن أبلغ في الوصف بالرحمة من الرحيم، بالنقل عن الزّجاج وغيره، فلِمَ قدّمه؟ وعادة العرب من صفات المدح الترقّي من الأدنى إلى الأعلى، كقولهم: فلان عالم نِحْرِير، لأنّ ذِكْرَ الأعلى أوّلاً ثمّ الأدنى لا يتجدّد فيه بذكر الأدنى فائدة، بخلاف عكسه؟

قلنا: قال الجوهري وغيره: إنهما بمعنى واحد كنديم وندمان، فعلى هذا لا يَرِد السؤال. وعلى القول الأول إنما قدّمه، لأنّ لفظ الله اسم خاص بالباري تعالى لا يُسَمَّى به غيره، لا مفرداً ولا مضافاً فقدّمه، والرّحيم يوصف به غيره مفرداً ومضافاً فأخّره، والرحمٰن يوصف به غيره مضافاً، ولا يوصف به مفرداً إلا الله تعالى، فوسّطه.

قلنا: الواو لا تدل على الترتيب، أو المراد بهذه العبادة التوحيد، وهو مقدّم على أداء العبادات.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.



المبحث الثامن

المعاني المجازية في سورة «الفاتحة»(*)

قوله سبحانه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

استعارة على أحد التأويلين، لأنّ الصراطَ في أصل اللغة اسم للطريق.. وهو ههنا كناية عن الدّين، لأن الدين مؤدٍّ إلى استيجاب الثواب واستدفاع العقاب، فهو كالنهج المسلوك إلى مَظَنّة[1] النجاة والسلامة، ودار الأمن والإقامة. ولما جعل سبحانه الدِّين، كالطريق القاصد، والمنهج الواضح، أقام إرشاده إليه ودلالته عليه، مقام الدليل يدل على السَّمت[2]، والهادي الذي يهدي إلى القصد، فقال سبحانه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾.

والتأويل الثاني في الصراط، يخرج الكلام عن حيّز الاستعارة، وهو أن يكون المراد به المجاز المسلوك الى الجنة والنار، على ما جاءت به الأخبار؛ فكأنهم سألوه سبحانه توفيقهم منجاته[3] ومأمنه.

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي»، تحقيق محمد علي مقلد، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٨.

(١) من ظن؛ مظنّة الشيء: موضعه ومألفه الذي يظنّ فيه وجوده.

(٢) من سَمَتَ: لزم السَّمْتَ: أي الطريق؛ سار على الطريق بالظن. ومنه قوله: وخَبّ إلى البيت سوامتٌ: أي قواصد.

(٣) وجدت غير واضحة في الأصل.





سورة البقرة

٢



أهداف سورة «البقرة»(*)

سورة البقرة أطول سورة في القرآن الكريم. لقد استغرقت جزءين ونصفاً من ثلاثين جزءاً يتكوّن منها القرآن. ولذلك كان الرجل إذا حفظ سورة البقرة عَظُم في عُيونِ المسلمين. وهي أول سورة نزلت بالمدينة، وعدد آياتها (٢٨٦) آية وعدد كلماتها ٦١٢١ كلمة.

قصة التسمية

سمّيت سورة البقرة بهذا الاسم لأنها انفردت بذكر حادثة قتل وقعت في بني إسرائيل على عهد موسى عليه السلام وكان للبقرة، وهي الحيوان المعروف الذي اتّخذ بنو إسرائيل من نوعه إلهاً في وقتٍ مّا يعبدونه من دون الله، كان لها شأن إلهيّ عجيب في هذه الحادثة.

لقد وقعت الجناية وقتل القتيل واختلف أهل الحي الذي وقعت الجناية بينهم في: من يكون القاتل. وأخذ كلٌّ يدفع الجناية عن نفسه ويتّهم بها غيره، وفيهم من يعلم عين الجاني ويكتم أمره.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

وترافع القوم إلى موسى عليه السلام ليحكم في هذه الجناية التي خفي مرتكبها.

سأل موسى ربّه، فأمرهم أن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل بلسانها، فيحيا، فيخبر بقاتله. وبسبب ما طبع عليه بنو إسرائيل من العناد في تنفيذ الأوامر فقد وقفوا كالسّاخرين أو الهازئين من الأمر

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «أهداف كل سورة ومقاصدها» لعبدالله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

بذبح البقرة في هذا المقام، حتى لقد قالوا لموسى كما ورد في التنزيل: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾؟ [الآية ٦٧].

وما كان لنبيّ الله أن يسخر أو يهزأ، ولكنّها القلوب الملتوية تنصرف عن الحق وتعاند في قبوله، فسألوه عن البقرة:

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ [الآية ٦٨] ﴿مَا لَوْنُهَا﴾ [الآية ٦٩].

وأكثروا من السؤال وشدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم، وسألوا موسى، ما هذه البقرة: أكما عهدنا هذا الجنس من الحيوان، أم هي خلق آخر تَفَرَّدَ بِمَزِيَّةٍ، واختَصَّ بإعجاز؟ فأوضح الله سبيلهم وبيَّن أنها بقرة لا مسنّة ولا فتيّة بل هي وَسَطٌ بين ذلك، فليفعلوا ما يؤمرون.

وبيّن الله لهم أنّها بقرة صفراءُ فاقعٌ لونُها تَسُرُّ الناظرين وقال:

﴿بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ [الآية ٧١].

وأخيراً وبعد حَيْرَةٍ ومشقّة عثروا عليها.

كانت البقرة ملكاً لشيخ كبير فقير، وكان عبداً صالحاً زاهداً فلم يترك من المال سوى بقرة واحدة كان يأخذها إلى المرعى ثم يتوجه إلى بارئه بقلب خالص ونفس ثابتة فيقول: اللهم إنّي استودعتك إيّاها لابني حتّى يَكْبَر. وما زال الرجل يترقرق في صدره هذا الأمل القوي بنور الله حتى مات. وبقيت البقرة لابنه اليتيم. واستمرّ اليتيم، يرعى البقرة، يحدوه شعاع من الأمل وَرِثه من الصالحات الباقيات لأبيه.

ولما أمر الله بني إسرائيل بذبح البقرة، وشدَّدَ عليهم في صفاتها ولونها وسنها، ووجد القوم أنّ هذه الصفات لا تنطبق إلاّ على بقرة هذا اليتيم الذي بارك الله له فيها، اشتروها منه بمال وفير، وذبحوها، وضربت جثة القتيل ببعض أعضائها، فتمت إرادة الله، وحدثت المعجزة، وأحيا الله القتيل، ونطق باسم قاتله. قال تعالى:

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

ثم قست قلوب اليهود بعد أن شاهدوا هذه المعجزة فصارت قلوبهم كالحجارة أو أشدّ قسوة. وبدل أن يهتدوا بهذه الآية إلى طريق الإيمان،

أشاحوا عن الحقّ وساروا في الضّلال، وقتلوا الأنبياء وحرّفوا كلام الله، ودبّروا الفتن والدسائس. وقد حذّرنا الله من كيدهم، وأمرنا ألاّ نصغي إلى فتنتهم وتفرقتهم، وأن نأخذ الحذر منهم وأن نُعِدّ العُدّة لمقاومتهم واستخلاص الحقوق المغتصبة من أيديهم. قال رسول الله (ص): «لن تقوم الساعة حتّى تقاتلوا اليهود فيختبئ أحدهم «وراء» الحجر فيقول الحجر يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله».

وفي قصة البقرة عِبْرَةٌ للمشدّدين فإنّ الله أمر بني إسرائيل بأن يذبحوا بقرة، فلو بادروا إلى ذبح أيّ بقرة لأجزأتهم، ولكنهم تشدّدوا في تعرّف صفاتها، فكانوا كلّما طرحوا سؤالاً زيدوا تشديداً حتّى صارت البقرة نادرة.

وفي الأثر: «لا تكونوا كبني إسرائيل شَدَّدُوا فَشُدِّدَ عليهم».

وفي القرآن: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [الأعراف].

الأهداف العامة لسورة البقرة

سورة البقرة من أجمع سور القرآن الكريم، وقد اشتملت على الأهداف الآتية:

١ ـ بيان أصول العقيدة وذكر أدلّة التوحيد ومبدأ خلق الإنسان.

٢ ـ بيان أصناف الخلائق أمام هداية القرآن. وقد ذكرت أنّهم أصناف ثلاثة: المؤمنون، والكافرون، والمنافقون.

٣ ـ تعرضت السورة لتاريخ اليهود الطويل، وناقشتهم في عقيدتهم، وذكّرتهم بِنِعَم الله على أسلافهم، وبما أصاب هؤلاء الأسلاف حينما التوث عقولهم عن تلقي دعوة الحق من أنبيائهم السابقين، وارتكبوا من صنوف العناد والتكذيب والمخالفة. واقرأ في ذلك قوله تعالى في السورة.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ٤٠﴾.

إلى آخر آية البر في منتصف السورة تقريباً وهي:

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الآية ١٧٧].

وهذا الغرض من أغراض السورة استدعاه جوار المسلمين لليهود في المدينة.

٤ ـ والنصف الأخير من سورة البقرة اشتمل على التشريع الإسلامي الذي

اقتضاه تكوُّن المسلمين جماعة متميزة عن غيرها، في عباداتها ومعاملاتها وعاداتها.

وقد ذكرت السورة من ذلك القصاص في القتل العمد، وذكرت الصيام والوصية والاعتكاف، والتحذير من أكل أموال الناس بالباطل. وذكرت الأهلّة وأنّها جعلت ليعتمد الناس عليها في أوقات العبادة والزراعة غيرها، وذكرت الحجّ والعُمْرة، وذكرت القتال وسببه الذي يدعو إليه، وغايته التي ينتهي إليها. وذكرت الخمر والميسر واليتامى، وحكم مصاهرة المشركين؛ وذكرت حيض النساء والتطهر منه والطلاق والعِدّة والخلع والرّضاع. وذكرت الأيمان وكفّارة الحنث فيها، وذكرت الإنفاق في سبيل الله، وذكرت البيع والربا، وذكرت طرق الاستيثاق في الديون بالكتابة والاستشهاد والرهن. ويبدأ هذا السياق من قوله تعالى بعد آية البر:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ [الآية ١٧٨].

إلى ما قبل آخر السورة. وكان يتخلل كل ذلك ـ على طريقة القرآن ـ ما يدعو المؤمنين إلى التزام هذه الأحكام وعدم الاعتداء فيها، من قصص ووعد ووعيد، وإرشاد إلى سنن الله في الكون والجماعات، ثم تختم سورة البقرة ببيان عقيدة المؤمنين على نحو ما بدأت في بيان أوصاف المتقين.

ونجد في آخر السورة قوله تعالى:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

ومن ثم يتناسق البدء والختام وتتجمّع موضوعات السورة وأهدافها، ويؤكد آخرها أولها وتصير السورة كتلة واحدة، ينتفع المسلمون بها في تنظيم أحوالهم في العبادات والمعاملات. وهي دعامة من دعائم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر قال تعالى:

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن/ ١١].

أصناف الخلق أمام دعوة الاسلام

جهر عليه الصلاة والسلام بدعوته في مكة. ولمّا يئس من انتشار الدعوة بمكة هاجر إلى المدينة. وهناك بنى مسجده واتخذه مَقَرّاً لنشر الدعوة. وقد آمن به أهل المدينة ولُقّبوا بـ «الأنصار»، وأصبحت للإسلام قوة جديدة ولم يبق بيت من بيوت المدينة إلا دخله الإسلام. ولما كانت سورة البقرة أول سورة نزلت بالمدينة، استمرّ نزول آياتها بضع سنين، فقد عُنِيَت بذكر أصناف الناس أمام دعوة الإسلام فقسّمتهم إلى ثلاثة أصناف.

الصنف الأول: المؤمنون، وقد وصفهم الله بخمس صفات هي: الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، وإخراج الزكاة والصدقات، والإيمان بالكتب والرسل، واليقين الكامل بالحساب والجزاء.

وهم بهذه الصفات أهل لهداية الله، وللفلاح والرشاد.

الصنف الثاني: الكافرون، وقد وصفهم القرآن بأنهم فقدوا الاستعداد لقبول الحق بسبب فساد فطرتهم، وإحكام الغشاوة على قلوبهم، وانسداد مسالك الفهم والإدراك في وجدانهم، وقد سمّاهم القرآن بالكافرين والفاسقين والخاسرين والضالّين.

هؤلاء الكفار سُدّت عليهم منافذ الخير وسبل الهداية، وأعلنوا الكفر والعناد.

وهذان الصنفان كثيراً ما تحدث القرآن عنهما في سوره المكيّة وسوره المدنيّة، لأنّ الدعوة الإسلامية لم تَخْلُ في مرحلة من مراحلها من مؤمن بها، مصدّق لها، كافر بها جاحد لآياتها.

الصنف الثالث: المنافقون، ووجود هذه الطائفة نشأ بعد الهجرة إلى المدينة ودخول الأنصار في الإسلام وظهور قوة المسلمين وبخاصة بعد غزوة بدر، فاضطر نَفَرٌ من الكبراء أن يتظاهروا باعتناق الدين الجديد، ومن هؤلاء عبد الله بن أُبَيّ بن سلول الذي كان قومه ينظمون له الخرز ليتوّجوه ملكاً عليهم قبيل وصول الإسلام إلى المدينة. وقد وصفتهم سورة البقرة بالنفاق والتلوّن وألقت عليهم الأضواء، وذكر المنافقون في سورة التوبة بصفات متعددة، منها

التخلف عن الجهاد والتظاهر بالإيمان، والتخلي عن تبعاته. ولا نكاد نجد سورة مدنية تخلو من ذكرهم، ولفت الأنظار إلى أوصافهم، وتحذير المؤمنين من كيدهم وخداعهم.

اليهود في المدينة

في ثنايا الحملة على المنافقين، الذين في قلوبهم مرض، نجد إشارة إلى شياطينهم. والظاهر من سياق سورة البقرة، ومن سياق الأحداث في السيرة، أنها تعني اليهود الذين تضمنت السورة حملاتٍ شديدة عليهم. أما قصتهم أمام الإسلام في المدينة فيمكن تلخيصها بما يأتي:

كان لليهود مركز ممتاز في المدينة، بسبب أنهم أهل كتاب بين الأميين من العرب ـ الأوس والخزرج ـ وكان اليهود يثيرون الفرقة والخصام بين الأوس والخزرج، فلما جاء النبي (ص) إلى المدينة، آخى بين المهاجرين والأنصار، وقضى على الخلاف والنزاع بين الأوس والخزرج، بسبب أخوّة الإسلام ووحدة المسلمين.

وقد اشتد حقد اليهود وحسدهم للنبي (ص). لقد حسدوه مرتين: مرة لأن الله اختاره رسولاً من ولد إسماعيل، وحسدوه لِمَا لقيه من نجاح سريع شامل في محيط المدينة.

على أنه كان هناك سبب آخر لعداوة اليهود للاسلام منذ الأيام الأولى، ذلك هو شعورهم بالخطر من عزلهم عن المجتمع المدني الذي كانوا يزاولون فيه القيادة العقلية والتجارة الرابحة والربا المضعف، وإلا فعليهم أن يستجيبوا للدعوة الجديدة، ويذوبوا في المجتمع الإسلامي، وهما أمران ـ في تقديرهم ـ أحلاهما مر.

لهذا كله وقف اليهود من الدعوة الإسلامية موقف التكذيب والإنكار، رغم يقينهم بصدقها.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

وقد استغرق الجزء الاول من سورة البقرة دعوة اليهود للدخول في دين الله مع تذكيرهم بعثراتهم وخطاياهم والتوائهم وتلبيسهم منذ أيام موسى عليه السلام.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾.





المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «البقرة»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة البقرة بعد سورة المطفّفين، وهي أوّل سورة نزلت بالمدينة، وأطول سورة في القرآن، فيكون نزولها فيما بين الهجرة وغزوة بدر.

وقد سمّيت هذه السورة بهذا الاسم لأنّ قصة بقرة بني إسرائيل ذكرت فيها، وتبلغ آياتها ستاً وثمانين ومائتيْ آية.

الغرض منها وترتيبها

لما هاجر النبيّ (ص) إلى المدينة، أظهر له أحبار اليهود فيها العداوة بغياً وحسداً، ومال إليهم المنافقون من الأوس والخزرج، فكان أولئك الأحبار يسألونه ويتعنّتونه ويأتونه باللّبس ليلبسوا الحق بالباطل، فنزلت سورة البقرة في أولئك الأحبار وفي ما يسألون عنه، وفي أولئك المنافقين الذين مالوا إليهم، وفي ما نزل من أحكام العبادات والمعاملات بعد استقرار الإسلام بالمدينة، وبعد أن صار بها للمسلمين جماعة تحتاج إلى هذه الأحكام في أمر دينها ودنياها.

فيكون الغرض المقصود من هذه السورة الرد على أولئك الأحبار ومن مال إليهم من المنافقين، وبيان فساد ما شغبوا به في أمر القرآن، وفي أمر النبيّ (ص)، وقد جرّ هذا إلى ذكر كثير من أمورهم، بعضها جرى مجرى الترغيب، بعضها مجرى الترهيب، ثم

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفني في القرآن»، للشيخ عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

تخلص من هذا إلى بيان ما نزل على المسلمين في هذا العهد من الأحكام اللازمة لهم في عباداتهم ومعاملاتهم.

وقد ابتدأت هذه السورة بإثبات نزول القرآن من عند الله، ليكون تمهيداً لبيان فساد ذلك الشَّغب الذي قام في امره وفي أمر النَّبيّ (ص)، وهذا هو وجه المناسبة في ذكرها بعد سورة الفاتحة، فضلاً عن أنّها أطول سورة في القرآن.

دعوة تنزيل القرآن
الآيات [١ ـ ٢٢]

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ فذكر أنَّ القرآن نزل قطعاً من عنده، وأخذ في التنويه بشأنه، فذكر أنّه هُدًى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب، إلى غير هذا ممّا ذكره من أوصافهم، ثم ذكر مخالفيهم من أحبار اليهود والمنافقين، ووصف نفاق المنافقين من المشركين أشنع وصف، وضرب في شناعة أمرهم المثل بعد المثل، ثم أمرهم أن يعبدوه لأنّه هو الذي خلقهم والذين مِنْ قَبْلِهم، وجَعَل لهم الأرض فراشاً والسماء بناءً ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾.

الاستدلال على تنزيل القرآن
الآيات [٢٣ ـ ٢٥]

ثم قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣﴾ فأقام الدليل على تنزيل القرآن من عنده بتحدّيهم أن يأتوا بسورة من مثله، وأمَرَهُم أن يَدْعُوا في ذلك آلهتهم ليُعينوهم على الإتيان به، ثم حذرهم من الاستمرار في الكفر بعد ذلك التحدّي، وبشّر المؤمنين بأنّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار. ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥﴾.

الردّ على مقالة اليهود الأولى في القرآن
الآيات [٢٦ ـ ٩٠]

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾، فردّ على مقالتهم الأولى، وذلك أنّه لما

ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قال اليهود: ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟ وقال المنافقون: لا نعبد إلهاً يذكر هذه الأشياء. فردَّ عليهم بأنه لا يَسْتَحْيي أن يَضْرِبَ ذلك مثلاً، وقد كانت العرب تضرب الأمثال بمثل هذا، فتقول: هو أحقر من ذَرّة، وأجمع من نملة.

ثم ذكر أنَّ المؤمنين يعلمون أنه الحق من ربهم، وأنَّ الكافرين ينكرون ويضلّون به، لأنهم فاسقون ينقضون ما أخذ عليهم من العهد لأول خلقهم أن يؤمنوا بما يأتيهم من هديه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من اتباع دينه، ويُفسدون في الأرض بالقتل والغصب والنهب وسائر أنواع الفساد، ثم أنكر على المنافقين منهم أن يكفروا به مع أنهم كانوا أمواتاً فأحياهم إلخ، ومع أنه هو الذي خلق لهم ما في الأرض جميعاً إلخ.

ثم انتقل السِّياقُ من هذا إلى ذكر قصة آدم ليمهّد بها إلى ذكر ما أخذه من العهد عليهم عند خلقهم، ولهذا ختمها بقوله: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

ثمّ انتقل السِّياقُ من توبيخ المنافقين على كفرهم به إلى توبيخ اليهود الذين يزيّنون لهم هذا الكفر، ويؤثرونهم على النّبيّ (ص) وهو يدعو إلى الإيمان به، وفي هذا مشاركة لهم في كفرهم به، فأخذ يذكرهم بنعمته عليهم، ويأخذهم تارة بالترغيب وأخرى بالترهيب، ويَذْكُر في هذا ما مضى من أحوالهم وأخبارهم، فَأَمَرَهُم أولاً أن يذكروا نعمته عليهم، وأن يَفُوا بالعهد الذي أخذه عليهم فلا يُؤْثِروا من يكفر به على من يؤمن به، وأن يؤمنوا بالقرآن الذي نَزَّلَ مصدِّقاً لما معهم، ونهاهم أن يُلبِسوا الحق بالباطل بمثل تلك المقالة في إنكار ما ضربه مثلاً من الذباب ونحوه، إلى غير هذا ممّا أمرهم به ونهاهم عنه.

ثم أمرهم سبحانه ثانياً أن يذكروا نعمته عليهم وتفضيله لهم على العالمين، وأن يتّقوا يوماً لا يُغْني فيه أحد عن أحد شيئاً، وأخذ يذكّرهم ببعض نِعَمه عليهم وبعض ما مضى من أحوالهم وأخبارهم، فذكر أنّه نجاهم من آل فرعون، وكانوا يسومونهم سوء

العذاب من ذبح الأبناء واستحياء النساء، وأنّه فَرَقَ بهم البحر فأنجاهم وأغرق آل فرعون، وأنّه وعد موسى أربعين ليلة فعبدوا العجل من بعده فعفا عنهم، ولم يعاقبهم بما عاقب به مَنْ قبلهم، وأنّه أنزل على موسى التوراة لهدايتهم، وأنه أمرهم بقتل أنفسهم لعبادتهم العجل ثم نسخ ذلك الأمر رحمة بهم، وأنّهم قالوا لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [الآية ٥٥] فأخذتهم الصاعقة عقوبةً لهم. ثم بعثهم من بعد موتهم وظلّل عليهم الغمام وأنزل عليهم المنّ والسّلوى، وأنه أمرهم أن يَدْخلوا بيت القدس على حالة مخصوصة فبدّلوا في ذلك وغيّروا، فأخذ من بدّل وغيّر بما أخذه به، وأنّ موسى استسقى لهم فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عَشْرَةَ عيناً بعدد أسباطهم، وأنّهم لم يصبروا على طعام واحد في تِيهِهِمْ (المنّ والسلوى) فطلبوا منه أن يدعو ربه ليخرج لهم من الأرض بَقْلاً وقِثّاءً وبصلاً، فأمرهم بأن يهبطوا مصراً من الأمصار ليجيبهم إلى سؤالهم، وذكر أنّ مثل هذا ممّا ضربت به عليهم الذلّة والمسكنة، وممّا كان سبباً في غضب الله عليهم، لأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيّين بغير الحق، ويرتكبون من العصيان والاعتداء ما ترتكبون، وقد استطرد من هذا إلى ذكر حسن جزائه لمن آمن به من المسلمين واليهود والنصارى والصابئين، جمعاً بين الوعد والوعيد، وذكراً للترغيب بعد الترهيب.

ثم عاد السياق فذكر أنّه سبحانه أخذ عليهم ميثاقهم أن يؤمنوا به، ورفع فوقهم الطور عند أخذه عليهم، فنقضوا ميثاقهم وكفروا به، ولولا فضله عليهم لأهلكهم بذلك كما أهلك مَنْ قَبْلَهم، وذكر أنّهم يعلمون الذين اعتدوا منهم في السبت فَمُسخوا قِرَدةً جزاءً لهم على اعتدائهم، وأنّ موسى ذكر لهم أنّ الله يأمرهم أن يذبحوا بقرة فلم يبادروا إلى امتثال أمره، بل أخذوا يطلبون منه أن يسأل ربه ما هي؟ فأجابهم بأنّها بقرة لا فارِضٌ ولا بِكْرٌ، ثم طلبوا منه أن يسأله ما لونها؟ فأجابهم بأنّها بقرة صفراء فاقع لونها، ثم طلبوا منه أن يسأله ثانياً ما هي؟ فأجابهم بأنّها بقرة لا ذَلولٌ تثير الأرض ولا تسقي الحرث مُسَلَّمة لا شِيَةَ فيها، فذبحوها بعد كل هذا وما كادوا يفعلون. ثم ذكر بعد هذا معجزتها في النفس التي قتلوها ولم

يعرفوا قاتلها، وأنَّ قلوبهم قَسَتْ بعد هـذه الـمـعـجـزة، حـتـى صـارت كالحجارة، أو أشد قسوة.

ثـم ذكـر أنَّ مـثـل هـؤلاء لا يـصـح للنَّبيّ (ص) وأصحابه أن يطمعوا في إيمانهم، لأنهم في ذلك مثل أسلافهم. فـمـنـهـم مـن يـسـمـع بـشـارة الـتـوراة بالنَّبيّ(ص)، ثـم يحرفها من بعد ما عَقَلَها وعرفها، وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنَّا أنَّ صاحبكم نبي، ولـكـن إليكم خاصَّة. وإذا خلا بعضهم إلى بعض تعاتبوا على هذا الإقرار مع ما فيه من التحريف. ومنهم أُمِّيُّون جهلاء لا يعلمون التوراة إلاَّ أمانيَّ يُمنِّيهم بها أحبارهم، فيزعمون أنَّ الله لا يؤاخذهم بخطاياهم، وأنَّ النار لا تمسُّهم إلاَّ أياماً معدودة بقدر أيام الخلق، وهي ستة أيام، ثم ردَّ عليهم ذلك بأنَّ من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فهو مخلَّد في النـار، ومن آمن وعـمـل صالحاً فهو مخلَّد في الجنة. ثم ذكر لهم بعضاً من سيئاتهم، وأنه أخذ عليهم ميثاقهم أن يخصوه بالعبادة ويحسنوا إلى الوالدين وذي القُرْبى، إلى غير هذا بما أخذ ميثاقهم عليه، فتولَّوا عنه إلاَّ قليلاً منهم، وأنَّه أخذ عليهم ميثاقهم ألاَّ يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا فريقاً منهم من ديارهم، فخالفوا هذا أيضاً، ثم ذكر أنَّ جزاء من يفعل ذلك إنَّما هو الخِزْيُ في الدنيا، ويوم القيامة يُرَدُّ إلى عذاب أشدَّ من عذاب دنياه.

ثم أخذ السياق يوبِّخهم على كفرهم واعتيادهم له من قديمهم، فذكر أنَّهم كانوا كلَّما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا عليه، فرسولاً يُكذِّبون ورسولاًيقتلون. ثم ذكر أنهم لما جاءهم القرآن أنكروه على عادتهم، مع أنَّه جاء مصدِّقاً لما معهم، ومع أنَّهم كانوا من قبله يستفتحون على مشركي العرب بالرسول المنتظر، فلمَّا جاءهم ما كانوا ينتظرونه كفروا به حسداً أن يكون هناك رسولٌ من غيرهم ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩٠﴾.

الردّ على مقالتهم الثانية
الآيات [٩١ ــ ٩٦]

ثم قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ

إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ فذكر مقالتهم الثانية في القرآن، وهي زعمهم أنهم مأمورون ألاّ يؤمنوا إلاّ بما أنزل إليهم، وقد ردّ عليهم بأن القرآن أتى مصدّقاً لما معهم، وبأنهم قتلوا أنبياءهم وقد أتوهم بما أنزل إليهم، وبأنّ موسى أتاهم بالتوراة فعبدوا العجل حين غاب عنهم أربعين يوماً، وبأنه أخذ ميثاقهم أن يأخذوا ما أتاهم بقوة ويسمعوا له، فقالوا سمعنا وعصينا ولم ينزعوا عبادة العجل من قلوبهم، وبأنهم لو كانوا هم المخصوصين بالآخرة حتى لا تكون رسالة في غيرهم لتمنّوا الموت استعجالاً لثوابها، وهم لا يتمنّونه أبداً خوفاً من سوء أعمالهم، وما يعلمه الله من كفرهم وظلمهم ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

الرد على مقالتهم الثالثة
الآيات [٩٧ ـ ١٠٥]

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ فذكر مقالتهم الثالثة، وهي طعنهم في القرآن بأنّه نزل به جبريل وهو عدوهم، لأنّه ينزل بالشدة والقتال، وميكائيل ينزل بالبِشر والرخاء، فردّ عليهم بأنّ جبريل إنّما نزّله بإذنه، وهدّدهم على هذه العداوة لله وملائكته، وذكر أنّه أنزل من ذلك آيات بيّنات لا يكفر بها إلاّ الفاسقون، ثمّ وبّخهم على نقض عهدهم مع النّبيّ (ص) بطعنهم في القرآن، وعلى أنّهم ينبذونه وراء ظهورهم وهو مصدّق لما معهم، ويتبعون ما ينسبونه زوراً إلى سليمان وهارُوت وماروت من كتب السحر ونحوها، فيستعملونها في الأعمال السحرية كالتفريق بين الرجل وزوجه، ويتعلّمون منها ما يضرّهم ولا ينفعهم، ولو أنّهم آمنوا بالقرآن بدل الايمان بها لكان خيراً لهم، ثم حذّر المؤمنين من مشاركتهم في بعض كفرهم، وكانوا يقولون للنّبيّ (ص): (راعينا) وهي كلمة عبرية معناها اسمع لا سمعت، فيقولونها له استهزاءً وطعناً في نبوته. وكان المؤمنون يقولون له: (راعنا) إذا تلا عليهم شيئاً من العلم ليتمهل عليهم، فأمروا أن يقولوا بدلها: (انظرنا) ليخالفوهم في مقالتهم، ثم حذّر المؤمنين من اتباعهم في هذا أو

نحوه فقال: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (١٠٥)﴾.

الرد على مقالتهم الرابعة
الآيات [١٠٦ ـ ١١٠]

ثم قال: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)﴾، فذكر مقالتهم الرابعة في القرآن، وهي طعنهم في معجزته، وقول بعضهم للنبيّ (ص): يا محمد، ائتنا بكتاب تُنزله علينا من السماء نقرأه، وفجّر لنا أنهاراً، نتّبعك ونصدقك. فذكر لهم أنه سبحانه لا ينسخ آية من آيات الرسل أو يُنسيها بآية أخرى إلاّ كانت الأخرى خيراً من الأولى أو مثلها، ، وأنّه هو الذي يتصرف في تلك الآيات كيف يشاء بما لهُ من ملك السماوات والأرض، وأنّه لا شريك له في ذلك الملك، ثم وبّخهم وذكر أنهم يتعنّتون بسؤال هذه الآيات كما تعنت أسلافهم على موسى بسؤال مثلها، ثم حذّر المؤمنين من انخداعهم بتعنتهم في ذلك، وذكر أنّهم يَوَدّون به أن يردّوهم كفاراً حسداً لهم على إيمانهم، وأمَرَهُم أن يَعفُوا ويَصفحوا حتى يأتيهم بأمره فيهم، إنَّ الله على كل شيء قدير ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠)﴾.

الرد على مقالتهم الخامسة
الآيات [١١١ ـ ١١٧]

ثم قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١١١)﴾ فذكر مقالتهم الخامسة، وهي قول اليهود والنصارى كما ورد في التنزيل: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ لأنـه لا دين إلاّ دينهم. وقد ردَّ عليهم بأنَّ تلك أمانيُّ لا دليل عليها، وبأنَّ كل من آمن به وأحسن في عمله فله أجره عنده لو لم يكن يهودياً أو نصرانياً، وبأنَّ كلاً من اليهود والنصارى يَطعن في دين الآخر، ولا يسلّم بأنّه يدخل الجنّة، مع أنّهم جميعاً يتلون التوراة، وبأنَّ المشركين الذين لا علم عندهم يَزعُمون أيضاً أنَّ الآخرة لهم، وبأنّهم

يمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ويَسعَوْن في خرابها، ومِثْله لا يصح له أن يزعم أنه لا يدخل الجنة غيره، وإنّما جزاؤه الخِزْيُ في الدنيا، وله في الآخرة عذاب عظيم. ثم ذَكَرَ أنَّ له المشرق والمغرب، وأنَّ الناس أينما يولُّوا وجوههم فثمَّ وجهه، فلا يصحّ أن يُسعى في خراب المساجد لاختلاف قِبْلتها، كما فعل النصارى مع اليهود في بيت المقدس. ثمّ ذَكَرَ، إلى هذا، من قبائح النصارى، أنهم يزعُمون أنَّ لله ولداً، وهو من الكفر الذي لا يصحّ لصاحبه أن يطمع في دخول الجنة، وردَّ عليهم هذا بأنَّ له ما في السماوات والأرض كلٌّ له قانتون ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾.

الرد على مقالتهم السادسة
الآيات [١١٨ ـ ١٣٤]

ثم قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ فذكر مقالتهم السادسة، وهي قول بعضهم للنبيّ (ص): يا محمد، إن كنت رسولاً من الله، كما تقول، فقل لله فليكلمنا حتّى نسمع كلامه. وقد ردَّ عليهم بأنَّ هذا من التعنّت الذي يسلكه مَنْ جاء قَبْلَهُم مع رسلهم، وبأنه قد أرسله بالحق بشيراً ونذيراً، وليس عليه إلاَّ أن يُبَلِّغه، ولا يُسْأل بعد هذا عن تعنتهم وكفرهم، لأنّهم لا يَرْضَوْن عنه حتى يتّبع ملتهم، ولأنّ الهدى هداه ولو شاء لهداهم، وبأنّ المنصفين منهم يؤمنون بما أُنزل إليه، ويعرفون أنه الرسول المبشَّر به. ولما كانت هذه شهادة منهم وفيها أكبر حجة عليهم، عاد السياق إلى تذكيرهم ثالثاً بنعمته سبحانه عليهم وتفضيلهم على العالمين، وتخويفهم من يوم لا يغني فيه أحد عن أحد شيئاً؛ ليحملهم على الإقرار بهذه الشهادة، ثم شرع في ذكر قصة إبراهيم وإسماعيل (ع) وبنائهما البيتَ بمكّة، إلى أن ذكر دعاء إبراهيم له أن يبعث في أهلها رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب والحكمة، ليدلّهم على موضع البشارة به في كتبهم، ويحملهم على الإقرار بها كما أقرَّ بها من آمن منهم. ثمّ ذكر لهم أنَّ المِلّةَ هي ملّة إبراهيم التي لا يرغب عنها إلاَّ من سَفِهَ نَفْسَه، وهي دين التوحيد الخالص الذي

أسلم فيه لرب العالمين، وَوَصَّى بنيه به من بعده، وكذلك وَصَّى يعقوبُ بنيه به أيضاً، ثمّ ختم ذلك بأنّ ما قَصَّهُ من أمرهم، وما كانوا عليه من الإسلام والتوحيد لا يعود نفعه إلاّ إليهم، ولا ينتفع اليهود والنصارى بانتسابهم إليهم لمخالفتهم لهم ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾.

الرد على مقالتهم السابعة
الآيات [١٣٥ ـ ١٤١]

ثم قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾، فَذَكَرَ مقالتهم السابعة، وهي قول بعضهم للنّبيّ (ص): ما الهُدَى إلاّ ما نحن عليه، فاتّبِعْنا يا مُحَمَّدُ تَهْتَدِ. وقد قالت النصارى مثل ذلك أيضاً، فجمع مقال الفريقين ليرد عليهم جميعاً، ثم ردّ عليهم بأمره (ص) أن يقول لهم: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ أي بل نتبع ملة إبراهيم الخالصة من الشرك الذي وقعوا فيه، ويأمره المسلمين أن يقولوا لهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴿١٣٦﴾﴾، فإن آمنوا بذلك ولم يفرقوا بين أحد من الأنبياء، فقد اهْتَدَوْا إلى الدين الذي يجمعهم، وإن لم يؤمنوا به فسيبقون على ما هم فيه مِنْ شِقاقٍ، وهذا الدين هو صبغة الله لا ما صارت إليه اليهودية والنصرانية، ثم أمر النّبيّ (ص) أن يَذْكُر لهم أنّه إنّما يدعوهم إلى الإيمان بربهم، أفيحاجون فيه وهو ربهم جميعاً، أم يقولون إنّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى، والله يعلم أنّهم لم يكونوا كذلك ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾.

الرد على مقالتهم الثامنة
الآيات [١٤٢ ـ ١٧٧]

ثم قال تعالى ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾، فَذَكَرَ مقالتهم الثامنة، وهي قول بعضهم بعد تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة: يا محمد، ما وَلاّك عن قِبْلَتك التي كنتَ عليها؟ وأنت تَزعُم أنك على ملّة إبراهيم ودينه، ارجِعْ إلى قِبلَتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك. وإنّما

يريدون بذلك فتنته عن دينه، فأمر النبيّ (ص) أن يَرُدَّ عليهم بأنَّ المشرق والمغرب لِلّهِ يولّي إليهما مَنْ يشاء، وبأنّه بهذه القبلة يجعلهم أمةً وسطاً بين أمم الشرك بالشرق، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى بالغرب، ليكونوا شهداء عليهم بعد تبليغهم دينهم، وبأنّه لم يعد بالقبلة إلى ما كانت عليه قبل الهجرة إلاّ ليميّز بين المؤمنين الصادقين الذين يعلمون أنها الحق، والمنافقين الذين يُبْطِنُون الكفر ويتأثرون بتلك المقالة، وبأنَّ قبلة بيت المقدس لم تكن القبلة اللائقة بالمسلمين، ولهذا كان النّبيّ (ص) يقلّب وجهه بالدعاء لِتُحَوَّلَ قِبلتُهم إلى الكعبة؛ والمنصفون من أهل الكتاب يعلمون أنها الحق من ربهم. أما غيرهم، فلا يؤمنون بها وإنْ أتاهم بكل آية عليها. غير أنّهم مختلفون في قبلتهم، فإذا اتّبع قبلة بعضهم أغضبَ غيرهم.

ثمّ ذكر أنَّ لكل أمة قبلة هو موليها، فليستبق المسلمون إلى الخيرات من الأعمال الصالحة، لأنها هي المقصود الأهمّ، وشأن القبلة دون شأنها. ثم أمره أن يولّي وجهه شَطْرَ المسجد في أي مكان كان لأنه الحق منه، وأَمَرَ المسلمين أن يتّبعوه في ذلك لئلاّ يكون للناس عليهم حجة، وكان اليهود يقولون: لم يدر محمد أين يتوجه في صلاته حتّى هديناه. وكان أكثر العرب يقولون: إنه كان يقول على ملة إبراهيم، والآن ترك التوجه إلى الكعبة، ومن ترك التوجه إلى الكعبة فقد ترك دين إبراهيم.

ثم ذكر حكمة ثانية لذلك، وهي أن يُتِمّ عليهم نعمته بجعل كعبتهم قبلتهم، كما جعل رسولهم منهم، ثم أمرهم أن يقابلوا ذلك بذكره وشكره؛ وأن يستعينوا على ذلك بالصبر والصلاة والجهاد في سبيله، فإذا أصابهم في ذلك شيء من الخوف والجوع ونَحْوِهِما، فليصبروا عليه ليكون لهم بُشْرَى الصابرين، ثم ختم ذلك ببيان أن الصفا والمرْوَة من شعائر الله بالمسجد الحرام الذي أُمروا بالتوجّه إليه، وكان الأنصار من أهل المدينة كارهين أن يُطوّفوا بينهما.

ولما انتهى السياق من الرد عليهم في ذلك، شرع في تهديدهم على كتمان ما جاء في التوراة من البشارة بالنّبيّ (ص)، فذكر أنَّ من يفعلُ ذلك منهم يلعنهم الله ويلعنُهم اللاعنون، وأنَّ من

تاب منهم عن الكتمان وآمن يقبلُ الله توبته، ومن أصرَّ على الكفر استحقَّ تلك اللعنة، ثم شرع يوبخ اليهود على انقيادهم لأولئك الأحبار الذين يكتمون عنهم ذلك، واتخاذِهم أنداداً من دون الله، فَذَكَر سبحانه لهم أنَّ إلههم واحد لا شريك له، وأنَّ في خلق السماوات والأرض وغيرهما آياتٍ دالّةً على تفرّده بالألوهية، فلا يليق بهم أن يتّخذوا أحبارهم الذين يكتمون عليهم ذلك أنداداً من دونه، فَيُحبّونهم كحُبّه ولا يعصوهم في شيء. ولو يرون ما أعدَّ لهم من العذاب لَتَدَبَّروا في أمرهم، لأنهم حين يرونه تتقطع بهم الأسباب، ويتبرأ المتبوعون من التابعين، فلا يمنعون عنهم شيئاً من العذاب. ويودّ التابعون لو أنَّ لهم كَرَّةً إلى الدنيا لتبرأوا منهم كما تبرّأوا منهم، ثم أمرهم بعد هذا التحذير البالغ من أحبارهم أن يأكلوا ممّا في الأرض حلالاً طيّباً، ولا يتّبعوا خطواتهم في ما يحرمون عليهم من الطيبات، لأنّهم يتّبعون بهذا خطوات الشيطان وهو أشدّ أعدائهم، ويقولون على الله ما لا يعلمون تقليداً لأحبارهم، ولكنّهم إذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله من حل تلك الطيبات، أبوا إلاّ تقليد أولئك الأحبار، ولو كانوا لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون، ومَثَلُ من يدعوهم إلى ذلك كَمَثَلِ الذي يَنْعِقُ بما لا يسمع إلاّ دعاءً ونداءً، ولا يَفْهم ممّا يُدّعي به شيئاً.

ثم ترك دعاءهم إلى ذلك لأنّه لا يُرجى صلاحُهم، وأمر المؤمنين بما أمر به أولئك المخالفين، وأن يشكروه على ما أحلَّ من ذلك، وذكر لهم أنّه لم يحرّم عليهم إلاّ الميتةُ والدمُ وما ذُكِر معهما، ثم عاد السياق إلى أولئك الأحبار فذكر أنّهم يكتمون ما أنزل الله من البشارة بالنّبيّ (ص)، ويشترون بهذا ثمناً قليلاً من دنياهم، وهددهم بأنهم يأكلون به ناراً في بطونهم، وينالون به غَضَبَه عزّ وجلّ عليهم في أخراهم، إلى غير هذا ممّا ذكره في تهديدهم؛ ثم ذكر أنّهم استحقوا ذلك بأنّه نَزّل القرآن بالحق فلم يؤمنوا به، ووقعوا في ذلك الشغب والشقاق البعيد، وهو الذي جاء في تلك المقالات التي ردّت عليهم.

ثم ختم ذلك الجدال معهم بأنَّ ما يتعلقون به من أمر القِبْلة لا يذكر فيما يجب من البرّ، ولكنّ البرَّ من آمن بالله واليوم والآخِر والملائكة والكتاب والنبيّين وآتى المالَ، على حبه، ذوي

القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، إلى غير هذا من أنواع البِرّ، ثم مَدَحَ مَنْ جَمَعَ ذلك كله فقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

حكم القصاص

الآيتان [١٧٨ _ ١٧٩]

ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [الآية ١٧٨]، فشرع في بيان الأحكام التي أراد ذكرها في هذه السورة، وذلك بعد أن حاجّ اليهود، ومهّد لذلك بأنّ المهم هو ما جاء به القرآن من الأحكام، لا ما تعلّقوا به من أمر القِبْلَة ونحوه، ولا شك أنّ في هذا ما تستشرف به النفس لبيانها، وتتطلّع إلى معرفة بعضها، وقد بدأ منها بحكم القِصاص الذي يراد به حفظُ النفس، وهو من أهم أغراض الشرائع. وقد كان اليهود يوجبون فيه القتل فقط، وكان العرب لا يقتصرون على قتل القاتل، فأتى الإسلام فيه بالقصاص العادل، وندب إلى أخذ الدِّية والعفو عن القاتل، ثم ختمه بما في القصاص من الفوائد العظيمة ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

حكم الوصية

الآيات [١٨٠ _ ١٨٢]

ثم قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ وكانوا قبل الإسلام يوصون للأبعدين طلباً للفخر والشرف، ويتركون الأقارب في الفقر والمسكنة، فجعل الوصية لهم لأنهم أولى بمال قريبهم. ثم حذّر من تبديل الوصية إلاّ إذا كان فيها جَنَفٌ أو إثم ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾.

حكم الصيام

الآيات [١٨٣ _ ١٨٧]

ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ فذكر أنّه أوجب عليهم الصوم كما أوجبه على الذين من قبلهم، وأنه في شهر رَمَضَان الذي أُنزل فيه القرآن؛ وأَوْجَب الفدية على من لا يطيق الصوم فيه لمرض أو نحوه، وندب إلى إحيائه بالتكبير والذكر والدعاء، ثم ذكر أنه أُحِلّ لهم ليلة الصيام الرفثُ والأكل

والشرب إلى طلوع الفجر، إلى أن قال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

تحريم الكسب الحرام
الآية [١٨٨]

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [الآية ١٨٨]، فحرّم أن يأكل بَعْضُهم أموال بعض بالباطل، وأن يَرْشُوا بها الحكام ليأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وهم يعلمون.

حكم الأهلة
الآية [١٨٩]

ثم قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [الآية ١٨٩]، وقد سألوه عن الأهِلَّةِ ما بالها تبدو دقيقة كالخيط ثم تزيد حتّى تمتلئ وتستوي ثم تنقص حتّى تعود كما بدت؟ فأجابهم ببيان حكمها، وهو أنّها مواقيت للناس والحج، لأنه لم يبعث إليهم ليعلمهم مثل ذلك من علم الفلك؛ ثم ضرب لسؤالهم مثلاً من يأتي البيوت من ظهورها، وكنّى بهذا عن العدول عن الطريق الصحيح في السؤال؛ ثمّ أمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها، ويتّقوه، لعلّهم يفلحون.

حكم القتال
الآيات [١٩٠ ــ ١٩٦]

ثم قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾، فأَذِنَ لهم في قتال من يقاتلهم، ونهاهم عن قتال من لم يقاتلهم، ثم أمرهم أن يقتلوا من أمروا بقتالهم في أي مكان وجدوهم فيه، ونهاهم أن يقاتلوهم عند المسجد الحرام إلاّ إذا بدأوهم بالقتال، إلى أن ختم ذلك بأمرهم بالجهاد بأموالهم أيضاً، فقال:

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾.

حكم الحج والعمرة
الآيات [١٩٦ ـ ٢١٤]

ثم قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [الآية ١٩٦]، فذكر أحكام الحج والعمرة إلى أن أمرهم بذكر الله عند المَشْعَرِ الحَرام، ثم ذكر أنَّ الذين يشهدون هذه المناسك: منهم كافر لا

يقصد من ذكره ودعائه إلاَّ الدنيا فقط، ومنهم مسلم يقصد مِنْ ذكره الدنيا والآخرة. ثم أمرهم بذكره سبحانه في أيام التشريق، ونفى الإثم عمَّن تعجَّل في يومين منها وعمَّن تأخَّر إلى آخرها؛ ثم ذكر أنَّ ممَّن يشهد هذه المناسك فريق المنافقين، وأنَّ من يسمعه يعجبه قوله في الحياة الدنيا، وأنَّه يُشهِد الله على إخلاصه وهو ألدُّ الخصام. وأنَّه إذا انصرف من مناسكه سعى في الأرض ليفسد فيها ويُهلِك الحرثَ والنسل، وأنَّه إذا قيل له اتَّقِ الله أخذته العزَّة بالإثم.

ثم ذكر أنَّ ممَّن يشهد هذه المناسك مؤمنين يبتغون بها رضاه، ويتقونه حقَّ تقواه؛ ثم خاطب أولئك المنافقين الذين يُظهرون الإيمان، فأمرهم أن يدخلوا في السِّلم، ويتركوا ذلك الفساد في الأرض، وحذَّرهم أن يزلُّوا عن ذلك، وخوَّفهم هول يوم القيامة حين يأتي أمره بالحساب والعذاب، وأمر النبيّ (ص) أن يذكر لهم ما جرى لبني إسرائيل حين زلُّوا ليعتبروا بهم؛ ثم ذكر السبب في نفاقهم وهو اغترارهم بزينة الحياة الدنيا، واعتقادهم أنهم أعلى منزلة من المؤمنين الصادقين، لغناهم وفقرهم. وقد كان هذا هو السبب في كُفر مَنْ قَبْلَهم؛ فإنَّ الناس كانوا أمّة واحدة قائمة على الحق، ولم يختلفوا إلاَّ بسبب البغي والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا، وقد هدى الله المؤمنين الصادقين لِما اختلفوا فيه من الحق بإذنه؛ ثم ذكر أنَّه لا بُدَّ لمن يريد الآخرة أن يناله من الشدائد والفقر ما نال المؤمنين قبله من الرسل والذين آمنوا معهم ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾.

أحكام متفرقة
الآيات [٢١٥ ـ ٢٢٥]

ثم قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾، فرجع السياق بعد ذلك الاستطراد إلى الكلام على الأحكام، وذكر حكم الإنفاق من جهة مصرفه وأنَّه يصرف للوالدين ومن ذكر معهما، ثم حكم فرض القتال، وأنَّه يجوز في الشهر

الحرام للضرورة، ثم ذكر تحريم الخمر والميسر، ثم ذكر حُكْمَ الإنفاق من جِهة أنّه يكون من فضل الأموال، ثم ذكر كفالة الأيتام بالإصلاح لهم ومخالطتهم في المأكل والمشرب، ثم ذكر حكم نكاح المؤمنين للمشركات ونكاح المشركين للمؤمنات؛ ثم ذكر تحريم الوطء في الحيض؛ ثم ذكر جواز إتيان النساء على أيّ وجه فيما يجوز إتيانهنَّ فيه؛ ثم ذكر حكم الحلف به، وأنه لا يؤاخذ باللغو فيه: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴿٢٢٥﴾﴾.

حكم الإيلاء والعدة والطلاق
الآيات [٢٢٦ ـ ٢٣٧]

ثم قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿٢٢٦﴾﴾ فذكر الإيلاء وعِدّة المُوْلَى عليها، ثم ذكر عِدّة المطلقة بعد الدخول: أنه يجوز مراجعتها إن طُلقت مرة أو مرتين، ولا يجوز مراجعتها إن طُلقت ثلاثاً إلاّ إذا نكحها شخص آخر، ولا يجوز إمساكها ضراراً بأن يُرْجعها في آخر عِدّتها ليطلّقها ثانياً وتأخذ في عدة أخرى، ولا يجوز منعها من الزواج بعد انقضاء عدتها غَيْرةً عليها، وإذا كان لها ولد فلها حق الرضاعة والنفقة حولين كاملين. ثم ذكر عِدّة المتوفى عنها زوجها، وأنه يجوز التعريض بخطبتها في عِدّتها؛ ثم ذكر أنّه لا عِدّة للمطلقة قبل الدخول، ولها من المهر نصفه، ولمّا بيّن حقوق الرجال والنساء في ذلك أرشدهم إلى التسامح فيها، فقال: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴿٢٣٧﴾﴾.

حكم الصلاة في الأمن والخوف
الآيتان [٢٣٨ ـ ٢٣٩]

ثم قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴿٢٣٨﴾﴾، فأمرهم بالمحافظة على الصلوات في حال الأمن، بأن يأتوا بها مستوفية الأركان. فإذا كانوا في شدة خوف أتوا بها كيف أمكنهم رجالاً أو ركباناً ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴿٢٣٩﴾﴾.

حكم الوصية للازواج
الآية [٢٤٠]

ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ

مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم﴾ [الآية ٢٤٠]، فذكر أنّ الذين يُتوفون منهم عليهم الوصية لأزواجهم بنفقة الحول وسكناه، فإن خرجن قبل ذلك بعد أن يقمن المدة التي ضربها الله لهنّ فيما سبق فلا حرج عليهنّ فيما فعلن في أنفسهنّ من معروف أي نكاح صحيح، وكانوا في الجاهلية يوجبون عليهنّ القيام بهذه الوصية.

حكم نفقة المطلقات
الآيتان: [٢٤١ ـ ٢٤٢]

ثم قال تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١)﴾ والمراد بالمتاع هنا نفقتهنّ مدة العدّة، وقد جعل ذلك حقاً على المتقين ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢)﴾.

الترغيب في الجهاد بالنفس والمال
الآيات [٢٤٣ ـ ٢٨٤]

ثم قال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣)﴾، فأخذ يرغب في الجهاد بالنفس والمال بعد أن أذن للمسلمين فيه وفَرَضَه عليهم، وقد مهّد لذلك بذكر قصة تدل على أنّ الحذر من الموت لا يفيد، لأنّ الحذر من الموت هو الذي يخوّفهم من الجهاد؛ فذكر قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وهم قوم من بني إسرائيل أمروا بالقتال فتقاعسوا خوفاً على أنفسهم، فأرسل الله عليهم وباءً قضى على كثير منهم، فاعتبر به من نجا وجاهد في سبيل الله شكراً له على نجاته؛ ثم أمر المسلمين بالقتال في سبيله بعد هذا التحذير، ووعد من ينفق منهم شيئاً فيه بأن يضاعفه له أضعافاً كثيرة.

ثم ذكر لهم قصة ثانية تقتلع[1] خوف الجهاد من نفوسهم لقلة عددهم، وتشتمل على عظات تنفعهم في جهادهم، وهي قصة بني إسرائيل حين طلبوا من نبيهم صموئيل أن يبعث لهم ملكاً يقاتلون تحت رايته، فلمّا كُتب

(١) ويجوز أن تكون هذه القصة تفصيلاً للقصة الأولى.

عليهم القتال تولوا إلاّ قليلاً منهم. ولما ذكر لهم صموئيل أنَّ الله بعث لهم طالوت ملكاً عابوه لفقره. فردَّ عليهم بأنّه يفضلهم ببسطة العلم والجسم، وبأنّه سبحانه يؤتي ملكه من يشاء ولا ينازعه أحد في ملكه، ثم ذكر ابتلاءه لجند طالوت حين خرج بهم، وأنه لم يصبر على هذا الابتلاء إلا قليل منهم، فساروا معه حتى إذا رأوا جالوت وجنوده قالوا لا طاقة لنا بهم، وقال الذين يظنون أنّهم ملاقو الله، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، ثم برزوا لهم واستعانوا بالله عليهم، فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله المُلْكَ والحكمة جزاء له على قتله؛ ثم ختم القصة ببيان حكمة الجهاد في سبيله، فذكر أنّه لولا دَفْعُ العصاة بالطائعين لفسدت الأرض، ثم نوّه بشأن ما تلاه من الآيات، في تلك القصة وجعلها دليلاً على أنّه من المرسلين؛ ثم ذكر أنّه فضّل بعضهم على بعض في الآيات، وأنه سبحانه لو شاء، لهدى الناس ولم يقتتلوا من بعد ما جاءهم منها، ولكنّهم اختلفوا: فمنهم من آمن ومنهم من كفر، وقاتل الكافرون المؤمنين فقاتلوهم كما يقاتلونهم.

ثم أخذ يحضّهم على الجهاد بطريق الترغيب، فأمرهم أن ينفقوا فيه ممّا رزقهم من قبل أن يأتي يوم لا يقبل فيه فداء، ولا تفيد فيه صداقة ولا شفاعة، ثم ذكر من عظمته ما يؤكد ذلك، ويثبت أنّه لا يمكن أن يشفع أحد عنده إلاّ بإذنه، وهو لا يأذن بالشفاعة إلاّ في حق الطائعين المجاهدين في سبيله، ثم ذكر أنّه لا يكرههم بذلك على الإنفاق والجهاد، لأنه لا إكراه في الدين، وقد تبين الرشد من الغيّ، فمن يؤمن بالله ويكفر بالطاغوت فقد استمسك بالعروة الوثقى، ثم ذكر أنّه هو الذي يتولى المؤمنين فيخرجهم من الظلمات إلى النور، وأنَّ الكافرين أولياؤهم الطاغوت فيخرجونهم من النور إلى الظلمات؛ وبهذا يصير المؤمنون إلى الإيمان باختيارهم وتوفيق الله لهم؛ ويصير الكافرون إلى الكفر باختيارهم وإيثارهم ولاية الطاغوت لهم؛ ثم ضرب لذلك ثلاثة أمثال: أولها مَثَلُ إبراهيم ونمرود، فقد أفحمه إبراهيم بدليله ولكنّه تولى الطاغوت فأضلّه؛ وثانيها مَثَلُ الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها، فقال: أنّى يُحْيي هذه الله بعد موتها؟ ثم تولاّه الله فهداه؛ وثالثها مثل إبراهيم حين قال: ربّ

أرني كيف تحيي الموتى؟ فأراه ذلك وتولّاه فزاده إيماناً على إيمانه.

ثم عاد السياق إلى الترغيب في إنفاق المال في سبيل الله ليفضّل تلك الأضعاف الكثيرة التي ذكرت في الطريق الأول، ويضرب سبحانه لذلك مَثَلَ الحبة التي أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، ويبيّن ما يجب في ذلك من ترك المنّ والأذى، لأنهما يُبْطلان ثوابه عنده، ومن اختيار الطيبات للإنفاق، فينفق كل شخص من طيبات كسبه، ولا يسمع للشيطان الذي يخوفه من الفقر فيحسن له الإنفاق من الخبيث، بل يسمع لله الذي يَعِدُهُ مغفرة منه.

ثم أخذ في الكلام على الربا لأنه هو الذي يربي في النفس الشحّ بالإنفاق، وذلك لأنه يزيد في المال، والإنفاقُ ينقص منه، فقَبّح حال الذين يأكلون الربا، وهددهم عليه أقوى تهديد، وذكر أنه يمحق المال الذي يدخله الربا، ويُربي المال الذي يدخله الإنفاق والصدقات، وأنّه لا يُحب من يأكل الربا من كل كفّار أثيم؛ وأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الإنفاق وغيره لهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. ثم أمر الذين كانوا يتعاطَوْنَ الربا قبل تحريمه أن يتركوا ما بقي منه، وآذَنَهُمْ بِحَرْبِهِ إن لم يفعلوا ما أمرهم به، وإذا تابوا فليس لهم إلاّ رؤوس أموالهم، وإذا أَعْسَرَ لها المدين أُمْهِل إلى أن تتيسّر له، والتصدق بها خير لهم لو كانوا يعلمون.

ثم أحلّ لهم السلم ليجدوا منه وسيلة للحصول على ما يحتاجون إليه من المال بدل الربا، وأمرهم إذا تداينوا بدين أن يكتبوه ويُشْهِدُوا عليه، وإن كانوا على سفرٍ ولم يجدوا كاتباً فرهان مقبوضة، ثم نهاهم عن كتمان الشهادة في ذلك، وأخبرهم بأنّه يعلم ما يفعلونه فيها، وهو الذي له ما في السماوات وما في الأرض، وإن يبدوا ما في أنفسهم أو يخفوه يحاسِبْهم به: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾.

الخاتمة

الآيتان [٢٨٥ ـ ٢٨٦]

ثم قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ ٢٨٥﴾، فختم السورة بذكر إيمان الرسول والمؤمنين بالقرآن والملائكة وغيرهم

ممّا ذكره، ليختمها بذكر إيمانهم بعد أن بدأها بذكر كفر المنافقين واليهود. وذكر ما ذكر من حسن إخلاصهم وطاعتهم، وطلبهم منه وهو لا يكلّف نفساً إلاّ وسعها، لها ما كسبت وعليها ما اكتَسَبَت، ألاّ يؤاخذهم بنسيانهم أو خطئهم، ولا يحمل عليهم إصْراً كما حَمَلَهُ على الذين من قبلهم من اليهود وغيرهم، إلى أن قال على لسانهم:

﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾.





أسرار ترتيب سورة «البقرة»(*)

قال بعض الأئمّة: تضمّنت سورة الفاتحة الإقرار بالربوبيّة، والالتجاء إليها في دين الإسلام، والصيانة عن دين اليهود والنصارى، وتضمّنت سورة البقرة قواعد الدين، وآلُ عمرانَ مكمّلةٌ لمقصودها.

فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، و«آل عمران» بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم. ولهذا ورد فيها كثير من المتشابه لمّا تمسّك به النصارى.

في «آل عمران» أوجب الحج. أمّا في البقرة، فذكر أنّه مشروع، وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه[1]. في «آل عمران»، كان خطاب النصارى، كخطاب اليهود في البقرة، أكثر من خطابهم في سواها، لأنّ التوراة أصل، والإنجيل فرْع لها، والنّبيّ (ص) لمّا هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر، كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب، ولهذا كانت السور المكّية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء، فخوطب به جميع الناس، والسور المدنية فيها خطاب من أقرّ بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، فخوطبوا بـ «يا أهل الكتاب»، «يا بني إسرائيل»، «يا أيّها الذين آمنوا».

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ (١٩٦)﴾.

وأمّا سورة النساء فتضمّنت أحكام الأسباب التي بين الناس، وهي نوعان: مخلوقة لله، ومقدورة لهم، كالنسب والصهر، ولهذا افتتحت بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾. وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [النساء ١] فانظر إلى هذه المناسبة العجيبة، والافتتاح، وبراعة الاستهلال، حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما في أكثر السورة من أحكام: من نكاح النساء ومحرّماته، والمواريث المتعلقة بالأرحام، وأنه ابتدأ هذا الأمر بخلق آدم، ثم خَلَقَ زوجته منه، ثم بثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً في غاية الكثرة.

أما المائدة، فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرائع، ومُكَمِّلات الدين، والوفاء بعهود الرسل، وما أُخذ على الأمة، ونهاية الدين، فهي سورة التكميل، لأنّ فيها تحريم الصيد على المُحرِم، الذي هو من تمام الإحرام. وتحريمَ الخمر، الذي هو من تمام حفظ العقل والدين، وعقوبةَ المعتدين من السرّاق والمحاربين، الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال، وإحلالَ الطيبات، الذي هو من تمام عبادة الله. ولهذا ذُكِر فيها ما يختصّ بشريعة محمد (ص) والتيمّم، والحكم بالقرآن على كل ذي دين. ولهذا كثُر فيها لفظ الإكمال والإتمام[1]. وذكر فيها: أنّ من ارتدَّ عَوَّضَ الله بخير منه، ولا يزال هذا الدين كاملاً، ولهذا ورد أنها آخر ما نزل[2] لما فيها من إرشادات الختم والتمام. وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب. انتهى.

وقال بعضهم: افتتحت البقرة بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ فإنّه إشارة إلى الصراط المستقيم بقوله في الفاتحة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾، فإنّهم لما سألوا الله الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه، كما أخرج ابن جرير وغيره من حديث

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة/ ٣] وأمثالها.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك عن عائشة: ٢/ ٣١١ وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه؛ والإمام أحمد في المسند عن معاوية بن صالح عن عائشة: ٦/ ١٨٨.

عليّ مرفوعاً: «الصراط المستقيم كتاب الله»[1]. وأخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود موقوفاً[2].

وهذا معنى حسن، يظهر فيه سرّ ارتباط «البقرة» بـ «الفاتحة».

وقال الخويي[3]: أوائل هذه السورة، مناسبة لأواخر سورة الفاتحة، لأنّ الله تعالى لمّا ذكر أنّ الحامدين طلبوا الهدى، قال: قد أعطيتكم ما طلبتم: هذا الكتاب هُدًى لكم فاتّبعوه، وقد اهتديتم إلى الصراط المستقيم المطلوب المسؤول.

ثم إنّه ذكر في أوائل هذه السورة الطوائف الثلاث الذين ذكرهم في الفاتحة: فذكر الذين على هُدًى من ربّهم، وهم المُنعَم عليهم. والذين اشتروا الضلالة بالهدى، وهم الضالّون: والذين باؤوا بغضب من الله، وهم المغضوب عليهم[4]. انتهى.

أقول: قد ظهر لي بحمد الله وجوه من هذه المناسبات.

أحدها: أنّ القاعدة التي استقرّ بها القرآن: أنّ كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجازه. وقد استقرّ لي ذلك في غالب سور القرآن، طويلها وقصيرها. وسورة البقرة، قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة.

فقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ تفصيله: ما وقع فيها من الأمر بالذكر في عدة آيات، ومن الدعاء في قوله سبحانه: ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [الآية ١٨٦]. وفي قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾. وبالشكر في قوله:

---

(١) أخرجه ابن جرير عن علي من حديث حمزة الزيات. جامع البيان: ١/ ١٧٣.

(٢) المستدرك: ٤/ ٨٣.

(٣) هو أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر أبو العباس. توفي بدمشق عام ٦٢٧ انظر عيون الأنباء: ٢/ ١٧١، شذرات الذهب: ٣/ ٢٥.

(٤) ذكر السيوطي: أن للخويي تفسيراً نقل عنه في الاتقان (٢/ ٧، ١٢و٣/ ٢٩و٤/ ١٤٤) ولم نعثر عليه، ولعلّ هذا النقل منه.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ تفصيله قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾. وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾. ولذلك افتتحها بقصة خلق آدم (ع) الذي هو مبدأ البشر[1]، وهو أشرف الأنواع من العالمين، وذلك شرح لإجمال ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. وقد أومأ إليه بقوله في قصة آدم (ع): ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾. وفي قصة إبراهيم (ع) لمّا سأل الرزق للمؤمنين خاصة بقوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ﴾ [الآية ١٢٦]. فقال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ [الآية:١٢٦].

وذلك لكونه رحماناً. وما وقع في قصة بني إسرائيل: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾ [الآية ٥٢]. إلى أن أعاد الآية بجملتها في قوله: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾. وذكر آية الدَّين[2] إرشاداً للطالبين من العباد، ورحمة بهم. ووضع عنهم الخطأ والنسيان والإصر وما لا طاقة لهم به، وختم بقوله: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ [الآية ٢٨٦] وذلك شرح قوله: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾. وتفصيله: ما وقع من ذكر يوم القيامة في عدّة مواضع، ومنها قوله: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [الآية ٢٨٤]. والدين (في الفاتحة): الحساب: (في البقرة).

وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مجمل شامل لجميع أنواع الشريعة الفرعية، وقد فصّلت في البقرة أبلغ

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [الآية ٣٠] إلى قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [الآية ٣٧].

(٢) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [الآية ٢٨٢].

تفصيل، فذكر فيها: الطهارة، والحيض، والصلاة، والاستقبال، وطهارة المكان، والجماعة، وصلاة الخوف، وصلاة الجمع، والعيد، والزكاة بأنواعها، كالنبات، والمعادن، والاعتكاف، والصوم وأنواع الصدقات، والبر، والحج، والعمرة، والبيع، والإجارة، والميراث والوصية، والوديعة، والنكاح، والصَّداق، والطلاق، والخلع، والرجعة، والإيلاء، والعِدَّة، والرَّضاع، والنفقات، والقِصاص، والدِّيات، وقتال البغاة، والردّة، والأشربة، والجهاد، والأطعمة والذبائح والأيمان، والنذور، والقضاء، والشهادات، والعتق.

فهذه أبواب الشريعة كلّها مذكورة في هذه السورة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ شامل لعلم الأخلاق. وقد ذكر منها في هذه السورة الجمّ الغفير، من التوبة، والصبر، والشكر، والرضى، والتفويض، والذكر، والمراقبة، والخوف، وإلانة القول.

وقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخره، تفصيله: ما وقع في السورة مِنْ ذكر طريق الأنبياء، ومَنْ حاد عنهم مِنَ النصارى، ولهذا ذُكِرَ في الكعبة أنّها قِبْلَة إبراهيم، فهي من صراط الذين أنعم عليهم، وقد حاد عنها اليهود والنصارى معاً، ولذلك قال في قصتها: ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. تنبيهاً على أنّها الصراط الذي سألوا الهداية إليه.

ثم ذكر: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [الآية ١٤٥]. وهم المغضوب عليهم، والضالُّون، الذين حادوا عن طريقهم. ثم أخبر بهداية الذين آمنوا إلى طريقهم. ثم قال: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. فكانت هاتان الآيتان تفصيل إجمال لقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة.

وأيضاً قوله أوّلَ السورة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إلى آخره في وصف الكتاب، إخبار بأنّ الصراط الذي سألوا الهداية إليه هو: ما تضمّنه الكتاب، وإنّما يكون هداية لمن اتّصف بما ذكر (من صفات المتّقين). ثم ذكر أحوال الكَفَرَة، ثم أحوال المنافقين، وهم من اليهود، وذلك تفصيل لمن حاد عن

الصراط المستقيم، ولم يهتد بالكتاب[1].

وكذلك قوله هنا: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [الآية ١٣٦]. فيه تفصيل النبيّين المنعم عليهم. وقال في آخرها: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [الآية ١٣٦]، تعريفاً بالمغضوب عليهم، والضالّين، الذين فرقوا بين الأنبياء. ولذلك عقّبها بقوله: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [الآية ١٣٧]. أي: إلى الصراط المستقيم، صراط المنعم عليهم كما اهتديتم.

فهذا ما ظهر لي، والله أعلم بأسرار كتابه.

الوجه الثاني: أنّ الحديث والإجماع على تفسير المغضوب عليهم باليهود، والضالّين بالمنافقين، وقد ذكروا في سورة الفاتحة على حسب ترتيبهم في الزمان، فعقّب بسورة البقرة، وجميع ما فيها (من) خطاب أهل الكتاب لليهود خاصة، وما وقع فيها من ذكر النصارى لم يقع بذكر الخطاب[2].

ثم (عقبت البقرة) بسورة آل عمران، وأكثر ما فيها من خطاب أهل الكتاب للنصارى، فإنّ ثمانين آية من أولها نازلة في وفد نصارى نجران، كما ورد في سبب نزولها[3] وختمت بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران/١٩٩]. وهي في النجاشي وأصحابه من مؤمني النصارى، كما ورد به الحديث[4].

وهذا وجه بديع في ترتيب السورتين، كأنّه لما ذُكِر في الفاتحة الفريقين، قصّ في كل سورة ممّا بعدها حال كل فريق

---

(١) هذا تفصيل للصراط المستقيم عن طريق التبصير بأعداء الصراط المستقيم، والتحذير منهم على وجه التفصيل. وسيأتي تفصيل للصراط المستقيم في «آل عمران» عن طريق التبصير بالعوائق النفسية التي تحول دون الإنسان وسلوك الصراط المستقيم، باعتبار النفس عدواً للإنسان. وبهذا تظهر عظمة الأسلوب القرآني في الإجمال والتفصيل، وفي استيعابه كل شيء.

(٢) وإنّما جاء على أسلوب الخبر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾[الآية ٦٢]. وقوله ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾[الآية ١١١].

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم: (٢/ ٤٠) لمعرفة سبب النزول، وقصة نجران في سيرة ابن هشام: ١/ ٥٧٣) وما بعدها.

(٤) في إسلام النجاشي، انظر البخاري في الجنائز: ٢/ ١٠٨ ومسلم في الجنائز ٣/ ٥٤، ٥٥، وانظر تفسير الطبري: ٧/ ٤٩٦.

على الترتيب الواقع فيها، ولهذا كان صدر سورة النساء في ذكر اليهود، وآخرها في ذكر النصارى[1].

الوجه الثالث: أنَّ سورة البقرة أجمع سُوَر القرآن للأحكام والأمثال، ولهذا سمّيت في أثر: فسطاط القرآن[2]. الذي هو: المدينة الجامعة، فناسب تقديمها على جميع سُوَرِه.

الوجه الرابع: أنّها أطول سورة في القرآن، وقد افتتح بالسبع الطوال[3]، فناسب البداءة بأطولها.

الوجه الخامس: أنّها أول سورة نزلت بالمدينة، فناسب البداءة بها، فإنَّ للأوليّة نوعاً من الأولوية.

الوجه السادس: أنَّ سورة الفاتحة كما خُتمت بالدعاء للمؤمنين بألاّ يسلك بهم طريق المغضوب عليهم ولا الضالّين إجمالاً، ختمت سورة البقرة بالدعاء بألاّ يسلك بهم طريقهم في المؤاخذة بالخطأ والنسيان، وحمل الإصر، وما لا طاقة لهم به تفصيلاً، وتضمّن آخرها أيضاً الإشارة إلى طريق المغضوب عليهم والضالّين بقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [الآية ٢٨٥]. فتآخت السورتان وتشابهتا في المقطع، وذلك من وجوه المناسبة في التتالي والتناسق.

---

(١) وذلك قوله تعالى في سورة النساء: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [الآية ٤٦]، وما ألحق بعدها. وقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [النساء].

(٢) أخرجه الدرامي: ٢/٤٤٦ عن خالد بن سعدان.

(٣) السبع الطوال هي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس، وسيأتي سبب وضع الأنفال والتوبة بينها.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكنونات سورة «البقرة»(*)

١ ـ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [الآية ٣٠].

هو آدم، كما دلّ عليه السياق، وورد في مُرسل ضعيف أنّ «الأرض» المذكورة: مكة ـ لكن قال ابنُ كثير[1]: إنّه مدرج[2] ـ وذلك ما أخرجه ابنُ جرير[3]، وابنُ أبي حاتم، من طريق عطاء بن السائب، أنّ عبد الرّحمن بن سابط، أنّ النّبيّ (ص) قال: «دُحيت الأرض من مكّة، وأوّل من طاف بالبيت الملائكة، قال تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [الآية ٣٠] يعني: مكّة».

٢ ـ ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾ [الآية ٣٥].

هي حوّاء، بالمَدّ. روى ابن جرير[4] من طريق السُّدّيّ بأسانيده: سألت[5] الملائكة آدم عن حوّاء ما اسمها؟ قال: حوّاء. قالوا: ولِمَ سُمّيت حواء؟ قال: لأنها خُلِقَتْ من حَيّ.

٣ ـ ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [الآية ٣٥].

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «مُفحِمات الأقران في مُبْهَمات القرآن» للسيوطي، إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) في «تفسيره» ١/ ٧٠، وضعيف إسناده أيضاً.

(٢) المُدْرَج: هو إدخال الراوي نفسه كلمةً ـ قد تكون أحياناً للتفسير ـ أو أكثر، على متن الحديث ـ إذا كان الإدراج في المتن كما هو هنا ـ، وقد يكون الإدراج في المسند أيضاً.

(٣) ١/ ١٥٦.

(٤) ١/ ١٨٢.

(٥) وفي «الطبري» و«الدر المنثور»: «قالت له الملائكة».

أخرج ابنُ جرير[١] وابنُ أبي حاتم، من طريق عِكْرِمة، عن ابن عبّاس: أنها السُّنْبُلة. وله طرق عنه صحيحة.

وأخرج ابنُ جرير[٢] من طريق السُّدِّي بأسانيده: أنها الكَرْم، وزعم يهودُ أنها الحنطة.

وأخرج أبو الشيخ[٣] من وجه آخر عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس، قال: هي اللوز. وإسناده ضعيف؛ وعندي أنها تصحّفت بالكرم.

وأخرج عن زيد بن عبد الله بن قُسيط[٤] قال: هي الأُتْرُج[٥].

وأخرج ابنُ أبي حاتم عن أبي مالِك قال: هي النَّخلة.

وأخرج ابنُ جرير عن مُجاهد[٦] قال: هي تينة.

وأخرج ابنُ أبي حاتم مثله عن قَتادة[٧] بلفظ: هي التين.

فهذه ستة أقوال[٨].

٤ ـ ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الآية ٣٦].

أخرج ابنُ جرير[٩]، عن ابن عبّاس: أنه خِطابٌ لآدم، وحوّاء، وإبليس، والحيّة.

---

(١) ١/ ١٨٣. وفي سنده: النضر بن عبد الرحمن، ضعيف جداً. ورواه أيضاً: ابن المنذر، وأبو الشيخ، وابن عساكر. انظر «الدر المنثور» ١/ ٥٢ و«تفسير الطبري» تخريج العلاّمة أحمد شاكر للأثر (٧١٨).

(٢) ١/ ١٨٤، وابن سعد في «الطبقات» ١/ ٥٣، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس. «الدر المنثور» ١/ ٥٣.

(٣) في «الدر المنثور» ١/ ٥٣: «ابن جرير» عوضاً عن «أبي الشيخ»؛ غير أني لم أجده في «تفسير الطبري».

(٤) يزيد بن عبد الله بن قسيط: أبو عبد الله المدني، الأعرج، ثقة الحديث، مات سنة (١٢٢هـ !).

(٥) الأترج: شجر يعلو، ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون، وهو ذهبي اللون، زكي الرائحة، حامض الماء.

(٦) في «تفسير الطبري» ١/ ١٨٤: عن ابن جريج عن بعض أصحاب النبيّ (ص). ومجاهد، هو ابن جبر، أبو الحجاج، ثقة الحديث، إمام في التفسير والعلم، ومن علماء التابعين، توفي في اوائل القرن الثاني الهجري، وله ثلاث وثمانون سنة.

(٧) قتادة بن دِعَامة السَّدُوسي، أبو الخطّاب البصري، محدّث ثقة ثبت، ومفسرٌ لغوي. يقال إنّه وُلِدَ أكْمَهَ. قال فيه الإمام أحمد: قتادة أحفظ أهل الحديث. توفي سنة ١١٨.

(٨) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى ١/ ١٨٥ بعد أن أورد الروايات في ذلك: «ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على اليقين، لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن ولا في السنة الصحيحة».

(٩) ١/ ١٩١، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور».

٥ ـ ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [الآية ٥٠].

هو القُلْزُم[١]، وكُنيته: أبو خالد. كما أخرجه ابن أبي حاتم عن قيس بن عُباد[٢].

قال ابن عسكر: وكأنّه كُنّي بذلك لطول بقائه.

وروى أبو يعلى بسند ضعيف، عن أنس، عن النبيّ (ص) قال: **«فُلِق البحرُ لبني إسرائيل يوم عاشوراء»**[٣].

٦ ـ ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الآية ٥١].

هي ذو القِعْدَة، وعَشْرٌ من ذي الحِجّة. أخرجه ابنُ جرير[٤] عن أبي العالية.

١٠ ـ ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ [الآيتان ٥١ و٩٢].

أخرج ابن عساكر في «تاريخه»، عن الحسن البصري قال: كان اسم عِجْل بني إسرائيل الذي عبدوه: «بهموت».

وأخرجه ابن أبي حاتم، ولفظه: «يَهْبُوث»[٥].

١١ ـ ﴿ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [الآية ٥٨].

أخرج عبدُ الرزاق[٦]، عن قتادة: أنّها بيتُ المقدس.

١٢ ـ وأخرج ابنُ جرير[٧] من طريق العوفي، عن ابن عباس في قوله

---

(١) أي البحر الأحمر الآن. وفي «لسان العرب»: يقال: تقلزمه، إذا ابتلعه والتهمه، و«بحر القلزم» مشتق منه، وبه سمّي القلزم، لالتهامه من ركبه، وهو المكان الذي غرق فيه فرعون وآله.

(٢) قيس بن عُباد الضُّبَعي: أبو عبد الله البصري، مخضرم، من صالحي التابعين، وكانت له مناقب وحلم وعبادة. توفي بعد سنة ٨٠ هـ.

(٣) انظر «المطالب العالية» ٣/ ٢٧٦. ورواه أيضاً ابن مردويه، كما في «الفتح الكبير» للنبهاني. لكن روي ما يشهد له: أحمد في «المسند» ١/ ٢٩١، والبخاري (٣٩٤٣) في مناقب الأنصار، ونحوه رقم (٤٦٨٠)، ومسلم (١١٣٠) واللفظ له، عن ابن عباس قال: قدم رسول الله (ص) المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسُئِلوا عن ذلك؟ فقالوا: هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون، فنحن نصومه تعظيماً له. فقال النبيّ (ص): «نحن أولى بموسى منكم»، فأمر بصومه.

(٤) ١/ ٢٢٢، وأبو العالية: رُفيع بن مهران الرِّياحي، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبيّ (ص) بسنتين، ودخل على أبي بكر، وصلّى خلف عمر. مات حوالي سنة تسعين.

(٥) بالمثلثة آخره في «الدرّ المنثور»: «يهبوب» بالموحدة آخره.

(٦) وابن جرير ١/ ٢٣٧، وهو مجاهد أيضاً، كما في «تفسير البغوي» ١/ ٥٤.

(٧) ١/ ٢٣٨، بسند ضعيف.

﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [الآية ٥٨]

قال: هو أحدُ أبواب بيت المقدس، يُدْعى: «باب حطّة».

وأخرج[1] عن الربيع: أنها بيتُ المقدس.

وعن ابن زيد[2]: أنها أريحا، قرية به.

١٣ ـ ﴿النَّصَارَى﴾ [الآية ٦٢].

سمُّوا بذلك لأنهم كانوا بقرية يُقال لها: «ناصرة». أخرجه ابن أبي حاتم عن قتادة.

وقيل: لقولهم كما ورد في التنزيل: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ [الصف/١٤]، حكاه ابنُ عَسْكَر.

١٤ ـ ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [الآية ٧٢].

اسمه عاميل، ذكره الكرماني[3].

وقيل: نكار. حكاه الماوَرْدِي.

وقاتِلُه: ابنُ أخيه. أخرجه ابنُ جرير[4]، وغيره، عن ابن عباس.

وقيل: أخوه.

١٥ ـ ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ [الآية ٧٣].

أخرج الفِرْيابي[5] عن ابن عباس.

قال: بالعظم الذي يلي الغُضْروف.

وقيل: ضُرِبَ بالبَضْعَةِ [أي قطعة اللحم] التي بين الكتفين. أخرجه ابن جرير[6] عن السُّدِّي.

وقيل: بفخذها. أخرجه ابنُ جرير[7] عن قتادة ومُجاهد.

---

(١) ابن جرير ١/ ٢٣٧.

(٢) وهو عبد الرّحمن بن زيد بن أسلم، من رجال «التهذيب».

(٣) الكرماني: محمود بن حمزة عالم بالقراءات، يعرف بتاج القراء، له كتاب «الغرائب والعجائب» نقل في «التفسير» آراء مستنكرة في معرض التحذير منها، وكان الأولى تركها، وقد تعرض السيوطي في «الإتقان» ٢/ ١٨٦ لنقده، ولما كتبه الكرماني في كتابه «العجائب والغرائب». وسيكثر السيوطي في هذا الكتاب من النقل عنه، وكتاب الكرماني هذا لا يزال مخطوطاً، وتوجد نسخة خطية منه في «مكتبة شيستربتي» بإيرلندة تحت رقم (٤١٣٧) وأخرى في المكتبة الظاهرية بدمشق، والكرماني هذا، هو غير صاحب «شرح البخاري». توفي نحو سنة (٥٠٥هـ).

(٤) ١/ ٢٨٥.

(٥) وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، و«الدر المنثور» ١/ ٧٩.

(٦) «الطبري» ١/ ٢٨٥.

(٧) «الطبري» ط الحلبي ١/ ٣٥٩.

وقيل: بعظم من عظامها. أخرجه عن أبي العالية[1].

وقيل: بلسانها[2].

وقيل: بِعَجْبِها[3].

وقيل: بذنبها. حكاه الكِرماني في «الغرائب»[4].

١٦ ـ ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية ٧٦].

أخرَجَ ابنُ جرير[5]، عن ابن عباس: أنّها في المنافقين من اليهود.

وأخرج ابنُ أبي حاتم، عن عِكْرِمة: أنّها نزلت في ابن صُوريا.

١٧ ـ ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ [الآية ٧٨].

قيل: المُراد بهم المَجُوس. حكاه المَهْدَوي[6]. لأنهم لا كتابَ لهم.

١٨ ـ ﴿إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [الآية ٨٠].

زعموها سبعة. أخرجه الطبراني وغيره[7]، بسندٍ حسن، عن ابن عباس.

وأخرج ابن أبي حاتم، من طرق ضعيفة عنه: أنها أربعون.

١٩ ـ ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [الآية ٨٧].

هو جبريل، أخرجه ابنُ أبي حاتم عن ابن مسعود[8].

---

(١) الأثر في «الطبري»، ١/ ٢٥٨، وتقدم التعريف بأبي العالية.

(٢) قاله الضَّحَّاك، كما في «تفسير البغوي» ١/ ٦١.

(٣) «العَجْب» بفتح فسكون، من كل دابة: ما ضمت عليه الورك من أصل الذنب؛ وهو العصعص. و«العَجْم» لغة في العَجْب.

(٤) قال ابن تيمية في «مقدمة في أصول التفسير» ص ٥٦: «فمثال ما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه... البَعْض الذي ضرب به موسى من البقرة».

(٥) ١/ ٢٩٢.

(٦) أحمد بن عمار، أبو العباس المَهْدَوي، صاحب التفسير المسمّى «التفصيل الجامع لعلوم التنزيل» وهو تفسير كبير، يذكر القراءات والإعراب، واختصره وسمّاه «التحصيل في مختصر التفصيل» وله «هجاء مصاحف الأمصار على غاية التقريب والاختصار» ونسبه «المَهْدَوي» ترجع إلى «المهدية» قرب القيروان، توفي في حدود ٤٣٠هـ. انظر: «طبقات المفسّرين» للسيوطي: ٣٠ و«الأعلام» ١٥/ ١٨٤.

(٧) ذكر الأثر في مجمع الزوائد» ٦/ ٣١٤ دون تخريج ولعلّه سقط من المطبوع منه، والأثر مروي في «تفسير الطبري» ١/ ٣٠٣ و«أسباب النزول» للواحدي: ١٧.

(٨) وأبو الشيخ في كتاب «العظمة» عن جابر مرفوعاً «الدر المنثور».

٢٠ ـ ﴿نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ [الآيــــة ١٠٠].

هو: مالك بن الصَّيف. أخرجه ابنُ جرير[١]، عن ابن عباس.

٢١ ـ ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ [الآية ١٠٢].

هـمـا: هـاروت، ومـاروت، كـمـا أخرجه ابنُ جرير[٢]، عن ابن عبّاس.

وقيل: جبريل، وميكائيل. أخرجه البخاري في «تاريخه»؛ وابنُ المنذر، عن ابن عباس، وابنُ أبي حاتم عن عطية[٣].

وقُرِئ بكسر اللام[٤]، فهما[٥]: داود، وسليمان. كما أخرجه ابنُ أبي حاتم عن عبد الرّحمن بن أبزى(٥١).

وأخرج عن الضَّحَّاك[٦]: أنهما عِلْجان من بابل[٧].

٢٢ ـ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الآية ١٠٩].

سمِّي منهم: كعب بنُ الأشرف أخرجه ابن جرير[٨]، عن الزُّهري وقتادة.

(سُمِّي منهم): حُيَيّ بنُ أخطب، وأبو ياسر بنُ أخطب. أخرجه عن ابن عبّاس[٩].

٢٣ ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [الآية ١١٣].

قاله رافعُ بن حُريملة.

---

(١) ١/٣٥١.

(٢) ١/٣٥٩.

(٣) عطية بن الحارث الهمداني الكوفي: أبو روق، صاحب «التفسير»، كان صدوقاً في الحديث، أخرج حديثه أبو داود والنسائي وابنُ ماجة.

(٤) أي « الملِكين» وهي قراءة شاذة.

(٥) عبد الرّحمن بن أبزى: صحابي صغير، كان في عهد عمر رجلاً، وكان أميراً على خراسان في عهد علي رضي الله عنه.

(٦) الضَّحَّاك بن مزاحم، من صغار التابعين، عرف بكثرة إرساله، يعتبر من أعلام التفسير في زمنه، مات بعد المئة.

(٧) انظر «تفسير ابن كثير» ١/١٣٧. و«علجان»: مثنى عِلج. وهو الرجل الضخم من كُفّار العجم. وبعض العرب يطلقه على الكافر مطلقاً. والجمع «عُلُوج» و«أعلاج»، كما في «المصباح المنير».

(٨) «الطبري» ١/٣٨٨.

(٩) الأثر في «الطبري» ١/٣٨٨.

٢٤ ـ ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [الآية ١١٣].

قاله رجلٌ، من أهل نجران. أخرجه ابنُ جرير[1] عن ابن عباس.

٢٥ ـ ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية ١١٣].

قال السُّدّيّ[2]: هُمُ العَرَب.

وقال عطاء: أُمم كانت قبل اليهود والنصارى. أخرجهما ابنُ جرير[3].

٢٦ ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ [الآية ١١٤].

أخرج ابنُ أبي حاتم[4] عن ابن عبّاس: أنّهم من قريش.

ومن طريق العَوفي عنه: أنّهم النّصارى.

وأخرج عبد الرزاق[5] (عن) قتادة: أنهم بُخْتُنَصَّر وأصحابُهُ الذين خرّبوا بيتَ المقْدس.

٢٧ ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ [الآية ١١٨].

سُمّي منهم: رافع بن حُريملة. أخرجه ابن جرير[6] عن ابن عبّاس. وأخرج[7] عن قتادة قال: هم كفّار العرب.

٢٨ ـ ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية ١٢٩].

هو النّبيُّ (ص). ولذلك قال (ص): «أنا دعوة أبي إبراهيم». أخرجه أحمد[8] من حديث العِرْباض بنِ سارية وغيره.

---

(١) ١/ ٣٩٤.

(٢) السُّدّي الكبير: إسماعيل بن عبد الرّحمن ـ وهو غير السدي الصغير محمد بن مروان، المرميّ بالكذب ـ كان عالماً بالتفسير والمغازي، توفي سنة (١٢٨هـ).

(٣) ١/ ٣٩٥.

(٤) وابن إسحاق. «الدر المنثور» ١/ ١٠٨.

(٥) و «الطبري» من طريقه ١/ ٣٩٧.

(٦) ١/ ٤٠٧ وابن إسحاق وابن أبي حاتم، «الدر المنثور» ١/ ١١٠.

(٧) «ابن جرير» ١/ ٤٠٧ وعبارة: «وأخرج عن قتادة» سقطت من «الدر المنثور» ١/ ١١٠ فَلْيُتنبّه.

(٨) في «المسند» ٤/ ١٢٧ ـ ١٢٨، والطبري ١/ ٤٣٥، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٦٠٠، وصحّحه وأقرّه الذهبي، وصحّحه الشيخ أحمد شاكر أيضاً؛ في تعليقه على تفسير الطبري».

والحديث بنحوه رواه الإمام أحمد أيضاً في «المسند» ٥/ ٢٦٢ من حديث أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا نبيّ الله ما كان أول بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأتْ أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام.

٢٩ ـ ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [الآية ١٣٢].

أي: بنيه.

أمّا بنو إبراهيم فسُمّي منهم في القرآن: إسماعيل، وإسحاق.

وسمّى منهم الكَلْبي: مَدَن، ومَدْيَن، ويَـقْـشـان[١]، وزَمْـران، وأَشْـبَـق، وشوح[٢].

أخرجه ابن سعد في «طبقاته»[٣]، ورأيت فيها الأسماءَ هكذا؛ مضبوطةً في نسخةٍ معتمدةٍ، ضَبَطَها الدِّمْياطي[٤]، وأتقنها.

ثم قال ابنُ سعد: أخبرنا محمد بنُ عمر الأسلمي[٥] قال: ولد لإبراهيم إسماعيلُ وهو ابن تسعين سنة، وهو بِكْرُهُ. وولد له إسحاق بعده بثلاثين سنة، (وإبراهيم يومئذٍ ابنُ عشرين ومئة سنة؛ وماتت سارة، فتزوّج إبراهيمُ امرأةً من الكنعانيين، يُقال لها: قنطورا)[٦]. ثم ولدت[٧] له قَنْطُورا أربعة: ماذي، وزمران، وشَرْجَح، وسبق. (قال: وتزوّج امرأةً أخرى يُقال لها: حجوني)[٨] ثم ولدت له حجوني سبعة: ناقس، ومَدْيَن، وكيشان،

---

(١) كذا في «تاريخ الطبري» ٢/ ٢٧٠ بمثناة.

ووقع في نسخة من «تاريخ الطبري» ١/ ٣٠٩ و٢/ ٢٧، «بقشان» بموحدة. ووقع في «تاريخ الطبري» أيضاً ١/ ٣٠٩: «يقسان».

وجاء في مطبوع «الدر المنثور في التفسير المأثور» ١/ ١٣٩: «يشان».

وقعت الأسماء في «الكامل» لابن الأثير ١/ ١٢٣ هكذا: «نقشان»، ومران، ومديان، ومدن، ونشق، وسرح».

(٢) كذا في «الطبقات» لابن سعد: «شوخ» بالخاء المعجمة.

(٣) ١/ ٤٧.

(٤) الدمياطي: عبد المؤمن بن خلف، شرف الدين، حافظ للحديث، ومن أكابر الشافعية، له علم بالأنساب، وكتاب «طبقات ابن سعد» المطبوع، أتى على ذكر الدمياطي في سند النسخة المعتمدة في الطبع، فلعلّها التي اعتمدها السيوطي، وللمترجم «معجم» في ذكر شيوخه، وتوفي عليه رحمة الله في سنة (٧٠٥)هـ.

(٥) هو المعروف بالواقدي، صاحب «المغازي» وغيره، المتوفّى سنة (٢٠٧هـ)، وحديثه، رَدّه بعضهم، وقَبِله آخرون.

انظر كلام الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» ٩/ ٣٦٣ ـ ٣٦٨، والتعليق على «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» للقاري ص ٢٧٧.

(٦) زيادة من «الطبقات» لابن سعد.

(٧) في «الطبقات»: «فولدت».

(٨) كذا في مطبوعة «طبقات ابن سعد»، وفي «الكامل» لابن الأثير ١/ ١٢٣: «حجون».

وشرُوخ، وأقْيَم، ولوط، ويَقْشان؛ فجميع ولده[1] ثلاثة عشر رجلاً.

وأخرج عن الكلبي قال: ولد لإسماعيل اثنا عشر رجلاً: بَنَاوُذ[2]، وقَيذَر، وأذْبُل، ومَنسي[3]، ومِسْمَع[4]، ودَمَار[5]، وأذر، وطيما[6]، ويَطُور، ونَبْش[7]، وماشي، وقَيْذُما[8].

٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [الآية ١٣٦] و﴿وَٱلْأَسْبَاطَ﴾ [الآية ١٤٠].

أخرج ابن جرير[9] من طريق حجاج، عن ابن جُريج قال: قال ابنُ عبّاس: الأسْبَاط بَنُو يَعْقوب، كانوا اثْنَي عشر رجلاً، كُلُّ واحد منهم ولَد سبطاً، أمّة من الناس.

وأخرج ابنُ أبي حاتم، عن السُدِّي قال: الأسباط بنو يعقوب: يوسُف، وبِنْيَامِين، ورُوبيل، ويَهوذَا، وشَمْعُون، ولاوي، ودَان، وقهاب، وكسود، وباليون.

٣١ ـ ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [الآية ١٤٢].

قال البراءُ بنُ عازب: هم اليهود. أخرجه أبو داود في «الناسخ والمنسوخ» والنَّسائي[10].

وسَمَّى منهم ابنُ عبّاس: رِفاعة بنَ قيس، وقَرْدم بن عمرو، وكعب بن

---

(١) في «الطبقات»: «ولد إبراهيم». وأسماء بني إبراهيم في «الإتقان» ٢/ ١٤٦ قريبة مما ذكر أعلاه.

(٢) في «سيرة ابن هشام» ١/ ٤: «نابت».

(٣) في «السيرة» ١/ ٥: «ميشا».

(٤) كذا شكّلت في «السيرة».

(٥) كذا في هامش «سيرة ابن هشام».

(٦) كذا في «السيرة».

(٧) في «السيرة»: «نَبْش» بفتح فكسر.

(٨) انظر للوقوف على مزيد من الاختلاف في الأسماء التعليق على «سيرة ابن هشام» ١/ ٥، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير ١/ ١٢٥.

(٩) ١/ ٢٤٣.

(١٠) يوجد اختلاف بين الروايات التي نقلت أمثال تلك الأسماء. أنظر حول ذلك ما علّقه العلاّمة الأديب محمود شاكر على «تفسير الطبري» ٣/ ١١٢، وانظر في أسماء زوجات يعقوب(ع) وأولاده كتاب الأستاذ عفيف طبارة «مع الأنبياء في القرآن الكريم» ص ١٥٥.

ووقع أسماء أولاد يعقوب في «الإتقان» ٢/ ١٤٦: «يوسف، وروبيل، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، وداني، ونفتالي بفاء ومثناة، وكاد، وياشير، وما يشاجر، ورابلون، وبنيامين».

الأشرف، ونافع بن أبي نافع[١]، والربيع بن أبي الحُقيق. أخرجه ابنُ جرير[٢] وغيره[٣].

٣٢ ـ ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

فَسَّرُوا في حديث أخرجه ابنُ ماجَة[٤] عن البراء بن عازب: بِدَوابِّ الأرض.

وكذا قَال مُجاهِد. أخرجه سعيدُ بنُ منصور[٥] وغيرُه.

وقال قَتادةُ والربيعُ: هم الملائكة، والمؤمنون، أخرجه ابنُ جَرير[٦].

٣٣ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا﴾ [الآية ١٧٠].

سُمِّيَ منهم: رافعُ بنُ خارجة[٧]، ومالك بنُ عوف. أخرجه ابنُ أبي حاتم[٨] عن ابن عباس.

٣٤ ـ ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية ١٨٧].

سُمّي ممَّنْ وَقَعَ له ذلك: عُمَرُ بنُ الخطاب، وكَعْبُ بنُ مالك.

أخرجه الإمام أحمد[٩] بإسناد حسن.

٣٥ ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ [الآية ١٨٩].

---

(١) في «السنن الكبرى» إذ لم أجِدْه في «الصغرى» المطبوعة وهي «المجتبى». وتصريح البراء بأنهم من اليهود جاء عند الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٢/ ١، والواحدي في «أسباب النزول» ص ٢٨والحازمي في «الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار» ص ٦٤، والحديث صحّحه الحافظ ابنُ حجر في فتح الباري» ٨/ ١٧١ في تفسير قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [الآية ١٤٢].

(٢) كذا في «الطبري» ٢/ ٣، وفي «الإتقان» ٢/ ١٤٨، «رافع بن حرملة»، والخلط في أسماء يهود كثير مُشْكِل.

انظر «تفسير الطبري» ٣/ ١١١، بتحقيق شاكر.

(٣) ٣/٢ بزيادة: «وكنانة بن أبي الحقيق»، وكذا وقع في «الدر المنثور».

(٤) ابن إسحاق، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «دلائل النبوة». «الدر المنثور» ١/ ١٤٢.

(٥) في «سننه» برقم (٤٠٢١) في الفتن. قال الحافظ البوصيري في «زوائد ابن ماجة»: «في إسناده اللَّيث، وهو ابن سليم: ضعيف».

(٦) و«الطبري» ٢/ ٣٣.

(٧) ٢/ ٣٤.

(٨) «رافع بن حريملة»، في المثبت من «سيرة ابن هشام» ١/ ٥٥٢، و«الطبري»٢/ ٤٧و«الدر المنثور» ١/ ١٦٧.

(٩) و«الطبري» ٢/ ٤٧.

سُمّي منهم: معاذ بن جبل، وثعلبة بن عَنَمة ـ بفتح المهملة والنون ـ الأنصاري السُّلَمي. أخرجه ابنُ عساكر عن ابن عباس[1].

٣٦ ـ ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [الآية ١٩٧].

هي شَوّالُ، وذو القِعْدة، وعشر من ذي الحِجّة. كما أخرجه الحاكم[2]، وغيرُه عن ابن عمر، وسعيدُ بنُ منصور[3] عن ابن مسعود، والطبراني[4] وغيره عن ابن عباس، وابنُ المنذر[5] عن ابن الزبير.

وقيل: وذو الحِجّة. أخرجه الطبراني[6] وغيره من حديث ابن عمر مرفوعاً، وسعيدُ بنُ منصور عن عُمَرَ بن الخطاب موقوفاً.

٣٧ ـ ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية ١٩٩].

أخرج ابنُ جرير[7] من طريق الضَّحّاك عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ قال: إبراهيم[8].

٣٨ ـ ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [الآية ٢٠٣].

هي أيّامُ التَّشريق الثلاثة. أخرجه الفِرْيابي[9] عن ابن عمر، وعن ابن عباس.

وقال ابنُ عبّاس أيضاً: أربعة أيام:

---

(١) في «المسند» ٣/ ٤٦٠، و«الطبري» ٢/ ٩٦، وقال أحمد شاكر (الأثر: ٢٩٤١): وعندي أنه إسناد صحيح.

(٢) بسند ضعيف. قاله السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٢٠٣، وانظر «الإصابة» ١/ ٢٠١.

(٣) في «المستدرك» ٢/ ٢٧٦، والطبري ٢/ ١٥١، والدارقطني ٢/ ٢٢٦، والبيهقي ٣/ ٣٤٢، وصحّحه الحافظ في «فتح الباري» ٣/ ٤٢٠.

(٤) والطبري ٢/ ١٥٠، والبيهقي ٣/ ٣٤٢.

(٥) والطبري ٢/ ١٥٠، والدارقطني ٢/ ٢٢٦، والبيهقي ٤/ ٣٤٢.

(٦) والدّارقطني ٢/ ٢٢٦، والبيهقي ٤/ ٣٤٢.

(٧) في «المعجم الأوسط» وفيه يحيى بن السكن، وهو ضعيف، قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ٣١٧ ـ ٣١٨ وسقطت منه كلمة «شوال» فليثبته.

(٨) ٢/ ١٧١، عن الضَّحّاك من قوله، لا من قول ابن عبّاس كما هو هنا. قال أحمد شاكر رحمه الله تعالى في تعليقه على «الطبري»: ووهم السيوطي ـ أي في «الدر المنثور» ١/ ٢٢٧، فذكره من رواية الطبري عن ابن عباس! ولعلّه سبق ذهنه لكثرة رواية الضحاك عن ابن عبّاس!! انتهى.

(٩) العرب كثيراً ما تدل على الواحد بذكر الجماعة. وانظر «تفسير الطبري» الموضع السابق.

يوم النَّحر، وثلاثةٌ بَعْدَه، أخرجه ابن أبي حاتِم.

وقال علي: ثلاثة أيام: يوم الأضحى، ويومان بعده. أخرجه ابنُ أبي حاتم[1].

٣٩ ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ﴾ [الآية ٢٠٤].

هو الأخنس بن شَرِيق. أخرجه ابنُ جَرير[2] عن السُّدِّي.

٤٠ ـ ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [الآية ٢١٧]. هو رجب[3].

٤١ ـ ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ﴾ [الآية ٢١٩].

قال أبو حيان[4]: كان السائل عمر ومعاذ.

٤٢ ـ ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾ [الآية: ٢١٩].

سُمِّي من السَّائلين: معاذ بنُ جبل، وثَعْلَبَة. أخرجه ابنُ أبي حاتِم عن يحيى بلاغاً[5].

٤٣ ـ وقال ابن عَسْكَر[6] في قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم﴾ [الآية ٢١٥]: نزلت في عمرو بن الجَمُوح، سأل عن مواضع النَّفَقَة فنَزَلَتْ. ثم سأل بعد ذلك: كم النفقة؟ فنزل ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾ [الآية ٢١٩].

٤٤ ـ ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ﴾ [الآية ٢٢٠].

قال ابنُ الفَرَس[7] في «أحكام

(١) الفريابي محمد بن يوسف (١٢٠ ـ ٢١٢هـ): عالم بالحديث، تركي الأصل، له «مسند» و«تفسير».

(٢) وخَرَّجه أيضاً: عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا «الدر المنثور» ١/ ٢٣٤.

(٣) ٢/ ١٨١، وابن المنذر، وابن أبي حاتم: «الدر المنثور» ١/ ٢٣٨.

(٤) انظر «الطبري» ٢/ ٢٠٢، و«ابن كثير» ١/ ٢٥٢.

(٥) في تفسيره «البحر المحيط» ٢/ ١٥٦، والواحدي في «أسباب النزول»: ٤٨.

وأبو حيّان: هو محمد بن يوسف الأندلسي، من كبار العلماء بالعربية، والتفسير، والحديث، والتراجم، واللغات، له «التفسير» و«طبقات نحاة الأندلس»؛ توفي سنة (٤٥).

(٦) «البلاغ»: قول الراوي: «بلغني أن...» من غير ذكر سنده، والبلاغ متوقف في الاحتجاج به حتى يثبت اتصاله وصحةُ سنده.

ملاحظة: انظر الفقرة التالية.

(٧) ابن الفَرَس (٥٢٤ ـ ٥٩٩ هـ): عبد المنعم بن محمد الخزرجي، أبو عبد الله، قاضي أندلسي، من علماء غرناطة، وَلِيَ القضاء في أماكن، وجُعل إليه النظر في الحسبة والشرطة.

القرآن»: قيل: إنَّ السائل عبد الله بن رواحة.

زاد أبو حيان[1]: وقيل: ثابت بن رفاعة الأنصاري.

٤٥ ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [الآية ٢٢٢].

أخرج ابنُ جرير[2] عن السُّدِّي، والماوَرْدِي[3]، عن ابن عباس، أنَّ السائل عن ذلك ثابتُ بنُ الدحداح الأنصاري.

وقال السُّهَيْلي: عباد بن بشر، وأُسَيْد بن الحُضير[4].

٤٦ ـ ﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ [الآية ٢٤٣].

أخرج الحاكم في «المستدرك»[5] من طريق سعيد بن جُبير، عن ابن عباس: أنهم كانوا أربعة آلاف.

وأخرج ابنُ أبي حاتِم من طريق عِكْرِمة عنه: أنَّهم أربعةُ آلاف من أهل قرية يقال لها داوَرْدان[6].

وأخرج ابن جرير[7] عن السُّدِّي: أنَّهم بضعة وثلاثون ألفاً، من قرية يُقال لها: داوَرْدان قبل واس؟

وأخرج عن عطاء الخُرساني[8]: أنهم ثلاثة آلافٍ (أو أكثر)[9].

ومن طريق ابن جُريج، عن ابن

---

(١) في «البحر المحيط» ٢/ ١٦١.

(٢) ٢/ ٢٢٤.

(٣) الماوَرْدِي: أبو الحسن علي بن محمد، قاضي القضاة، من كبار العلماء، وباحث مشهود ولد في البصرة. له «أدب الدنيا والدين»، و«الأحكام السلطانية» و«أعلام النبوّة» و«النكت والعيون» في تفسير القرآن ـ ولعلَّه روى به أثر ابن عباس هذا ـ من الكتب، توفي سنة (٤٥٠)هـ.

(٤) رواه مسلم في الحيض (١٦)، والترمذي (٢٩٨١) في التفسير، وأبو داود (٢٥٨) في الطهارة؛ كلّهم عن أنس رضي الله عنه.

(٥) ٢/ ٢٨١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وفي سنده «ميسرة» قال الذهبي في «تلخيص المستدرك»: «لم يرويا له». وأخرجه أيضاً «الطبري» ٢/ ٣٦٥.

(٦) والذي أثبتُّ ما حققه الأستاذ محمود شاكر وصوَّبه في تعليقه على «تفسير الطبري» وهو موافق لما في «تاريخ الطبري» و«الدر المنثور» و«معجم البلدان».

(٧) ٢/ ٣٦٦.

(٨) هو ابن أبي مسلم، صدوق، ويرسل ويدلِّس، وقد أخرج له مسلم وغيره، مات سنة ١٣٥هـ.

(٩) زيادة من «تفسير الطبري».

عباس: أنهم أربعون ألفاً[1].

٤٧ ـ ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ﴾ [الآية ٢٤٦].

أخرج ابنُ جرير[2] عن وَهْب بن مُنَبِّه[3]: أنَّ اسْمَهُ شمويل، ونَسَبه إلى لاوي بن يعقوب.

وأخرج[4] عن السُّدِّي: أنه شمعون، قال: وإنَّما سُمِّي به، لأنَّ أُمَّهُ دَعَت الله أن يَرْزقها غلاماً، فاستجاب لها دُعاءها، فولدت غلاماً، فسمَّته: شمعون. تقول: اللَّهُ سَمِعَ دعائي.

وأخرج[5] عن قتادة: أنه يوشع بن نون.

وقيل: اسمه حِزْقيل[6]. حكاه الكَرماني في «العجائب».

وقال ابنُ عساكر، وقال ابن عَسْكَر: قيل: اسمه: اشماويل بن هَلْفا، واسم أمه حسنة.

٤٨ ـ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ [الآية ٢٤٩].

أخرج ابنُ جَرير[7] عن السُّدِّي: أنهم ثمانون ألفاً.

٤٩ ـ ﴿مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [الآية ٢٤٩].

أخرج ابنُ جرير[8] عن الرَّبيع، وقَتادة، ومن طريق ابن جُريج، عن ابن عبّاس: أنه نهر بين الأردن وفلسطين. ومن طريق العَوْفي، عن ابن عبّاس: أنه نهر فلسطين.

---

(١) قال ابن جرير رحمه الله ٢/٣٦٨: «وأولى الأقوال في مبلغ عدد القوم الذين وصف الله خروجهم من ديارهم بالصواب؛ قول من حَدَّ عددهم بزيادة عن عشرة آلاف دون من حدَّه بأربعة آلاف وثلاثة آلاف، وثمانية آلاف، وذلك أنَّ الله تعالى ذِكْرُهُ أخبر عنهم أنهم كانوا أُلوفاً، وما دون العشرة آلاف لا يقال لهم «ألوف». وإنَّما يقال: «هم آلاف» إذا كانوا ثلاثة آلاف فصاعداً إلى العشرة آلاف. وغير جائز أن يقال: هم خمسة أُلوف، أو عشرة أُلوف».

(٢) ٢/٢٧٣.

(٣) وَهْب بن مُنَبِّه: أبو عبدالله اليماني، من علماء التابعين؛ كان ثقة صدوقاً، كثير النقل من كتب الإسرائيليات، مات سنة بضع عشرة ومئة.

(٤) «ابن جرير» ٢/٣٧٣.

(٥) «ابن جرير» ٢/٣٧٣.

(٦) انظر «الطبري» ٢/٣٧٣= الأثر: (٥٦٣١).

(٧) ٢/٣٩٢.

(٨) ٢/٣٩١. وانظر «الدر المنثور» ١/٣١٨.

٥٠ ـ ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [الآية ٢٤٩].

عُدَّتُهم ثلاث مئة وبضعة عشر. كما أخرجه البخاري[(١)] عن البَرَاء.

٥١ ـ ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [الآية ٢٥٣].

أخرج ابنُ جَرِير[(٢)] عن مُجاهد في قوله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾، قال: موسى. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾، قال: محمداً.

٥٣ ـ ﴿ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [الآية ٢٥٨].

أخرج أبو داود الطيالسي في «مُسْنَدِهِ»[(٣)] عن عليّ، قال: ﴿ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾: هو نُمرود بن كنعان.

وأخرج ابنُ جرير[(٤)] مثله عن مُجاهد، وقتادة، والربيع، وزيد بن أسلم.

---

(١) ٧/ ٢٩٠ في كتاب المغازي: باب عدة أصحاب بدر، وأحمد في «المسند» ٤/ ٢٩٠، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٩٣.

(٢) انظر «تفسيره» ٣/ ٢.

(٣) يبدو أن هذا الأثر سقط من نسخة «مسند الطيالسي» المطبوعة في الهند، وكذلك سقط من كتاب «منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود» لأحمد عبد الرحمن البنا، ومن «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» للحافظ ابن حجر.

لكن عزاه المؤلف في كتابه «الدر المنثور» ١/ ٣٣١ لذلك «المسند» وابن أبي حاتم. والله تعالى أعلى وأعلم.

(٤) ٣/ ١٦ ـ ١٧.



لغة التنزيل في سورة «البقرة»(*)

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾.

١ ـ الرَّيْبُ: صرفُ الدهرِ. والرَّيْبِ والرِّيبة: الشكُّ والظِّنَّةُ والتهمةُ.

وقد رابني الأمرُ وأرابني: علمتُ منه الريبة، ورأيت منه ما يُكره. وقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، أي لا شكَّ فيه.

وأرابَ الرجلُ: صار ذا ريبة فهو مُريب.

وجاءت كلمة «الريب» في قوله تعالى من السورة نفسها: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [الآية ٢٣].

لقد وردت كلمة «الريب» في سائر سور القرآن خمس عشرة مرة أخرى في خمس عشرة آية من سور القرآن ومنها:

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [غافر/٥٩]:

كما وردت كلمة «ريبة» في [الآية ١١٠ من سورة التوبة] هي في قوله تعالى:

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾.

وقد ورد الوصف من هذه الكلمة «مريب» في سبع آيات من سور مختلفة، جاء في ست منها وصفاً لموصوف هو: «الشكّ»، ومن ذلك قوله عز وجل:

﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٦٢﴾.

ولم يلتفت أهلُ العلم إلى هذا الوصف، فيعرضوا للشكِّ والريب،

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.

وعلاقة أحدهما بالآخر، وتعيين الحد بينهما، ولم أجد في كتب التفسير شيئاً من هذا العلم اللغوي، الذي يبحث في دقائق الفروق.

وقد ورد «الشكُّ» في خمس عشرة آية في سُوَر عدة مختلفة، جاء في ست منها موصوفاً بالوصف «مريب» كما أشرنا.

و«الشكُّ» نقيضُ اليقينِ، فاليقينُ ثبوت العلم، أما الشكّ فهو نقيضه. وكأنه حال من التردد بعيد عن الاستقرار.

والذي أراه أنه أضعف من «الريب»، ولو لم يكن ذلك لما وُصِفَ «الشكُّ» في ستِ آيات بـ «مريب»، منها قوله تعالى:

﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩﴾ [إبراهيم].

ويدلنا هذا على أن «الشك» قد ورد في تسع آيات أخرى غير موصوف بهذا الوصف، ويبدو أنها تعني اليقين الثابت، كقوله تعالى:

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس/ ٩٤].

﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس/ ١٠٤].

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم/ ١٠].

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ۝٦٦﴾ [النمل].

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ [سبأ/ ٢١].

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ۝٨﴾ [ص].

﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ [غافر/ ٣٤].

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾ [الدخان].

ألا ترى أن كلمة «الشك» في هذه الآيات التسع تعني التردد وعدم اليقين، وهي أضعف في دلالتها على المعنى من «الشك» موصوفاً «بمريب» في الآيات الست التي أشرنا إلى بعض منها؟

إن «الشكّ» قد ورد في سورة يونس، الآية ٩٤، في أسلوب الشرط وهو من أساليب الإنشاء. وأساليب الإنشاء في جملتها لا تحتمل الصدق

والكذب، بخلاف أسلوب الخبر الذي يحتملهما. وعندي أن استعمال «الشكّ» في الآيات التسع، قد ورد إمّا في حشو جملة الشرط، وإما بعد «بل» للإضراب، وإما في حشو جملة الاستفهام، وإما في جملة توحي بالتردّد وعدم الاستقرار، كما في قوله تعالى:

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْأَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ [سبأ/ ٢١].

وقوله تعالى أيضاً: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾ [الدخان].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ [غافر/ ٣٤].

وعلى هذا كان استعمال الريب ألزم وأوجب لما يقتضي المقام أن تُستعمل فيه، ولا يمكن أن يحل «الشكّ» محلّه.

ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوٓا أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهف/ ٢١]. تقرير حق وبيان وعلم بأمر محقق، وهذا يؤذن ألا يُستعمل فيه ما قد يُفهم منه الضعف والتردّد، فاستبعدت كلمة «الشك» واستعملت كلمة «الريب»، ولا يمكن أن تؤدي الاولى ما تؤديه الثانية.

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج/ ٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج].

وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [السجدة].

وقوله تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى/ ٧].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الجاثية/ ٢٦].

ألا ترى أن قيام الساعة، والبعث، ويوم القيامة، ويوم الجمع حق لا مراء فيه، فإثباته وبيانه يتطلب أن تؤدي الألفاظ هذه الحال المقتضاة، فكان ان استعمل «الريب»، ولم يستعمل «الشك». تِلْكُم لغة التنزيل في تخير اللفظ، وإحكام الأداء، وإصابة دقائق المعاني.

٢ ـ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾.

أقول استعمال «المدّ» في هذه الآية استعمال لطيف دقيق، فهو غير «المدّ» المعروف بمعنى البسط، وهو استعمال خاص بهذه اللغة الشريفة.

قال الزمخشري «الكشاف ١/ ٦٧»:

﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ [الآية ١٥]: من مدّ الجيش وأمدّه إذا زاده، وألحق به ما يقوّيه ويكثره. وكذلك مدّ الدواة وأمدّها: زادها ما يصلحها.

ومددت السرج والأرض: إذا استصلحتهما بالزيت والسماد. ومدّه الشيطان في الغيّ وأمدّه: إذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيّه انهماكاً فيه.

فإن قلتَ: لِمَ زعمتَ أنه من المدد دون المدّ في العمر والإملاء والإمهال؟ قلتُ: كفاك دليلاً على أنه من المدد دون المدّ، قراءة ابن كثير وابن محيصن: (ويُمِدّهم)، وقراءة نافع: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يُمِدُّونَهُمْ﴾، على أن الذي بمعنى أمهله إنما هو مدّ له مع اللام كأملى له. فإن قلتَ: فكيف جاز أن يوليهم الله مدداً في الطغيان وهو فعل الشياطين؟ ألا ترى الى قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ﴾ [الاعراف/ ٢٠٢]؟ قلتُ: إما أن يُحمل على أنهم لمّا منعهم الله ألطافَهُ التي يمنحها للمؤمنين، وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم عليه، بقيت قلوبهم بتزايد الرَّيْن والظلمة فيها، تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمي ذلك التزايد مدداً. وأُسنِدَ إليه سبحانه لأنه مُسبب عن فعله بسبب كُفرهم. وإما على منع القسر والإلجاء، وإما على أن يسند فعل الشيطان إلى الله لأنه بتمكينه وإقداره، والتخلية بينه وبين إغواء عباده.

فإن قلتَ: فما حملهم على تفسير المدّ في الطغيان في الإمهال، وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه؟ قلت استجرّهم إلى ذلك خوف الإقدام على أن يُسنِدوا إلى الله ما أسندوا إلى الشياطين، ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته، وإلا كان منه بمنزلة الأروى من النعام.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾.

العَمَه: مثل العَمَى.

قال الزمخشري: «الكشاف ١/ ٦٩»، «والعَمَه مثل العَمَى، إلاّ أنّ العَمَى عامّ في البَصَر والرأي، والعَمَه في الرأي

خاصة، وهو التحيّر والتردّد، لا يدري أين يتوجّه. ومنه قوله: بالجاهلين العَمَه، أي: الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق. وسلك ارضاً عمهاء أي: لا منارَ بها». انتهى كلام الزمخشري.

أقول:

العَمَى والعَمَهُ متقاربان كلّ التقارب في الدلالة وبينهما فرق ما بين العامّ والخاص.

اللغة:

الذي أراه أن مادة المعنى في هاتين الكلمتين العين والميم، ثم يأتي الصوت الثالث لِيُعَيِّن المعنى، فيدلّ بالفتح في «العَمَى» على المعنى العام، ويَدُلّ بالهاء في «العَمَه» على المعنى الخاص.

قلت: بالفتح، وذلك أن الفتح بعد الميم في «العَمَى» وليس فوق الميم، هو صوت ثالث، فلما أطلق قليلاً قليلاً وُلِّد ما اصطُلح عليه الألف المقصورة، وحقيقته فتحة لها طول معين يتجاوز الفتحة المألوفة، وهو صوت ثالث في هذه الكلمة كالصوت الصامت في «العَمَه» وهو الهاء.

٣ ـ قال تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [الآية ٢٠].

أقول: أراد ـ جلّ وعلا ـ في قوله: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾ كلما أضاء البرقُ لهم مَشَوا في ضوئه. وهذا المعنى يدفعنا أن نقول في لغتنا العربية المعاصرة:

«إن هذه المسألة في ضوء العلم الحديث مقبولة» وليس: على ضوء العلم الحديث....

أقول: والذي دفع المعربين في عصرنا إلى استعمال: «على ضوء العلم» هو التأثر باللغات الغربية ولا سيما الفرنسية والإنكليزية.

٤ ـ لن:

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

قال الزمخشري: في «الكشاف ١/ ١٨١»:

فإن قلتَ: ما حقيقةُ «لن» في باب النفي؟ قلتُ: «لا» و«لن» أختان في نفي المستقبل، إلاّ أنّ في «لن» توكيداً وتشديداً، تقول لصاحبك: لاأقيم غداً، فإن أنكر عليك قلت: لن أقيم

غداً كما تفعل في أنا مقيم وإني مقيم. وهي عند الخليل في إحدى الروايتين عنه، أصلها «لا أن»، وعند الفرّاء «لا» أبدلت ألفها نوناً. وعند سيبويه وإحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل.

أقول:

ويبدو لي أنّ قول الفرّاء أَوْجَهُ، وإن أصلها «لا» وهذا يعني أن التنوين عَرَضٌ لها. وعلى هذا ألا يصح أن نقول: إنّ «إذاً» أو«إذن» جاءت من «إذا»، وإنّ «مَن» الموصولة أو الشرطية هي من «ما»، ثم كان الاختصاص بعد ذلك في الاستعمال، بعد أن غبر عليها الزمان.

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الآية ٣١].

قال الزمخشري: «في الكشاف ١/ ١٢٦»: وعلّم آدم مُسمّيات الأسماء... ثم عرضهم، أي: عرض المسمّيات.

أقول: ذهب المفسرون إلى هذا التأويل بسبب الضمير «هم»، الذي يعود إلى جماعة العاقلين، والأسماء حقّها أن يكون الضمير العائد عليها هو «ها» للتأنيث، فيكون الفعل «عرضها».

أقول أيضاً: لعل هذا الاختصاص في الضمائر في الاستعمال لم يكن واضحاً وضوحاً كافياً في الحقب البعيدة من تاريخ العربية.

وجاء في «الكشاف»: وقرأ عبد الله: عرضهن، وقرأ أُبَيّ: عرضها.

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

قال الزمخشري: الباء التي في «الباطل» إن كانت صلة مثلها في قولك: لَبستُ الشيء بالشيء، خلطته به، كان المعنى: ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها، فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم، حتى لا يميز حقها وباطلكم، وإن كانت باء الاستعانة كالتي في قولك: كتبت بالقلم، كان المعنى: ولاتجعلوا الحق ملتبساً مشتبهاً بباطلكم الذي تكتبونه.

أقول: كأن الأصوات الصامتة الساكنة التي ندعوها في كتب العربية القديمة «الحروف الصِّحاح» هي مادة المعاني في الألفاظ، ثم تأتي الأصوات الصائتة التي دعيت «أحرف العلة»،

ويتبعها «الحركات» التي هي بعضها أو جنسها، لتخص هذه المعاني بخصوصيات مفيدة. ألا ترى أن «لَبَس، يَلْبِسُ» بفتح العين في الماضي وكَسْرها في المضارع تعني الخَلْط، وأنها غير «لَبِس، يلبَس» بكسر ففتح فهذه من اللّباس. وإن مصدر الاولى «اللَّبْس» بفتح اللام، ومصدر الثانية «اللُّبْس» بضمها؟

أقول: كان على اللغويين، وأصحاب المعجمات أن يستشهدوا بالآية للدلالة على معنى «الخلط» في ترجمة «لَبَس».

٧ ـ قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

قوله جل شأنه: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾، أي فدية.

أقول: وانصراف «العدل» إلى الفدية شيء من الكلم الإسلامي، الذي عرفناه في لغة القرآن.

٨ ـ عثو:

قال تعالى﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

جاء في كتب اللغة:

قال ابن سيده: عَثَا عُثُوّاً وعَثِيَ عُثُوّاً: أفسد أشدّ الإفساد.

وقال: وقد ذُكرت هذه الكلمة في المعتل بالياء على غير هذه الصيغة من الفعل، وقال في الموضع الذي ذكره: عَثِيَ في الأرض عُثِيّاً وعِثِيّاً وعَثَياناً، وعَثَى يَعْثَى؛ عن كُراع وهو نادر، كل ذلك أفسد.

وقال كُراع: عَثَى يَعثَى مقلوب من عاث يعيث، فكان يجب على هذا يَعثِي إلاّ أنه نادر، والوجه عَثِيَ في الأرض يَعثَى.

وقرأ القرّاء كلهم: (ولا تَعْثَوْا في الأرض مفسدين) بفتح الثاء من عَثِيَ يعثَى عُثُوّاً، وهو أشدّ الفساد، وفيه لغتان أخريان لم يُقرَأ بواحدة منهما: إحداهما عَثَا يعثو، قال ذلك الأخفش وغيرُه، ولو جازت القراءة بهذه اللغة، لقرئ: «ولا تَعْثُوا» ولكن القراءة سُنّة ولا يُقرَأ إلاّ بما قرأ القُرّاء به.

واللغة الثانية: عاث يعيثُ.

قال الأزهري: واللغة الجيّدة عَثِيَ يَعْثَى، لأنّ فَعَلَ يفعَلُ لا يكون إلاّ فيما ثانيه وثالثه أحد حروف الحلق.

أقول: وهذه اللغة التي قرأ بها عامة القرّاء ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾، لم تبق في العربية المعاصرة، بل بقي مقلوبها وهو عاث يعيث.

ومن المفيد أن أشير إلى أنّ بين الأجوف والناقص تبادلاً في الصيغ، يتبين في طائفة من الأفعال منها: رأى وراء، وأنى وآن، وعثا وعاث وغير ذلك.

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤)﴾.

أقول: عقّب الله ـ جل وعلا ـ على القتل الذي عُبِّر عنه بسفك الدماء بالإجلاء عن الديار. وهذا يعني أن العدوان بالإجلاء يأتي بعد اقتراف القتل في قسوته وفظاعته.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١)﴾.

أقول: إن لغة الحوار تستدعي استحضار الأحوال الماضية، وهذا يسوّغ بل يوجب استعمال صيغة الفعل الحاضر في سياق الماضي، فجاء في الآية: نؤمن، فلم تقتلون أنبياء الله، وقد عبّر عنه أهل العلم من المتقدمين بقولهم: حكاية حالٍ ماضية.

١١ ـ قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً﴾ [الآية ١٢٨].

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١)﴾.

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢)﴾.

أقول: المراد بمادة «أسلَمَ» في هذه الآيات الخضوع والإذعان، وقوله تعالى: ﴿مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ مخلصَين لك وجهينا، وهو من قوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾. أي: أخلص وجهه وأذعن وخضع. ومن هنا كانت كلمة «الإسلام» بمصطلحها المعلوم مشيرة إلى أن «المسلم» من أسلم وجهه لربه، وخضع وأذعن وأطاع.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨)﴾.

قال الزمخشري في «الكشاف ١/ ١٩٦»:

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد مُنتصب على قوله ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾[1]، وهي فِعْلة من «صَبَغ»، كالجِلسة من «جَلَس»، وهي الحالة التي يقع فيها الصبغ.

والمعنى: تطهير الله، لأنَّ الإيمان يطهِّر النفوس. والأصل فيه أن النصارى كانوايغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمّونه المعمودية، ويقولون هو تطهير لهم. وإذا فَعَل الواحد منهم بولده ذلك قال: الآن صار نصرانياً حقاً، فأُمِر المسلمون بأن يقولوا لهم: قولوا آمنّا بالله، وصبغنا الله بالإيمان صبغةً، لا مثل صبغتنا، وطهّرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا. أو يقول المسلمون: صبغنا الله بالإيمان صبغته، ولم نُصْبَغْ صبغتكم. وإنما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة، كما تقول: لمن يغرس الأشجار: اغرس كما يغرس فلان، تريد رجلاً يصطنع الكرم.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ يعني أنه يصبغ عباده بالإيمان ويطهّرهم من أوضار الكفر، فلا صبغة أحسن من صبغته.

أقول: لقد احتملت كلمة «الصبغة» هذا المعنى الاصطلاحي، وهو التطهير حتى صرنا نجدها في مصطلح غير المسلمين، بمعنى التطهير و التقديس، فالصبّاغ مثلاً في عربية صابئة اليوم، هو الذي يقوم بعمل الصبغ، أي: التطهير بصب الماء على من يريد التطهّر، برسوم معرفة لدى الصابئة.

١٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [الآية ١٤٨].

الجِهة (بكسر الجيم) والوِجْهة والوُجْهة (بكسر الواو وضمّها) واحد. والذي جاء في لغة التنزيل: «الوِجْهة» بكسر الواو، والذي درجت عليه العربية أن فاء الكلمة إذا كان مكسوراً حذف في الغالب في المصادر نحو: «عِدة» و«سِنة» بكسر عين الكلمة إشارة للواو المكسورة التي حذفت، وقد تحذف الواو وهي مفتوحة إذا كانت فاء الكلمة نادراً نحو «سَعة» و«ضَعة»، وقد يكون الفتح على السين والضاد بسبب العين الصوت الثالث في الكلمة.

(١) الآية: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴿١٣٦﴾﴾.

هذه ملاحظات وليست قواعد لأننا نعرف أن في العربية كثيراً من الكلم تبدأ بواو مكسورة فلا تحذف الواو ولا تبدل نحو وصال ووِفاق. ولكننا نجد وِجاه ووُجاه قد تحوّلت الى تجاه وتُجاه، ووِراث إلى تُراث، ووِصاد إلى إصاد، وغير هذا ممّا اشتملت عليه فرائد العربية.

وإبدال الواو «ياء» بسبب كسر ما قبله، لا يقتصر على كون الواو فاء الكلمة، فقد تُبدل الواو ياء في المصادر للأفعال الجُوف نحو: الصَّوْن مصدر «صانَ»، ولكنك تقول الصِّيان والصِّيانة، والقَوم مصدر «قامَ»، ولكنك تقول القيام والقيامة.

وقد تجد الاسم من هذه المصادر بالواو مع كسرة ما قبله نحو الصِّوان للشيء الذي يصان به، ولك أن تقول الصُّوان بالضم، كما تقول «القِوام» بالكسر، وقِوام الأمر نظامه ونصابه وملاكه.

وتقول في المصادر على «فِعْلة» بالكسر غِيلة من الفعل «غال يغول» كما تقول «طيلة» و «ميتة» وغير ذلك.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية ١٨٧].

والمعنى: تظلمون أنفسكم وتنقصونها حظَّها من الخير. والاختيان من الخيانة، كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة «الكشاف ١/ ٢٣٠».

أقول: لقد تعقبت الفعل «اختان»، وهو «افتعل» من «خان»، فلم أحظ به في غير الآية الكريمة المشار إليها.

وليس لنا في العربية المعاصرة غير الفعل المجرد «خان». غير أن المزيد «اختان» جاء ليؤدي فائدة خاصة، تنأى به عن معنى الفعل المجرد.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [الآية ١٩١].

قوله ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ في الآية يعني: حيث وجدتموهم في حِلّ أو حرم. والثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة. ومنه رجل ثقف، أي سريع الأخذ لأقرانه، قال:

فَإِمَّا تَثْقَفُوني فَاقْتُلُوني
فَمَن أَثْقِفْ فَلَيْسَ إِلى خُلُودِ

أقول: وهذا المعنى في مادة «ثقف» لا نعرفه في العربية المعاصرة، وذلك أن «الثقافة» بمعناها المعاصر غلبت على الكلمة، حتى نسي الناس أنّ الأصل فيها للثِّقاف، وهو الآلة التي

تعضّ الرماح وتقبضها لتقويمها، والثقف هو القبض والضبط.

١٦ ـ قال تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [الآية ١٩٦].

قال الزمخشري (الكشاف ١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠):

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ يقال: أُحْصِرَ فلان إذا منعه أمر من خوف، أو مرض أو عجز.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة/ ٢٧٣].

وحُصِرَ إذا حَبَسَه عدوّ عن المضيّ، أو سجن، ومنه قيل للمحبس: الحصير وللملك الحصير لأنه محجوب. هذا هو الأكثر في كلامهم، وهما بمعنى المنع في كل شيء، مثل: صدّه وأصدّه، وكذلك قال الفرّاء وأبو عمرو الشيباني، وعليه قول أبي حنيفة رحمهم الله تعالى، كل منع عنده من عدو كان أو مرض أو غيرهما معتبر في إثبات حكم الإحصار.

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ أي: فما تيسّر منه.

والهَدْي ما أهدِي إلى مكّة من النعم، وقُرِئ: (حتّى يبلغ الهَدِيُّ مَحِلَّه) بالتخفيف والتشديد الواحدة هَدية وهَدِيّة.

ثم أطلق الهَدْي أو الهَدِيّ على جميع الإبل، وإن لم تكن هَدْياً تسمية للشيء ببعضه.

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [الآية ١٩٦] النُّسُك: شاة. وعن كعب بن عجرة أن رسول ا (ص) قال له: «لعلّك آذاك هَوامُّك»؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: «احلق رأسك وصُمْ ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو انسُك شاة».

والنُّسُك مصدر، وقيل: جمع نسيكة. وقرأ الحسن: أو نُسْك بالتخفيف.

١٧ ـ قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [الآية ٢٢٦] قال الزمخشري في «الكشاف ١/ ٢٦٨»:

«قرأ عبد الله: آلوا من نسائهم. وقرأ ابن عباس: يُقسمون من نسائهم: فإن قلت كيف عُدّي بـ «مِن»، وهو مُعدّى بـ «على»؟

قلت: قد ضمّن في هذا القسم

المخصوص معنى البعد، فكأنه قيل: يعدون من نسائهم مُؤلين أو مقسمين.

ويجوز أن يراد لهم: (من نسائهم تربّص أربعة أشهر) كقوله: لي منك كذا.

والإيلاء من المرأة أن يقول: «والله لا أقربكِ أربعة أشهر فصاعداً، على التقييد بالأشهر، أو لا أقربك على الاطلاق».

أقول: هذا هو معنى «الإيلاء» في الآية، وأصله القسم.

وجاء في كتب اللغة:

والألُوة، والألْوَة، والإلْوة، والألِيَّة على فعيلة، والألِيّا كله اليمين، والجمع ألايا.

قال الشاعر:

قَـلِـيـلُ الألايـا حَـافِـظٌ لِـيـمِـيـنِـه
وإنْ سَـبَـقَـت مـنـه الألِـيَّـةُ بَـرَّتِ

رواه ابن خالويه: قليل الإلاء، يريد الايلاء فحذف الياء، والفعل آلى يُولي إيلاء: حلف، وتَألّى يَتألّى تَألّياً وأتلَى يَأتلي ائتِلاء.

وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ [النور ٢٢].

وقال أبو عبيد: «لا يأتلِ» هو من ألَوْتُ. أي: قصّرت.

وقال الفرّاء: الائتِلاء: الحَلِف.

وقرأ بعض أهل المدينة: ولا يَتألَّ، وهي مخالفة للكتاب من تَألَّ، وهي مخالفة للكتاب من تألّيت، وذلك أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ حَلَفَ أن لا يُنفق على مِسْطَح بن أثاثة وقرابته الذين ذكروا عائشة، فأنزل الله ـ عز وجل ـ هذه الآية، وعاد أبو بكر إلى الإنفاق عليهم.

وقد تألّيتُ وأتَلَيْتُ وآليتُ على الشيء وآليته، على حذف الحرف: أقسمت. أقول: ولم يبق من هذا الفعل في العربية المعاصرة إلا قول المعربين:

فلان لا يألو جهداً، أي لا يُقصِّر، وهو معنى آخر عرفته العربية في عصورها المتتابعة، وليس هذا موطن الشاهد في [الآية ٢٢٦].

كما بقي قولهم: آليتُ على أن أقومَ بما يجب عليّ بمعنى عزمت وأقسمت.

ومما يجب أن نلاحظه أن هذا الاستعمال الأخير لا يرد في اللغة المعاصرة إلا فعلاً ماضياً ليس غير.

١٨ ـ قال تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [الآية ٢٢٨].

البُعولة: جمع بَعْل، والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة. ويجوز أن يُراد بالبعولة المصدر، من قولك: بَعْلٌ حَسَن البُعولة. يعني: وأهل بعولتهن.

أقول: وردت «فُعولة» من أبنية التكسير فيما كان مفرده «فَعْل» بالفتح فالسكون نحو الحزونة، والسهولة، والفحولة، والخيوطة، جموع حَزْن، وسَهْل، وفَحْل، وخيط.

ولقد جرت العامية الحضرية في العراق على شيء من هذا، نحو سَيْر للمجلد يقال في جمعه: «سيورة»، وفي «مُهْر» يقولون: «مهورة».

فائدة:

من أسلوب القرآن في الحفاظ على نظام الجمل في حدودها، وأقسامها، وتساوق بعضها مع بعض، أن الآية قد تأتي غير كاملة، فيما يتطلبه المعنى لغرض من الوفاء بنظام هذه الجملة القرآنية، لتأتي منسجمة مع سائر الجمل في الآيات قبلها وبعدها، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾[1].

أقول: إن نهاية الآية كان يمكن أن تنتهي عند قوله تعالى: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ من الآية التالية ٢٢٠، وهي تكملة لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾؛ بَيْد أن من حكمته تعالى أن يحافظ على النظام البديع في نظم جرى على هذا. وأنت إذا أردت أن تستوفي هذه النماذج التي تتصل بلغة القرآن ونظامها وبنائها، وجدت الشيء الكثير.

ألا ترى أنّ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾. عناية ما بعدها عناية لما توافر لهذا الأسلوب الحكيم البليغ من النظم البديع، متمثّلاً في الكسر في كلمة (الداع)، والاستعاضة عن الكسر الطويل بكسر قصير؟ فليس هذا شيئاً يتصل برسم القرآن، وهو مما درج عليه القائلون في

(١) العَفو: نقيض الجهد، وهو أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع.

أنه «خط المصحف». إن كلمة (الداع) كان ينبغي أن تكون «الداعي» بالياء الطويلة، وهو شيء متطلب صحيح واجب، واستبعاد هذه الحركة الطويلة يخدم البناء القرآني في جعل هذه الكلمة «الداع»، بالحركة القصيرة منسجمة مع الحركة التي تليها في «إذا» وهي الكسرة القصيرة.

وليس شيء من الاقتصار على القول بـ «رسم المصحف»، أن تأتي الكلمة «دعانِ» بالنون متلوة بحركة قصيرة هي الكسرة القصيرة، وكان حقُّها الحركة الطويلة فترسم ياء «دعاني». إن ذلك لِيَخْدُم هذا البناء البديع فيتهيأ منه أن تكون «وقفة» على (دعان)، ويحسن بهذا الوقف النظم والبناء، ولا يتم هذا الحسن لو كان الوقف على «دعاني» بالياء.

١٩ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾.

قال الزمخشري «في الكشاف ١/ ٢٧٧»:

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ كان الرجل يطلّق المرأة، ويتركها حتى يقرب انقضاء عدّتها، ثم يراجعها لا عن حاجة، ولكن ليطوّل العِدّة عليها، فهو الإمساك ضِراراً.

أقول: لقد حفلت لغة القرآن بالمصطلح الحضاري العلمي، ولعل التجربة اللغوية في توفير المصطلح تتمثل بجلاء في العربية القرآنية الشريفة، التي برهنت أن العربية لغة الفكر في شتى صوره. إن «الإمساك ضراراً» في مسألة الطلاق من الكَلِم الفني ذي الدلالة الاجتماعية في هذه اللغة العريقة القديمة.

٢٠ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ [الآية ٢٣٢].

رُوي أن الآية نزلت في معقل بن يسار، حين عضل أخته أن ترجع إلى الزوج الأول. وقيل: في جابر بن عبد الله، حين عضل بنت عمّ له، والوجه أن يكون خطاباً له.

كذا ذكر الزمخشري.

والعضل: الحبس والتضييق. ومنه: عَضَلَتِ الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج، وأنشد لابن هرمة:

وإن قصائدي لكَ فاصطنعني
عقائلُ قد عضلْنَ عن النكاحِ

وجاء في «لسان العرب» في الكلام على هذه الآية (عضل):

أن العَضل في هذه الآية من الزوج لامرأته، وهو أن يضارّها ولا يُحسن عشرتها، ليَضطرّها بذلك إلى الافتداء بمهرها الذي أمهَرَها، سمّاه الله تعالى عَضلاً، لأنه يمنعها حقَّها من النفقة، وحسن العشرة، كما أن الوليّ إذا مَنَع حرمته من التزويج، فقد مَنَعَها الحق الذي أبيحَ لها من النكاح إذا دُعيت إلى كُفء لها.

أقول: و «العضل» بهذا المعنى شيء له خصوصية دلالية خاصة أشارت إليه الآية. وهذه الخصوصية أكسبت اللفظ دلالة الاصطلاح الإسلامي الذي عرف من الآية الكريمة.

٢١ ـ وقال تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [الآية ٢٣٦].

قوله: ﴿أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ معناه إلاّ أن تفرِضوا لهنّ فريضة، أو حتى تفرضوا. وفرض الفريضة تسمية المهرِ.

أقول: و«الفريضةُ» بهذا الاستعمال كلمة مفيدة، يصح أن نجد لها مكاناً في العربية المعاصرة، فكثيراً ما تستعمل في عصرنا الفعل: «عيَّن» فيقال: عَيَّن له مكافأة أو معونة أو شيئاً مثل هذا.

٢٢ ـ وقال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [الآية ٢٣٩].

قوله: ﴿فَرِجَالًا﴾، أي: فصلُّوا راجلين، وهو جمع راجل كقائم وقِيام. وقُرِئ: فرُجالاً بضمّ الراء، ورجالاً بالتشديد، ورَجْلاً.

أقول: و«الرجال»: جمع راجل، ومثله «قيام»: جمع قائم وغير ذلك، وقد يتضح هذا من قوله تعالى: ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾، والركبان: جمع راكب، فكأنّ الآية أشارت لمن يمشي على رجليه، أو لمن هو راكب.

وكثيراً ما يأتي اللفظ في العربية واحداً، ودلالته على اثنين، مثلاً فالرّجال: جمع راجل كما في الآية، والرجال: جمع رَجُل أيضاً.

٢٣ ـ وقال تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [الآية ٢٥٩].

قال الزمخشري «في الكشاف ١/ ٣٠٧»:

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم يتغيّر، والهاء أصلية أو هاء السكت، واشتقاقه من السنة على الوجهين، لأنّ لامها هاء أو واو، وذلك أن الشيء يتغيّر بمرور الزمان.

وقيل: أصله «يتسنّن»، من الحَمَأ المسنون، فقلبت نونه حرف علة، كتقضّي البازي. ويجوز أن يكون معنى ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم تمرّ عليه السنون التي مرّت عليه، يعني هو بحالة كما كان، كأنه لم يلبث مائة سنة. وفي قراءة عبد الله: (فانظر إلى طعامك، وهذا شرابك لم يَتَسَنَّ)، وقرأ أُبَيّ: (لم يسّنّه)، بإدغام التاء في السين.

أقول:

إن كلمة «سنة» مثل شفة من الكلم الثنائي، الذي تحوّل في العربية إلى ثلاثي إفادة من الواو أو الهاء، وقد ذهب اللغويون القدامى إلى أن الواو أو الهاء أصل ثالث، ذهب عن الكلمة فرُدّ إليها في الكلمات التي قامت على الأصل وهو المفرد «سنة»، فقالوا في الجمع سَنوات وسَنَهات، كما قالوا شِفاه وشَفَهات وشَفَوات، وقالوا في المنسوب: سَنَوِيّ وسَنَهِيّ، كما قالوا: شَفَوِيّ وشَفَهِيّ، وقالوا في الفعل سانَهَ كما قالوا شافَهَ، والمسانَهة معروفة كالمشافهة وكذلك المساناة.

وقد تجاوزت العربية هذا الحدّ في جعل الصوت الثالث في «السنة» واواً، أو هاءً، فأفادت من التاء علامة التأنيث فيها، فكانت الصوت الثالث في مادة «سنت» فقالوا:

رجل سَنِت: قليل الخير، والجمع سنتون ولا يكسّر.

وأسنَتوا فهم مُسْنِتُون: أصابتهم سنة وقحط وأجدبوا، ومنه قول ابن الزِّبَعْرَى:

عَمْرُو العُلَى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَومِهِ
ورِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

والتاء في «سَنِتَ» عند سيبويه على بدل التاء من الياء، ولا نظير له إلاّ قولهم ثِنتان، حكى ذلك أبو علي.

وفي «الصحاح»: أصله من السنة قلبوا الواو تاء ليفرقوا بينه وبين قولهم: أسْنَى القوم إذا أقاموا سنة في موضع.

وقال الفرّاء: توهّموا أن الهاء أصلية إذ وجدوها ثالثة فقلبوها تاءً، تقول منه أصابتهم السنة، بالتاء.

وفي الحديث: وكان القوم مُسنتين، أي مُجدبين أصابتهم السنة، وهي القحط والجَدْب.

وفي حديث أبي تميمة: الله الذي إذا أسْنَتَّ أنبتَ لكَ، أي: إذا أجدَبْتَ أخصبَكَ.

ويقال: تسَنَّتَ فلان كريمة آل فلان إذا تزوجها في سنة القحط.

وفي «الصحاح» يقال: تَسَنَّتَها إذا تزوج رجلٌ لئيم امرأة كريمة، لقلّة مالها وكثرة ماله.

والسَّنِتةُ والمُسْنِتَةُ: الأرض التي لم يُصبها مطر فلم تنبت، عن أبي حنيفة، قال: فإن كان بها يبيس من يبيس عام أوّلَ فليست بمُسنِتة، ولا تكون مُسْنتة حتى لا يكون بها شيء.

وقالوا: عام سَنيت مُسنِت: جَدْب.

وسانَتوا الأرضَ: تتبعوا نباتها.

فأنت ترى أن «السنة» تصرفت بها العربية فكانت منها فوائد كثيرة.

٢٤ ـ قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية ٢٧٩].

قول تعالى: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ﴾ [الآية ٢٧٩] فاعلموا بها من «أَذِنَ بالشيء» اذا علِمَ به، وقرئ: فآذِنوا بها، والمعنى فأعْلِموا بها غيركم. وهو من الإذْن وهو الاستماع، لأنه من طُرق العلم.

وقرأ الحسن: فأيقِنوا، وهو دليل لقراءة العامة. فإن قلت: هلاّ قيل بحرب الله ورسوله؟ قلت: كان هذا أبلغ لأنّ المعنى فأْذَنوا بنوع من الحرب عظيم عند الله ورسوله. «الزمخشري ١/ ٣٢٢».

أقول: والإذن بمعنى الإعلام ليس ممّا نعرفه في غير هذه الآية.

أما قول الزمخشري إن الإذن هو الاستماع، فهو إشعار لنا أن «الإذن»، وهو المصدر من الفعل «أذِنَ»، قد جاء من «الأذُن»، وهي عضو السمع، كما أن «المعاينة» جاءت من العين، و«الأنفة» جاءت من الأنف.

٢٥ ـ قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [الآية ٢٨٦].

قال الزمخشري «في الكشاف ١/ ٣٣٢»:

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾، ينفعها ما كسبت من خير، ويضُرُّها ما

اكتسبت من شرّ، لا يؤاخذ بذنبها غيرها، ولا يُثاب غيرها بطاعتها. فإن قلتَ: لِمَ خَصَّ الخير بالكسب، والشرّ بالاكتساب؟ قلت: في «الاكتساب» اعتمال، فلمّا كان الشرّ ممّا تشتهيه النفس، وهي متجذبة إليه وأمّارة به، كانت في تحصيله أعمل وأجدّ، فجعلت لذلك مكتسبة فيه. ولمّا لم تكن كذلك في باب الخير، وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال».

أقول:

لو استقرينا الآيات الكريمة في سائر سور القرآن، لتبيّن حقيقة ما ذهب إليه الزمخشري من أن الفعل المزيد «اكتسب»، قد خُصّ بالشرّ في حين أن الفعل المجرّد «كسب»، قد خُصّ بالخير، لاهتدينا إلى أنّ المزيد والمجرّد بمعنى، وأنّ الفعل المجرد يأتي للخير كما يأتي في الشرّ، ومثله الفعل المزيد «اكتسب»، وسنعرض لطائفة من الآيات:

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [الآية ٢٦٧].

﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ [الآية ٢٦٤].

﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ③﴾ [الأنعام].

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ [الآية ١٣٤].

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [الآية ٢٨٦].

إنّ الفعل «كسب»، في هذه الآيات يجيء خاصاً بالخير، غير أننا نجد هذا الفعل خاصاً بالشر كما في قوله تعالى:

﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ٨﴾ [يونس].

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [النساء/١١١].

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا﴾ [النساء/١١٢].

ونأتي إلى المزيد «اكتسب»، فنجِدُه، قد خُصّ بالشر، كما في قوله تعالى:

﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ [النور/١١].

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [الآية ٢٨٦].

كما نجد هذا الفعل المزيد، قد خُصّ بالخير، كما في قوله تعالى:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [النساء/ ٣٢].

لقد بدا لنا أنّ لا فرق بين المجرّد والمزيد، وأنّ الاختصاص الذي ذهب إليه الزمخشري غير حاصل في كلام الله عز وجل، وذلك ممّا أفدناه من الآيات التي أشرنا إليها، وهي قليل من كثير.

والذي سوّغ للزمخشري أن يذهب إلى القول بالاختصاص، والتفريق بين «كسب»، و«اكتسب»، أنّ الفعل الأول قد سبقة المجرور باللام، وأنّ الفعل الثاني قد سبقة المجرور بـ «على».

ومن المعلوم أنّ استعمال اللام في الجرّ يفيد هذا الذي دفع الزمخشري إلى القول بالاختصاص بالخير، كما أنّ استعمال «على» يفيد ما ذهب إليه من الاختصاص بالشر، كقولنا: يوم لك ويوم عليك. فالاختصاص بالخير أو الشر قد جاء من استعمال الخافض، وهو اللام في الأوّل، و«على» في الثاني.



المعاني اللغوية في سورة «البقرة»(*)

أمّا قوله تعالى ﴿الٓمٓ﴾ [الآية ١]، فإن هذه الحروف أسكنت، لأنَّ الكلام ليس بِمُدْرَجٍ، وإنّما يكون مُدْرَجاً، لو عطف بحرف العطف، وذلك أنّ العرب تقول في حروف المعجم كلّها بالوقف، إذا لم يدخلوا حروف العطف، فيقولون: «ألفْ باءْ تاءْ ثاءْ» ويقولون: «ألفٌ وباءٌ وتاءٌ وثاءٌ». وكذلك العدد عندهم، ما لم يدخلوا حروف العطف فيقولون: «واحدْ اثنانْ ثلاثهْ». وبذلك، وعلى أنه ليس بمدرج، قطعت ألف «اثنين»، وهي من الوصل. فلو كان وصلها بالذي قبلها، لذهبت، ولكن هذا من العدد؛ والعدد والحروف كلّ واحد منها شيء مفصول على حياله. ومثل ذلك ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ [الأعراف]، ﴿الٓر﴾(1) و﴿الٓمٓر﴾ [الرعد]، و﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم] و﴿طسٓمٓ ۝١﴾(2) و﴿يسٓ ۝١﴾ [يس]، و﴿طه ۝١﴾ [طه]، و﴿حمٓ ۝١﴾(3) و﴿قٓ﴾ [ق] و﴿صٓ﴾ [سورة ص]. إلا أنّ قوماً قد نصبوا ﴿يسٓ ۝١﴾ و﴿طه ۝١﴾ و﴿حمٓ ۝١﴾(4) وهو

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.

(1) يونس ١٠/١ وهود ١١/١ ويوسف ١٢/١ وإبراهيم ١٤/١ والحجر ١٥/١.

(2) الشعراء ٢٦/١ والقصص ٢٨/١.

(3) غافر ٤٠/١، وفصلت ٤١/١، والشورى ٤٢/١، والزخرف ٤٣/١، والجاثية ٤٥/١، والأحقاف ٤٦/١.

(4) ذكر نصب [يس] في معاني القرآن ٣/٣٧١ ولم ينسبه قراءة ونسب في الشواذ ١٢٤ فتح النون من [يس] والفاء من [ق] والدال من [ص] إلى عيسى بن عمر، ونسب في المحتسب ٢/٢٠٣ فتح النون من [يس] إلى ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر، ونسب في الجامع ١٥/٣ نصب النون في [يس] إلى عيسى وفي البحر ٧/٣٢٣ كما في المحتسب.

كثير في كلام العرب، وذلك أنهم جعلوها أسماءً كالأسماء الأعجمية «هابيل» و«قابيل». فإمّا أن يكونوا جعلوها في موضع نصب ولم يصرفوها كأنه قال: «اذكر حم وطس ويس»، أو جعلوها كالأسماء، التي هي غير متمكّنة فحرّكوا آخرها واحدة كفتح «أينَ»، وكقول بعض الناس (الحمدِ لله) بكسر الدال. وقرأ بعضهم (صَ) و(نَ) و(قَ)[1] بالفتح، وجعلوها أسماء ليست بمتمكّنة فألزموها حركة واحدة وجعلوها أسماء للسورة، فصارت أسماء مؤنّثة. ومن العرب من لا يصرف المؤنث اذا كان وسطه ساكناً نحو «هِنْد» و«جُمْل» و«دَعْد». قال الشاعر [من الطويل وهو الشاهد الرابع]:

وإنّي لأهوى بيتَ هِنْدٍ وأهلَها
على هَنَواتٍ قد ذُكِرْنَ على هِنْدِ

وهو يجوز في هذه اللغة أو يكون سمّاها بالحرف، والحرف مذكّر، وإذا سمّي المؤنث بالمذكّر لم ينصرف، فجعل ﴿صٓ﴾ وما أشبهها، اسماً للسورة ولم يصرف، وجعله في موضع نصب.

وقرأ بعضهم (صادِ والقرآنِ)[2] فجعلها من «صاديت» ثم أمر، كما تقول «رامِ»، كأنه قال: «صادِ الحقّ بعملك» اي: تعمَّدْه[3]، ثم قال ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾ [ص/1] فأقسم، ثم قال ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ [ص/2]. فعلى هذا وقع القسم. وذلك أنهم زعموا أنّ «بل» هاهنا انما هي «إنّ» فلذلك صار القسم عليها[4].

(1) في الطبري ٢٣/ ١١٨ نسبت إلى عيسى بن عمر وهي مرجوحة عنده وفي الشواذ ١٢٩ كذلك وفي المحتسب ٢/ ٢٣٠ اقتصر على فتح الدال من (ص) وفي الجامع ١٥/ ١٤٣ نسبت الثلاثة إلى عيسى، وزاد في البحر ٧/ ٣٨٣ محبوباً عن ابن عمر، وفرقة لم يعيّنها واقتصر في الشواذ ١٢٤ على فتح الميم من (حم) ونسبة إلى عيسى بن عمر، وكذلك في الجامع ١٥/ ٢٩٠. وجاءت في الأصل (ن) مكتوبة اللفظ (نون).

(2) سورة ص ٣٨/ ١. في معاني القرآن ٢/ ٣٩٦ بخفض الدال من (ص) إلى الحسن. والطبري ٢٣/ ١١٨ إلى عبد الله بن أبي اسحاق، وهي مرجوحة بقراءة السكون، وفي الشواذ ١٢٩ زاد أبا السمال، وفي المحتسب ٢/ ٢٣٠ إلى أبي بن كعب والحسن وابن أبي اسحاق. وفي الجامع ٥/ ١٤٢ زاد نصر بن عاصم وفي البحر ٧/ ٣٨٣ زاد أبا السمال وإبراهيم بن أبي عبلة.

(3) في ايضاح الوقف والابتداء ١/ ٤٨٣ و٤٨٤ نقل الرأي بلفظ مخالف وزيادات.

(4) نقله في الصحاح واللسان «بلل».

وقد اختلف الناس في الحروف التي في فواتح السور، فقال بعضهم: «إنما هي حروف يُستفتح بها» فإنْ قيل «هل يكون شيء من القرآن ليس له معنى»؟. فإنَّ معنى هذه أنه ابتدأ بها ليعلم أن السورة التي قبلها قد انقضت، وأنه قد أخذ في أخرى. فجعل هذا، علامة لانقطاع ما بينهما، وذلك موجود في كلام العرب، ينشد الرجل منهم الشعر فيقول [من الرجز، وهو الشاهد الخامس]:

بلْ.

وبلدةٍ ما الإنسُ من آهالِها[1]

أو يقول [من الرجز، وهو الشاهد السادس]:

بلْ.

ما هاجَ أحزاناً وشجواً قد شجا[2]

فـ «بل» ليست من البيت ولا تعدّ في وزنه، ولكن يقطع بها كلام ويستأنف آخر[3]. وقال قوم: «إنَّها حروف، إذا وصلت، كانت هجاء لشيء يعرف معناه، وقد أوتي بعض الناس علم ذلك. وذلك أن بعضهم، كان يقول: «ألـر» و«حـم» و«ن» هـذا هـو اسـم «الرحمن» جل وعزَّ، وما بقي منها، فنحو هذا».

وقالوا: قوله تعالى ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم] كاف، هاد، عالم، صادق، فأظهر من كل اسم منها حرفاً ليستدلّ به عليها. فهذا يدلّ، على أن الوجه الأوّل لا يكون إلاّ وله معنى. لأنه يريد معنى الحروف. ولم ينصبوا من هذه الحروف شيئاً غير ما ذكرت لـــــك، لأن ﴿الٓمٓ﴾ و﴿طسٓمٓ ۝١﴾ و﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ ليست مثل شيء من

(١) ورد في الصحاح «بلل» بلفظ «آهالها» ولم يُعْزَ. وكذلك ورد في «اللسان» «أهل» وبعده:

تـرى بـهـا الـعـواهـق مـن وئـالـهـا

وورد في «بلل» مع مصراع ثالث هو:

كـالـنـار جـرّت طـرفـي حـبـالـهـا

ولم يُعْزَ في أيٍّ.

(٢) ورد في الصحاح «بلل» وفي اللسان «بلل» ولم يُعْزَ فيهما. وهو لعبد الله العجاج. انظر ديوانه (٣٤٨)، والكتاب (٢/ ٢٩٩)، والأمالي ١/ ٣٨، والخصائص (١/ ١٧١)، وشرح شواهد المغني للسيوطي (٢٦٨).

(٣) نقل الجوهري في الصحاح «بلل» وفعل ابن منظور في اللسان فعله وزاد في مصاريع الرجز اللامي.

الأسماء، وإنما هي حروف مقطَّعة.

وقرأ قوله تعالى ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران] بفتح الميم، لأنها لقيها حرف ساكن، فلم يكن من حركتها بدّ. فان قيل: «فهلاّ حرّكه بالجر»؟ فان هذا لا يلزم فيها، وإنما أرادوا الحركة، فاذا حرّكوها بأي حركة كانت، فقد وصلوا الى الكلام بها، ولو كانت كسرت لجاز، ولا أعلمها إلاّ لغة[1].

وقال بعضهم: «فتحوا الحروف التي للهجاء، إذا لقيها الساكن ليفصلوا بينها وبين غيرها. وقالوا: «مِنَ الرجل» فتحوا لاجتماع الساكِنَيْن. ويقولون «هلِ الرجل»و«بلِ الرجل» وليس بين هذين وبين «ومن الرجل» فرق، إلاّ أنهم قد فتحوا «مِنَ الرجل» لئلاّ تجتمع كسرتان، وكسروا ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام/٩٣]. وقد اجتمعت كسرتان لأنّ «مِنْ» أكثر استعمالاً في كلامهم من «إذ»، فأدخلوها الفتح ليخفّ عليهم. وإنْ شئت قلت: «ألم» حروف منفصل بعضها من بعض، لأنه ليس فيها حرف عطف، وهي أيضاً منفصلة ممّا بعدها، فالاصل فيه أن تقول (ألم الله) فتقطع ألف ﴿ٱللَّهُ﴾[2] اذا كان ما قبله منفصلا منه كما قلت «واحد، إثنان» فقطعت. وكما قرأ القراء ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم/١] فبيّنوا النون لأنّها منفصلة[3]. ولو كانت غير منفصلة لم تبين إلاّ أنْ يلقاها أحد الحروف الستة. ألا ترى أنّك تقول «خذه من زيد» و«خذه من عمرو» فتُبَيِّن

---

(١) نسبت في الشواذ ١٩ إلى عمرو بن عبيد وفي البحر ٢/ ٣٧٤ إلى ابن حيوة، وروي أن ابن عطية نسبها إلى الرواسي، وأنّ الزمخشري نسبها إلى عمرو بن عبيد. وقد أنكر أبو إسحاق الزّجاج هذا الرأي على الأخفش، وقال «الذي حكاه الأخفش من كسر الميم خطأ لا يجوز ولا تقوله العرب لثقله «(اعراب القرآن ١/ ١٤٣) ونقل القرطبي رأي الأخفش في الجامع (٤/ ١).

(٢) هي قراءة الحسن وعمرو بن عبيد وعاصم بن أبي النجود وأبي جعفر الرواسي (إعراب القرآن ١/ ١٤٣) وقال ابن مجاهد إنها قراءة عاصم (السبعة ٢٠٠).

(٣) في معاني القرآن ٣/ ١٧٢ قرأ الاخفاء، ولم ينسبها قراءة البيان إلى الأعمش وحمزة (٣/ ١٧٢)، وفي الطبري ٢٩/ ١٦ أنّ الكسائي كان يدغم النون الآخرة في (نون) و(يس) أو يخفيها بناء على الاتصال، ونسب إظهار النون فيهما إلى قرّاء الكوفة. وفي السبعة ٦٤٦، أنّ إخفاء النون إلى عاصم والكسائي، وتبيينها إلى عاصم في رواية، وإلى ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي عمرو وحمزة، وفي الجامع ١٨/ ٢٢٣ أنّ الادغام إلى أبي بكر والمفضل وهبيرة وورش وابن محيصن وابن عامر والكسائي ويعقوب. أمّا في البحر ٨/ ٣٠٧ فإدغام النون وإسكانها إلى الجمهور وإظهار النون إلى حمزة وأبي عمرو وابن كثير وقالون وحفص.

النون في «عمرو» ولا تبيّن في «زيد». فلمّا كانت ميم ساكنة، وبعدها حرف مقطوع مفتوح، جاز أن تحرّكَ الميم بفتحة الألف، وتحذف الالف في لغة من قال: «منَ أبوك» فلا تقطع. وقد جعل قوم (نون) بمنزلة المدرج، فقرأوا (نونَ والقلمِ) فأثبتوا النون ولم يبيّنوها. وقالوا ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [يس][1] فلم يبيّنوا أيضاً. وليست هذه النون ها هنا بمنزلة قوله ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم] و﴿طسٓمٓ تِلۡكَ﴾ [النمل/١] و﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى].

فهذه النونات لا تُبيَّن في القراءة في قراءة أحد، لأنّ النون قريبة من الصاد، فالصّاد والنّون من مخرج طرف اللسان. وكذلك التاء والسّين في ﴿طسٓمٓ تِلۡكَ﴾ وفي ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى]، فلذلك لم تُبيَّن النون إذ قربن منها. وتبيّنت النون في ﴿يسٓ ۝١﴾ و﴿نون﴾ لبعد النون من الواو، لأنّ النون بطرف اللسان، والواو بالشّفتين.

وقال: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ وقال ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ [الآيات ١٧٣ و١٨٢ و٢٠٣] فنصبهما بغير تنوين. وذلك أنّ كلّ اسم منكور نفيته بـ «لا»، وجعلتَ «لا» الى جانب الاسم، فهو مفتوح بغير تنوين، لأنّ «لا» مشبَّهة بالفعل، كما شبّهت «إنّ» و«ما» بالفعل. و(فيه) في موضع خبرها، وخبرها رفع، وهو بمنزلة الفاعل، وصار المنصوب بمنزلة المفعول به، و(لا) بمنزلة الفعل. وإنّما حذفت التنوين منه لأنك جعلته و«لا» اسماً واحداً، وكلّ شيئين جُعِلا اسماً لم يصرفا(*). والفتحة التي فيه لجميع الاسم، بني عليها، وجعل غير متمكّن. والاسم الذي بعد « لا» في موضع نصب عملت فيه «لا».

وأما قوله ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ

---

(١) انظر الهامش السابق أيضاً في السبعة ٥٣٨، تبيين النون فيها إلى رواة نافع، وعدم التبيين إلى نافع في رواية، ونسب في الكشف ٢/ ٢١٤ عدم التبيين إلى ورش وأبي بكر والكسائي وابن عامر وفي الجامع ١٥/ ٣ نسب إدغام النون بالواو إلى اهل المدينة والكسائي، واسكان النون إلى أبي عمرو والأعمش وحمزة، ونسب في البحر ٧/ ٣٢٣ سكون النون مدغمة في الواو إلى الجمهور والكسائي وأبي بكر وورش وابن عامر، وأنّ سائر السبعة قرأوا النون ساكنة.

(*) أي «بنيا».

يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ [يونس][1] فالوجه فيه الرفع، لأنَّ المعطوف عليه لا يكون إلاّ رفْعاً ورفعته، لتعطف الآخر عليه. وقد قرأها قوم نصْباً، وجعلوا الآخر (رفْعاً) على الابتداء.

وقـولـه ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [الآية ١٩٧]، فالـوجه النصب[2] لأنَّ هذا نفي ولأنّه كلّه نكرة. وقد قرأ قوم (فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ في الحج) فرفعوه كلّه[3]، وذلك أنّه قد يكون هذا المنصوب كلّه، مرفوعاً في بعض كلام العرب، قال الشاعر[4] [من البسيط وهو الشاهد السابع]:

وما صرمتُكِ حتى قلتِ معلنةً
لا ناقةٌ ليَ في هذا ولا جَملُ[5]

وهذا جواب لقوله «هل فيه رفثٌ أو فسوقٌ»، فقد رفع الأسماء بالابتداء، وجعل لها خبراً، فلذلك يكون جوابه رفعاً. وإذا قال «لا شيءَ» فإنّما هو جوابُ «هل من شيءٍ»، لأن «هل مِن شيءٍ» قد أُعمِل فيه «مِن» بالجر، وأضمر الخبر، والموضع مرفوع، مثل: «بِحسبِك أنْ تشتمني» فإنّما هو: «حسبُك أنْ تشتمني». فالموضع مرفوع، والباء قد عملت.

وقد قرأ قوم: (فلا رَفَثٌ ولا فسوقٌ

(١) وورد التعبير أيضاً في أحد عشر موضعاً آخر من القرآن الكريم مسبوقاً بالفاء، أو الواو، أو أن. «انظر المعجم المفهرس» يحزنون.

(٢) في معاني القرآن١/ ١٢٠ نسبت إلى القرّاء بلا تحديد، واستثنى في السبعة ١٨٠ ابن كثير وأبا عمرو، وكذلك الكشف ١/ ٢٨٦ وقال إنّ عليها الأعرج وشيبة والأعمش وأبا رجاء والحسن وابن أبي اسحاق وعيسى، واستثنى في التيسير ٨٠ ابن كثير وأبا عمرو ونسبت في البحر ٢/ ٨٨ إلى الكوفيين ونافع، أمّا في حجّة ابن خالويه ٧١ والمشكل ٦٢، والجامع ٢/ ٤٠٨ فلم تنسب.

(٣) في المصاحف ٥٨ نسبت إلى عبد الله مع «رفوث» بدل «رفث»، وفي الشواذ ١٢ نسبت إلى أبي جعفر المدني، وفي الجامع ٢/ ٤٠٩ إلى أبي جعفر بن القعقاع، وإلى نافع في رواية، ونسبت في البحر ٢/ ٨٨ إلى أبي جعفر، وأنها رويت عن عاصم بطريق المفضّل عنه (أمّا في المشكل ٦٣ فأوردها ولم ينسبها وفي التيسير ٨٠ عدم الاختلاف في فتح «جدال» انظر الطبري ٤/ ١٥٤ ومعاني القرآن ١/ ١٢٠ والسبعة ١٨٠ وحجّة ابن خالويه ٧١، والكشف ١/ ٢٨٥و ٢٨٦ والتيسير ٨٠ والجامع ٢/ ٤٠٨ والبحر ٢/ ٨٨).

(٤) هو الراعي النُّمَيْري. الكتاب ١١/ ٣٥٤ واللسان (لقا).

(٥) ورد في شرح الأشموني بلفظ هجرتك «باب لا التي تنفي الجنس»، وفي شعر الراعي النميري ص ١٦٢ بلفظ هجرتك.

ولا جدالَ في الحجّ)[1] فرفعوا الأوّل على ما يجوز في هذا من الرفع، أو على النهي، كأنّه قال «فلا يكوننّ فيه رفثٌ ولا فسوقٌ» كما تقول « سمعُكَ إليّ» تقولها العرب فترفعها، وكما تقول للرجل: «حسبُك» و«كفاك». وجعل الجدال (نصبا) على النفي. وقال الشاعر[2] [من الكامل وهو الشاهد الثامن]:

ذاكم وجَدُّكُم الصَّغارُ بأسِره
لا أمَّ لي إنْ كان ذاكَ ولا أبُ[3]

فرفع أحدهما ونصب الآخر.

وأمّا قوله تعالى ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات/٤٧] فرفع، لأنّ «لا» لا تقوى أنْ تعمل إذا فُصلت، وقد فصلتها بـ «فيها» فرفع على الابتداء ولم تعمل «لا».

وقوله ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ فـ «فيه» و«عليه» و«إليه»، وأشباه ذلك في القرآن كثير. وذلك أنّ العرب، اذا كان قبل هذه الهاء التي للمذكّر ياء ساكنة، حذفوا الياء التي تجيء من بعد الهاء أو الواو، لأنّ الهاء حرف خفي، وقع بين حرفين متشابهين، فثقل ذلك. فمن كان من لغته إلحاق الواو اذا كان قبلها كسرة، ولم يكن قبلها الياء، ترك الهاء مضمومة، إذا كان قبلها الياء الساكنة، ومن كان من لغته إلحاق الياء، ترك الهاء مكسورة إذا كان قبلها الياء الساكنة. وكذلك إذا كان قبل الهاء ألف ساكنة أو واو فإنّه يحذف الواو التي تكون بعد الهاء، ولكن الهاء لا تكون إلا مضمومة نحو ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ﴾ [الشعراء/٤٥] وقوله تعالى ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾[4] وقوله

---

(١) في الطبري ٤/١٥٤ نسبت إلى جماعة من البصريين وكثير من أهل مكة منهم عبد الله بن كثير وأبي عمرو بن العلاء، «وفي معاني القرآن ١/١٢٠ إلى مجاهد وفي السبعة ١٨٠ إلى ابن كثير وأبي عمرو وفي الكشف ١/٢٨٥، و٢٨٦ والتيسير ٨٠ والبحر ٢/٨٨، كذلك أما في الحجة ٧١، والجامع ٢/٤٠٨، فقد ذكراها ولم ينسبا.

(٢) في الكتاب (١/٣٥٢) أنّه رجل من مذحج وقد أيد ذلك الأعلم في الهامش، وورد في المقاصد النحوية ٢/٣٣٩ في شواهده الاختلاف في نسبته إلى همام بن مرة أخي جساس أو إلى رجل من بني عبد مناة، او ابن أحمر، أو ضميرة بن ضمرة.

(٣) رواه ابن الناظم (هذا لعمركم) (٧٥) وكذلك فعل ابن عقيل (١/٣٤٢) وابن هشام في الشذور (٨٦)، ورواه في المقاصد النحوية « هذا وجدكم» ه الخزانة ٢/٣٣٩» ورواه الفراء «بعينه» في المعاني (١/١٢١).

(٤) جاء هذا التعبير في تسعة مواضع من الكتاب الكريم، أولها الاعراف ٧/٦٤، وآخرها الشمس ٩١/١٤.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾[1] وأشباه هذا في القرآن كثير[*]:

ومن العرب من يُتِمُّ، لأنّ ذلك من الأصل، فيقول (فكذّبوهو) (فأنجيْناهو) و(فألقى موسى عصاهو) و(لا ريبَ فيهُو هُدىً للمتقين)، وهي قراءة أهل المدينة[2] وقد قرأ قوم ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات/ ٥٠] فألقوا الواو، وشبّهوا الساكن بالياء والواو والالف. وهذا ليس بجيّد في العربية، وأجوده (منهو نذير) تُلْحَقُ الواو وإن كانت لا تكتب. وكل هذا اذا سُكت عليه، لم تزد على الهاء شيئاً.

ولا تُكسر هذه الهاء، إلا أنْ تكون قبلها ياء ساكنة، أو حرف مكسور، وإنّما يَكسر بنو تميم. فأمّا أهل الحجاز فإنّهم يضمّون بعد الكسر، وبعد الياء أيضا، قال ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ٥١﴾. وأهل الحجاز، يقرأون (من بعدِهُو) فيثبتون الواو في كل موضع.

ومن العرب من يحذف الواو والياء في هذا النحو أيضاً، وذلك قليل قبيح يقول: «مررت بِهِ قبلُ» «بِهُ قبلُ» يكسرون ويضمُّون ولا يلحقون واواً ولا ياء، ويقولون «رأيتُهُ قبلُ» فلا يلحقون واواً. وقد سمعنا بعض ذلك من العرب الفصحاء.

وقد قرأ بعض القراء (فِيهْ هُدَى) فادغم الهاء الأولى في هاء ﴿هُدًى﴾ لأنهما التقتا وهما مثلان[3].

وزعموا أنّ من العرب من يؤنث «الهُدى»[4]. ومنهم من يسكّن هاء الإضمار للمذكر قال الشاعر [من الطويل وهو الشاهد التاسع]:

فَظِلْتُ لدى البيتِ العتيقِ أُخِيلُهُ
ومِطْواي مشتاقانِ لَهْ أرِقانِ

---

(١) جاء هذا التعبير في ستة مواضع من الكتاب الكريم أوّلها الأعراف ٧/ ٦٤ وآخرها العنكبوت ٢٩/ ١٥.

(*) يرجع في تفصيل القراءات في هذا إلى سبعة ابن مجاهد (١٢٩) وحجة الفارسي (١٢٠)و (١٣٠) والكشف ١/ ٤٢ والتيسير (٢٩) والجامع ١/ ١٦٠ والبحر (١/ ٣٣) و(١/ ٣٧).

(٢) انظر الهامش السابق.

(٣) أوردها ابن خالويه في حجّته ولم ينسبها (٣٩)، وجوّز القرطبي الادغام في جامعه ، ولم ينسبه قراءة (١/ ١٦٠).

(٤) هي لغة بعض بني أسد (اللهجات العربية للجندي (٥١١) وهم بنو أسد المذكر والمؤنث للفراء ٨٧، وكتاب التذكير والتأنيث للسجستاني ٦٦.

وهذا في لغة أسد السراة، زعموا كثير[1].

وقوله تعالى ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ فيه لغتان، منهم من يقوله بالوقف اذا وصل، ومنهم من يلحق فيها الواو. وكذلك هو في كل موضع من القرآن والكلام، إلاّ أنْ يكون ما قبلها مكسوراً أو ياء ساكنة، فإن كانت ياء ساكنة أو حرفاً مكسوراً نحو «عليْهم» و«بِهِمْ» و«مِن بعدِهِمْ»، فمن العرب من يقول: «عليهِمي» فيلحق الياء، ويكسر الميم والهاء؛ ومنهم من يقول: «عليْهُمُو» فيلحق الواو، ويضم الميم والهاء؛ ومنهم من يقول: «عليهِمْ» و«عليهُمْ»، فيرفعون الهاء ويكسرونها، ويقفون الميم، ومنهم من يقول: «عليهِمُو» فيكسرون الهاء، ويضمّون الميم ويلحقون الواو؛ ومنهم من يقول: «عليهُمِي» فيضمون الهاء، ويكسرون الميم، ويلحقون الياء.

وكلّ هذا إذا وقفت عليه، فآخره ساكن، والذي قبله مكسور، وهو بمنزلة ما قبله ياء. وهذا في القرآن كثير[2].

ومنهم من يجعل «كُمْ» في «عليكم»و«بكم»، اذا كانت قبلها ياء ساكنة أو حرف مكسور، بمنزلة «هُمْ»، وذلك قبيح لا يكاد يعرف، وهي لغة لبكر وائل سمعناها من بعضهم يقولون «عليكِمي» و«بِكِمي»، وأنشد الأخفش[3] قال سمعته من بكر بن

---

(١) وينسبها الكسائي لغة لأعراب بني عقيل وبني كلاب (البحر ٨/ ٥٠٢) وانظر تفصيل ذلك في (اللهجات العربية للجندي (٤٠٤). وقد نقل رأي الاخفش وافاد منه بيت الشعر ابن جني في المحتسب (١/ ٢٤٤) والجوهري في الصحاح (ها) وابن سيده في المحكم (هوو). والشاعر هو يعلى الأحول الشكري من اسد السراة (انظر الجمهرة ٣/ ١١٨) والخزانة ٢/ ٤٠١ ـ ٤٠٥) وقد ورد البيت في الجمهرة بلفظ «فبت لدى البيت الحرام» وجاء فيها «ومطو الرجل نظيره» أو صاحبه لغة سروية منسوبة إلى السراة. قال الشاعر يعلى الأحول الشكري (البيت) أراد «له» وهذه لغته «وجاء في اللسان بلفظ «الحرام» أيضاً (مطا). أمّا في الصحاح (مطا) والخصائص (١/ ١٢٨) والخزانة فورد بلفظهما رواه الأخفش.

(٢) يراجع لهذه القراءات حجّة الفارسي ١/ ٤٢، والكشف ١/ ٣٥ ـ ٤٠، والبحر ١/ ٢٦ ـ ٤٣، إذ فصل القول فيها في هذه المراجع. وقد ذكر سيبويه أنّ كسر الهاء لغة، وتكلّم عليها في الكتاب (٢/ ٢٩٣ و٢٩٤).

(٣) هو أبو الخطّاب عبد الحميد بن عبد المجيد الأخفش الاكبر، ترجمته في مراتب النحويّين ٢٣، وطبقات الزبيدي ٤٠، وإنباه الرواة ٢/ ١٥٧.

وائل[1] [من الطويل وهو الشاهد العاشر]:

وإنْ قالَ مولاهمْ على جُلِّ حاجةٍ
من الأمرِ رُدّوا فَضْلَ أحلامِكُم رُدُّوا[2]

وكل هذا، اذا لقيه حرف ساكن، حرّكت الميم بالضم، إن كان بعدها واو، فان كان بعدها واو حذفت الواو، وان كان ياء حذفت الياء، وحرّكت الميم بالكسر.

وكذلك الهاء التي للواحد المذكّر، من نحو «مررت به اليوم» و«رأيته اليوم».

وزعموا أنّ بعض العرب، يحرّك الميم، ولا يلحق ياء ولا واواً في الشعر، وذا لا يكاد يُعرف. وقال الشاعر [من الرجز وهو الشاهد الحادي عشر]:

تاللّهِ لولا شُعْبتي مِنَ الكَرَمْ
وشُعبتي فيهِمُ من خالٍ وعَمّ

فأمّا قوله تعالى ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ فإنّما دَخَلَه حرف الاستفهام، وليس لذكره السواء، لأنّه اذا قال في الاستفهام: «أزيد عندك أم عَمْرو» وهو يسأل أيّهما عندك فهما مستويان عليه، وليس واحدٌ منهما أحقّ بالاستفهام من الآخر. فلمّا جاءت التسوية في قوله ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ أشبهَ بذلك الاستفهام، اذ أشبهه في التسوية. ومثلها ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [المنافقون/٦] ولكن ﴿أَسۡتَغۡفَرۡتَ﴾ ليست بممدودة، لأنّ الألف التي فيها ألف وصل، لأنّها من «ٱسْتَغْفَرَ» «يَسْتغفرُ» فالياء مفتوحة من «يَفْعل» وامّا ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ ففيها ألفان ألفُ «أنْذَرتُ» وهي مقطوعة، لأنّه يقول «يُنْذِرُ» فالياء مضمومة، ثمّ جعلت معها ألف الاستفهام، فلذلك مدّدت وخَفّفتِ الآخرة منهما، لأنّه لا تلتقي همزتان[3]. وقال ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ [الزخرف].

وقال بعضهم: إنّه على قوله

(١) انظر الكتاب (٢/ ٢٩٤) حيث ذكر هذه اللغة، ووصفها بشدة الرداءة، واستشهد بهذا الشعر، واللهجات للجندي (٥٢)، وشرح السيرافي (٥/ ٤٦٣) (بدلالة المصدر السابق).

(٢) البيت للحطيئة، انظر ديوانه ١٤٠ بلفظ «حادث من الدهر» وهو كذلك في الكتاب ٢/ ٢٩٤ والكامل ١/ ٥٣٤.

(٣) تخفيف إحدى الهمزتين لغة تميمية (الكتاب ٢/ ١٦٨).

تعالى ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ وجعل قوله تعالى ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ بدلاً من ﴿تُبْصِرُونَ﴾. لان ذلك عنده بَصَرٌ منهم، أن يكون عندهم هكذا، وهذه «أم» التي تكون في معنى «أيهما». وقد قال قوم «إنّها يمانيّة»، وذلك أن أهل اليمن، يزيدون «أم» في جميع الكلام. وأمّا ما سمعنا من اليمن، فيجعلون «أم» مكان الألف واللام الزائدتين، يقولون «رأيت أمْرَجُلَ» و«قام أمرجلُ».

يريدون «الرجل»[1]. ولا يشبه أنْ تكون ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ على لغة أهل اليمن. وقد زعم أبو زيد[2] أنّه سمع أعرابياً فصيحاً، ينشدهم[3] [من الرجز وهو الشاهد الثاني عشر]:

يا دَهرُ أم كانَ مَشْيِي رَقَصا
بلْ قدْ تكونُ مشيتي تَرَقُّصا[4]

فسأله فقال: «معناه ما كان مشيي رقصا فـ «أم» ها هنا زائدة. وهذا لا يعرف. وقال علقمة بن عبدة[5] [من الطويل وهو الشاهد الثالث عشر]:

وما القلب أمْ ما ذِكْرُهُ رَبعِيَّةً[6]
يُخَطُّ لَها من ثَرْمَداءَ قَليبُ

يريد «ما ذكْرُهُ ربَعِيَّةً» يجعله بدلاً من «القلب»، وقال بعضُ الفقهاء: «إنّ معناه أنّه قال فرعون ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١﴾ [الزخرف] أم أنتم بصراء». وقال الشاعر[7] [من الطويل وهو الشاهد الرابع عشر]:

---

(١) لغة اليمن هذه تكلم عليها ابن منظور في اللسان «أمم»، وأوردتها كتب اللهجات، راجع لها «اللهجات للجندي ٣١١» وفيه إشارة إلى مواضع أخرى لها في اللسان وغيره، وراجع مميزات لغات العرب (١٢).

(٢) هو أبو زيد الأنصاري، ترجم له في أخبار النحويين ٤١، ومراتب النحويين ٤٢، وبغية الوعاة ٢٥٥.

(٣) روى الجوهري البيت في الصحاح «أمم»، ولم ينسبه، وكذلك فعل ابن منظور في اللسان «أمم» ولم ينسبه، ورواه البغدادي في الخزانة (٤/ ٤٢١)، ولم يهتد إلى قائله.

(٤) في الصحاح «ياهند» بدل يا دهر وفي اللسان «يا دهن» و«ترقصا» وقال: «أراد يا دهناء» فرخم «وفي الخزانة «ترقصا» أيضا.

(٥) هو علقمة بن عبدة الفحل الشاعر التميمي، كان نديماً للحارث الأصغر الغساني، والنعمان الثالث أبي قابوس اللّخمي، ترجمته في الأغاني (بولاق ٢١/ ١٧٢ وطبقات الشعراء للجمحي ١/ ١٣٩ ت ١٦٨، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٢١٨ت ١٣.

(٦) البيت السابع من القطعة الاولى من ديوانه ص ٣٥، بلفظ «وما أنت أم ما ذكرها ربعية، «وفي اللسان» «ثرمد»: «ربعيةٌ بالضم». «أما ذكرها».

(٧) هو ذو الرُّمّة غيلان بن عقبة العدوي المتوفي سنة ١١٧هـ.

فيا ظبيةَ الوعساءِ بينَ جُلاجِلٍ
وبينَ النَّقا أأنتِ أم أُمُّ سالِمِ[1]

يريد: «أأنت أحسن أم أمُّ سالِم». فأضمر أحسن. يريد: «أليسَ أنا خيراً من هذا الذي هو مَهين». ولها موضع آخر تكون فيه منقطعة من الكلام، كأنك تميل الى أوله قال: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [يونس]. وهذا لم يكن قبله استفهام، وهذا قول العرب: «إنَّها لإبِلٌ» ثم يقولون «أم شاة» (وقولهم) «لقد كان كذا وكذا أمْ حَدَّثتُ نفسي»، ومثل قول الشاعر[2] [من الكامل وهو الشاهد الخامس عشر]:

كَذَبَتْكَ عينُكَ أمْ رأيتَ بواسِطٍ
غَلَسَ الظَّلامِ مِنَ الرَّبابِ خيالا[3]

وليس قوله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ لانه شك، لكنه قال هذا ليقبّح صنيعهم، كما تقول: «ألستَ الفاعل كذا وكذا» ليس تستفهم، إنّما توبِّخه. ثم قال ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة/٣]. ومثل هذا في القرآن كثير، قال سبحانه ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩﴾ [الطور] ثم قال ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ﴾ [الطور/٣٠] (و) ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ [الطور/٣٧] كل هذا، على استفهام الاستئناف.

وليس لـ «أم» غير هذين الموضعين، لأنه أراد أن يُنَبِّهَ، ثمّ ذكر ما قالوا عليه، يعني النبي (ص) ليقبح ما قالوا عليه، نحو قولك للرجل «الخَيْرُ أحَبُّ إلَيكَ أم الشرّ»؟ وأنت تعلم أنه يقول «الخير» ولكنْ أردتَ أن تُقبّح عنده ما صنع. وأمّا قوله تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان/ ٢٤] فقد نهاه عن الأثم والكفور جميعاً. وقد قال بعض الفقهاء[4]: «إنَّ «أوْ» تكون بمنزلة الواو وقال [من المتقارب وهو الشاهد السادس عشر]:

يُهينُونَ مَنْ حَقَرُوا شَأْنَهُ
وإنْ كانَ فيهِمْ يَفِي أو يَبَرّ

(١) ديوانه ٢/ ٧٦٧ بلفظ آيا، وهو من شواهد الكتاب ٢/ ١٧٨، والصحاح واللسان « جلل»، والكامل ٢/ ٧٧٠.

(٢) الأخطل التغلبي غياث بن غوث.

(٣) الديوان ٤١، والكتاب ١/ ٤٨٤، ومجاز أبي عبيدة ١/ ٥٦.

(٤) المغني (١/ ٦٢) هم الكوفيون، والإنصاف ٢/ ٢٥٤م ٦٧.

يقول: «يَنفي وَيَبر». وكذلك هي عندهم ها هنا، وإنّما هي بمنزلة « كُلِ اللحمَ أو التمرَ» إذا رخّصت له في هذا النحو. فلو أكل كلّه أو واحداً منه لم يَعْصِ. فيقع النهي عن كل ذا في هذا المعنى، فيكون إن أكل الكل أو واحداً (قد) عصى. كما كان في الأمر إن صنع واحداً أطاع. وقال ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الصافات] ومعناه «ويزيدُونَ»، ومخرجها في العربية أنك تقول: «لا تجالسْ زيداً أو عمْراً أوْ خالِداً» فإنْ أتى واحداً منهم أو كُلَّهُم، كانَ عاصياً. كما أنّكَ إذا قلتَ:

«اجْلِس الى فلان أو فلان أو فلان» فجلس الى واحد منهم أو كلّهم كان مطيعاً. فهذا مخرجه من العربية. وأرى الذين قالوا: «إنّما» أو «بمنزلة الواو» إنّما قالوها رأوها في معناها. وأما ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ فإنما يقول ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ﴾ عِنْد الناس»، ثم قال ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾[1] عند الناس» لأنّ الله تبارك وتعالى لا يكون منه شكّ. وقد قال قوم إنّما «أو» ها هنا بمنزلة «بل»[2] وقد يقول الرجل: « لأذْهَبَنَّ إلى كذا وكَذا» ثم يبدو له بعدُ، فَيَقول «أوْ أقْعُدُ» فقال ها هنا ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ﴾ عند الناس «ثم قال ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ عند الناس» أي أن الناس لا يشكّون أنهم قد زادوا. والوجه الآخر هكذا، أي « فكذا حال الناس فيهم» أي: أن الناس يشكون فيهم. وكذا حال «أم» المنقطعة، ان شئت جعلتها على «بل»، فهو مذهب حسن. وقال مُتَمِّمُ بن نويرة[3] [من الوافر وهو الشاهد السابع عشر]:

فلو كانَ البكاءُ يَرُدُّ شيئاً
بكَيْتُ على جُبَيْرٍ أو عِفاقِ[4]
على المَرْأَيْنِ إذْ هَلَكا جميعاً
بشأنهما وحزنٍ وأشتياقِ[5]

---

(١) نقله في الجامع ١٥/ ١٣٢ وأشرك معه الزجاج.

(٢) هو رأي الكوفيين بلا شرط (المغني ١/ ٦٤) «أو» الإنصاف (٢/ ٢٥٤م ٦٧) وسيبويه بشرط تقدم نفي أو نهي، وإعادة العامل المصدر الاول.

(٣) ترجمته في الأغاني (بولاق ١٤/ ٦٦)، والشعر والشعراء ١/ ٢٥٤، ومعجم الشعراء ٤٣٢، وخزانة الادب ١/ ٢٣٤.

(٤) رواية (مالك ومتمم) بـ «بجير» ١٢٤.

(٥) رواية (مالك ومتمم) بـ «لشأنهما بشجو» ١٢٤.

وقال ابنُ أحمر[1] [من الطويل وهو الشاهد الثامن عشر]:

فقلتُ ألَبْثي شهرَيْنِ أوْ نِصفَ ثالثٍ
إلى ذاكَ ما قد غَيَّبَتني غِيابِيا[2]

وأمّا قوله تعالى ﴿أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝١٧﴾ [الصافات]. فان هذه الواو واو عطف كأنهم قالوا: ﴿أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦﴾ فقيل لهم: «نعم وآباؤكم الأوّلون» فقالوا ﴿أَوَ آبَاؤُنَا﴾، وقوله ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ﴾ [يس/٧٧]، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ [السجدة/٢٦] وأشباه هذا في القرآن كثير. فالواو مثل الفاء في قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ [طه/١٢٨] وقوله ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون/٦٨] وإن شئت جعلت هذه الفاءات زائدة. وإن شئت، جعلتها جواباً لشيء، كنحو ما يقولون «قد جاءني فلان» فيقول «أفَلَمْ أقْضِ حاجته»، فجعل هذه الفاء معلّقة بما قبلها.

وأما قوله ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [الآية ٧] فإنّ الختم، ليس يقع على الأبصار. [إنما] قال ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ ثم قال ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ مستأنفاً. وقوله ﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾ لأنّ ذلك، كان لعصيانهم الله، فجاز ذلك اللفظ، كما تقول: «أهلَكَتْهُ فُلانَةُ» إذا أُعجِب بها، وهي لا تفعل به شيئاً، لأنه هلك في اتباعها. أو يكون «خَتَمَ» حكم بها أنّها مختوم عليها.

وكذلك ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية ١٠] على ذا التفسير، والله اعلم.

ثم قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية ٨] فجعل اللفظ واحداً، ثم قال ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية ٨] فجعل اللفظ جميعاً، وذلك أنّ «مَنْ» اللفظ بها لفظ واحد، ويكون جميعا في المعنى، ويكون اثنين. فان لفظت بفعله على معناه، فهو صحيح. وإن جعلت فعله على لفظه واحداً، فهو صحيح وممّا جاء من ذلك قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ

(١) هو عمرو بن أحمر الباهلي، انظر ترجمته في طبقات الشعراء ١/ ٤٨٥، والشعر والشعراء ١/ ٣٥٦، وأمالي ابن الشجري ١/ ١٣٧، وخزانة الأدب ٣/ ٣٨.

(٢) شعر عمرو بن أحمد الباهلي ١٧١ بلفظ (ألافالبثا) و(إلى ذا كماما) الخصائص ٢/ ٣١٧ بـ (ألافالبثا) وفي الأصل «قلت» بلا فاء، و(إلى ذاكما ما غيبتني) وبلا عزو، والصاحبي ١٢٨ بلا عزو، بـ «فقلكما شهرين» و«إلى ذاكما ما غيبتني».

لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس/٤٢] وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ [يونس/٤٣] وقال: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الأحزاب/٣١] فقال ﴿يَقْنُتْ﴾ فجعله على اللفظ، لأنَّ اللفظ في ﴿مَن﴾ مذكّر وجعل ﴿تَعْمَلْ﴾ و﴿نُّؤْتِهَآ﴾ على المعنى. وقد قرأ بعضهم: (ويَعْمَلْ)[1] فجعله على اللفظ لأنَّ لفظ ﴿مَن﴾ مذكّر. وقد قرأ بعضهم: (وَمَنْ تَقْنُتْ)[2] فجعله على المعنى لأنه يعني امرأة. وهي حجّة على من قال: «لا يكون اللفظ في «مَنْ» على المعنى إلاّ أن تكون «مَنْ» في معنى «الذي»، فأمّا في المجازاة والاستفهام فلا يكون اللفظ في «مَنْ» على المعنى».

وقولهم هذا خطأ، لأنَّ هذا الموضع الذي فيه (وَمَنْ تَقْنُتْ) مجازاة. وقد قالت العرب «ما جاءَتْ حاجَتُكَ» فأنّثوا «جاءت» لأنها لـ «ما»، وإنّما أنّثوا، لأن معنى «ما» هو الحاجة. وقد قالت العرب أو بعضهم «من كانت أمّكَ» فنصب وقال الشاعر[3] [من الطويل هو الشاهد التاسع عشر]:

تَعَشْ فإنْ عاهَدْتَني لا تخونُني
نَكُنْ مِثْلَ مَنْ، يا ذئبُ، يَصْطَحِبانِ[4]

ويروى (تَعالَ فإنْ). وقد جعل (مَنْ) بمنزلة رجل.

قال الشاعر[5] [من الرمل وهو الشاهد العشرون]:

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٤١ قراءة الاعمش وأبي عبد الرحمن السلمي. تفسير الطبري ٢٢/ ٢٠١ عامة قراء الكوفة. السبعة ٥٢١ قراءة حمزة والكسائي. الحجة لابن خالويه ٢٦٤ بلا نسبة. الكشف ٢/ ١٩٦ كالسبعة والتيسير ١٧٩ كذلك. البحر ٧/ ٢٢٨ أضاف السلمي وابن وثاب.

(٢) الجامع ١٤/ ١٧٦ قراءة يعقوب. والبحر ٧/ ٢٢٨ قراءة الجحدري والأسواري ويعقوب في رواية، وابن عامر في رواية، ورواها أبو حاتم عن أبي جعفر وشيبة ونافع.

(٣) هو الفرزدق همّام بن غالب.

(٤) في الأصل كلمة مطموسة تكاد تقرأ «العتم» وفي الهامش «نسخة تَعَشْ فإنْ». وهو في ديوانه ٢/ ٨٧٠، بلفظ «تعش» و«واثقتني» وفي الكتاب ١/ ٤٠٤ بلفظ تعال، وفي الكامل ١/ ٣٢ برواية الأخفش والمجاز ٢/ ٤١ «بتعال» والصاحبي ١٧٣ بـ «تعال».

(٥) هو سويد بن أبي كاهل بن حارثة اليشكري.

رُبَّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيظاً صَدْرَهُ
قَدْ تَمَنَّى لِيَ شَرّاً لَمْ يُطَعْ[(١)]

فلولا أنّها نكرة بمنزلة «رجل»، لم تقع عليها «رُبَّ».

وكذلك (ما) نكرة إلاّ أنّها بمنزلة «شيء». ويقال: إنّ قوله تعالى ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق/٢٣] على هذا. جعل (ما) بمنزلة «شيء» ولم يجعلها بمنزلة «الذي» فقال: «ذا شَيْءٌ لَدَيَّ عَتيد». وقال الشاعر[(٢)]

[من الخفيف وهو الشاهد الحادي والعشرون]:

رُبَّ ما تَكْرَهُ النفوسُ من الأمرِ
لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقالِ[(٣)]

فلولا أنّها نكرة بمنزلة «مَنْ» لم تقع عليها «رُبَّ». وقد يكون ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ على وجه آخر، أخبر عنهما خبراً واحداً كما تقول: «هذا أحمرُ أخضرُ». وذلك أن قوماً من العرب يقولون: «هذا عبدُ اللهِ مقبلٌ». وفي قراءة ابن مسعود[(٤)] (وهذا بَعْلي شَيْخٌ)[(٥)] [هود/٧٢] كأنه أخبر عنهما خبراً واحداً، أو يكون كأنّه رفعه على التفسير، كأنه اذا قال: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ﴾، قيل: «ما هو»؟ أو علم أنه يُراد ذلك منه فقال ﴿عَتِيدٌ﴾ أيْ ما عندي عتيد. وكذلك (وهذا بَعْلِي شيخٌ). وقال الراجز[(٦)] [وهو الشاهد الثاني والعشرون]:

مَنْ يَكُ ذا بَتٍّ فهذا بَتِّي
مُقَيِّظٌ مُصَيِّفٌ مُشَتِّي[(٧)]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ [النساء/٥٨] فـ «ما» ها هنا اسم ليست له

---

(١) ديوانه ٣٠ بلفظ «قلبه» و«موتا».

(٢) هو أمّية بن أبي الصّلت، وقيل غيره؛ انظر ديوان أمية بن أبي الصلت ٥٨٥، حيث تجد التخريجات.

(٣) ديوانه ٤٤٤، بلفظ «تجزع» بدل «تكره».

(٤) هو عبد الله بن مسعود الصحابي الكبير، وله قراءات تفرّد بها وتوفي سنة ٣٢هـ (طبقات ابن خياط ١٦ وطبقات ابن سعد ٣/ ١٥٠ والمعارف ٢٤٩ وتقريب التهذيب ١/ ٤٥٠).

(٥) وانظر لهذه القراءة معاني القرآن ٢/ ٢٣، والمصاحف ٦٣، والبحر ٥/ ٢٤٤، وأضيف في الجامع ٩/ ٧٠ أُبيّ، ونسبت في المحتسب ١/ ٣٢٤ إلى الأعمش.

(٦) هو رؤبة بن العجاج، انظر ديوانه ١٨٩.

(٧) في الكتاب ١/ ٢٥٨، ومجاز القرآن ٢/ ٢٤٧، والصحاح «بتت» بلفظ «كان» بدل يك في (قيظ) كذلك وفي (صيف) و«شتا» بـ «يك» وفيها جميعها بلا نسبة.

صلة لأنك إنْ جعلت ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ صلة لـ (ما) صار كقولك: «إنّ الله نِعْمَ الشيء» أو «نعم شيئاً» فهذا ليس بكلام. ولكن تجعل (ما) اسماً وحدها، كما تقول: «غَسَلتُه غَسْلاً نِعِمّا» تريد به: «نِعْمَ غَسْلاً». فإنْ قيلَ: «هي بمنزلة» «يا أيُّها الرَّجُلُ» لأنّ «أيّ» هُهنا اسم ولا يتكلم به وحده، وحتى يوصف فصار (ما) مثل الموصوف هُهنا. لأنك اذا قلت «غَسَلتُه غَسْلاً نِعِمّا» فإنّما تريد المبالغة والجودَة، فاستغني بهذا حتى تُكلّم به وحده. ومثل «ما أحْسَنَ زيداً» (ما) هُهنا وحدها اسم، وقوله «إني ممّا أن أصنع كذا وكذا» (ما) ها هنا وحدها اسم، كأنه قال تعالى: «إنّي مِن الأمرِ» أو «منْ أمْري صنيعي كذا وكذا»؛ وممّا جاء على المعنى قوله سبحانه ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [الآية ١٧] لان «الذي» يكون للجميع، كما قال عز وجلّ ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر].

قال تعالى ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية ٩] ولا تكون المفاعلة إلاّ من شيئين، فإنه إنّما يقول: «﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ عند أنفسهم يُمنّونها أن لا يعاقبوا وقد علموا خلاف ذلك في أنفسهم» ذلك لحجّة الله الواقعة على خلقه بمعرفته.

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية ٩] وقال بعضهم ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾[1] كأنه يقول: «يَخْدَعون أنفسهم بالمخادعة لها» وبها نقرأ.

وقد تكون المفاعلة من واحد في أشياء كثيرة تقول: «باعَدْته مُباعَدةً» و«جاوزتُه مجاوزَةً» في أشياء كثيرة. وقد قال ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء/ ١٤٢] فذا على الجواب. يقول الرجل لمن كان يخدعه، إذا ظفر به «أنا الذي خدعتُكَ» ولم تكن منه خديعة، ولكن قال ذلك اذ صار الأمر إليه. وكذلك ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران/ ٥٤] و﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [الآية ٥١] على الجواب. والله لا يكون منه المكر

---

(١) الطبري ١/ ٢٧٧ بلا عَزْو، وحجّة ابن خالويه ٤٤، وفي السبعة ١٣٩ قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وفي حجّة القارسي ٢٣٣ كذلك، وفي التيسير ٧٢ إلى الحرميين وأبي عمرو وفي الجامع ١/ ١٩٦ إلى نافع وابن كثير وأبي عمرو، وفي البحر إلى الجمهور، وفي الكشف ١/ ٢٢٤ إلى غير ابن عامر والكوفيين.

والهزء. والمعنى: أنّ المكر حاق بهم، والهزء صار بهم.

وأمّا قوله سبحانه: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [الآية ١٠] فَمَنْ فخّم، نصب الزاي، فقال: ﴿فَزَادَهُمُ﴾[1] ومَنْ أمالَ كَسَرَ الزاي فقال: (زِادَهُمْ)[2] لأنها من «زِدت» أوّلها مكسور. فناس من العرب يميلون ما كان من هذا النحو، وهم بعض أهل الحجاز، ويقولون أيضاً (ولِمَن خِافَ مقام رَبِّهِ)[3] و(فَانْكِحُوا ما طِابَ لَكُمْ من النّساء)[4] و(وقد خِاب)[5] ولا يقولون (قِال) ولا (زِار) لأنّهُ يقول (قُلْتُ) و(زُرْتُ) فأوّله مضموم. فإنّما يفعلون هذا في ما كان أوّله من «فعلتُ» مكسوراً إلاّ أنّهم ينحون الكسْرة كما ينحون الياء في قوله ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الإنسان/ ٢١]. و﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝﴾ [الشمس][6]. ويُقرأ جميع ذلك بالتفخيم؛ وما كان من نحو هذا من بنات الواو، وكان ثالثاً نحو ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝﴾ [الشمس][7] ونحو ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝﴾ [الشمس][8] فإنّ كثيراً من العرب يفخّمه، ولا يميله، لأنها ليست بياء فتميل إليها، لأنّها من

---

(١) نسبت في السبعة ١٤٠ إلى اسحاق وإلى عاصم في رواية، وفي ١٤١ إلى الكسائي وأبي عمرو وابن كثير. وفي حجّة ابن خالويه ٤٥ بلا نسبة. ونسبت في حجّة الفارسي ٢٤٠ و٢٤١ إلى ابن كثير وأبي عمرو، والكسائي وعاصم، و في الكشف ١/ ١٧٤ إلى القراء كلهم إلاحمزة وابن ذكوان، وفي البحر ١/ ٥٩ نسب التفخيم للحجاز.

(٢) نسبت في السبعة ١٣٩ إلى حمزة وابن عامر وبإشمام الإضجاع إلى نافع، وفي ١٤٠ بإشمام كسر قليل إلى اسحاق. وفي حجة ابن خالويه ٤٥ بلا نسبة، وفي حجّة الفارسي ٢٣٩ إلى حمزة وابن عامر، وباشمام الإضجاع إلى نافع وفي الكشف ١/ ١٧٤ تفرّد بها حمزة، ووافقه ابن ذكوان، وفي البحر ١/ ٥٩ مثل ما في الكشف، ثم نسبت الإمالة لتميم.

(٣) الرحمن ٥٥/ ٤٦، ونسبت في السبعة إلى حمزة، وفي الكشف ١/ ١٧٤ تفرّد حمزة بالإمالة، وكذلك في التيسير ٥٠.

(٤) النساء ٤/ ٣ نسبت في السبعة إلى حمزة، وفي الكشف ١/ ١٧٤ كذلك في البحر ٣/ ١٦٢ إلى ابن اسحاق والجحدري والاعمش، وحوّلها أُبَيّ في مصحفه إلى ياء، وفي التيسير ٥٠ تفرّد حمزة بالإمالة.

(٥) طه ٢٠/ ٦١و١١١، والشمس ٩١/ ١٠ في الكشف ١/ ١٧٤، والتيسير ٥٠ تفرّد حمزة بالامالة.

(٦) انظر الكشف ١/ ١٨١، و٢/ ٣٧٨و ٣٨٢، والتيسير ٢٢٣.

(٧) معاني القرآن ٣/ ٢٦٦ وتفسير الطبري ٣٠/ ٢١٦ (البابي٢) والسبعة ٦٨٨و ٦٨٩، وإعراب ثلاثين سورة ٩٧، والكشف ١/ ١٨٩و١٩٠، و٢/ ٣٧٨ ـ ٣٨٢، والتيسير ٢٢٣.

(٨) معاني القرآن وتفسير الطبري، وإعراب ثلاثين سورة، والكشف والتيسير وكلها كالسابق.

«طَحَوْتُ» و«تَلَوْتُ». فإذا كانت رابعة فصاعداً أمالوا، وكانت الإمالة هي الوجه، لأنها حينئذ قد انقلبت الى الياء. ألا ترى أنك تقول «غَزَوْتُ» و«أغْزَيْتُ» ومثل ذلك ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾ [الشمس][1] و﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [الأعلى][2] و﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [الليل][3] أمالَها لأنّها رابعة، و«تَجلّى» فَعلْتُ منها بالواو، لأنها من «جَلَوْت» و«زكا» من «زَكَوْتُ يزكو» و﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾ [الشمس][4] من «الغشاوة».

وقد يُميل ما كان منه بالواو نحو (تلاها) و(طَحاها) ناسٌ كثير[5]، لأنّ الواو تنقلب الى الياء كثيراً، مثل قولهم في (حُور) (حِير) وفي «مَشُوب» «مَشِيب» وقالوا «أرضٌ مَسْنِيّة» اذا كان يسنوها المطر. فأمالوها الى الياء، لأنها تنقلب اليها.

وأمالوا كلّ ما كان نحو «فَعْلى» و«فُعْلى» نحو «بُشرى» و«مَرْضى» و«سَكْرى»، لان هذا لَوْ ثُنّيَ كان بالياء فمالوا إليها.

وأمّا قوله تعالى ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [الآية ١٠]، وبها نَقرأ. فيعني «يكذبونَ على الله وعلى الرسل». جعل السياق «ما» والفعل اسماً للمصدر، كما جُعِل «أنْ» والفعل اسماً للمصدر في قوله «أُحبُّ انْ تأتيني»، وأمّا المعنى فإنّما هو «بكَذِبِهِم» و«تَكْذيبِهِم». وأدخلت «كان»، لتخبر أنه كان فيما مضى، كما تقول: «ما أحسنَ ما كانَ عبدُ الله» فأنت تتعجَّبُ من عبد الله لا من «كونه». وإنّما وقع التعجُّبُ في اللفظ على كونه؛ وبعضهم[6] قرأ: (بما

---

(١) الكشف ١/ ١٨١، و٢/ ٣٧٨ و٣٨٢، والتيسير كالسابق.

(٢) حجة ابن خالويه ٣٤٠، والتيسير ٢٢١.

(٣) السبعة ٦٨٨و٦٨٩، والكشف كالسابق، والتيسير ٢٢٤.

(٤) الكشف ١/ ١٨١، و٢/ ٣٧٨ و٣٨٢، والتيسير ٢٢٣.

(٥) لم نجد ما يدلّ على القبائل التي تقولها، ولكن عُزي إلى قريش ومن جاورها من كنانة، إيثار الياء في الفعل المبني للمجهول من الأجوف الواوي، البحر ١/ ٦١.

(٦) الذي عليه رسم المصحف تخفيف الذال وهي القراءة المنسوبة في تفسير الطبري ١/ ٢٨٤ إلى أعظم قراء أهل الكوفة، وفي السبعة ١٤١ إلى عاصم وحمزة والكسائي، وفي حجّة الفارسي ٢٤٧، كذلك وفي الجامع ١/ ١٩٨، كذلك وفي الكشف ١/ ٢٢٧، والتيسير ٧٢، أما في حجّة ابن خالويه ٤٥، فبلا نسبة. أمّا «يكذّبون»

كانوا يُكَذِّبُونَ) على معنى يجحدون، لأن الجُحُودَ كُفر. وقال ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر/٩٤] وليس هذا في معنى «فاصدع بالذي تؤمر به». لو كان هذا المعنى لم يكن كلاماً حتى تجيء بـ «به» ولكن «أصدع بالأمر» جعل «ما تؤمر» اسما واحداً. وقال ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ [آل عمران/١٨٨] يقول «بالإتيان» يجعل «ما» و«أتَوْا» اسما للمصدر. وإنْ شئتَ قلت: «أتَوْا» ها هنا «جاؤوا» كأنه يقول: « بما جاؤوا» يريد «جاءوه» كما تقول «يفرحون بما صنعوا» أي «بما صنعوه» ومثل هذا في القرآن كثير. وتقديره «بكونهم يكذبون» فـ «يكذبون»[1] مفعول لـ «كان» كما تقول: «سرني زيد بكونه يعقل» أي: بكونه عاقلا.

وأما قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ﴾ [الآية ١١] فمنهم من يضمّ أوله، لأنه في معنى «فُعِلَ» فيريد أن يترك أوله مضموما ليدل على معناه[2]، ومنهم من يكسره، لأنّ الياء الساكنة لا تكون بعد حرف مضموم والكسر القياس[3]. ومنهم من يقول في الكلام: «قد قُولَ له» و«قد بُوعَ المتاع» إذا أراد «قَدْ بِيع» و«قِيل». جعلها واواً حين ضمّ ما قبلها، لأنّ الياء الساكنة لا تكون بعد حرف مضموم. ومنهم من يروم الضمّ في «قُيل» مثل رَوْمِهم الكسر في «رِدُّ»، لغةً لبعض العرب ان يقولوا «رِدَّ» فيكسرون الراء ويجعلون عليها حركة الدال التي في موضع العين. وبعضهم لا يكسر الراء ولكنه يُشِمّها الكسر، كما يروم في «قيل» الضم. وقال

- بالتضعيف فهي في تفسير الطبري ١/ ٢٨٤ قراءة أعظم قراء أهل المدينة والحجاز والبصرة وفي السبعة ١٤١ قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وفي حجّة الفارسي ٢٤٧ كذلك ، وفي البحر ١/ ٦٠ قراءة الحرميين والعربيين. وفي الكشف ١/ ٢٢٧ والتيسير ٧٢ قراءة غير الكوفيين، وفي حجّة ابن خالويه ٤٥ فبلا نسبة.

(١) عاد إلى الكلام على الآية العاشرة.

(٢) نسبت قراءة الضم في السبعة ١٤١ إلى الكسائي، و١٤٢ إلى ابن عامر وهشام بن عمار، وفي حجّة الفارسي ٢٥٥ أغفل ابن عامر، وفي الكشف ١/ ١١٩ والتيسير ٧٢ والبحر ١/ ٦١، كذلك أضاف البحر أنها لغة كثير من قيس وعقيل ومن جاورهم، وعامة بني أسد. وفي حجّة ابن خالويه ٤٥ بلا نسبة.

(٣) في السبعة ١٤٢، أنها قراءة نافع وابن كثير وعاصم، ابن عمرو وحمزة، وفي حجّة الفارسي ٢٥٥و٢٥٦ بإضافة ابن عامر، وفي الكشف ١/ ٢٢٩ أنها لغير هشام الكسائي وفي التيسير ٧٢، والبحر ١/ ٦١، وفي الأخير أنها لغة قريش.

الفرزدق[1] [من الطويل وهو الشاهد الثالث والعشرون]:

وما حِلُّ مِنْ جَهْلٍ حُبا حُلَمائِنا
ولا قائلُ المعروفِ فينا يُعَنَّفُ[2]

سمعناه ممّن ينشده من العرب هكذا.

وأمّا قوله تعالى ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [الآية ١٣] فقد قرأهما قوم مهموزتين جميعاً[3]، قرأوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾[4] [الآية ٦] ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر/٤٣][5] وقرأوا ﴿أَءِذَا﴾[6] ﴿أَءِنَّا﴾[7] كل هذا، يهمزون فيه همزتين؛ وكل هذا، ليس كلام العرب، إلاّ شاذاً[8]. ولكن اذا اجتمعت همزتان شتّى ليس بينهما شيء فان إحداهما تُخفّف في جميع كلام العرب إلاّ في هذه اللغة الشاذة القليلة، وذلك أنّه إذا اجتمعت همزتان في كلمة

---

(١) هو همّام بن غالب بن صعصعة، ترجمته في الاغاني (بولاق) ٨/١٨٦و١٩/٢، والشعر والشعراء ١/٤٧١، وطبقات فحول الشعراء ٢/٢٩٩.

(٢) في الديوان ٢/٥٦١ بـ (حل)، و(قائل بالعرف)، وفي الكتاب ٢/٢٦٠ كرواية الاخفش، وفي اللسان «حبا» كذلك.

(٣) في السبعة ١٣٧ ، أنها قراءة نافع وفي ١٣٨ قراءة عاصم وحمزة والكسائي، والكشف ١/٧٦ الكوفيين وابن عامر، والبحر ١/٦٨ كذلك، والتيسير ٣٤ لغير أبي عمرو والحرميين، وحجّة ابن خالويه ٤٦، والجامع ١/٢٠٦ بلا نسبة.

(٤) في السبعة ١/١٣٥ قراءة عاصم، وحمزة والكسائي، اذا حقّق، وابن عامر؛ وحجّة الفارسي ١٨٣، كذلك الجامع١/١٨٥، كذلك مع امهال ابن عامر، وتحقيق الكسائي. وفي الكشف ١/٧٣و٧٤ إلى اهل الكوفة وابن ذكوان، وفي التيسير ٣٢ إلى غير الحرميين ، ولا أبي عمرو أو ابن كثير أو نافون أو هشام ٢، وفي حجة ابن خالويه ٤٢ بلا نسبة.

(٥) وفي الكشف ٢/٢١٢ إلى غير حمزة أو هشام.

(٦) أ: الواقعة ٥٦/٤٧، في السبعة ٦٢٣ إلى ابن عامر، وفي ٢٨٥ إلى الكسائي، وفي حجّة ابن خالويه ٣١٣ بلا نسبة، بـ النازعات ٧٩/١١ في السبعة ٦٧٠ إلى الكسائي وعاصم وحمزة.

(٧) أ: الواقعة ٥٦/٤٧ في السبعة ٦٢٣ إلى ابن عامر وفي ٢٨٥ إلى الكسائي ونافع وفي الحجة بلا نسبة ، ب: النازعات ٧٩/١٠ في السبعة ٦٧٠ إلى الكسائي وعاصم وحمزة وفي الكشف ١/٧٥ إلى الكوفيين وابن عامر.

(٨) في اللهجات والتراث ٢٥٧، أنّ التحقيق لهجة غير الحجاز، وفي ٢٥٨ هي لهجة قبائل شرق الجزيرة كتميم وغيرها، وفي ٢٥٩ هي لهجة تميم، وتميم الرباب وغنى، وعكل، وأسد، وعقيل، وقيس، وبنو سلامة، من أسد.

واحدة، أبدلوا الآخرة منهما أبداً، فجعلوها، إن كان ما قبلها مفتوحاً، ألفا ساكنة، نحو «آدم» و«آخر» و«آمن» وإن كان ما قبلها مضموماً، جعلت واواً، نحو « أُوْزُزْ» اذا أمرته ان يَؤُز، وإن كان ما قبلها مكسوراً، جعلت ياءً، نحو « إِيْتِ»؛ وكذلك إنْ كانت الآخرة متحركة، بأي حركة كانت، والأُولى مضمومة، او مكسورة، فالآخرة تتبع الأولى نحو «أن أفعل» من «أأب» فتقول «أووب». ونحو «جاءٍ» في الرفع والنصب والجر. فاما المفتوحة، فلا تتبعها الآخرة إذا كانت متحركة، لأنها لو تبعتها جعلت همزة مثلها. ولكن تكون على موضعها، فإنْ كانت مكسورة، جعلت ياء، وإنْ كانت مضمومة جعلت واواً، وان كانت مفتوحة جعلت أيضاً واواً لأنَّ الفتحة تشبه الألف. وأنت إذا احتجت إلى حركتها، جعلتها واواً، ما لم يكن لها أصل في الياء معروف، فهذه الفتحة ليس لها أصل في الياء فجعلت الغالب عليها الواو، نحو «آدم» و«أوادم».

فلذلك جُعلت الهمزتان اذا التقتا، وكانتا من كلمتين شتّى، مخففة إحداهما، ولم يبلغ من استثقالهما، ان تُجعلا مثل المجتمعتين في كلمة واحدة. ولأن اللتين في كلمة واحدة، لا تفارق إحداهما صاحبتها، وهاتان تتغيران عن حالهما وتصير كلُّ واحدة منها على حالها أثقل منهما كلمتين لأنَّ ما في الكلمتين: كلُّ واحدة على حالها، فتخفيف الآخرة أقيس؛ كما أبدلوا الآخرة حين اجتمعتا في كلمة واحدة، وقد تُخفف الاولى. فمن خفف الآخرة في قوله ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ﴾ قال(السفهاء ولا) فجعل الألف في (ألا) واواً[1]. ومن خفَّف الأولى، جعل الألف التي في (السفهاء) كالواو، وهَمَزَ ألف (ألاَ)[2]. وأمّا ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ فإنَّ الأولى لا تُخَفَّفُ، لأنها أوّل الكلام.

والهمزة، اذا كانت أوّلَ الكلام لم تُخفَّف، لأن المخفَّفة ضعفت، حتى صارت كالساكن، فلا يُبتدأ بها. وقد

(١) الكشف ١/ ٧٨. وفي التيسير ٣٤ قراءة الحرميين وأبي عمرو وفي الجامع ١/ ٢٠٦ قراءة أهل المدينة وأبي عمرو، وفي البحر ١/ ٦٨ قراءة الحرميين وأبي عمرو.

(٢) في السبعة ١٣٨ بإسقاط الأولى إلى أبي عمرو، وفي الجامع ١/ ٢٠٦. والبحر ١/ ٦٨ بلا نسبة.

قرأ بعض العرب: (آإذا)[1] و(آأنذرتهم)[2] «آأنا قلت لك كذا وكذا»، فجعل ألف الاستفهام، إذا ضمت الى همزة، يُفصل بينها وبينها بألف، لئلاّ تجتمع الهمزتان. كل ذا قد قيل، وكل ذا قد قرأه الناس. وإذا كانت الهمزة ساكنة، فهي في لغة هؤلاء الذين يُخففون، ان كان ما قبلها مكسوراً ياء، نحو (أنبيهم بأسمايهم)[3] ونحو (نَبِّينا)[4]. وإن كان مضموماً جعلوها واواً نحو «جونَه»[5]، وان كان ما قبلها مفتوحاً جعلوه ألِفاً نحو «راس» و«قاس». وإن كانت همزة متحرّكة بعد حرف ساكن، حرّكوا الساكن بحركة ما بعده، وأذهبوا الهمزة يقولون في «في الأرض»: (فِلَرْض)[6] وفي ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ [الأعراف/٥١][7]: (مِنِلاهٍ)[8] يُحرّكون الساكن بالحركة التي كانت في الهمزة، أيّ حركة كانت، ويحذفون الهمزة.

وإذا اجتمعت همزتان من كلمتين شتّى، والأولى مكسورة، والآخرة مكسورة، فأردت ان تخفّف الآخرة، جعلتها بين الياء الساكنة وبين الهمزة، لأنّ الياء الساكنة تكون بعد المكسورة، نحو «هؤلاء يماء الله»، تجعل الآخرة بين بين والأولى محققة. وان كانت الآخرة مفتوحة، نحو «هؤلاءِ أَخواتُك»، أو مضمومة، نحو «هؤلاءِ أُمّهاتُك» لم تُجعل بين بين، وجُعلت

(١) أ: الواقعة ٥٦/٤٧. وفي الحجة ٣١٣، بلا نسبة ب. النازعات ٧٩/١١ (انظر ما سبق).

(٢) البقرة ٢/٦ في السبعة ١٣٤ إلى أبي عمرو، وفي ١٣٥ في رواية إلى نافع. وفي حجّة الفارسي ١٨٣ إلى ابن كثير ونافع وأبي عمرو وفي الكشف ١/ ٧٤ إلى أبي عمرو وقالون عن نافع وهشام عن ابن عامر، مع تخفيف الثانية. وفي التيسير ٣٢ إلى قالون وهشام في رواية ، وفي الجامع ١/ ١٨٥ إلى ابن أبي اسحاق وفي البحر ١/ ٤٧ إلى ابن هشام، او ابن عباس، وابن أبي اسحاق.

(٣) البقرة ٢/ ٣٣ وهي في السبعة ١٥٣ قراءة منسوبة إلى ابن عامر، وفي حجّة ابن خالويه ٥١ كذلك، وفي المحتسب ٦٦ إلى الحسن، وفي شواذ ابن خالويه ٤ إلى ابن أبي عبلة، وفي البحر ١/ ١٤٩ بلا نسب، أما في المعاني ١/ ٢٦ فلم يعز قراءة.

(٤) سورة يوسف ١٢/٣٦.

(٥) في اللسان «جون» أنّ الفارسي، كان يفضل ترك الهمز فيها. وفي المزهر ٢/ ٢٧٦ أنها لغة قريش.

(٦) لم نجد من قرأ بهذا.

(٧) ورد هذا التركيب في تسعة مواضع من القرآن الكريم، أوّلها الأعراف ٧/ ٥٩، وآخرها المؤمنون ٢٣/ ٣٢.

(٨) لم نجد من قرأ بهذا.

ياء خالصةً، لانكسار ما قبلها، لأنك إنّما تجعل المفتوح، بين الألف الساكنة وبين الهمزة، والمضموم بين الواو الساكنة وبين الهمزة، اذا أردت بين بين، وهذا لا يثبت بعد المكسور. وإن كان الأوّل مهموزاً أو غير مهموز، فهو سواء إذا أردت تخفيف الآخرة، ومن ذلك قولهم «مِئِين» و«مَئِير» في قول من خفّف. وإن كان الحرف مفتوحاً، بعد همزة مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة، جُعلت بين بين، لأن المفتوح تكون بعده الألف السّاكنة والياء الساكنة، نحو «البَيْع»، والواو الساكنة نحو «القَوْل» وهذا مثل ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾ [النحل/٤٨] و﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج/٦٥](١) و(آاذا) و(آانا) اذا خففت الآخرة في كل هذا جعلتها بين بين. والذي نختاره تخفيف الآخرة اذا اجتمعت همزتان، إلاّ أنّا نحقّقهما في التعليم كلتيهما، نريد بذلك الاستقصاء. وتخفيف الآخرة قراءة أهل المدينة، وتحقيقهما جميعا قراءة أهل الكوفة، وبعض أهل البصرة. ومن زعم أنّ الهمزة لا تتبع الكسرة اذا خففت وهي متحركة، وإنّما تُجعل في موضعها، دخل عليه ان يقول «هذا قارِؤٌ» و«هؤلاء قارِؤُونَ» و(يستهزوون)(٢)، وليس هذا كلام من خفّف من العرب، وإنّما يقرأون (يستهزِئون) و(قارِئون).

واذا كان ما قبل الهمزة مضموما، وهي مضمومة، جعلتها بين بين. وان كانت مكسورة أو مفتوحة، لم تكن بين بين، وما قبلها مضموم، لأن المفتوحة بين الألف الساكنة والهمزة، والمكسورة بين الياء الساكنة والهمزة. وهذا لا يكون بعد المضموم، ولكن تجعلها واواً بعد المضموم، إذا كانت مكسورة أو مفتوحة فتجعلها واواً خالصة لأنّهما يتبعان ما قبلهما نحو «مررت بأكمُوٍ» و«رأيت أكمُواً» و«هذا غلامُوَبيكَ» تجعلها واوا، اذا أردت التخفيف، إلاّ أن تكون المكسورة مفصولة، فتكون على موضعها لأنها قد بعدت.

والواو قد تقلب الى الياء مع هذا،

(١) في الكشف ١/٧٥ أنّ التخفيف في الثانية قراءة الكوفيين ، وابن ذكوان، وورش، وابن كثير، وأنّ قالون وأبا عمرو، خففا عن نافع، وخفّض هشام عن ابن عامر، مع وضع ألف بين الهمزتين.

(٢) ورد هذا التعبير في ١٤ موضعاً من القرآن الكريم، أوّلها في الأنعام ٦/٥، وآخرها في الأحقاف ٤٦/٢٦.

وذلك نحو «هذا غلاميخوانك» و(لا يَحيقُ المكر السيّئ يلاّ)[1].

وإذا كانتا في معنى «فُعِلَ»، والهمزة في موضع العين، جعلت بين بين، لأنّ الياء الساكنة تكون بعد الضمة، ففي «قُيْلَ» يقولون «قِيلَ»، ومثل ذلك «سُيِلَ» و«رُيِس»، فيجعلها بين بين اذا خففت، ويُترك ما قبلها مضموماً. وأمّا «رُوِس» فليست «فُعِلَ»، وإنّما هي «فُعْلَ»، فصارت واواً، لأنها بعد ضمة معها في كلمة واحدة.

وقوله ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ [الآية ١٤] فأذهب الواو لانه كان حرفاً ساكناً لقي اللام وهي ساكنة، فذهبت لسكونه، ولم تَحتَجْ إلى حركته، لأنّ فيما بقي دليلاً على الجمع. وكذلك كل واو ما قبلها مضموم تكون من هذا النحو. فاذا كان ما قبلها مفتوحاً، لم يكن بد من حركة الواو، لانك لو التقيتها لم تستدل على المعنى نحو ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [الآية ١٦][2] وحرّكت الواو بالضم لانك لو قلت «اشتر الضلالة» فألقيت الواو لم تعرف أنه جمع، وإنّما حركتها بالضم لأنّ الحرف الذي ذهب من الكلمة مضموم، فصار يقوم مقامه. وقد قرأ قوم، وهي لغة لبعض العرب (اشْتَرَوِا الضلالة)[3] لمّا وجدوا حرفاً ساكناً، قد لقي ساكناً، كسروا كما يكسرون في غير هذا الموضع، وهي لغة شاذة.

وأمّا قوله ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [الآية ١٤] فإنّك تقول «خلوت الى فلان في حاجة»[4] كما تقول: «خلوت بفلان» إلاّ أنّ «خلوت بفلان» له معنيان: أحدهما هذا، والآخر سخِرْتُ به. وتكون «إلى» في موضع «مَعَ» نحو ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران/ ٥٢][5]

(١) فاطر ٣٥/ ٤٣. ونسبت في الكشف ٢/ ٢١٢ إلى حمزة، وفي التيسير ١٨٣ نسب تحويل الهمزة الثانية إلى ياء في الوقف، إلى حمزة او أبي عمرو، وعبارته لا توحي بتحديد ولا وضوح فيها. وعبارة الأخفش لا واو فيها، تحولت إلى ياء قط.

(٢) وضم الواو القراءة التي عليها الجمهور من القراء. السبعة ١٤٣ ، وحجّة الفارسي ٢٧٧، والكشف ١/ ٢٧٥ والمشكل ١/ ٢٠، والجامع ١/ ٢١٠، والبحر ١/ ٧١.

(٣) في الشواذ ٢ إلى يحيى بن يعمر. وأضاف المحتسب ٥٤ ابن أبي اسحاق وأبا السمال، وأسقط الجامع ١/ ٢١٠ أبا السمال. وفي الكشف ١/ ٢٧٥، والمشكل ١/ ٢٠، والبحر ١/ ٧١ بلا نسبة.

(٤) في البحر ١/ ٦٨ قال الاخفش: «خلوت اليه» جعلته غاية حاجتي.

(٥) وسورة الصف ٦١/ ١٤ وفي اللسان (خلا) نقلت هذه الآراء كلها ونسبت إلى اللحياني.

كما كانت «من» في معنى (على) في قوله تعالى﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأنبياء/ ٧٧] اي: على القوم، وكما كانت الباء في معنى «على» في قوله «مَرَرتُ بِهِ» و«مَرَرْتُ عليه». وفي كتاب الله عز وجل ﴿مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ﴾ [آل عمران/ ٧٥] يقول «على دينار». وكما كانت «في» في معنى «على» نحو ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه/ ٧١]. ويقول «على جُذوعِ النَخْلِ». وزعم يونس[1] ان العرب تقول: «نزلت في أبيك» تريد «عليه» وتقول: «ظفِرتُ عليه» أي «بِهِ» و«رضيتُ عليه» أي: «عَنْه» قال الشاعر[2] [من الوافر وهو الشاهد الرابع والعشرون]:

اذا رَضِيتْ عَلَيَّ بنو قُشَيْرٍ
لَعَمْرُ اللهِ أعجبَني رِضاها

وأما قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾ فهو في معنى «ويَمُدُّلَهمُ» كما قالت العرب: «الغلام يلعب الكِعابَ» تريد «يلعب[3] بالكعاب» وذلك أنهم يقولون «قد مَدَدْتُ له» و«أمْدَدْتُه» في غير هذا المعنى، وهو قولُه جلّ ثناؤه ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ [الطور/ ٢٢] وقال ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩﴾ [الكهف]. وقرأ بعضهم (مِدادا) و(مَدّا) مِنْ «أمْدَدْناهُم» وتقول «مَدّ النهرُ فهو مادّ» و«أمَدّ الجُرح فهو مُمِدّ». وقال يونس: «ما كان من الشرّ فهو «مدَدْت» وما كان من الخير فهو «أمْدَدْت»[4]. فتقول كما فسرت له، فاذا أردت أنك تركته قلت: «مَدَدْتُ له»[5] واذا أردت أنك اعطيته، قلت: «أمْدَدْتُه»[6].

---

(١) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبّي الإمام النحوي البصري، ولد سنة أربع وتسعين للهجرة، وتوفي سنة اثنين وثمانين ومئة، انظر ترجمته في أخبار النحويين ٢٧، ومراتب النحويين ٢١، وطبقات النحويين ٥١، وإنباه الرواة ٤/ ٦٨، وبُغْية الوعاة ٤٢٦.

(٢) هو القحيف بن حمير بن سليم الندي العقلي. وانظر مجاز القرآن ٢/ ٨٤ بلفظ «العمر أبيك» ولا عزو، والكامل ٢/ ٥٣٨ و٣/ ٨٢٤ معزوا إلى العامري، وأدب الكاتب ٣٩٥ معزواً إلى القحيف العقيلي، وشرح شواهد المغني ١٤٢ معزواً إليه، كذلك وانظر شرح العيني ٣/ ٢٨٢، والخزانة ٤/ ٢٤٧.

(٣) يلعب الثانية مستدركة من الهامش.

(٤) في التكملة «مدد» قال يونس: ما كان من الخير فإنك تقول: «أمْدَدْته»، وما كان من الشر فإنك تقول «مَدَدْته» وفي اللسان «مدد» العبارة نفسها تقريبا.

(٥) في الأصل «مددت» والزيادة من الجامع ١/ ٢٠٩.

(٦) في الجامع ١/ ٢٠٩ حكي عن الأخفش: مددت له إذا تركته، وأمددته إذا أعطيته.

وقوله تعالى ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ [الآية ١٦] فهذا على قول العرب: «خاب سعيُك» وإنّما هو الذي خاب، وإنّما يريد « فما رَبحوا في تجارتهم» ومثله ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[1] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [الآية ١٧٧] إنّما هو «ولكنّ البِرّ برُّ من آمنَ بالله»[2] وقال الشاعر[3] [من المتقارب وهو الشاهد الخامس والعشرون]:

وكيفَ تُواصِلُ من أصبحتْ
خَلالتُهُ كأبي مَرْحَبِ[4]

وقال الشاعر[5] [من الطويل وهو الشاهد السادس والعشرون]:

وَشَرُّ المنايا مَيِّتٌ وَسْطَ أهلِهِ
كهُلْكِ[6] الفتاةِ أسلَمَ الحيّ حاضِرُهْ[7]

إنما يريد «وشر المنايا منية ميّت وسط أهله»، ومثله: «أكثرُ شربي الماءُ» و«أكثر أكلي الخبزُ» وليس أكلك بالخبز ولا شربك بالماء. ولكن تريد أكثر أكلي أكل الخبز وأكثر شربي شرب الماء. قال تعالى﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف/٨٢] يريد: «أهل القرية»، ﴿وَٱلۡعِيرَ﴾ [يوسف/٨٢] أي: «واسأل أصحاب العِير». وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ﴾ [الآية ١٧١] فكأنّه يريد ـ والله أعلم ـ «مثلُكم ومثلُ الذين كَفَرُوا كمثلِ الناعقِ والمنعوقِ بِهِ». فحذف هذا الكلام، ودلّ ما بقي على معناه. ومثل هذا في القرآن كثير. وقد قال بعضهم ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ﴾ يقول «مثلُهم في دعائِهم الآلهةَ كمثلِ الذي ينعِق بالغَنَم» لان ـ آلهتهم لا تسمعُ ولا تعقل، كما لا تسمع الغنم ولا تعقل.

وقوله تعالى ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ

---

(١) سبأ ٣٤/٣٣. وفي إعراب القرآن ٢/ ٨٨٠ والجامع ١٤/ ٣٠٢ عن الأخفش «هذا مكر الليل والنهار».

(٢) عبارة الكتاب ١/ ١٠٨ نفسها.

(٣) هو النابغة الجعدي أبو ليلى عبد الله بن قيس.

(٤) شعر النابغة الجعدي ٢٦، وفي الكتاب ١/ ١١٠ للمعنى نفسه، وفي مجالس ثعلب ٧٧ بـ «يصاحب» بدل «تواصل»، وفي الأمالي ١/ ١٩٢ بـ «تصادق» وانظر اللسان «خلل»، والصحاح «خلل»، والانصاف ١/ ٤٤.

(٥) هو الحطيئة جرول بن أوس العبسي.

(٦) في ديوان الحطيئة ٤٥ بلفظ «هالك» بدل «ميت»، و«ايقظ» بدل «أسلم»، وفي الكتاب ١/ ١٠٩ بلفظ «الفتى قد» بدل «الفتاة». وكذلك في الانصاف ١/ ٤٤.

(٧) عبارة تكاد تطابق عبارة الكتاب ١/ ١٠٩.

﴿نَارًا﴾ [الآية ١٧] فهو في معنى «أَوْقَدَ»، مثل قوله «فلم يستجبه» أي «فلم يُجِبْهُ» وقال الشاعر[1] [من الطويل وهو الشاهد السابع والعشرون]:

وداعٍ دعا يا من يُجيبُ الى النَّدَى
فلم يَسْتَجِبْهُ عندَ ذاكَ مُجيبُ

أي: «فلم يُجِبْهُ».

قال تعالى ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝١٧﴾ فكان (الذي) بمعنى جميعا فقال ﴿وَتَرَكَهُمْ﴾ لأن «الذي» في معنى الجميع، كما يكون «الانسان» في معنى «الناس».

وقال تعالى ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝١٧﴾ ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾ فرفع على تأويل: «هُمْ صمٌ بُكْمٌ عُمْيٌ» رفعه على الابتداء ولو كان على أوّل الكلام لكان النصب فيه حسناً.

وأما ﴿حَوْلَهُۥ﴾ [الآية ١٧] فانتصب على الظرف، وذلك أنّ الظرف منصوب. والظرف هو ما يكون فيه الشيء، كما قال الشاعر[2] [من الكامل وهو الشاهد الثامن والعشرون]:

هذا النهارَ بدا لَها من هَمِّها
ما بالُها بالليلِ زالَ زوالَها

نصب «النهارَ» على الظرف وإن شاء رفعه وأضمر فيه. وأما «زوالَها» فإنه كأنه قال: «أزالَ اللهُ الليلَ زوالَها».

وأما ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [الآية ٢٠] فمنهم من قرأ (يَخِطِفُ)[3] من «خَطَفَ»، وهي قليلة رديئة لا تكاد تُعرف[4]. وقد رواها يونس (يَخِطُّفُ)[5] بكسر الخاء لاجتماع

---

(١) هو سعد بن كعب الغنوي. والبيت في الأصمعيات ٩٦، وفي المجاز ١/ ٦٧ و١١٢ و٢٤٥ و٣٢٦، والصّحاح «جوب»، والعجز في أدب الكاتب ٤١٩.

(٢) هو الأعشى ميمون، وهو في الصبح المنير ٢٢ بضم زوالها، واللسان «زول».

(٣) في الشواذ ٣ نسبت إلى ابن مالك ومجاهد. وفي المحتسب ٦٢ إلى مجاهد والحسن. وفي الجامع ١/ ٢٢٢ إلى يونس وعلي بن الحسين ويحيى بن وثاب وفي البحر ١/ ٨٩ إلى مجاهد وعلي بن الحسين ويحيى بن زيد.

(٤) في الصحاح «خطف» بعبارة مقاربة ونقلها الجامع ١/ ٢٢٢.

(٥) في معاني القرآن ١/ ١٧ بلا نسبة، وفي الشواذ ٣، والمحتسب ٥٩، كذلك وفي الجامع ١/ ٢٢٢ إلى الحسن، وقتادة، وعاصم الجحدري، وأبي رجاء العطاردي.

الساكنين. ومنهم من قرأ (يَخَطَفُ)[1] على «خَطِفَ يخطَفُ» وهي الجيدة[2]، وهما لغتان. وقال بعضهم (يَخِطَفُ)[3] وهو قول يونس من «يَخْتَطِفُ»، فأدغم التاء في الطاء، لأنّ مخرجها قريب من مخرج الطاء. وقال بعضهم (يَخَطِّفُ) فحوّل الفتحة على الذي كان قبلها[4]، والذي كسر، كسر لاجتماع الساكنين، فقال (يَخِطِّفُ)[5] ومنهم من قال (يِخِطِّفُ)[6] كسر الخاء لاجتماع الساكنين ثم كسر الياء، أتبع الكسرة وهي قبلها وذلك في كلام العرب كثيرٌ، فهم يتبعون الكسرة في هذا الباب الكسرة، يقولون «قِتِلوا» و«فِتِحوا» يريدون: «اقتتلوا» و«افتتحوا»[7]. وقال ابو النجم[8] [من الرجز وهو الشاهد التاسع والعشرون]:

تَدافُعَ الشَّيبِ ولم تِقِتّلِ[9]

وسمعناه من العرب مكسورا كلّه، فهذا مثل «يِخِطِف» إذا كسرت ياؤها (لكسرة خائها) وهي بعدها فأتبع الآخر الاول.

وقوله تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ [الآية ٢٠] فمنهم، من يدغم

---

(١) في السبعة ١٤٦ هي اتفاق، وحجّة الفارسي ٢٩٤ كذلك.

(٢) في الصحاح «خطف» بعبارة مقاربة، وفي الجامع ١/ ٢٢٢ كذلك.

(٣) في معاني القرآن١/ ١٨، والجامع ١/ ٢٢٢ بلا نسبة.

(٤) في معاني القرآن ١/ ١٨ بلا نسبة، وفي الشواذ ٣ إلى الأعمش، وفي البحر ١/ ٩٠ إلى الحسن والجحدري وابن أبي إسحاق، وفي الجامع ١/ ٢٢٢ إلى الحسن وحده، وفي اللسان (خطف) اليه ايضاً.

(٥) وفي الشواذ ٣ بلا نسبة، وفي الجامع ١/ ٢٢٢ إلى الحسن أيضاً وقتادة وعاصم الجحدري وأبي رجاء العطاردي، وفي البحر ١/ ٩٠ كذلك.

(٦) في معاني القرآن ١/ ١٧ بلا نسبة، وفي الشواذ ٣ إلى الاعمش، وفي المحتسب ٥٩ بلا نسبة، وفي الجامع ١/ ٢٢٢ بلا نسبة، وفي البحر ١/ ٩٠ إلى الحسن والأعمش، وفي إعراب القرآن ١/ ٢٥ بلا نسبة. وفي اللسان «خطف» إلى الحسن.

(٧) قياساً على الشاهد الشعري اللاحق يبدو أنّ هذه لغة عجلية أو نجدية كما يوحي هامش ٣/هـ ٨٢٠ من الكامل للمُبَرِّد.

(٨) هو أبو النجم الفضل بن قدامة العجلي. طبقات الشعراء ٢/ ٧٣٧، الشعر والشعراء ٦٠٣، ومعجم المرزباني ١٨٠، والكامل للمبرد ٣/ ٨١٩، والاغاني (بولاق) ٩/ ٧٧.

(٩) في اللسان (قتل) بـ «تدافعَ الشيبُ ولم تقتِل» وفي «فلن» تدافعَ الشِّيبِ ولم تُقَتِّلِ. وفي المقاصد النحوية ٤/ ٢٢٨ بلا شكل. والخزانة ١/ ٤٠١ كذلك.

ويسكن الباء الاولى لانهما حرفان مثلان[1]. ومنهم، من يحرّك فيقول (لذَهَبَ بِسَمْعِهِم)[2] وجعل «السَمْع» في لفظ واحد، وهو جماعة، لأنّ «السَمْعَ» قد يكون جماعة و«قد يكون واحداً، ومثله قوله تعالى﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [الآية ٧] ومثله قوله تعالى﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [ابراهيم/ ٤٣] وقوله تعالى ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء/ ٤] ومثله ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر/ ٤٥].

وقوله ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [الآية ٢٢] فقطع الألف، لانه اسم تثبت الألف فيه في التصغير، فاذا صغّرت قلت: «أُنَيْداداً». وواحد «الأنداد»: نِدٌّ. و«النِدُّ»: المِثْل.

وقوله تعالى ﴿ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [الآية ٢٤] فـ «الوَقُودُ»: الحطب. و«الوُقُودُ» الاتقادُ وهو الفعل. يقرأ ﴿ٱلْوَقُودِ﴾[3] و (الوُقود)[4] ويكون أن يعني بها الحطب، ويكون أن يعني بها الفعل. ومثل ذلك «الوَضُوءُ» وهو: الماء، و«الوُضُوءُ» وهو الفعل، وزعموا أنهما لغتان في معنى واحد[5].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية ٢٥] فجرُّ «جناتٍ» وقد وقعت عليها «أنَّ»، لأنَّ كلَّ جماعة في آخرها تاء زائدة، تذهب في الواحد، وفي تصغيره، فنصبها جرّ، ألا ترى أنّك تقول: «جَنّة» فتذهب التاء. وقال أيضاً ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأنعام/ ١][6] و«السماوات» جرّ،

---

(١) في السبعة ١١٦ أنه مذهب أبي عمرو.

(٢) في السبعة ١١٣ أنه مذهب نافع، و١١٥ مذهب ابن كثير، و١١٦ مذهب عاصم، و١٢٢ مذهب حمزة، و١٢٣ مذهب الكسائي وابن عامر.

(٣) قراءة الفتح في الجامع ١/ ٢٣٦ بلا نسبة، وفي الإملاء ١/ ٢٥ إلى الجمهور، وفي البحر ١/ ١٠٧ إلى الجمهور.

(٤) قراءة الضمّ في الشواذ ٤ إلى مجاهد وطلحة، وفي الجامع ١/ ٢٣٦ أضاف الحسن، وفي البحر ١/ ١٠٧ زاد الحسن باختلاف، ثم أبا حياة، وعيسى بن عمر الهمداني.

(٥) في إعراب القرآن ١/ ٣٠ نقل السراي، وأشار إلى اللغتين أيضا ولم يعزهما، وفي الصّحاح «وضء» نقل عبارة الاخفش بنصّها تقريبا، وذكره، ويقرب من ذلك ما في الجامع ١/ ٢٣٦، ولم نعثر على معاد كلّ من اللغتين، وإن كان ما في اللهجات العربية ١٩١ ـ ١٩٦ يشير إلى أنّ الضمّ سمة من سمات لهجة البدو وتميم، وأن الفتح سمة لهجة الحضر وأهل الحجاز.

(٦) ورد هذا التعبير في القرآن الكريم مرات كثيرة، أوّلها الانعام ٦/ ١؛ انظر المعجم المفهرس «الأرض».

و«الأرضَ» نصب، لأنَّ التاء زائدة. ألا ترى أنك تقول: «سماء»، و﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ [الأحزاب/٦٧][1] لان هذه، ليست تاء، إنّما هي هاء، صارت تاءً بالاتصال، وإنّما تكون تلك في السكوت، ألا ترى أنك تقول: «رأيتُ ساده» فلا يكون فيها تاء. ومن قرأ (أطعنا ساداتِنا)[2] جرّ لأنك اذا قلت: «ساده» ذهبت التاء. وتكون في السكت فيها تاء، تقول: «رأيت ساداتٍ»، وإنّما جّروا هذا في النصب، لِيُجعلَ جرّه ونصبه واحداً، كما جعل تذكيره في الجر والنصب واحداً، تقول: «مسلمين و«صالحين» نصبه وجره بالياء. وقوله تعالى﴿بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور/٢٧] و﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ [الحجرات/٢] فإنَّ التاء من اصل الكلمة تقول «صوت» و«صويت» فلا تذهب التاء، و«بيت» و«بُوَيْت» فلا تذهب التاء. وتقول: «رأيت بُوَيْتاتِ العربِ» فتجرّ، لأن التاء الآخرة زائدة، لأنك تقول: «بيوت»، فتسقط التاء الآخرة. وتقول: «رأيت ذواتِ مال» لأن التاء زائدة، وذلك لأنك لو سكتّ على الواحدة لقلت: «ذاه» ولكنها وصلت بالمال فصارت تاء لا يُتَكَلَّمُ بها إلا مع المضاف اليه.

وقوله تعالى ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [الآية ٢٥] لأنه في معنى «جيئوا به»، وليس في معنى «أُعْطُوهُ». فأمّا قوله: ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ فليس أنّه أشبهَ بعضُه بعضاً، ولكنّه متشابه في الفضل.

أي: كل واحد له من الفضل في نحوه، مثل الذي للآخر في نحوه.

وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن﴾ [الآية ٢٦] فـ «يَسْتَحْيِي» لغة أهل الحجاز[3] بياءين وبنو تميم يقولون

---

(١) الأحزاب ٣٣/ ٦٧، وفي الطبري ٢٢/ ٥٠ إلى عامة قرّاء الأمصار، وهي الراجحة ؛ وفي السبعة ٥٢٣ إلى غير ابن عامر، وفي حجة ابن خالويه ٢٦٥ بلا نسبة ، وفي الكشف ٢/ ١٩٩ مثل السبعة، وكذلك في التيسير ١٧٩، وفي البحر ٧/ ٢٥٢ إلى الجمهور، وفي الكشاف ٣/ ٥٦٢ بلا نسبة.

(٢) في معاني القرآن ٢/ ٣٥٠ إلى الحسن، وكذلك في الطبري ٢٢/ ٥٠، وهي المرجوحة ،وفي السبعة ٥٢٣ إلى ابن عامر وحده، وفي حجة ابن خالويه ٢٦٥ بلا نسبة ، وفي الكشف ٢/ ١٩٩ إلى ابن عامر، وكذلك في التيسير ١٧٩، وفي الجامع ١٤/ ٢٤٩ إلى الحسن، وفي الكشاف ٣/ ٥٦٢ بلا نسبة، وفي البحر ٧/ ٢٥٢ إلى الحسن وأبي رجاء وقتادة والسلمي وابن عامر، والعامة في الجامع في البصرة.

(٣) البحر ١/ ١٢٠ لغة الحجاز وهي قراءة الجمهور. وانظر اللهجات العربية ١٥١ و٥٤٥، والقراءات واللهجات ٣٧ ولهجة تميم ٥٦.

«يَسْتَحِي» بياء واحدة[1]، والأولى هي الأصل، لأنَّ ما كان من موضع لامه معتلا، لم يُعِلُّوا عينه. ألا ترى أنهم قالوا: «حَيِيْتُ» و«جَوِيْتُ» فلم تُعَلَّ العين. ويقولون: «قُلْتُ» و«بِعْتُ» فيُعِلُّونَ العين، لمّا لم تعتلّ اللام، وإنّما حذفوا لكثرة استعمالهم هذه الكلمة، كما قالوا «لَمْ يَكُ» و«لَمْ يَكُنْ» و«لا أدرِ» و«لا أدري».

وقال تعالى ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [الآية ٢٦][2] لأن «ما» زائدة في الكلام، وإنّما هو «إنَّ الله لا يستَحيي أن يضربَ بعوضَةً مَثَلاً». وناس من بني تميم يقولون (مَثلاً مّا بَعُوضَةٌ)[3] يجعلون (ما) بمنزلة «الذي» ويضمرون «هو» كأنهم قالوا: «لا يستحيي أن يضرب مثلاً، الذي هو بعوضةٌ» يقول: «لا يستحي أن يضرب الذي هو بعوضةٌ، مثلا».

وقوله تعالى ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ [الآية ٢٦] قال بعضهم: «أعظَم منها» وقال بعضهم: كما تقول: «فلان صَغِير» فيقول: «وفوقَ ذلك» يريد: «أصغَرُ من ذلك».

وقوله تعالى ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ﴾ [الآية ٢٦] فيكون «ذا» بمنزلة «الذي». ويكون «ماذا» اسماً واحداً، إن شئت بمنزلة «ما»، كما قال تعالى: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ﴾ [النحل/ ٣٠] فلو كانت «ذا» بمنزلة «الذي»، لقالوا «خيرٌ»، ولكان الرفع وجه الكلام. وقد يجوز فيه النصب، لأنّه لو قال: «ما الذي قلت»، فقلت «خيراً» أي: «قلت خيراً»، لجاز. ولو قلت: «ما قلت»:

---

(١) في الشواذ ٤ قراءة ابن محيصن وابن كثير، بخلاف؛ وفي الجامع ١ / ٢٤٢ أضاف أنها لغة تميم وبكر بن وائل، ولم يذكر الخلاف. وفي البحر ١/ ١٢١ قراءة ابن كثير في رواية شبل وابن محيصن ويعقوب، وهي لغة بن تميم، وفي الكشاف ١/ ١١٤ اقتصر على قراءة ابن كثير في رواية شبل، وذكر اللغتين ولم ينسبهما. وفي الإملاء ١/ ٢٦ عدها شذوذاً ولم ينسبها. وانظر اللهجات العربية ١٥١ و٥٤٥، والقراءات واللهجات ٣٧، ولهجة تميم ٥٦ . وفي الصحاح «حيا» نقلت عبارة الأخفش بنصّها تقريباً.

(٢) في معاني القرآن ١/ ٢١و٢٢ لم تنسب قراءة، وكذلك المشكل ٢٤، وفي البحر ١/ ٢٢ قراءة الجمهور.

(٣) في معاني القرآن ١/ ٢٢، علّل الرفع ولم ينسبه قراءة وفي المجاز ١/ ٣٥ أنها قراءة رؤبة وأنّها لغة تميمية ، وفي الشواذ ٤ نسب الرفع قراءة إلى رؤبة بن العجاج، وفي المحتسب ١/ ٦٤ كذلك. وفي المشكل ٢٤ ، لم ينسب قراءة، وفي الجامع ١/ ٢٤٣ نسب قراءة إلى الضحّاك وابراهيم بن أبي عبلة ورؤبة، وقال إنها لغة تميم، وفي البحر ١/ ١٢٣ أضيف قطرب أيضا. وفي الكشاف ١/ ١١٥ إلى رؤبة قراءة وفي الإملاء ١/ ٢٦ عُدّت شذوذا بلا عزو.

«فقلت»: «خيرٌ» أي: «الذي قلت خيرٌ»، لجاز؛ غير أنه ليس على اللفظ الأول، كما يقول بعض العرب، اذا قيل له: «كيف أصبحت»؟ قال: «صالحٌ» أي: «أنا صالحٌ». ويدلُّك على أنّ «ماذا» اسم واحد، قولُ الشاعر[1] [من الوافر وهو الشاهد الثلاثون]:

دَعِي ماذا علمتُ، سأتّقيهِ
ولكنْ بالمُغَيَّبِ نَبِّئيني

فلو كانت «ذا» ها هنا بمعنى (الذي) لم يكن كلاما.

وأمّا قوله تعالى ﴿عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الآية ٢٧] فـ «أنْ يُوصَل» بدل من الهاء، في «به» كقولك «مررت بالقومِ بعضِهم».

وأمّا «ميثاقه»، فصار مكان «التوثّق»، كما قال تعالى ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧﴾ [نوح] والأصل «إنباتاً»، وكما قال «العَطاء» في مكان «الإعطاء».

وقوله تعالى ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية ٢٨] فإنّما يقول كنتم تراباً ونُطَفاً فذلك ميّت. وهو سائغ في كلام العرب، تقول للثوب: «قَدْ كان هذا قُطناً» و«كان هذا الرُّطَبُ بُسْراً». ومثلُ ذلك، قولك للرجل: «اعمل هذا الثوب» إنّما معك غزل.

هذا باب من المجاز

وأمّا قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [الآية ٢٩] وهو إنما ذكر سماءً واحدة، فهذا لأنّ ذِكْرَ «السماء»، قد دلّ عليهنّ كلّهنّ. وقد زعم بعض المفسّرين، أنّ «السماء» جميع، مثل «اللبن». فما كان لفظه لفظ الواحد، ومعناه الجماعة، جاز أن يجمع، فقال ﴿سوّاهُنّ﴾ فزعم

---

(١) في الكتاب ١/ ٤٠٥ بلا عَزو، ولم يعْزُه الأعلم في الهامش؛ وفي المقاصد النحوية ١/ ١٩٦ معزوّا إلى سحيم بن وثيل الرياحي؛ وروي عن الأصمعي أنه لأبي زبيد الطائي، والى المثقّب العبدي عائذ بن محصن بن ثعلبة، وفي ١/ ٤٨٨ معزواً إلى سحيم بن وثيل الرّياحي. وفي الخزانة ٢/ ٥٥٤ ش ٤٤٤، أنه مجهول القائل، وأنكر ما زعمه العيني في المقاصد عن عزوه الى المثقب؛ وفي شرح شواهد المغني «ما» بلا عزو. وفي «أما» مَعْزُواً إلى المثقّب العبدي؛ وفي الدرر ١/ ٦٠ إنكار نسبته إلى المثقّب، ولا وجود له في شعر المثقب العبدي. وفي اللسان (أبي) منسوبا إلى أبي حية النميري، وقبله:

«أبالموت الذي لا بُدَّ أنّي   ملاقٍ، لا أباكِ تُخوّفيني»

وورد صدره في التمام ٥٢، وشذور الذهب ٣٢٨ بلا عزو.

بعضهم، أنّ قوله ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزّمّل/١٨] جمع مذكر كـ «اللّبن». ولم نسمع هذا من العرب، والتفسير الأول جيد.

وقال يونس[1]: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ ذكر كما يذكر بعض المؤنث، كما قال الشاعر[2] [من المتقارب وهو الشاهد الحادي والثلاثون]:

فــلا مُــزْنَــةٌ وَدَقَــتْ وَدْقَــهــا
ولا أرْضَ أبْــقَــلَ إبْــقــالَــهــا

وقوله[3] [من المتقارب وهو الشاهد الثاني والثلاثون]:

فــإمّــا تَــرَيْ لِــمَّــتــي بُــدِّلَــتْ
فــإنَّ الــحــوادِثَ أوْدَى بِــهــا

وقد تكون «السماء»، يريد به الجماعة، كما تقول: «هَلَكَ الشاةُ والبعيرُ»، يعني كل بعير، وكل شاة.

وكما قال تعالى ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق/١٢] أي: من الأرضين.

وأمّا قوله جل جلاله ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية ٢٩]، فإنّ ذلك لم يكن من الله تبارك وتعالى لِتَحَوُّلٍ، ولكنه يعني فعلَه، كما تقول: «كان الخَلِيفَةُ في أهْلِ العراق يوليهم ثم تحوّل الى أهلِ الشام» انما تريد[4] تحوّلَ فعلِه.

وأمّا قوله سبحانه، حكايةً على لسان الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [الآية ٣٠]، فلم يكن ذلك إنكاراً منهم، على ربّهم، إنّما سألوا ليعلموا، وأخبروا عن أنفسهم، أنّهم يُسَبّحون ويُقَدِّسون. أو قالوا ذلك، لأنّهم كرهوا أنْ يُعْصى الله، لأنّ الجنّ، قد كانت أُمِرت قبل ذلك فَعَصَت.

وأمـا قَـوْلـهُ تـعـالـى﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ

(١) هو يونس بن حبيب وقد مرت ترجمته قبلها.

(٢) هو عامر بن الجوين الطائي، الكتاب ١/ ٢٤٠، ومجاز القرآن ٢/ ٦٧، والمذكر والمؤنث للمبرّد ١١٢، وجاء برواية «أبقلت» ووصف همزة «إبقالها» في المقاصد ٢/ ٤٦٤، وجاء منسوبا إلى الخنساء في شواهد العاملي ١٥٠.

(٣) هو الأعشى ميمون بن قيس، والبيت في الصبح المنير ١٢٠ بلفظ « فإمّا تريني ولي لمّة» و«ألوى» بدل «أودى». وهو في الكتاب ١/ ٢٣٩ بلفظ رواية الأخفش، وفي مجاز القرآن ١/ ٢٦٧ بلفظ «فإن تعهديني ولي لمة»، وفي معاني القرآن ١/ ١٢٨ بلفظ: « فإن تعهدي لامرئ لمة» و«أزري» بدل «ألوى». وفي المذكر والمؤنث للمبرّد ١١٢ بلفظ «فإن تبصريني»، وفي شرح القصائد السبع الطوال ٤٠٥، بلفظ معاني القرآن.

(٤) في الأصل: يريد بالياء.

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [الآيـة ٣٠]، وقـال ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى/٥] وقال أيضاً ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر/٣] فذلك لأن الذكرَ كلُّه، تسبيح وصلاة. تقول: «قَضَيْتُ سُبْحتي من الذِكْرِ والصَّلاةِ» فقال «سَبِّح بالحَمْدِ». أي: «لتَكُنْ سُبْحَتُكَ بالحَمْدِ لله». وقوله تعالى ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ جاء على وجه الإقرار كما قال الشاعر[1] [من الوافر وهو الشاهد الثالث والثلاثون]:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطايا
وأَنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ راحِ

أي: أنتم كذلك.

وقوله جلّ شأنه ﴿ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ [الآية ٣١]، فيريد عرض عليهم أصحاب الاسماء، ويدلّك على ذلك قوله ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية ٣١]، فلم يكن ذلك، لأنّ الملائكة ادّعوا شيئاً، إنما أخبر عن جهلهم بعلم الغيب، وعلمه بذلك، وفعله، فقال تعالى: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١﴾ أي كما يقول الرجل للرجل: «أَنْبِئْني بهذا إنْ كنتَ تَعْلَمُ»، وهو يعلم أنه لا يعلم، يريد أنه جاهل. فأعظموه عند ذلك، فقالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [الآية ٣٢] بالغيب على ذلك. ونحن نعلم أنه لا علم لنا بالغيب»، إخباراً عن أنفسهم، بنحو ما خبّر الله عنهم. وقوله سبحانه ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ فنصب «سبحانَكَ» لأنه أراد «نسبّحكَ»، جعله بدلاً من اللفظ بالفعل، كأنه قال: «نُسَبِّحُكَ بِسُبْحانِكَ»، ولكن «سُبْحان» مصدر لا يتصرفُ. و«سُبْحان» في التفسير: براءة وتنزيه قال الشاعر[2] [من السريع وهو الشاهد الرابع والثلاثون]:

أقولُ لَمّا جاءَني فَخْرُهُ
سُبْحانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفاخِرِ

يقول: براءة منه.

هذا باب الاستثناء

وقوله تعالى ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الآية ٣٤]، فانتصب، لأنك شغلت

---

(١) هو جرير بن عبد الله بن الخطفي، والبيت في ديوانه ١/ ٨٩، ومجاز القرآن ١/ ٣٥ و١٨٤ و٢/ ١١٨ و١٥٠.

(٢) هو الأعشى ميمون بن قيس؛ والبيت في الصبح المنير ١٠٦ بلفظ «فجره»، و«الفاجر» في الكتاب ١/ ١٦٣ كما في رواية الأخفش، وفي مجاز القرآن ١/ ٣٦ و١٣٢ كذلك.

الفعل بهم عنه، فأخرجته من الفعل من بينهم. كما تقول: جاء القومُ إلاّ زيداً»، لأنّك لمّا جعلت لهم الفعل، وشغلته بهم، وجاء غيرهم، شبّهته بالمفعول به بعد الفاعل، وقد شغلت به الفعل.

هذا باب الدعاء

وهو قوله تعالى ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ﴾ [الآية ٣٥] و﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم﴾ [الآية ٣٣] و﴿يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ﴾ [الأعراف/١٠٤] فكلّ هذا إنّما ارتفع، لأنّه اسمٌ مفرد، والاسم المفرد مضمومٌ في الدعاء، وهو في موضع نصب، ولكنه جُعِلَ كالأسماء التي ليست بمتمكّنة. فإذا كان مضافاً انتصب لأنه الأصل. وإنّما يريد «أعني فلاناً» و«أدعو»، وذلك مثل قوله تعالى ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا﴾ [يوسف/١١] و﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف/٢٣]، إنّما يريد: «يا ربّنا ظَلَمْنا أنفُسنا» وقوله ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [الآية ١٢٧].

هذا باب الفاء

قوله سبحانه ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية ٣٥] فهذا الذي يسميه النحويون «جواب الفاء». وهو ما كان جواباً للأمر والنهي، والاستفهام، والتمنّي، والنفي، والجحود. ونصب ذلك كلّه، على ضمير[1] «أنْ»، وكذلك الواو. وإن لم يكن معناها مثل معنى الفاء.

وإنما نصب هذا، لأنّ الفاء والواو من حروف العطف، فنَوَى المتكلم أن يكون ما مضى من كلامه اسماً، حتى كأنه قال «لا يُكنْ منكما قربُ الشجرة»، ثم أراد أن يعطف الفعل على الاسم، فأضمر مع الفعل «أنْ»، لأنّ «أنْ» مع الفعل تكون اسما فيعطف اسما، على اسم. وهذا تفسير جميع ما انتصب من الواو والفاء. ومثل ذلك قوله جلّ شأنه ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ [طه/٦١][2]، هذا جواب النهي و﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ

(١) أي على إضمار «أن»، وكثيراً ما استعمل الأخفش هذه الكلمة بهذا المعنى.

(٢) وكتابتها في المصحف كما أثبت، ولكنها جاءت في الأصل والكتاب ١/٤٢١ بفتح الياء والحاء. وقد استشهد بها لجواز الجزم والنصب، وفي الجامع ١١/٢١٥ أنّ ضم الياء وكسر الحاء قراءة الكوفيين، وهي لغة تميم؛ وأنّ فتح الياء والحاء قراءة سائر الآخرين، وهي لغة أهل الحجاز.

﴿فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر/٣٦] جواب النفي، والتفسير ما ذكرت لك.

وقد يجوز، إذا حسن، أن تُجريَ الآخر على الأول، أن تجعله مثله، نحو قوله تعالى﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم] أي: «وَدُّوا لَوْ يُدْهِنُونَ». ونحو قوله تعالى ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ [النساء/١٠٢] جعل الأول فعلاً، ولم يَنْوِ بِهِ الاسم، فعطف الفعل على الفعل، وهو التمني، كأنه قال «وَدُّوا لَو تَغْفُلونَ وَلَوْ يَميلُونَ» وقال تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ [المرسلات] أي «ولا يؤذَنُ لهم ولا يَعْتَذِرونَ». وما كان بعد هذا، جواب المجازاة بالفاء والواو، فإن شئت أيضاً نصبته على ضمير «أن»، إذا نويت بالأول، أن تجعله اسماً، كما قال أيضاً: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾ [الشورى/٣٣] ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ۝٣٤ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ﴾ [الشورى] فنصب[1]، ولو جزمه على العطف كان جائزاً[2]، ولو رفعه على الابتداء، جاز أيضاً[3]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [الآية ٢٨٤] فتجزم ﴿فَيَغْفِرْ﴾، اذا أردت العطف[4]، وتنصب اذا أضمرت «إن»، ونويت أن يكون الأول اسماً[5]، وترفع

---

(١) في الطبري ٢٥/١٣٥، قرّاء الكوفة والبصرة، وفي السبعة ٥٨١ الى ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي، وفي الكشف ٢/٢٥١، والتيسير ١٩٥ والجامع ١٦/٣٤، إلى غير نافع وابن عامر، وفي البحر ٧/٥٢١ إلى الجمهور، وفي معاني القرآن ٣/٢٤، وحجة ابن خالويه ٢٩٣ بلا نسبة.

(٢) في معاني القرآن ٣/٢٤، والكشاف ٤/٢٢٧، والبحر ٧/٥٢١ بلا عزو.

(٣) نسبت قراءة الرفع إلى عامة قراء المدينة. الطبري ٢٥/٣٥، وفي السبعة ٥٨١، والكشف ٢/٢٥١، والتيسير ١٩٥، والجامع ١٦/٣٣، إلى نافع وابن عامر وفي البحر ٧/٥٢١ زاد الأعرج، وأبا جعفر، وشيبة وزيد بن علي؛ ولم ينسبه في معاني القرآن ٣/٢٤، ولا حجة ابن خالويه ٢٩٣.

(٤) في السبعة ١٩٥ نسبت إلى ابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، وحمزة، والكسائي، وفي الكشف ١/٣٢٣ إلى غير ابن عامر وعاصم؛ وفي التيسير ٨٥ كالسبعة؛ والجامع ٣/٤٢٤ كذلك؛ وفي البحر ٢/٣٦٠ إلى غير ابن عامر وعاصم ويزيد ويعقوب وسهل؛ وفي حجة ابن خالويه ٨٠ بلا عزو.

(٥) في الجامع ٣/٤٢٤ نسبت إلى ابن عباس، والأعرج، وأبي العالية، وعاصم الجحدري، في رواية؛ وفي البحر ٣٦٠ إلى ابن عباس والأعرج وابن حيوة. وفي حجة ابن خالويه ٨٠، بلا نسبة.

على الابتداء[1] وكلّ ذلك من كلام العرب وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة/ ١٤] ثم قال ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [التوبة/ ١٥] فرفع ﴿وَيَتُوبَ﴾ لأنه كلام مستأنف ليس على معنى الاول. ولا يريد «قاتلوهم: «يتبِ الله عليهم» ولو كان هذا لجاز فيه الجزم لما ذكرت؛ وقال الشاعر[2] [من الوافر وهو الشاهد الخامس والثلاثون]:

فإنْ يهلِكْ أبو قابوسَ يهلِكْ
ربيعُ الناسِ والشَّهرُ الحرامُ
ونُمْسِكَ بعدَه بذِنابِ عيشٍ
أجبِّ الظهرِ ليسَ لهُ سَنامُ

فنصب «ونُمْسِكَ» على ضمير «أنْ»، ونرى أنْ يجعل الأوّل اسماً، ويكون فيه الجزم أيضاً على العطفِ، والرفعُ على الابتداء. قال الشاعر[3] [من الطويل وهو الشاهد السادس والثلاثون]:

ومَنْ يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لا يَزَلْ يرى
مَصارعَ مظلومٍ مجرّاً ومسْحَبا[4]
ومَنْ يغتربْ عن قومِهِ لا يَجِدْ لهُ
على مَنْ لَهُ رَهْطٌ حوالَيْهِ مُغْضَبا[5]
وتُدْفَنُ منه المحسنَاتُ وإنْ يُسِئْ
يَكُنْ ما أساءَ النار في رأسِ كَبْكَبا[6]

فـ «تُدفَنُ» يجوز فيه الوجوه كلها. قال الشاعر[7] [من الطويل وهو الشاهد السابع والثلاثون]:

---

(١) في السّبعة ١٩٥ إلى عاصم وابن عامر، وفي الكشف ١/ ٣٢٣، والتيسير ٨٥ والجامع ٣/ ٤٢٤ كذلك، وزاد في البحر ٢/ ٣٦٠ يزيداً ويعقوب وسهلاً.

(٢) هو النابغة الذبياني وهما في ديوانه ٢٣١و٢٣٢، بلفظ الأخفش عينه.

(٣) الأعشى ميمون بن قيس.

(٤) الأبيات في الصبح المنير ٨٥، وقد جاءت مرتّبة بتوسط هذا البيت لا بتقدمه. وبلفظ «ويحطم بظلم لا يزال يرى له»، وانظر الصحاح «كبكب»، واللسان «زيب» و«كبكب»، وتاج العروس «زيب».

(٥) بلفظ «متى» بدل «ومن». وفي الكتاب ١/ ٤٤٩ كما عند الأخفش وفي إعراب الزجّاج ٣/ ٩٠٦ كذلك.

(٦) بلفظ «المحسنات» بدل «الصالحات»، وكذلك في الكتاب ١/ ٤٤٩، ومعاني القرآن ٢/ ٢٩٠، وإعراب الزجّاج ٣/ ٩٠٦.

(٧) هو النابغة الذبياني.

فإن يَرجعِ النُّعْمانُ نَفْرَحْ ونَبْتَهِجْ
ويأتِ مَعَدًّا مُلْكُها وربيعُها[1]

وإنْ يَهْلِكِ النُّعمانُ تُعْرَ مَطِيَّةٌ
وتُخْبأُ في جوفِ العيابِ قُطُوعُها[2]

وقال تبارك وتعالى ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة/ ٩٥] فهذا لا يكون إلاّ رفعا، لأنّه الجواب الذي لا يُسْتغنى عنه.

والفاء اذا كانت جواب المجازاة، كان ما بعدها أبداً مبتدأ، وتلك فاء الابتداء لا فاء العطف. ألا ترى أنك تقول «ان تأتِني فأمْرُكَ عندي على ما تحبُّ». فلو كانت هذه فاء العطف لم يجز السكون، حتى تجيء لما بعد «إنْ» بجواب. ومثلها ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ [الآية ١٢٦] وقرأ بعضهم (فَأَمتِعْهُ ثم أضطرَهُ)[3] فـ ﴿أَضْطَرُّهُ﴾ اذا وصل الألفَ، جعله أمراً. وهذا الوجه، اذا أراد به الأمر، يجوز فيه الضم والفتح. غير أنّ الألف ألف وصل، وإنّما قطعتها، «ثُمّ» في الوجه الآخر، لأنّ كل ما يكون معناه «أَفْعَلُ»، فإنه مقطوع، من الوصل كان أو من القطع، قال تعالى: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾ [النمل/ ٣٩ ـ ٤٠] وهو من «أتى» «يأتي» وقال أيضاً بقراءة من قرأ قوله سبحانه من الآية ٢٣ من سورة يس: (أَتَّخِذُ من دونِهِ آلهة) فترك ألف التي بعد ألف الاستفهام، لأنها ألف «أفعل». وقال الله تبارك وتعالى فيما يَحكي عن الكفّار: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠﴾ [المنافقون] فقوله تعالى ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ جواب للاستفهام، لأنّ ﴿لَوْلَا﴾ ها هنا بمنزلة «هلاّ» وعطف ﴿وَأَكُن﴾ على موضع ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾، لأنّ جواب الاستفهام، إذا ما لم يكن فيه فاء، جُزِمَ. وقد قرأ بعضهم (فأصدقَ وأكونَ)[4] عطفها على ما بعد

---

(١) في الديوان بـ «أن» بلا فاء. وبعده بيت آخر هو:

ويرجع الى غسان ملك وسودد   وتلك المنى لو أننا نستطيعها

(٢) في الديوان: «يخبأ» بالياء المثناة من تحت. وفي معاني القرآن ١/ ٨٧ كما في رواية الأخفش.

(٣) في معاني القرآن ١/ ٧٨ نسبت إلى ابن عبّاس، وفي الطّبري ٣/ ٥٤ كذلك، وزاد في الجامع ٢/ ١١٩ قتادة ومجاهداً، وفي البحر ١/ ٣٨٤ أغفل قتادة وزاد «غيرهما».

(٤) في معاني القرآن ٣/ ١٦٠ أنها لعبد الله بن مسعود، وفي تأويل مشكل القرآن ١/ ٥٦ إلى أبي عمرو بن العلاء، وفي الطّبري ٢٨/ ١١٨ بزيادة محيصن، وفي السبعة ٦٣٧ إلى أبي عمرو، وحده وفي الشواذ ١٥٧ الى ابن عبّاس ـ

الفاء، وذلك خلاف الكتاب. وقد قرئ قوله تعالى من الآية ١٨٦ من سورة الأعراف: (وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فلا هادِيَ لَهُ وَيَذَرْهُم) بالجزم[١]. فجزم (يَذَرْهُم)، على أنه عطف على موضع الفاء، لأنَّ موضعها يجزم، إذا كانت جواب المجازاة، ومن رفعها على أنْ يعطفها على ما بعد الفاء، فهو أجود، وهي القراءة المثبتة في المصحف الشريف[٢]. وقال تعالى ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم﴾ [الآية ٢٧١] جزم[٣] ورفع[٤] على ما فسّرت. وقد يجوز في هذا، وفي الحرف الذي قبله النصب[٥] لأنه قد جاء بعد جواب المجازاة، مثل ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [الشورى/ ٣٥] ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران] فانتصب

= وابن جبير وفي الكشف ١/ ٣٢٢ الى أبي عمرو، وفي التيسير ٢١١ كذلك، وفي الجامع ١٨/ ١٣١ زاد ابن محيصن، وفي البحر ٨/ ٢٧٥ إلى الحسن وابن جبير وأبي رجاء وابن ابي إسحاق ومالك بن دينار والأعمش وابن محيصن وعبد الله بن الحسن العنبري وأبي عمرو، وكذا في مصحف عبد الله وأبي.

(١) هي في السبعة ٢٩٩ إلى حمزة والكسائي، وعاصم في رواية، وفي الكشف ١/ ٤٨٥، والتيسير ١١٥، بإسقاط عاصم، وفي البحر ٤/ ٤٣٣ إلى ابن مصرف، والأعمش، والخُوَيْي، وأبي عمرو فيما ذكر أبو حاتم، وفي حجّة ابن خالويه ١٤٣، والجامع ٧/ ٣٣٤ بلا نسبة.

(٢) هي في السبعة ٢٩٨ إلى ابن مجاهد، وأبي عمرو في رواية؛ وابن كثير، ونافع، وابن عامر؛ واقتصر في التيسير ١١٥ على عاصم وأبي عمرو؛ وفي البحر ٤/ ٤٣٣ كذلك. وفي حجّة ابن خالويه ١٤٣، والجامع ٧/ ٣٣٤ بلا نسبة.

(٣) في الطبري ٥/ ٥٨٥ إلى عامّة قرّاء أهل المدينة والكوفة والبصرة. وفي السبعة ١٩١، إلى عاصم في رواية، ونافع وحمزة والكسائي، وفي الكشف ١/ ٣١٧ أسقط عاصماً؛ والجامع ٣/ ٣٣٥ كذلك ،وفي البحر ٢/ ٣٢٥ باختلاف بين النون والياء والتاء في «نكفر»، زاد الأعمش وابن عباس وعكرمة. وفي حجّة ابن خالويه ٧٩ بلا نسبة.

(٤) في الطبري ٥/ ٥٨٤ بالتاء في (تكفر) إلى ابن عباس، وبالياء بلا نسبة؛ وفي السبعة كالسابق، إلى ابن كثير وأبي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر، ونافع في رواية أبي خليد؛ وفي حجة ابن خالويه ٧٩ بلا نسبة، وفي الكشف ١/ ٣١٧ إلى غير نافع وحمزة والكسائي؛ وفي المشكل ٧٩ بالياء في (يكفر) بلا نسبة وفي الجامع ٣/ ٣٣٥ إلى أبي عمرو وابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر وفي البحر ٢/ ٣٢٥ إلى ابن عامر وابن هرمز وابن كثير وأبي عمرو وأبي بكر باختلاف بين الياء والتاء والنون في (تكفر).

(٥) في البحر ٢/ ٣٢٥ إلى الأعمش في رواية، وعكرمة في رواية أيضاً، وشهر بن حوشب باختلاف بين الياء والتاء في (الكفر).

الآخر، لأنَّ الأوّلَ نوى أن يكون بمنزلة الاسم، وفي الثاني الواو[1]. وإن شئت جزمت على العطف، كأنّك قلت «ولمّا يَعْلَم الصابرين»[2]. فإن قال قائل: «ولمّا يَعْلم الله الصابرين» ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ فهو لم يعلمهم؟ قلت بل قد علِم، ولكنّ هذا، فيما يذكر أهل التأويل، ليبيّن للناس، كأنّه قال «ليَعْلَمَه الناسُ» كما قال جلّ جلالهُ ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ⑫﴾ [الكهف] وهو قد علم، ولكن ليبيّن ذلك . قد قرأ أقوام، أشباه هذا، في القرآن (ليُعْلَمَ أيُّ الحزبين)[3] ولا أراهم قرأوه، إلا لجهلهم بالوجه الآخر.

وممّا جاء بالواو ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ﴾ [الآية ٤٢] إنْ شئتَ، جعلت ﴿وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ﴾ نصباً، اذا نويت أن تجعل الاول اسماً، فتضمر مع ﴿وَتَكْتُمُواْ﴾ «أنْ»، حتى تكون اسما. وإن شئت عطفتها، فجعلتها جزماً على الفعل الذي قبلها. قال تعالى ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ﴾ [الأعراف/٢٢] فعطف القول على الفعل المجزوم، فجزمه. وزعموا أنّه في قراءة ابن مسعود (وأقولُ لكما)[4] على ضمير «أن»، ونوى أنْ يجعل الأوّلَ اسماً، وقال الشاعر[5] [من الطويل وهو الشاهد الثامن والثلاثون]:

لقد كان في حَوْلٍ ثَواءٍ ثَوَيتُه
تَقَضّي لُباناتٍ وَيَسْأمَ سائِمُ[6]

ـ ثَواءٌ وثَواءً أو ثَواءٍ رفع نصب وخفض ـ فنصب على ضمير «أنْ» لأنّ

(١) في معاني القرآن ١/ ٢٣٥ إلى غير الحسن، وفي الطّبري ٧/ ٢٤٧ أنّ القراءة على هذا الحرف، وفي الجامع ٤/ ٢٢٠ إلى الحسن ويحيى بن يعمر، وفي البحر ٣/ ٦٦ إلى ابن وثاب النخعي.

(٢) في معاني القرآن ١/ ٢٣٥ إلى الحسن، والطّبري ٧/ ٢٤٧ كذلك، وفي الشواذ ٢٢ إلى الحسن ،وفي البحر ٣/ ٦٦ إلى الجمهور وإلى الحسن وابن يعمر وابن حيوة وعمرو بن عبيد. وقد نقله في الإملاء ١/ ١٥٠، مع وجه ثالث هو الرفع.

(٣) يبدو أنّ الأخفش أوّلُ من أشار إلى هذه القراءة، لأنّها تُروى عنه في الشواذ ٧٨، والبحر ٦/ ١٠٣، وهي قراءة الزهري، كما في الجامع ١٠/ ٣٤٠، والبحر كما سبق.

(٤) تفرّد الأخفش برواية هذه القراءة.

(٥) هو الأعشى ميمون بن قيس.

(٦) البيت في الصبح المنير ٥٦، بلفظ رواية الأخفش نفسه، وفي مجاز القرآن ١/ ٧٢ بلفظ «تقضي»، وفي الكتاب ١/ ٤٢٣ بلفظ «تقضي لُبانات ويسأم».

التقضّي اسم، ومن قال «فَتَقْضى» رفع «ويسأمُ»، لأنه قد عطف على فعل. وهذا واجبٌ، وقال الشاعر[1] [من الطويل وهو الشاهد التاسع والثلاثون]:

فإنْ لم أصدّقْ ظنّكم بتيقّنٍ
فلا سقتِ الأوصالَ منّي الرّواعدُ

ويعلمَ أكفائي من الناسِ أنّني
أنا الفارسُ الحامي الذمارِ المذاودُ[2]

وقال الشاعر[3] [من الوافر وهو الشاهد الأربعون]:

فإن يَهْلِكْ عليكَ أبو قُبَيْسٍ
تَمُطُّ بكَ المَنِيَّةُ في هَوانِ[4]

وتُخْضَبَ لِحْيَةٌ غَدَرَتْ وخانَتْ
بأحْمَرَ من نَجيعِ الجَوْفِ آنِ[5]

فنصب هذا كلّه، لأنّه نوى أن يكون الأوّل اسماً، فأضمر بعد الواو «أنْ»، حتى يكون اسماً مثل الأوّل، فتعطفه عليه. وأمّا قوله تعالى ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ [الآية ١٦٧] و﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الشعراء] فهذا على جواب التمني، لأن معناه «لَيْتَ لَنا كَرَّةً». وقال الشاعر: [من الوافر وهو الشاهد الحادي والأربعون]:

فلستُ بِمُدْرِكٍ ما فاتَ منّي
بـ «الهفَ» ولا بـ «ليتَ» ولا «لوأنّي»[6]

فأنزل «لوأنّي»، بمنزلة «لَيْتَ»، لأنّ الرجل اذا قال: «لَو أنّي كنتُ فعلتُ كذا وكذا»، «فإنما تريد «وددتُ لو كنت فَعلْتُ». وإنما جازَ ضمير «أنْ» في غير الواجب، لأنّ غير الواجب يجيء ما بعده، على خلاف ما قبله ناقضاً له.

فلمّا حدث فيه خلاف لأوّله، جاز هذا الضمير. والواجب يكون آخره على أوّله، نحو قول الله عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

---

(١) هو حسّان بن ثابت الأنصاري.

(٢) البيت في ديوانه: ١٩٥ بـ يعلم والمناجد.

(٣) هو النابغة الذبياني.

(٤) البيت في ديوانه ١٤٩ بـ «تحط بك المنية في رهان»، وفي الصحاح (قبس) ب «يحطا» بدل «تمط» و«المعيشة» بدل «المنية» وفي اللسان «قبس» كما في الصحاح.

(٥) البيت في ديوانه ٤٩ بـ «تخضب »، وفي الجامع ١٧/ ١٧٥ بـ «تخضب» كذلك.

(٦) في الصحاح واللسان «لهف»، وفي الخصائص ٣/ ١٣٥ وشرح القطر ٢٠٥، بـ «راجع» بدل «مدرك»..

مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج/٦٣] فالمعنى: «إسمعوا أنزلَ الله من السماءِ ماء» فهذا خبر واجب و﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنبيه. وقد تنصب الواجب في الشعر. قال الشاعر[1] [من الوافر وهو الشاهد الثاني والأربعون]:

سأتركُ منزلي لبني تميمٍ
وألحقُ بالحجازِ فأستريحا[2]

وهذا لا يكاد يُعرف. وهو في الشعر جائز. وقال طرفة[3] [من الطويل وهو الشاهد الثالث والأربعون]:

لها هَضْبَةٌ لا يَدْخُلُ الذُّلُّ وَسْطَها
ويأوي إليها المُسْتَجِيرُ فيُعْصَما[4]

واعلمْ أنَّ إظهارَ ضمير «أنْ»، في كلّ موضع أضمر فيه من الفاء، لا يجوز، ألا ترى أنّك إذا قلت: «لا تأتِه فيضربَك»، لم يَجُزْ أن تقول: «لا تأتِه فأنْ يضربَكَ» وإنّما على «أنْ» فلا يحسن إظهاره، كما لا يجوز في قولك «عسى أنْ تفعلَ»: «عسى الفعل» ولا في قولك: «ما كان ليفعل»: «ما كان لأن يفعل»، ولا إظهار الاسم الذي في قولك «نعم رجلاً» فربّ ضمير لا يظهر، لأنّ الكلام إنّما وضع على أن يضمر، فاذا ظهر، كان ذلك على غير ما وضع في اللفظ، فيدخله اللبس.

وأما قوله تعالى ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ [الآية ٣٦]، فإنّما يعني «الزَّلَلَ»، تقول: «زَلَّ فلانٌ» و«أزْلَلْتُه» و: «زالَ فلانٌ» و«أزالَهُ فُلانٌ»، والتضعيف القراءة الجيّدة، وبها نقرأ[5]. وقال بعضهم: (فأزالهُما) أخذها من «زالَ».

---

(١) هو المضيرة بن حبناء بن عمرو الحنظلي. شرح الشواهد للسيوطي ١٦٩، وقيل بل هو المغيرة بن حنين بن عمرو التميمي الحنظلي «المقاصد النحوية ٤/ ٣٩٠»، وشرح الشواهد للعاملي ٣٨٦، ولم يجد البغدادي الشاهد في شعر المغيرة بن حبناء، الخزانة ٤/ ٦٠١.

(٢) البيت في الكتاب ١/ ٤٢٣ وعجز في ١/ ٤٤٨، والعجز أيضاً في شرح الأبيات للفارقي ١١٠، وبرواية أخرى فيه بلفظ «لأستريحا».

(٣) هو طرفة بن العبد البكري، ترجمته في الشعر والشعراء ١/ ١٨٥ وطبقات الشعراء ١/ ١٣٨ والخزانة ١/ ٤١٤ وأسماء المغتالين ٢/ ٢١٢.

(٤) ديوان طرفة ١٩٤ بلفظ «لنا» بدل «لها»، و«ينزل» بدل «يدخل»؛ وفي شرح الأبيات للفارقي ١١١ بـ «اليعصما» بدل «فيعصما».

(٥) في الطبري ١/ ٥٢٤ إلى عامة القرّاء، والجامع ١/ ٣١١ إلى الجماعة، والكشف ١/ ٢٣٥ والتيسير ٧٣ إلى غير حمزة، وفي حجّة ابن خالويه ٥١، والإملاء ١/ ٣١ بلا نسبة.

تقول: «زالَ الرجلُ» و«أزالَهُ فلانٌ»[1].

وقال سبحانه ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الآية ٣٦][2] فإنما قال ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ والله أعلم، لأنَّ إبليسَ كان ثالثهم، فلذلك جمع.

وقال تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [الآية ٣٧] فجعل آدم المتلقي[3]. وقد قرأ بعضهم (آدمَ) نصباً ورفع الكلمات، جعلهن المتلقيات[4].

وقال تعالى ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ [الآية ٣٨] وذلك، أن «إمّا» في موضع المجازاة، وهي «إمّا» لا تكون «أمّا» وهي «إنْ» زيدت معها «ما»[5]، وصار الفعل الذي بعدها بالنونِ الخفيفةِ، او الثقيلة، وقد يكون بغير نون. وإنّما حَسُنت فيه النون، لمّا دخلته «ما»، لأنَّ «ما» نفي، وهو ما ليس بواجب، وهي من الحروف التي تنفي الواجب، فحسنت فيه النون، نحو قولهم «بعينٍ مَا أرَيَنَّك»[6] حين أدخلت فيها «ما»، حسنت النون. ومثل «إمّا» ها هنا قوله تعالى ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم]، وقوله ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [المؤمنون] فالجواب في قوله ﴿فَلَا تَجْعَلْنِى﴾. وأشباه هذا، في القرآن والكلام، كثير. وأمّا «إمّا» في غير هذا

---

(١) وفي السبعة ١٥٣، والكشف ١/ ٢٣٥، والتيسير ٧٣، والجامع ١/ ٣١١، إلى حمزة؛ وفي الشواذ ٤ إليه بإمالة؛ وفي البحر ١/ ١٦١ كذلك، وأضاف إليه أبا عبيدة ونسبها بلا إمالة إلى الحسن وأبي رجاء وفي الطبري ١/ ٥٢٤، وحجّة ابن خالويه ٥١، والكشاف ١/ ١٢٨، والإملاء ١/ ٣١ بلا نسبة.

(٢) في الأصل (اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو) وهي الآية الثالثة والعشرين بعد المئة من السورة العشرين (طه). وفي الآية الثامنة والثلاثين من سورة البقرة، أي الآية التي ستأتي بعد آيتين ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ [الآية ٣٨] وهذا يدل على أنّ الأخفش كان يقتضب الكلام ولم يكن يقرأ في نسخة من الكتاب الكريم.

(٣) في الطبري ١/ ٥٤٢ هي قراءة الحجّة من القراء وأهل التأويل ومن علماء السلف والخلف؛ وفي الكشف ١/ ٢٣٦، والتيسير ٧٣، والبحر ١/ ١٦٥، إلى غير ابن كثير وفي حجّة ابن خالويه ٥١ بلا نسبة.

(٤) في السبعة ١٥٣، والكشف ١/ ٢٣٦، والتيسير ٧٣، والجامع ١/ ٣٢٦، والبحر ١/ ١٦٥، إلى ابن كثير وفي معاني القرآن ١/ ٢٨، والطبري ١/ ٥٤٢، إلى بعض القرّاء بلا تعيين؛ وفي حجّة ابن خالويه ٥١ بلا نسبة.

(٥) هذا الرأي لسيبويه المغني ١/ ٥٩.

(٦) هو مثل معناه «إعملْ كأنّي أنظر إليك» ، يضرب في الحث على ترك البطء؛ وما صلة دخلت للتأكيد، ولأجلها دخلت النون في الفعل، ومثله: ومِنْ عَضَةٍ ما يَنْبُتَنَّ شَكِيرُها. مجمع الأمثال ١/ ١٠٠.

الموضع، الذي يكون للمجازاة، فلا تستغني حتّى ترد «إمّا» مرتين، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الانسان] ونحو قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [مريم/٧٥] وإنّما نصب، لأنّ «إمّا» هي بمنزلة «أو»، ولا تعمل شيئاً، كأنّه قال «هَدَيْناهُ السبيلَ شاكراً أوْ كَفُوراً»، فنصبه على الحال و«حتّى رَأَوْا ما يُوعَدُون العذابَ أوْ الساعةَ»، فنصبه على البدل.

وقد يجوز الرفع بعد «إمّا»، في كل شيء يجوز فيه الابتداء، ولو قلت: «مررت برجل إمّا قاعدٍ وإمّا قائم» جاز، وهذا الذي في القرآن، جائز أيضاً، ويكون رفعاً، إلا أنّه لم يُقرأ.

وأمّا التي تستغني عن التثنية، فتلك تكون مفتوحة الألِف أبداً نحو قولك «أمّا عبد الله فمنطلق»، وقوله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى] و﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت/١٧] فكلُّ ما لم يُحْتَجْ فيه الى تثنيةِ «أمّا»، فألفها مفتوحة، إلاّ تلك التي في المجازاة.

و«أمّا» أيضاً لا تعمل شيئا، ألا ترى أنك تقرأ ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ فتنصبه بـ «تنهر»، ولم تغيّر «أمّا» شيئاً منه.

باب الاضافة

أمّا في قوله تعالى ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية ٣٨] فانفتحت هذه الياء على كل حال، لأنّ الحرف الذي قبلها ساكن. وهي الألف التي في «هُدَى». فلمّا احتَجْتَ الى حركة الياء، حرّكتَها بالفتحة، لأنها لا تُحرَّك إلاّ بالفتح. ومثل ذلك قوله جل شأنه ﴿عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا﴾ [طه/١٨] ولغة للعرب يقولون «عصَيّ يا فتى»[1]، و(هُدَيّ فلا خوفٌ عليهم)[2] لما كان

(١) هي لغة هُذَيْل الكشاف ١/ ١٣٠، و٣/ ٥٧، والجامع ١/ ٣٢٨، والبحر ١/ ١٦٩، واللهجات العربية ١٥٣ و٤٢٥.

(٢) في المحتسب ١/ ٧٦ إلى النبي (ص) وأبي الطفيل وعبد الله بن أبي اسحاق وعاصم الجحدري وعيسى بن عمر الثقفي، وفي البحر ١/ ١٦٩ اقتصر على عبد الله بن أبي اسحاق وعاصم وعيسى بن أبي عمر (كذا)، وفي الجامع ١/ ٣٢٨ اقتصر على الجحدري، وفي الكشاف ١/ ١٣٠، والكشف ١/ ١٨٤، بلا نسبة، وفي البيان ١/ ٧٦ إلى النبي (ص)، والإملاء ١/ ٣٢ بلا نسبة.

قبلها حرف ساكن، وكان ألفا، قلبته الى الياء، حتّى تدغمه في الحرف الذي بعده، فيجرُونها مجرًى واحداً وهو أخفّ عليهم. وأمّا قوله تعالى ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝٢٣﴾ [ق] و﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر/٤١] و﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [آل عمران/٥٥ ولقمان/١٥]. فإنّما حركت بالاضافة، لسكون ما قبلها، وجعل الحرف الذي قبلها ياء ولم يقل «علايَ»[1] ولا «لَدايَ» كما تقول «على زيد»، و«لدى زيد»، ليفرّقوا بينه وبين الأسماء، لأن هذه ليست بأسماء. و«عَصايَ»، و«هُدايَ»، و«قَفايَ»، أسماء. وكذلك ﴿أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ﴾ [يوسف/٤٣] و(يا بُشراي هذا غلام)[2] لأنّ آخر «بُشرى» ساكن.

وقرأ آخرون قوله تعالى، من الآية ١٩ من سورة يوسف: ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾[3]، لا يريد الاضافة، وبه نقرأ.

فإذا لم يكن الحرف ساكناً، كنت في الياء بالخيار، إنْ شئت أسكنتها وإنْ شئت فتحتها، نحو: (إنّيَ أنا الله)[4] و﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[5]، و﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح/٢٨][6]

---

(١) لغة بلحارث بن كعب « اللسان «علا »، وقيل لغة طيء، اللهجات العربية ٥٨٥.

(٢) يوسف ١٢/١٩. نسبت في الطبري ١٦/٣ إلى عامة قراء أهل المدينة مع إدغام الألف في الياء، وفي السبعة ٣٤٧ بإسكان الياء إلى نافع، وفتحها إلى ابن كثير، ونافع أيضا وأبي عمرو وابن عامر، وفي الكشف ٢/ ٧ والتيسير ١٢٨ إلى غير الكوفيين ،وفي الجامع ٩/ ١٥٣ إلى اهل المدينة وأهل البصرة، وبإدغام الالف في الياء إلى ابن اسحاق، وفي البحر ٥/ ٢٩٠ إلى وَرْش عن نافع ، مع سكون ياء الإضافة وإلى أبي الطفيل والحسن بن أبي إسحاق والجحدري، بقلب الألف ياء وإدغامها وأنها لغة هُذَيل وناس غيرهم، وفي معاني القرآن ٢/ ٣٩، وحجّة ابن خالويه ١٦٩ بلا نسبة.

(٣) في الطبري ١٦/ ٤ إلى عامة قرأة الكوفيين، وفي السبعة ٣٤٧ إلى عاصم وحمزة والكِسائي ،وفي الكشف ٢/ ٧، والتيسير ١٢٨، والجامع ٦/ ١٥٣، والبحر ٥/ ٢٩٠، إلى الكوفيين، وفي معاني القرآن ٢/ ٣٩، وحجّة ابن خالويه، ١٦٩، بلا نسبة.

(٤) القصص ٢٨/ ٣٠ ،وهي في السبعة ٤٩٦ قراءة عاصم وأبي بكر، وفي الكشف ١/ ٣٢٧ إلى ابن كثير، و٣٢٨ إلى الكِسائي. وهي القراءة المثبتة في المصحف الشريف.

(٥) في السبعة ٤٩٦ الى نافع وابن كثير وأبي عمرو، وفي الكشف ١/ ٣٢٥ إلى نافع برواية، وَرْش وإلى قالون، ٢/ ١٧٦ إلى الحرميين وأبي عمرو، وفي التيسير ٦٣ كذلك.

(٦) في السبعة ٦٥٤ إلى عاصم وهشام برواية حفص، وإلى نافع برواية ابي قرة، وفي الحجّة ٣٢٥ بلا نسبة؛ وفي الكشف ١/ ٣٢٥ إلى نافع برواية وَرْش، وإلى قالون، و٣٢٩ إلى ابن عامر في رواية هاشم، و٢/ ٣٣٨ إلى حفص وهشام؛ وفي التيسير ٦٩ إلى هشام. وهي القراءة المثبتة في المصحف الشريف.

و(بيــتــي)(1) و﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىَ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [نــوح](2) و(دُعــائــيَ)(3). وكذلك إذا لقيتها ألف ولام زائدتان، فإن شئت حذفت الياء لاجتماع الساكنين، وإن شئت فتحتها، كيلا يجتمع حرفان ساكنان. إلا أنّ أحسن ذلك الفتح، نحو قول الله تبارك وتعالى ﴿جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى﴾ [غافر/٦٦](4) و﴿نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ﴾(5) وأشباهِ ذا. وبه نقرأ. وإنْ لقيته أيضاً ألف وصل بغير لام، فأنت فيه أيضاً بالخيار، إلاّ أنّ أحسنه، في هذا، الحذف، وبه نقرأ ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف/١٤٤](6) و﴿هَٰرُونَ أَخِى ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۝٣١﴾ [طه](7).

---

(١) وفي السبعة ٦٥٤ إلى عاصم برواية أبي بكر، وغير من أخذ بقراءة الفتح، وفي الحجّة ٣٢٥ بلا نسبة، وفي الكشف ١/ ٣٢٥ إلى وَرْش، ٣٢٧ إلى ابن كثير، و٣٢٨ إلى حمزة، و٣٢٩ إلى الكِسائي وإلى ابن عامر في رواية ابن ذكوان.

(٢) وفي السبعة ٦٥٢ بالهمز إلى وحمزة والكِسائي، وفي رواية عبّاس إلى أبي عمرو؛ وفي الحجّة ٣٢٥ بلا نسبة، وفي الكشف ١/ ٣٢٧ إلى ابن كثير، و٣٢٨ إلى حمزة، و٣٢٩ إلى الكِسائي، و٢/ ٣٣٨ إلى الكوفيين. وهي القراءة المثبتة في المصحف الشريف.

(٣) بالهمز في السبعة ٦٥٢ إلى ابن كثير وابن عامر وأبي عمرو ونافع، وفي الحجّة ٣٢٥ بلا نسبة، وفي الكشف ١/ ٣٢٥ إلى نافع برواية وَرْش، وإلى قالون، ٣٢٧ إلى ابن كثير، وفي التيسير ٦٥إلى نافع وأبي عمرو وابن كثير، و٦٦ إلى ابن عامر؛ وبلا همز، في السبعة ٦٥٢ إلى خلف وابن كثير؛ وفي الحجّة ٣٢٥ بلا نسبة.

(٤) وقراءة الفتح في الكشف ١/ ٣٢٥ إلى نافع ورش وإلى قالون، وفي التيسير ٦٧ نسبها إلى «كلّهم» قراءة السكون، في الكشف ١/ ٣٢٧ إلى ابن كثير، و٣٢٨ إلى حمزة ، و٣٢٩ إلى الكِسائي؛ وفي التيسير ٦٦ إلى حمزة والكسائي.

(٥) البقرة ٢/ ٤٠ و٤٧ و١٢٢؛ وقراءة الفتح في السبعة ١٩٧ إلى غير عاصم برواية المفضل، والكشف ١/ ٣٢٥ إلى نافع برواية وَرْش وإلى قالون، وفي التيسير ٦٧ نسبها إلى «كلّهم» وقراءة السكون في السبعة ١٩٧ إلى عاصم برواية المفضل، وفي الكشف ١/ ٣٢٧ إلى ابن كثير، و٣٢٨ إلى حمزة، و٣٢٩ إلى الكِسائي.

(٦) قراءة الإسكان في السبعة ٣٠١ إلى حمزة ونافع وعاصم ، وباختلاف عن ابن عامر، والكشف ١/ ٣٢٧ إلى نافع وابن كثير، و٣٢٨ إلى حمزة، و٣٢٩ إلى الكسائي وفي التيسير ٦٧ إلى نافع. وقراءة فتح الياء في السبعة ٣٠٢ إلى أبي عمرو وباختلاف عن ابن عامر، وفي الكشف ١/ ٣٢٥ إلى نافع برواية وَرْش، وإلى قالون، و٣٢٦ إلى أبي عمرو؛ وفي التيسير ٦٨ إلى أبي عمرو.

(٧) قراءة الإسكان في السبعة ٤٢٦ إلى نافع وحمزة والكسائي وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر؛ وفي الكشف ١/ ٣٢٥ إلى وَرْش وقالون، و٣٢٧ إلى نافع وابن كثير، و٣٢٨ إلى حمزة، و٣٢٩ إلى الكسائي؛ وفي التيسير ٦٧ إلى نافع. وقراءة فتح الياء في السبعة ٤٢٦ إلى أبي عمرو وابن كثير؛ وفي الكشف ١/ ٣٢٥ إلى نافع في رواية وَرْش، وإلى قالون؛ و٣٢٦ إلى أبي عمرو؛ و٢/ ١٠٩ إلى ابن كثير وأبي عمرو، وهذا مناقض لما جاء في ١/ ٣٢٧ عن ابن كثير؛ وفي التيسير ٦٨، إلى أبي عمرو.

فـإذا كـان شـيء مـن هـذا الـدُّعـاء، حـذفـت مـنـه الـيـاء، نـحـو ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر] و﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [يوسف/١٠١] و﴿رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [المؤمنون].

ومن العرب من يحذف هذه الياءات في الدُّعاء وغيره، من كل شيء[1]. وذلك قبيح، قليل، إلاّ ما في رؤوس الآي، فإنّه يحذف الوقف، كما تحذف العرب في أشعارها من القوافي، نحو قول طَرَفَة بن العبد [من الطويل وهو الشاهد الرابع والأربعون]:

أبا مُنْذِرٍ أفْنيتَ فاسْتَبْقِ بَعْضَنا
حنانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أهْوَنُ مِنْ بَعْضِ[2]

وقوله[3] [من الوافر وهو الشاهد الخامس والاربعون]:

ألا هُبِّي بِصَحْنِكِ فاصْبَحينا
وَلا تُبْقِي خُمورَ الأنْدرينَ[4]

هذا إذا وقفوا، فإذا وصلوا قالوا: «من بعضي» و«الأندرينا»، وذلك في رؤوس الآي كثير، نحو قوله تعالى ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [ص/٨] و﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾. فإذا وصلوا أثبتوا الياء. وقد حذف قوم الياء في السكوت والوصل وجعلوه على تلك اللغة القليلة، وهي قراءة العامّة، وبها نقرأ، لأنّ الكتاب عليها.

وقد سكت قوم بالياء ووصلوا بالياء[5]، وذلك على خلاف الكتاب، لأنّ الكتاب ليست فيه ياء، وهي اللغة الجيّدة[6]. وقد سمعنا عربيّاً فصيحاً ينشد [من الطويل وهو الشاهد السادس والأربعون]:

فَما وَجْدُ النَّهْدِيِّ وَجْداً وجدتُه
ولا وَجْدَ العُذْرِيِّ قبلِ جَميلُ[7]

يريد «قبلي» فحذف الياء. وقد أعمل بعضهم «قَبْلِ»، إعمال ما ليس فيه ياء،

(١) هي لغة هُذيل البحر ٥/ ٢٦١، اللهجات العربيّة ٥٤٩ و٥٥٠.
(٢) ديوانه ١٧٢، ومجاز القرآن ٢/ ٣، والكتاب ١/ ١٧٤، والكامل ٢/ ٥٤٩.
(٣) هو عمرو بن كلثوم التغلبي.
(٤) البيت هو مطلع معلّقته المشهورة. ويمكن الرجوع فيه إلى كل شروح المعلّقات المختلفة.
(٥) هي قراءة يعقوب، واللهجات العربية ٥٥١.
(٦) هي لغة الحجاز، اللهجات العربية ٥٥٠.
(٧) ورد في الإنصاف ٢/ ٢٨٣، والهمع ١/ ٢١٠ والدرر ١/ ١٧٦ بلا عزو.

فقال: «قبلُ جميلُ» وهو يريد «قبلي». كما قال بعضُ العرب «يا ربُّ اغفِر لي» فرفع وهو يريد «يا ربّي».

وأمّا قوله سبحانه ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠﴾ [الأحزاب] و﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧﴾ [الأحزاب] فتثبت فيه الألف لأنهما رأس آية[1]، لأنّ قوماً من العرب، يجعلون أواخر القوافي اذا سكتوا عليها، على مثل حالها إذا وصلوها، وهم أهل الحجاز. وجميع العرب إذا ترنّموا في القوافي، أثبتوا في أواخرها الياء والواو والالف.

وأمّا قوله تعالى ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ [مريم/٤٥] فأنّث هذا الاسم بالهاء، كقولك «رجُلٌ رَبْعَةٌ» و«غُلامٌ يَفَعَةٌ». أو يكون أدخلها، لما نقص من الاسم عوضاً[2]. وقد فَتَحَ قوم، كأنّهم أرادوا «يا أبتا»، فحذفوا الألف، كما يحذفون الياء[3]، كما قال الشاعر [من الوافر وهو الشاهد الحادي والأربعون]:

ولستُ بِمُدْرِكٍ ما فاتَ منّي
بـ «لهفَ» ولا بـ «ليتَ» ولا «لَوَ انّي»

يريد: «لهْفاه». ومِمّا يدلك على أنّ هذا الاسم أُنث بالهاء، قولُ الشاعر[4] [من الطويل وهو الشاهد السابع والأربعون]:

تقولُ ابنتي لمّا رأتنيَ شاحِباً
كأنّكَ فينا يا أباتَ غريبُ[5]

فردّ الألف، وزاد عليها الهاء، كما أنّث في قوله «يا أمتاه»[6]، فهذه ثلاثة

---

(١) إثبات الألف في الأولى والثانية وصْلاً ووقْفاً في الطبري ٢١/ ١٣٢ إلى عامّة قُرّاء المدينة وبعض الكوفيين، وفي السبعة ٥١٩ و٥٢٠ إلى عاصم في رواية أبي بكر، وإلى نافع وابن عامر وإلى أبي عمرو في رواية أيضاً؛ وفي الكشف ٢/ ١٩٤ إلى نافع وابن عامر وأبي بكر وفي التيسير ١٧٨ إلى غير حمزة وأبي عمرو وابن كثير وحفص والكسائي. وفي الجامع ١٤/ ١٤٥ إلى نافع وابن عامر في رواية ،وأبي عمرو والكسائي أيضا ؛ وفي البحر ٧/ ٢٦٧ إلى غير حمزة وأبي عمرو وابن كثير والكسائي وحفص.

(٢) في الكشف ٢/ ٣ نسبت في الآية السابقة ١٩/ ٤٤ قراءة (أبه) بالهاء إلى ابن كثير وابن عامر.

(٣) في الكشف ٢/ ٣ إلى ابن عامر وفي البحر ٦/ ١٩٣ زاد الأعرج وأبا جعفر.

(٤) هو أبو أبي الحدوجان كما في نوادر أبي زيد ٢٣٩، وليس أبا الحدوجان كما في معجم شواهد العربية ٣٨.

(٥) في نوادر أبي زيد ٢٣٩ بلفظ «أباه» بالهاء، وفي الصحاح «أبا»، والخصائص ١/ ٣٣٩ وشرح الأبيات للفارقي ٨٣، والمقاييس «شحب»، والأساس «شحب»، واللسان «إلى»، ثم أعاد ذكره بـ «رأت وشك رحلتي» بدل «رأتني شاحبا» ولم يعزه إلاّ أبو زيد.

(٦) في اللسان «أمم : الام والأمة الوالدة... ويقال يا أمة لا تفعلي.

أحرف . ومن العرب من يقول: «يا أمّ لا تفعلي»، رخّم كما قال: «يا صاحِ»[1]. ومنهم من يقول «يا أميّ» و«يا أبي»، على لغة الذين قالوا: «يا غلامي»[2]. ومنهم من يقول «يا أبِ» و«يا أمّ» ،وهي الجيّدة في القياس[3].

وأمّا قولُه تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية ٤٠]، فمن العرب من يهمِزُ[4] ومنهم من لا يهمز[5]. ومنهم من يقول (إسرائِل) بحذف الياء التي بعد الهمزة، ويفتح الهمزة[6]، ويكسرها[7].

باب المجازاة

فأمّا قولُه تعالى ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [الآية ٤٠] فإنّما جزم الآخر، لأنّه جواب الأمر؛ وجواب الأمر مجزوم مثل جواب ما، بعد حروف المجازاة، كأنه تفسير «إنْ تَفْعلوا» أُوفِ بِعَهْدِكُم[8] وقال في موضع آخر ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡ﴾ [الفتح/١٥]. وقال جلّ جلاله ﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾ [الأنعام]، فلم يجعله جوابا، ولكنه كأنهم كانوا يلعبون، فقال «ذَرْهُم في حال لعبهم» وقال أيضاً ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُ﴾ [الحِجر/٣] وليس من أجل الترك يكون ذلك، ولكن قد علم الله أنه يكون، وجرى على الإعراب كأنّه قال: «إنْ تركتهم ألهاهُم الأمل»[9]، وهم كذلك، تركهم أو لم يتركهم. كما أنّ بعض الكلام، يعرف لفظه والمعنى على خلاف ذلك، وكما أنّ بعضهم

(١) في الصحاح واللسان والتاج«صحب»، أنه لا يجوز ترخيم المنادى إلا في هذا وحده في كلام العرب.

(٢) هي لغة الحجاز. اللهجات العربية ٥٥٠.

(٣) هي لغة هذيل. البحر ٥/ ٢٦١، واللهجات العربيّة ٥٤٩ و٥٥٠.

(٤) في البحر ١/ ١٧١ إلى الجمهور.

(٥) في البحر ١/ ١٧١ إلى أبي جعفر والاعشى وعيسى بن عمر، والجامع ١/ ٣٣١ بإغفال أبي جعفر.

(٦) في البحر ١/ ١٧١ بلا نسبة.

(٧) في البحر ١/ ١٧١ إلى وَرْش.

(٨) هذا الرأي للخليل كما في الكتاب ١/ ٤٤٩.

(٩) في الكتاب ١/ ٤٥١ هذا المعنى والاستشهاد بالآية ﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾ [الأنعام] ولكن بعبارة أخرى.

يقول: «كَذَبَ عليكُمُ الحجُّ»[1] فـ «الحجُّ» مرفوع، وإنّما يريدون أن يأمروا بالحج. قال الشاعر[2] [من الكامل وهو الشاهد الثامن والأربعون]:

كَذَبَ العتيقُ وماءُ شَنٍّ بارِدٍ
إن كنتِ سائلتي غَبُوقاً فاذْهَبي

وقال[3] [من الوافر وهو الشاهد التاسع والأربعون]:

وذُبيانِيَّةٌ توصي بنيها
ألا كَذَبَ القراطِفُ والقُروفُ[4]

قال أبو عبد الله[5]: «القَراطِفُ»، واحدها «قَرْطَفٌ»: وهو كلّ ما له خَمَلٌ من الثياب. و«القُروف»، واحدها «قَرْفٌ»: وهو وعاءٌ من جلود الابل كانوا يَخلون اللحم، ويحملونه فيه في أسفارهم. ويقولون: «هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ» والخَرِب هو الجُحْرُ. ويقول: أحدهم: «هذا حَبُّ رُمّاني». فيضيف الرُّمّان إليه وإنّما له الحَبّ؛ وهذا في الكلام كثير.

وقوله تعالى﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية/ ١٤] و﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء/ ٥٣] فأجراه على اللفظ حتى صار جواباً للأمر[6]. وقد زعم قوم، أنّ هذا إنّما هو على «فَلْيَغْفِروا» و«قُلْ لِعِبادي فَلْيَقولوا»، وهذا لا يضمر كلّه، يعني الفاء واللام. ولو جاز هذا لجاز قول الرجل: «يَقُمْ زَيْدٌ»، وهو يريد

---

(١) نسبتها كتب اللغة إلى الخليفة عمر بن الخطاب، الصحاح واللسان والتاج «كذب» وعبارة الصحاح:
«قال الأخفش: فالحجّ مرفوع بـ «كذب» ومعناه نصب، لأنه يريد أنْ يأمر بالحج كما يقال: «أمكنك الصيد» يريد: «ارمه» قال الشاعر: «البيت»، وفي اللسان نسبت العبارة إلى النضر بن شميل مع تغيير طفيف فيها. وفي التكملة «كذب» بعبارة مغايرة.

(٢) قيل هو عنترة، وقيل بل الخزز بن لوذان السّدوسي. ديوان عنترة ٢٧٣، والكتاب وتحصيل عين الذهب ٢/ ٣٠٢، واللسان «كذب»، والتاج «كذب»، وقال إنه في ديوانيهما.

(٣) هو معقر بن حمار البارقي «الصحاح» «ق ر ف» «والجمهرة» «ر ف ق» اللسان «كذب»، و «قرف»، وشرح التبريزي للسقط ١٣٦٦، والخزانة ٢/ ٢٨٩، والتاج كذب.

(٤) في الصحاح «قرف» بـ «وصّت» و«بأن كذب» «والجمهرة» رفق بـ «أوصت» و«بأن» وفي الخزانة كالجمهرة وفي المقاييس كالصحاح وفي التاج «كذب». كالجمهرة.

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي أو محمد بن سلاّم الجُمَحِيّ. انظر مناقشة إشارة هذه الكنية إليه في منهج الأخفش الأوسط ٥١، ٥٤.

(٦) نقله في زاد المسير ٥/ ٤٧، والبحر ٦/ ٤٩، والأملاء ٢/ ٦٩، ورد عليه الرأي في الأخير.

«لِيَقُمْ زَيْدٌ» . وهذه الكلمة أيضاً أمثل، لأنك لم تضمر فيها الفاء مع اللام.

وقد زعموا أن اللام قد جاءت مضمرة، قال الشاعر[1] [من الوافر وهو الشاهد الخمسون]:

مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ
إذا ما خِفْتَ من شَيْءٍ تَبالا[2]

يريد: «لِتَفْدِ»، وهذا قبيح. وقال: «اتَّقِ اللهَ امرُؤٌ فعل كذا وكذا» ومعناه: «لِيَتَّقِ الله». فاللفظ يجيء كثيرا، مخالفاً للمعنى. وهذا يدلّ عليه. قال الشاعر[3] في ضمير اللام [من الطويل وهو الشاهد الحادي والخمسون]:

على مثْلِ أصحابِ البعوضةِ فاخْمِشِي
لكِ الويلُ حُرَّ الوَجْهِ أو يَبْكِ من بكى[4]

يريد «لِيَبْكِ مَنْ بكى» فحذف، وسمعتُ من العرب من ينشد هذا البيت بغير لام [من الطويل وهو الشاهد الثاني والخمسون]:

فَيَبْكِ على المِنجابِ أضيافُ قَفْرةٍ
سَرَوْا وأُسارى لم تُفَكَّ قيودُها

يريد: «فَلْيَبْكِ» فحذف اللام.

باب تفسير أنا وأنت وهو

وأمّا قولُه تعالى﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ و﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١﴾، فتقرأ ﴿وَإِيَّٰيَ﴾؛ وقد شغلت الفعل، بالاسم المُضْمَر، الذي بعده الفعل. لأنّ كلّ ما كان من الأمر والنهي في هذا النحو، فهو منصوب، نحو قولك: «زيداً فاضرِبْ أخاهُ». لأنّ الأمروالنهي، مما يضمران كثيراً، ويحسن فيهما الإضمار، والرفع أيضاً جائز، على أن لا يُضمر. قال الشاعر[5] [من الطويل وهو الشاهد الثالث والخمسون]:

---

(١) قيل هو الأعشى، وقيل أبو طالب، وقيل الإمام عليّ بن أبي طالب.

(٢) الكتاب ١/ ٤٠٨، وشرح التبريزي لسقط الزند ١١٢٥، وأمالي الشجري ١/ ٣٧٥. وليس في ديوان الأعشى، ولا ديوان أبي طالب.

(٣) هو متمّم بن نويرة ـ متمّم ومالك ٨٤، والكتاب ١/ ٤٠٩ وشرح الخوارزمي لسقط الزند ١١٢٤، وشرح شواهد المغني ٢٠٤.

(٤) متمّم ومالك ٨٤ بـ «ويلك» بدل «أبيك». وانظر شرح ابن يعيش ٧/ ٦٠ والمغني ١/ ٢٢٥.

(٥) لم تفد المراجع والمصادر شيئاً في معرفته. والشاهد في الكتاب ١/ ٧٠ وإعراب القرآن للزّجاج ١/ ١٩٠ والمغني ١/ ١٦٥.

وقـائِلَـةٍ خَـوْلانُ فـانـكِـحْ فـتـاتَـهُـمْ

وأكـرومَـةُ الـحَـيَّيْـنِ خِـلْـوٌ كـمـا هِـيـا

وأمّا قوله تعالى ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ [النور/٢] و﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة/٣٨] فزعموا - والله أعلم - أنّ هذا على الوحي، كأنّه يقول: «ومِمّا أقصُّ عليكُم الزّانيةُ والزّاني، والسّارقة والسّارقُ». ثمّ جاء بالفعل، من بعد ما أوجب الرفع، على الأوّل على الابتداء، وهذا على المجاز، كأنّه قال «أمرُ السّارقِ والسّارقة وشأنُهما مِمّا نَقُصُّ عليكم» ومثله قوله ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [محمد/١٥] ثمّ قال من الآية نفسها ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ﴾ كأنه قال: «وَمِمّا أقصُّ عليكُمْ مَثَلُ الجنة»، ثمّ أقبل يذكر ما فيها، بعد أن أوجب الرفع في الأوّل على الابتداء. وقد قرأها قوم نصْباً[1]، اذ كان الفعل يقع على ما هو من سبب الأوّل، وهو في الأمر والنهي. وكذلك ما وقع عليه حرف الاستفهام، نحو قوله جلّ جلاله ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ﴾ [القمر/٢٤]. وإنّما فُعِلَ هذا في حروف الاستفهام، لأنّه إذا كان بعده اسم وفعل، كان أحسن أن يبتدأ بالفعل قبل الاسم، فإنْ بدأت بالاسم، أضمرت له فعلا، حتى تُحَسِّن الكلام به، وإظهار ذلك الفعل قبيح.

وما كان من هذا، في غير الأمر والنهي والاستفهام والنفي، فوجه الكلام فيه الرفع، وقد نصبه ناس من العرب كثير. وهذا الحرف قد قُرِئ نصباً ورفعاً ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت/١٧][2].

وأمّا قوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ

---

(١) قراءة النصب لآية النور، في الشواذ ٣٢ إلى عيسى بن عمرو، في المحتسب ٢/١٠٠، وفي الجامع ١٢/١٥٦ كذلك، وزاد في البحر ٦/٤٢٧ يحيى بن يعمر وعمرو بن فائد وأبا جعفر وشيبة وأبا السمال ورويسا.

وقراءته لآية المائدة في الشواذ ٣٢، إلى عيسى بن عمر، وفي البحر ٣/٤٧٦ إلى عيسى وابن أبي عبلة.

(٢) قراءة الرفع في معاني القرآن ٣/١٤، إلى عاصم وأهل المدينة والأعمش، مع التنوين عند الاخير، وفي الطبري ٢٤/١٠٤ إلى عامة قرّاء الأمصار، إلّا ابن أبي اسحاق، وأنّ الأعمش كان ينوّن؛ وفي الجامع ١٥/٣٤٩ إلى ابن عباس «وغيره». وفي البحر ٧/٤٩١ إلى الجمهور وابن وثاب والأعمش وبكر بن حبيب؛ وقراءة النصب في معاني القرآن ٣/١٤ إلى الحسن؛ وفي الطبري ٢٤/ ١٠٥ إلى ابن أبي اسحاق؛ وفي الشواذ ١٣٣ إلى ابن أبي اسحاق وعيسى بن عمر؛ وفي الجامع ١٥/٣٤٩ إلى الحسن وابن أبي اسحاق؛ وفي البحر ٧/ ٤٩١ زاد الأعمش، وروى المفضل عن عاصم صرفها، وعدم التصرف.

يَقْدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر] فهو يجوز فيه الرفع[1]، وهي اللغة الكثيرة؛ غير أنّ الجماعة اجتمعوا على النصب[2]، وربّما اجتمعوا على الشيء، كذلك ممّا يجوز، والأصل غيره. لأنّ قولك: «إنّا عَبْدُ اللهِ ضَرَبْناهُ»، مثل قولك «عَبدُ اللهِ ضَرَبْناهُ»، لأنّ معناهما في الابتداء سواء. قال الشاعر[3] [من المتقارب وهو الشاهد الرابع والخمسون]:

فـأمّـا تَـمِـيـمٌ تَـمِـيـمُ بـنُ مُـرٍّ
فـألْـفـاهُـمُ الـقـومُ رَوْبـى نِـيـامَـا

وقال[4] [من الطويل وهو الشاهد الخامس والخمسون]:

إذا ابنَ أبي مُوسى بِلالاً بَلَغْتِهِ
فقامَ بِفأسٍ بينَ وَصْلَيْكِ جازِرُ

ويكون فيهما النصب. فمن نصب (وأمّا ثمودَ)، نصب على هذا.

وأمّا قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان] وقوله ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾ [النازعات] ثم قال ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات] وقال ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن] ثم قال ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾﴾ [الرحمن] وقال ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ [الفرقان] فهذا، إنّما ينصب؛ وقد سقط الفعل على الاسم بعده، لأنّ الاسم الذي قبله قد عَمِل فيه، فأضمرت فعلاً، فأعملته فيه، حتّى يكون العمل من وجه واحد. وكان ذلك أحسن، قال الشاعر [من الوافر وهو الشاهد السادس والخمسون]:

نُغالِي اللَّحمَ لِلأضيافِ نِيئاً
ونُرْخِصُهُ إذا نَضِجَ القُدُورُ[5]

يريد «نُغالي باللّحم» فإنْ قلت

---

(١) هي قراءة نسبت في الشواذ ١٤٨، والمحتسب ٢/ ٣٠٠، والجامع ١٧/ ١٤٧، إلى أبي السمال؛ وفي البحر ٨/ ١٨٣ زاد عن ابن عطيه قوما من أهل السنة.

(٢) في القرطبي ١٧/ ١٤٧ الى الجماعة، وفي البحر ٨/ ١٨٣ الى الجمهور.

(٣) هو بشر بن أبي خازم الأسدي. انظر ديوانه ١٩٠ والكتاب ١/ ٤٢، والصحاح «روب».

(٤) هو ذو الرُمّة غيلان؛ انظر ديوانه ٢/ ١٠٤٢؛ والكتاب ١/ ٤٢، ومعاني الفراء ١/ ٢٤١ بـ «أتيته».

(٥) في معاني القرآن ٢/ ٣٨٣. وفي التهذيب «غلا» بـ «تعالى» و«تبذله»، وأساس البلاغة «غ ل و» واللسان «غلا»، بـ «القدير»، وشرح الأبيات للفارقي ٢٤ و٢٠١ بـ «نبذله»، والصحاح «غلا»؛ وفيها كلها بلا عزو.

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ﴾ ليس ينتصب في اللفظ، فهو في موضع نصب قد عمل فيه كما فعلت: «مررتُ بزيدٍ وعَمْراً ضربتُه»، كأنك قلت: «مررت زيداً» وقد يقول هذا بعض الناس. قال الشاعر[1] [من المنسرح وهو الشاهد السابع والخمسون]:

أَصبحتُ لا أَحمِلُ السِّلاحَ ولا
أَمْلِكُ رأسَ البعيرِ إنْ نَفَرا[2]

والذِّئبَ أَخشاهُ إنْ مَرَرْتُ بهِ
وَحدِي وأَخشى الرِّياحَ والمَطَرا

وكلُّ هذا، يجوز فيه الرفع على الابتداء، والنصب أجود وأكثر.

وأمّا قوله تعالى ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾[3].

فإنّما هو على معنى «يُغْشى طائفةً منكُمْ وطائفةٌ في هذهِ الحال».

وهذه واو ابتداء لا واو عطف، كما تقول: «ضربتُ عبْدَ اللهِ وزيدٌ قائم». وقد قرئت نصبا[4]، لأنها مثل ما ذكرنا، وذلك لأنه قد يسقط الفعل، على شيء من سببها، وقبلها منصوب فعطفتها عليه، وأضمرت لها فعلها فنصبتها به. وما ذكرنا في هذا الباب من قوله تعالى ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾، وقوله ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ﴾ [النور/ ٢] ليس في قوله ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ﴾ و﴿فَٱجْلِدُواْ﴾ خبر مبتدأ، لأنّ خبر المبتدأ هكذا، لا يكون بالفاء. فلو قلت «عبدُ اللهِ فَيَنْطَلِقُ» لم يَحْسُن. وإنّما الخبر، هو المضمر الذي فسّرت لك، من قوله «ومِمّا نقصّ عليكم» وهو مثل قول الشاعر [من الطويل وهو الشاهد الثالث والخمسون]:

وقائلةٍ خَوْلانُ فانْكِحْ فتاتَهُم
وأُكرومةُ الحَيَّيْنِ خِلْوٌ كما هِيا

وكأنّه قال: «هؤلاءِ خَوْلانُ» كما تقول: «الهلالُ فانظرْ إليهِ» كأنّك قلت: «هذا الهلالُ فانظرْ اليه» فأضمرَ الاسم.

فأمّا قولُه تعالى ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا

---

(١) هو الربيع بن ضبع الفزاري «المعمّرون ٩»، والكتاب ١/ ٤٦.

(٢) في الكتاب «كما سبق» بـ «أردّ» بدل أملك، وفي التحصيل بـ «أن يقرأ»، وفي البيان ٢/ ٦٨ و٢٩٩ بـ «أردّ» في كليهما.

(٣) آل عمران ٣/ ١٥٤، وقد وردت قراءة الرفع في معاني القرآن ١/ ٢٤٠ والطبري ٧/ ٣٢١ بلا نسبة.

(٤) في معاني القرآن ١/ ٢٤٠، والطبري ٧/ ٣٢١ ذكر النصب ولم ينسب قراءة.

مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَآ﴾ [النساء/١٦]، فقد يجوز أن يكون هذا خبر المبتدأ، لأنّ «الذي» اذا كان صِلَتَه فعلٌ، جاز أن يكون خبره بالفاء، نحو قول الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء/٩٧] ثم قال، في الآية نفسها: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [النساء/٩٧].

باب الواو

أمّا قوله تعالى﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ [الآية ٤٥]، فلأنه حمل الكلام على «الصلاة». وهذا كلام منه ما يحمل على الأوّل، ومنه ما يحمل على الآخر. وقال أيضاً ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة/٦٢] فهذا يجوز على الأوّل والآخر؛ وأقيس هذا، إذا ما كان بالواو، أن يحمل عليهما جميعاً. تقول: «زيد وعمرو ذاهبان». وليس هذا مثل «أو»، لأنّ «أو» إنّما يخبر فيه عن أحد الشيئين. وأنت في «أو» بالخيار، إن شئت جعلت الكلام على الأوّل، وإن شئت على الآخر؛ وأن تحمله على الآخر أقيس، لأنّك إن تجعل الخبر على الاسم الذي يليه الخبر، فهو أمثل من أن تجاوزه الى اسم بعيد منه. قال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة/١١]، فحمله على الاول؛ وقال في موضع آخر ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [القصص/٧٣] وقال ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ [النساء/١١٢] فحمله على الآخر. قال الشاعر [من البسيط وهو الشاهد الثامن والخمسون]:

أمّا الوَسامَةُ أو حُسْنُ النِّساءِ فَقَدْ ... أُوتيتِ مِنْهُ لَوَ انَّ العقلَ مُحْتَنِكُ

وقال ابنُ أحمر[1] [من الطويل وهو الشاهد التاسع والخمسون]:

رماني بِداءٍ[2] كُنتُ مِنهُ ووالدي ... بريئاً ومِنْ أجْلِ[3] الطَّوِيِّ رماني

(١) انظر ترجمته فيما سبق، وفي مجاز القرآن ٢/ ١٦١ نسب البيت إلى الأزرق بن طرفة بن العمرّد الفراصي الباهلي.

(٢) في الكتاب ١/ ٣٨، ومجاز القرآن ٢/ ١٦١، ومعاني القرآن ١/ ٤٥٨، والصحاح «جول»، وإعراب القرآن للزجاجي ٢/ ٦١١، بـ «بأمر» بدل «بداء».

(٣) في تحصيل الشنتمري ١/هـ ٣٨، ومعاني القرآن، والصحاح، وإعراب القرآن للزجاجي «كما سبق» بـ «جول» بدل «أجل» وفي مجاز القرآن كما سبق بـ «دون» بدل «أجل».

وقال الآخر[1] [من المنسرح وهو الشاهد الستون]:

نحنُ بما عندنا وأنتَ بما ... عندَكَ راضٍ والرَّأيُ مُختلِفُ

وهذا مثل قول البرجمي[2] [من الطويل وهو الشاهد الحادي والستون]:

منْ يكُ أمسى بالمدينةِ دارُهُ ... فإنّي وَقيّاراً بِها لَغريبُ[3]

باب اسم الفاعل

وقال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [الآية ٤٦]، فأضاف قوله ﴿ملاقو ربّهم﴾، ولم يقع الفعل. وإنما يضاف، اذا كان قد وقع الفعل، تقول: «هم ضاربو أبيك» اذا كانوا قد ضربوه. وإذا كانوا في حال الضرب، أو لم يضربوا، قلت: «هم ضاربون أخاك»، إلاّ أنّ العرب قد تستثقل النون، فتحذفها في معنى إثباتها، وهو نحو ﴿ملاقو ربّهم﴾ مثل ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران/ ١٨٥][4] ولم تذق بعد. وقد قرأ بعضهم: (ذائقةٌ الموتَ)[5] على ما فسّرتُ لك. وقال الله جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ [القمر/٢٧]، وهذا قبل الإرسال، ولكن حذفت النون استثقالا. وقال ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف/١٨]، فأثبت التنوين، لانه كان في الحال.

وقال ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ [الدخان/١٥]، على ذلك أيضاً. وزعموا

(١) هو في الكتاب ١/ ٣٨، وتحصيل عين الذهب كذلك والمقاصد النحوية ١/ ٢٢٨ قيس بن الخطيم، وفي مجاز القرآن ١/ ٣٩ الى عبد الله بن امرئ القيس الأنصاري، وفي معاني القرآن ٢/ ٣٦٣ هو مرار الأسدي وفي ١/ ٤٣٤ و٤٤٥ و٣/ ٧٧ بلا عزو؛ وفي الانصاف ١/ ٦١ الى درهم بن زيد الأنصاري . وفي ديوان قيس بن الخطيم هـ ١١٥، أنه عمرو بن امرئ القيس الخزرجي.

(٢) هو في الكتاب ١/ ٣٨، وتحصيل عين الذهب كذلك والخزانة ٤/ ٣٢٣، واللسان «قير» والمقاصد النحوية ٢/ ٣١٨. والبرجمي هو ضابي بن الحارث البرجمي، ترجمته في الشعر والشعراء ١/ ٣٥٠، وطبقات الشعراء ١/ ١٧٢.

(٣) في الكتاب، وتحصيل عين الذهب، والخزانة، واللسان، والمقاصد النحوية، كما سبق بـ «رحله» بدل «داره». واختلفت في «قيار» بين الرفع والنصب.

(٤) والأنبياء ٢١/ ٣٥، والعنكبوت ٢٩/ ٥٧.

(٥) في الشواذ ٢٣ إلى اليزيدي وفي الجامع ٤/ ٢٩٧ إلى الأعمش، ويحيى، وابن أبي اسحاق؛ وفي البحر ٣/ ١٣٣ كما السابقين، وزاد أبا حيوة في نقل ابن عطية.

أنّ هذا البيت يُنْشَدُ هكذا [من البسيط وهو الشاهد الثاني والستون]:

هل أنتَ باعثُ دينارٍ لحاجَتِنا
أو عبدَ ربٍّ أخا عمرو[1] بنِ مِخْراقِ[2]

فأضاف، ولم يقع الفعل، ونصب الثاني على المعنى، لأنّ الأوّل فيه نيّة التنوين. وقال ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ [العنكبوت/ ٣٣] فالنصب وجه الكلام، لأنّك لا تجري الظاهر على المضمر، والكاف في موضع جرّ، لذهاب النون. وذلك لأنّ هذا، إذا سقط على اسم مضمر، ذهب منه التنوين والنون، إنْ كان في الحال وإنْ لم يفعل، تقول: «هو ضاربُك الساعةَ أو غداً» و«هم ضاربوك». وإذا أدخلت الألف واللام، قلت: «هو الضاربُ زيداً»، ولا يكون أن تجرّ زيداً، لأنّ التنوين كأنّه باقٍ في «الضارب»، إذا كان فيه الألف واللام، لأنّ الألف واللام تعاقبان التنوين. وتقول: «هما الضاربانِ زيداً» و«هما الضاربا زيدٍ» لأنّ الألف واللام لا تعاقبان التنوين في الاثنين والجمع.

فإذا أخرجت النون من الاثنين والجمع من أسماء الفاعلين، أضفت، وإن كان فيه الألف واللام، لأنّ النون تعاقب الاضافة؛ وطرح النون، ههنا، كطرح النون في قولك: «هما ضاربا زيد» ولم يفعلا، لأن الأصل في قولك: «الضاربان» إثبات النون، لأنّ معناه وإعماله؛ مثل معنى «الذي فعل» وإعماله قال الشاعر[3] [من المنسرح وهو الشاهد الثالث والستون]:

الحافظو عورةِ العشيرةِ لا
يأتيهُمُ من ورائِنا نَطَفُ[4]

وفي كتاب الله ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَوٰةِ﴾

---

(١) في الكتاب ١/ ٨٧ بـ «عون»، والخزانة ٣/ ٣٧٦، والمقاصد النحوية ٣/ ٥٦٣ كذلك.

(٢) البيت في الخزانة، كما سبق ينسب إلى جابر بن رألان السنبسي، وقيل جرير، وقيل تأبط شرًا، وفي المقاصد النحوية، كما سبق الى جرير، وليس في ديوان تأبّط شرًا، ولا في ديوان جرير.

(٣) هو عمر بن امرئ القيس الخزرجي «ديوان قيس بن الخطيم هـ ١١٥»، وقيل بل قيس بن الخطيم أو شريح بن عمرو، أو عمرو بن قيس، أو مالك بن العجلان «الخزانة ٢/ ١٨٨»، وشرح الأبيات للفارقي ٢١٢.

(٤) شرح الأبيات للفارقي كما سبق بـ «ورائهم»، وفي الخزانة الروايتان، وانظر فيها ٢/ ٣٣٧ و٤٨٣ و٣/ ٤٠٠ و٤٧٣، وفي الصحاح «وكفٌ» بـ «ورائهم وكف»، وفي التهذيب «وكَف» بـ «العشير ولا ... ورائهم وكف»، وفي الخزانة ٢/ ٣٣٧ بـ «وكف».

[الحج/٣٥][1]، وقد نصب بعضهم، فقرأ: (والمُقيمي الصلاةَ)[2] و«الحافظو عورةً» استثقالاً للاضافة، كما حذفت نون «اللذينِ» و«الذينَ». قال الشاعر[3] [من الكامل وهو الشاهد الرابع والستون]:

أَبَنِي كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّيَّ اللَّذا
قَتَلا المُلُوكَ وَفَكَّكا الأغلالا

وقال[4] [من الطويل وهو الشاهد الخامس والستون]:

فإنَّ الذي حانَتْ بَفَلْجٍ دماؤُهم
هُمُ القومُ كلُّ القومِ يا أُمَّ خالدِ[5]

فألقى النون. وزعموا أنّ عيسى بنَ عُمَر[6] كان يجيز [من المتقارب وهو الشاهد السادس والستون]:

فألفيتُهُ غيرَ مُسْتَعْتِبٍ
ولا ذاكِرَ اللَّهَ إلاّ قليلا[7]

كأنّه إنّما طرح التنوين لغير معاقبة إضافة، وهو قبيح إلاّ في كلّ ما كان معناه «اللّذان» و«الّذين»، فحينئذ يطرح منه ما طرح من ذلك. ولو جاز هذا البيت، لقلت: «هم ضاربو زيداً»، وهذا لا يحسن. وزعموا أنّ بعض العرب قرأ (واعْلَمُوا أنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهَ) [التوبة/٢] وهو أبو السَّمّال[8] وكان فصيحاً. وقد قُرِئَ هذا الحرف (إنّكم

---

(١) الحج ٢٢/ ٣٥، وهي في الجامع ١٢/ ٥٩، والبحر ٦/ ٣٦٩، قراءة الجمهور، ومعاني القرآن ٢/ ٢٢٥ بلا نسبة.

(٢) وهي في الشواذ ٩٥ إلى ابن أبي إسحاق، وفي المحتسب ٢/ ٨٠ زاد الحسن وأبا عمرو، وكذلك في البحر ٦/ ٣٦٩؛ وفي الجامع ١٢/ ٥٩ قصرت على أبي عمرو، وفي معاني القرآن ٢/ ٢٢٥ بلا نسبة، وبـ «المقيمين» ونصب الصلاة إلى عبد الله بن مسعود.

(٣) هو الأخطل غياث بن غوث التغلبي. ديوانه ٤٤، والكتاب، وتحصيل عين الذهب ١/ ٩٥.

(٤) هو الأشهب بن رميله، كما في الكتاب وتحصيل عين الذهب ١/ ٩٦، ومجاز القرآن ٢/ ١٩٠، والخزانة ٢/ ٥٠٧ و٣/ ٤٧٣، وفيها أيضاً أنّ أبا تمام نسبه في مختار أشعار القبائل إلى حريث بن محفض.

(٥) في الكتاب «كما سبق» بـ «وإنّ»، وفي الخزانة ٢/ ٥٠٧ اختلاف رواياته بـ «الألى» و«مارت» بدل «حانت».

(٦) هو أبو عمر عيسى بن عبد الله الثقفي المولود بين عامي ٧٥ و٨٠ المتوفى عام ١٤٩، ترجمته في مراتب النحويين ٣١، وطبقات النحويين ٤٠، وإنباه الرواة ٢/ ٣٧٤، وبغية الوعاة ٢٧٠.

(٧) البيت لأبي الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو في ديوانه ٣٨، وفي الكتاب وتحصيل عين الذهب ١/ ٨٥.

(٨) هو أبو السمال قعنب بن أبي قعنب العدوي البصري، له اختيار في القراءة شاذ عن العامة، رواه عنه أبو زيد سعيد بن أوس ترجمته في غاية النهاية ٢/ ٢٧، وطبقات القرّاء ٢/ ٢٧.

لَذَائِقو العذابَ الاليمَ)[1] وهو في البيت أمثل، لأنّه أسقط التنوين، لاجتماع الساكنين. واذا ألحقتَ النونَ ، نصبت لأنّ الإضافة قد ذهبت ، قال تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ [النساء/ ١٦٢] وقال ﴿وَالذَّٰكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الاحزاب/ ٣٥] قال الشاعر[2] [من الكامل وهو الشاهد السابع والستون]:

النازلونَ بكلِّ معتَرَكٍ
والطيّبونُ معاقدَ الأُزُرِ

باب اضافة الزمان الى الفعل

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ [الآية ٤٨] فنوّن اليوم، لأنّه جعل «فيه» مضمراً، وجعله من صفة اليوم، كأنّه قال «يوماً لا تَجْزِي نفسٌ عن نفسٍ فيه شيئاً». وإنّما جاز إضمار «فيه»، كما جاز إضافته إلى الفعل، تقول: «هذا يومُ يفعل زيدٌ». وليس من الأسماء شيء، يضاف الى الفعل، غير أسماء الزمان، ولذلك جاز إضمار «فيه». وقال قوم: «إنّما أضمر الهاء، أراد «لا تَجْزيه»، وجعل هذه الهاء اسماً لليوم مفعولا، كما تقول: «رأيتُ رجلاً يحبُّ زيدٌ» تريد: «يحبُّه زيدٌ». وهو في الكلام يكون مضافاً، تقول: «اذكر يومَ لا ينفعُكَ شيء»: أي: «يومَ لا منفعة»؛ وذلك، أنّ أسماء الحين قد تضاف الى الفعل، قال تعالى ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥﴾ [المرسلات] أي «يومُ لا نطقَ»، وقد قرأ بعضهم (هذا يومَ لا ينطِقون)[3] وكذلك ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ [الصافات/ ٢١ والمرسلات ٣٨] وكلّ ما أشبه هذا، فهو مثله. ولا يضاف إلى الفعل شيء، إلاّ الحين، إلاّ أنّهم قد قالوا[4] [من الوافر وهو الشاهد الثامن والستون]:

(١) الصافات ٣٧/ ٣٨، وفي البحر ٧/ ٣٥٨، انها إلى أبي السمال وأبان عن ثعلبة ،عن عاصم، وأنّ كسر الباء الى الجمهور.

(٢) هو خرنق بن هفان الشاعرة الجاهلية. ديوانها ٢٩، والكتاب وتحصيل عين الذهب ١/ ١٠٤ و٢٤٦ و٢٤٩ و٢٨٨.

(٣) في الشواذ ١٦٧ هي قراءة الأعرج والأعمش، وفي البحر ٨/ ٤٠٧ زاد زيد بن علي وعيسى وأبا حيوة، وعاصما في رواية.

(٤) لم تفد المراجع شيئاً عن القائل، وإن كان البغدادي في الخزانة ١/ ١٣٥ قد أورد أنه في الكتاب منسوب إلى الأعشى، ولا نسبة في الكتاب في الموضوع الذي ورد فيه ١/ ٤٦٠.

بـآيـةِ تـقـدِمـون الـخـيـلَ زُوراً
كـأنَّ عـلـى سـنـابِكِـهـا مُـدامـا[1]

(وقالوا)[2] [من الوافر وهو الشاهد التاسع والستون]:

ألا مـن مُـبْـلِـغٌ عَـنّـي تـمـيـمـاً
بـآيـةِ مـا تُـحِـبّـونَ الـطُّـعـامـا[3]

فأضاف «آية» الى الفعل. وقالوا: «إذهبْ بذي تَسْلَم» و«بذي تَسْلَمان» فقوله: «ذي» مضاف إلى «تسلم»، كأنه قال: «اذهبْ بذي سلامَتِكَ»، وليس يضاف الى الفعل غير هذا. ولو قلت في الكلام: «واتّقوا يومَ تَجزِي نفسٌ فيهِ»، فلم تنوّن اليوم، جاز؛ كأنك أضفت، وأنت لا تريد أن تجيء بـ «فيه»، ثمّ بدا لك بعد، فجئت به؛ كما تقول: «اليومَ آتيكَ فيه» فنصبت «اليوم» لأنّك جئت بـ «فيه» بعد ما أوجبت النّصب وقال قوم: «لا يجوز إضمار» «فيه»؛ ألا ترى أنّك لا تقول: «هذا رجلٌ قصدتُ» وأنت تريد «إليه» ولا «رأيتُ رجلاً أرْغَبُ» وأنت تريد «فيهِ»[4]؛ والفرقُ بينهما، أنّ أسماء الزمان يكون فيها، ما لا يكون في غيرها، وإن شئت حملتها على المفعول في السَّعَةِ، كأنك قلت: «واتّقوا يوماً لا تجزيه نفسٌ»، ثمّ ألقيت الهاء، كما تقول: «رأيتُ رجلاً أُحِبُّ» وأنت تريد «أحِبُّه».

باب من التأنيث والتذكير

أمّا قوله تعالى ﴿تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ [الآية ٤٨]، فهو مثل قولك: «لا تَجزِي عنك شاةٌ» و«يجزي عنك درهم» و«جَزى عنك درهم» و«جَزَتْ عنك شاةٌ». فهذه لغة أهل الحجاز، لا

(١) في الكتاب وتحصيل عين الذهب ١/ ٤٦٠ بـ «شعثا» بدل «زورا»، وفي الكامل ٣/ ١٦٨ ، كذلك، وفي المغني ٢/ ٤٢٠ بـ «يقدمون» و«شعثا»، وفي شرح السيوطي ٢٧٤ كذلك. وفي الهمع ٢/ ٥١ بالتاء «وشعثا»، وفي الدرر ٢/ ٦٣ بالتاء و«شعثا» أيضا.

(٢) زيادة يقتضيها السياق ، وهو في الكتاب ١/ ٤٦٠ يزيد بن عمرو بن الصعق، وفي تحصيل عين الذهب هـ ١/ ٤٠٦ إلى زيد بن عمرو بن الصعق، وفي الاشتقاق ٢٩٧ إلى الصعق عمرو بن خويلد.

(٣) في الكامل ١/ ١٤٧ بـ «ألا أبلغ لديك بني تميم» و«يحبّون» بالياء، وفي الاشتقاق «كما سبق» كذلك، وفي المقاييس «أبي» مثل الكامل، وبالتاء؛ وفي المغني ٢/ ٤٢٠ بالتاء.

(٤) في الجامع ١/ ٣٧٧ نسب إلى الكسائي قوله : «لا يجوز أن تقول « هذا رجل قصدت «ولا» رأيت رجلا أرغب» وأنت تريد «قصدت إليه» و«أرغب فيه».

يهمزون. وبنو تميم يقولون في هذا المعنى: «أجزأتُ عنهُ وتُجزِئُ عنه شاةٌ»، وقوله «شيئاً»، كأنّه قال: «لا تُجزِئُ الشاةُ مُجزًى ولا تُغني غَناءً». وقوله تعالى ﴿عَن نَّفۡسٍ﴾ يقول: «مِنها» أي: لا تكون مكانها.

وأمّا قوله تعالى ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ﴾ [الآية ٤٨]، فإنّما ذكر الاسم المؤنّث، لأنّ كلّ مؤنّث فرّقت بينه وبين فعله، حَسُنَ أن تذكر فعله، إلاّ أنّ ذلك يقبح في الإنس، وما أشبههم ممّا يعقل. لأنّ الذي يعقل، أشدّ استحقاقا للفعل. وذلك، أنّ هذا إنّما يؤنّث ويذكّر، ليفصل بين معنيين. والموات كـ«الأرض» و«الجدار»، ليس بينهما معنًى، كنحو ما بين الرجل والمرأة. فكل ما لا يعقل يُشبّه بالموات، وما يعقل يُشبّه بالمرأة والرجل، نحو قوله تعالى ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ [يوسف] لما أطاعوا صاروا كمن يعقل، قال تعالى ﴿وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾ [الحشر/٩] فذكر الفعل حين فرق بينه وبين الاسم[1] وقال أيضاً ﴿لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ﴾ [الحديد/١٥][2] وتقرأ (تُؤخَذُ)[3]. وقد يُقال أيضاً ذاك في الانس، زعموا أنهم يقولون: «حَضَر القاضيَ امرأةٌ». فأمّا فعل الجميع، فقد يذكّر ويؤنّث: لأنّ تأنيث الجميع ليس بتأنيث الفصل، ألا ترى أنك تؤنث جماعة المذكّر، فتقول: «هِيَ الرِّجالُ» و«هِيَ القومُ»، وتسمي رجلاً بـ«بعال»، فتصرفه، لأنّ هذا، تأنيثٌ مثلُ التذكير، وليس بفصل، ولو سميته بـ«عَناقٍ»، لم تصرفه؛ لأنّ هذا تأنيث، لا يكون للمذكر، وهو فصلُ ما بين المذكر والمؤنث، تقول: «ذهب الرجل» و«ذهبت المرأة»، فتفصل بينهما. وتقول: «ذهب النساء» و«ذهبت النساء» و«ذهب الرجال» و«ذهبت الرجال».

(١) في إعراب القرآن ١/ ٤٦ نسبت هذه الآراء إلى سيبويه، والرأي الأخير وحده إلى الأخفش.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ١٣٤ والطبري ٢٧/ ٢٢٨، والجامع ١٧/ ٢٤٧، والبحر ٨/ ٢٢٢، إلى جمهور عامة القراء. وفي السبعة ٦٢٦، والحجة ٢١٥، والكشف ٢/ ٣٠٩، والتيسير ٢٠٨ استثنى منهم ابن عامر.

(٣) في السبعة ٦٢٦، والحجة ٢١٥، والكشف ٢/ ٣٠٩، والتيسير ٢٠٨ إلى ابن عامر وزاد في الجامع ١٧/ ٢٤٧ يعقوب. وفي معاني القرآن ٣/ ١٣٤ إلى بعض أهل الحجاز، وفي الطبري ٢٧/ ٢٢٨ إلى أبي جعفر القارئ، وفي الشواذ ١٥٢ زاد «جماعة»، وهارون عن أبي عمرو؛ وفي البحر ٨/ ٢٢٢ زاد على ما مرّ، الحسن وابن أبي إسحاق والأعرج وابن عامر.

وفي كتاب الله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥)﴾ [الشعراء] و﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ [الأنعام/٦٦]. قال الشاعر[1] [من الطويل وهو الشاهد السبعون]:

فما تركتْ قومي لِقَوْمِكَ حَيَّةً
تَقَلَّبُ في بَحْرٍ ولا بَلَدٍ قَفْرِ

وقال: ﴿جَآءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران/٨٦ و١٠٥] و﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ﴾ [يوسف/٣٠]. وقال الشاعر أشدّ من ذا وقد أخّر الفعل، قال [من المتقارب وهو الشاهد الثاني والثلاثون]:

فإمّا تَرَيْ لِمَّتِي بُدِّلَتْ
فإنَّ الحوادِثَ أوْدى بها

أراد «أودث بها» مثل فعل المرأة الواحدة، يجوز ان يُذكّر، فذكر هذا. وهذا التذكير في الموات أقبح، وهو في الإنس أحسن، وذلك أنّ كلّ جماعة من غير الانس، فهي مؤنثة تقول: «هي الحمير»، ولا تقول «هم». إلاّ أنهم قد قالوا: «أولئك الحمير»، وذلك أن «أولئك» قد تكون للمؤنث والمذكر تقول: «رأيت أولئك النساء». قال الشاعر[2]: [من الكامل وهو الشاهد الحادي والسبعون]:

ذُمّي المنازِلَ بعدَ مَنْزِلةِ اللِّوى
والعيشَ بعدَ أولئكِ الأيّامِ[3]

وأمّا قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية ٤٩] و﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [الآية ٥٠] وأمكنة كثيرة، فإنّما هي على ما قبلها، إنّما يقول: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ﴾ [الآية ٤٧] و«اذكُروا إذْ نَجّيناكُم» و«اذكروا إذْ فَرَقْنا بِكُم البَحْرَ» و«اذكُروا إذْ قُلتُم يا موسى لَنْ نَصْبِرَ»[4] وقال بعضهم «فرّقنا»[5].

---

(١) في معجم شواهد العربية أنّ شاهدا ينتهي بهذه القافية للحطيئة، وليس في ديوانه. والموضع الذي عثر عليه فيه رمز له بـ «صف»، ولا يوجد في سرد الرموز مرجع له هذا الرمز. ولكن في ديوان الاخطل ٢٢٠ بيت مقارب معنى، هو قوله من قصيدة يهجو بها ابن صفار المحاربي:

فما تركت حيّاتنا لك حية تقلّب في أرض براح ولا بحر

فلعلّه هو برواية أخرى.

(٢) هو جرير بن عطية بن الخطفي.

(٣) ديوانه ٥٥١ (الصاوي) وفيه بـ «ذم» و«الأقوام»، وفي الخزانة ٢/ ٤٦٧ بـ «ذم» أيضاً، والمقاصد النحوية ١/ ٤٠٨ كذلك.

(٤) إشارة إلى الآية ٦١.

(٥) في الشواذ ٥، والمحتسب ٨٢، والجامع ١/ ٣٨٧، والبحر ١/ ١٩٧ إلى الزهري.

وقال تعالى ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الآية ٥١] أي: واعدناه انقضاءَ أربعين ليلة، أي: رأسَ الأربعين، كما قال أيضاً ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف/٨٢] وهذا مثل قولهم «اليومَ أربعونَ يوماً منذُ خرجَ» و«اليوم يومانِ» أي: «اليومَ تمامُ الأربعين» و«تمامُ يَوْمَيْنِ»[1].

باب أهل وآل

وقوله تعالى ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية ٤٩]، فإنّما حدَّث عمّا كانوا يلقون منهم. و﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ في موضع رفع، وإن شئت جعلته في موضع نصب على الحال، كأنه[2] يقول «وإذ نَجّيناكُم من آلِ فرعَون سائِمين لكم» والرفع على الابتداء.

وأمّا «آلُ»، فإنها تَحْسُن اذا أضيفت الى اسم خاصّ، نحو: «أتيتُ آلَ زيد»، و«أهلَ زيد»، و«أهل مكةَ» و«آلَ مكةَ»، و«أهلَ المدينةِ»، و«آلَ المدينةِ». ولو قلت: «أتيتُ آلَ الرجلِ» و«آلَ المرأةِ» لم يَحْسُن، ولكن: «أتيتَ آلَ الله» وهُم، زعموا، أهلُ مكة.

وليس «آلُ»، بالكثير في أسماء الأرَضين وقد سمعنا من يقول ذلك[3]. وإنّما هي همزة، أبدلت مكان الهاء، مثل «هَيْهاتَ» و«أيهاتَ»[4].

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ [الآية ٥٠] أي فرقنا بين الماءين حين مررتم فيه.

وأمّا قوله تعالى ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [الآية ٥٤]، فانتصب ﴿ٱلْعِجْلَ﴾، لأنه مفعول به، تقول: «عجبت من ضربِكَ زيداً». وقوله ﴿بَارِئِكُمْ﴾ مهموز لأنه من «برأ الله

---

(١) في إعراب القرآن ١/٤٧، والجامع ١/٣٩٥، والبحر ١/١٩٩ نقلت هذه الآراء، مع هذه الأمثلة للأخفش ونسبت إليه.

(٢) عبارة الأخفش في الرفع والنصب بنصها، في إعراب القرآن ١/٤٦، والجامع ١/٣٨٤.

(٣) نقل عن الأخفش في إعراب القرآن ١/٤٦، والجامع ١/٣٨٢، والبحر ١/١٨٨، آراؤه في هذا اللفظ بعبارات تغاير هذه ولعلّها منقولة من كتاب آخر له وفي الموضعين الأولين ينكر الكسائي استعمال «آل» في البلدان.

(٤) أشير في الإبدال والمعاقبة ٢٩ وما بعدها، إلى الإبدال في هاتين اللفظتين «أهل» و«هيهات». وفي الإبدال ٢/٥٧١ إلى ثانيهما، وفي اللهجات العربية ٤٩١ أنّ طيّئاً كانت تبدل الهمزة هاء في «إن» الشرطية وهمزة النداء؛ وأنّ اللغة الحِميرية، كانت تبدل الهمزة هاء؛ وفي الجامع نسب الرأي إلى النحاس ١/٣٨٣.

الخلق» «يَبْرأُ» «بَرءاً». وقد قرأ بعضهم، هذه الهمزة بالتخفيف، فجعلها بين الهمزة وبين الياء[1]. وقد زعم قوم، أنّها تُجزم[2]، ولا أرى ذلك إلاّ غلطاً منهم، سمعوا التخفيف، فظنّوا أنّه مجزوم، والتخفيف لا يفهم إلاّ بمشافهة، ولا يعرف في الكتاب. ولا يجوز الإسكان، إلاّ أنْ يكون أسكن، وجعلها نحو «عَلْمَ» و«قَدْ ضُرْبَ» و«قَدْ سَمْعَ» ونحو ذلك[3].

سمعت من العرب، من يقول: (جاءتْ رُسْلُنا)[4] جزم اللام، وذلك لكثرة الحركة، قال الشاعر[5] [من السريع وهو الشاهد الثاني والسبعون]:

وأنتِ لو باكرتِ مشمولةً
صَهْباءَ مثلَ الفَرَسِ الأشقَرِ[6]

رُحْتِ وفي رجلَيْكِ ما فيهما
وقد بَدا هَنْكِ من المِئْزَرِ

وقال امرؤ القيس[7] [من السريع وهو الشاهد الثالث والسبعون]:

فاليومَ أشربْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ
إثْماً مِنَ اللهِ ولا واغِلِ[8]

وقال آخر [من الرجز وهو الشاهد الرابع والسبعون]:

إنْ بَنِي نُمَيْرَةْ فُؤادي

وقال آخر [من الرجز وهو الشاهد الخامس والسبعون]:

---

(١) في الشواذ ٥، أنّ القراءة بالياء إلى الأشهب؛ وفي السبعة ١٥٤ إلى أبي عمرو؛ وكذلك في الكشف ١/ ٢٤١.

(٢) في السبعة ١٥٤و١٥٥ أنّها إلى أبي عمرو؛ وفي حجّة ابن خالويه ٥٤، والكشف ١/ ٢٤٠ والجامع ١/ ٤٠٢ كذلك.

(٣) في الكتاب ٢/ ٢٥٧و٢٥٨ هي لغة بكر بن وائل، وأناس كثير من بني تميم، وانظر اللهجات العربية ١٧٦ ولهجة تميم ١٦٦ و١٦٧ و١٦٨.

(٤) هود ١١/ ٦٩، و٧٧؛ والعنكبوت ٢٩/ ٣١ و٣٣.

(٥) هو الأقيشر المغيرة بن عبد الله الأسدي «شرح الخوارزمي لسقط الزند ١٦٨٣، والخزانة ٢/ ٢٧٩، والأقيشر الأسدي وأخبار شعره ٤٫٦ وقيل هو الفرزدق، أمالي ابن الشجري ٢/ ٣٧؛ وليس البيتان في ديوانه.

(٦) في الأقيشر ٦٦: فقلت» بدل «وأنت» و«صهبا كلون» وفي مجالس ثعلب ٨٨ و١١٠ «صفراً كلون»، وفي شرح الخوارزمي بـ «لون» بدل «مثل»، وفي أمالي ابن الشجري بـ «حمراء».

(٧) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي، شاعر أولى المعلّقات، انظر ترجمته في الاغاني ٨/ ٦٢، وطبقات فحول الشعراء ١/ ٥١ والشعر والشعراء ١/ ١٠٥.

(٨) ديوان امرئ القيس ١٢٢، وفي الكامل ١/ ٢٠٩، والاشتقاق ٣٣٧ بـ «أسقى» بدل «أشرب».

يا عَلْقَمَهْ يا عَلْقَمَهْ يا عَلْقَمَهْ

خَيْرَ تَمِيمٍ كُلِّها وأكْرَمَهْ

وقال[1] [من الرجز وهو الشاهد السادس والسبعون]:

إذا اعْوَجَجْنَ قلتُ صاحِبْ قَوِّمْ

بالدَّوِّ أمثالَ السَّفِينِ العُوَّمْ[2]

ويكون «رُسُلْنا» على الإدغام[3]، يدغم اللام في النون ويجعل فيها غُنَّة. والإسكان في (بارِئْكُم) على البدل لغة الذين قالوا: «أخْطَيْت» وهذا لا يُعرف[4].

باب الفعل

أمّا قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [الآية ٥٥] فيُقال: «جِهاراً» أي: «عِياناً يكشف ما بيننا وبينه» كما تقول: «جَهِرَتِ الرَّكِيَّةُ» إذا كان ماؤها قد غطّاه الطين فنفي ذلك حتى يظهرَ الماء، ويصفو[5].

وأمّا قوله تعالى ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ [الآية ٥٧]، فـ «الغمامُ» واحدتُه «غَمامةٌ»، مثل «السَّحاب» واحدتُه «سَحابة»[6]. وأما «السَّلْوَى»، فهو طائر لم يُسمع له بواحد، وهو شبيه أن يكون واحده «سَلْوَى»، مثل جماعته، كما قالوا: «دِفْلَى» للواحد والجماعة، و«سُلامى» للواحد والجماعة، وقد قالوا «سُلامَيات»، وقالوا «حُبَارى» للواحد، وقالوا للجماعة: «حُبارَيات»، وقال بعضُهم للجماعة «حُبَارَى». قال الشاعر[7] [من الطويل وهو الشاهد السابع والسبعون]:

وأشلاءُ لَحْمٍ من حُبارَى يصيدُها

إذا نَحْنُ شِئْنا صاحبٌ مُتَألِّفُ[8]

وقالوا: «شُكاعَى» للواحد

---

(١) هو «أبو نخيلة» الخصائص ١/ ٧٥.

(٢) الكتاب وتحصيل عين الذهب ٢/ ٢٩٧، ومعاني القرآن ٢/ ١٢ و٣٧١.

(٣) وهو من الإدغام الكبير، إذ حذف حركة اللام، فسكنت أولاً، ثم أدغمها في النون ثانياً.

(٤) لم نجد من يأخذ بهذه اللغة، لولا ما يتكرّر دائماً من أنّ أهل الحجاز يتخفّفون من الهمزة.

(٥) في الصحاح «جهر»، نقل لهذه الفقرة مع تقديم وتأخير.

(٦) في الجامع ١/ ٤٠٥، نقل عنه هذه العبارة.

(٧) هو الفرزدق همّام بن غالب، ديوانه ٢/ ٥٥٥، وشرح المفصّل ٥/ ٩٠.

(٨) في شرح المفصّل، العجز: لنا قانص من بعض ما يتخطّف.

والجماعة[1]، وقال بعضهم للواحد: «شُكاعاة»[2].

وقوله تعالى ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [الآية ٥٨] أي: «قولوا» «لِتَكُنْ منك حِطَّةٌ لذُنُوبِنا»، كما تقول للرجل : «سَمْعُكَ إليّ». كأنهم قيل لهم:

قولُوا: « يا ربّ لِتَكُن مِنْكَ حِطَّةٌ لِذُنوبِنا». وقد قرئت نصباً، على أنّه بدل، من اللفظ بالفعل. وكلُّ ما كان بدلا من اللفظ بالفعل، فهو نصب الفعل، كأنّه قال: «احْطُطْ عَنّا حِطَّةً»[3] فصارت بدلا من «حُطَّ»، وهو شبيه بقولهم : «سَمْعٌ وطاعةٌ»، فمنهم من يقول: «سَمْعاً وطاعة»، إذا جعله بدلَ: «أسْمَعُ سمعاً وأطيعُ طاعَةً». وإذا رفع، فكأنّه قال: «أمْري سَمْعٌ وطاعةٌ». قال الشاعر [من الطويل وهو الشاهد الثامن والسبعون]:

أناخوا بأيدي عُصْبَةٍ وسُيُوفُهُمْ
على أُمّهاتِ الهامِ ضَرْباً شَآمِيا

وقال الآخر[4] [من الوافر وهو الشاهد التاسع والسبعون]:

تركْنا الخيلَ وَهْيَ عليهِ نَوْحاً
مُقَلَّدَةً أعِنَّتَها صُفُونا[5]

وقال بعضهم: «وَهْيَ عَلَيْهِ نَوْحٌ»، جعلها في التشبيه هي النوح، لكثرة ما كان ذلك منها، كما تقول: «إنّما أنتَ شرٌّ» و«إنّما هُوَ حِمارٌ» في الشَّبه، أو تجعل الرفع، كأنّه قال: «وَهْيَ عَلَيْهِ صاحِبَةُ نَوْحٍ»، فألقى الصاحبة، وأقام النوح مُقامها. ومثل ذلك قول الخنساء[6] [من البسيط وهو الشاهد الثمانون]:

---

(١) هو رأي سيبويه «اللسان» «شكع».

(٢) في الصحاح «سلا»، والجامع ١/ ٤٠٨، والبحر ١/ ٢٠٥، نقلت آراء الاخفش في «السلوى» و«دفلى» و«سلامى» و«شكاعى».

(٣) في إعراب القرآن ١/ ٥٠ والجامع ١/ ٤١٠، نقلت آراء الأخفش هذه.

(٤) هو عمرو بن كلثوم التغلبي.

(٥) هو من معلّقته المستفيضة الشهرة. وقد جاء في مجاز القرآن ١/ ٤٠٤، بـ«تظل جياده نوحاً عليه» ورفع أعنتها، وفي شرح القصائد السبع ٣٨٩، وشرح القصائد التسع ٢/ ٦٣١، وشرح القصائد العشر ٢٢٧، وشرح المعلّقات السبع ١٤٦، بـ«عاكفة عليه» ونصب «أعنّتها».

(٦) هي تماضر بنت عمرو بن الشريد؛ وانظر ترجمتها في الأغاني ١٣/ ١٣٥، وطبقات الشعراء ١/ ٢١٠، والشعر والشعراء ١/ ٣٤٨.

تَـرْتَـعُ مـا رَتَـعَـتْ حـتَّـى إذا ذَكَـرَتْ

فَـإنَّـمَـا هِـيَ إِقْـبَـالٌ وإدْبـارُ[1]

ومثله قراءة مَنْ قرأ: (قالوا مَعْذِرَةٌ الى رَبِّكُم)[2]، أي كأنّهم قالوا: «مَوْعِظَتُنا إيّاهُمْ مَعْذِرَةٌ»، وقد نُصِبَ[3] على: «نَعْتَذِرُ مَعْذِرَةً» وقال تعالى ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد/ ٢٠] ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد/ ٢١] على قوله ﴿إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [محمد/ ١٨] ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ جعل الطاعة مبتدأ، فقال ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ خير من هذا، أو جعل الطاعة مبتدأ ، فقال «طاعةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوف خيرٌ من هذا». وزعَم يونس[4] أنه قيل لهم «قُولوا حِطَّةٌ» أي: تكلّموا بهذا الكلام. كأنه فُرِضَ عليهم أنْ يقولوا هذه الكلمة مرفوعة.

وقال تعالى ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية ٥٩] وقال أيضاً ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر] وقرأ بعضهم (والرِّجْزَ)[5]. وذكروا أن «الرُّجْزَ»: صنم، كانوا يعبدونه؛ فأما «الرِجْزَ»، فهو: «الرِجسُ. (والرِّجْسُ: النَّجِس) قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة/ ٢٨] و«النَّجَسُ»: القَذَر.

وقال تعالى ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ

---

(١) في الديوان ٢٦ بـ «ذكرت»، وفي الكتاب وتحصيل عين الذهب ١/ ١٦٩ أيضاً.

(٢) الأعراف ٧/ ١٦٤؛ وهي في السبعة ٢٩٨ قراءة عاصم، وفي الكشف ١/ ٤٨١، والتيسير ١١٤، إلى غير حفص ؛ وفي معاني القرآن ١/ ٣٩٨ أنها ما آثرته القرّاء، وفي البحر ٤/ ٤١٢ إلى الجمهور.

(٣) والنّصب ما عليه رسم المصحف، وهو في السبعة ٢٩٨ إلى ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وحمزة والكِسائي وعاصم في رواية؛ وفي الكشف ١/ ٤٨١، والتيسير ١١٤، إلى حفص؛ وفي البحر ٤/ ٤١٢ إلى زيد بن علي وعاصم في رواية ،وعيسى بن عمر وطلحة بن مصرف.

(٤) هو يونس بن حبيب وقد مرّت ترجمته فيما سبق.

(٥) قراءة ضمّ الزاء هي في معاني القرآن ٣/ ٢٠٠ إلى السّلمي ومجاهد وأهل المدينة؛ وفي الطّبري ٢٩/ ١٧٤ إلى بعض المكّيين والمدنيين؛ وفي السّبعة ٦٥٩ الى حفص والمفضّل عن عاصم؛ وفي الكشف ٢/ ٣٤٧ والتيسير ٢١٦ إلى حفص؛ وفي الجامع ١٩/ ٦٧ الى الحسن وعكرمة ومجاهد وابن محيصن وحفص عن عاصم، وقال هي لغة؛ وفي البحر ٨/ ٣٧١ إلى الحسن ومجاهد والسلمي وأبي شيبة وابن محيصن وابن وثاب وقتادة والنخعي وابن أبي اسحاق والأعرج وحفص. أمّا قراءة كسر الزاء ففي معاني القرآن ٣/ ٢٠٠ نُسبت الى عاصم والأعمش والحسن؛ وفي الطّبري ٢٩/ ١٤٧ إلى بعض قرّاء المدينة وعامّة قرّاء الكوفة؛ وفي السّبعة ٦٥٩ إلى غير حفص والمفضّل عن عاصم، والى عاصم في رواية؛ وفي الكشف ٢/ ٣٤٧ والتيسير ٢١٦ وفي الجامع ١٩/ ٦٧ والبحر ٨/ ٣٧١ الى الجمهور.

عَيۡنٗاۖ﴾ [الآية ٦٠] بكسر الشين بنو تميم[1]، وأما أهل الحجاز فيسكنون[2].

وقوله تعالى ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠﴾. من «عَثِيَ» «يَعْثَى» وقال بعضهم: «يَعْثُو» من «عَثَوْتُ»، فـ «أنا أَعْثُو»، مثل: «غَزَوْتُ» فـ «أنا أغْزُو».

باب زيادة «مِنْ»

وأمّا قوله تعالى ﴿يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا﴾ [الآية ٦١] فدخلت فيه (مِنْ) كنحو ما تقول في الكلام: «أهل البَصْرة يأكلون من البُرّ والشَّعير» وتقول: «ذهبتُ فأصَبْتُ من الطَّعام»، تريد «شيئاً» ولم تذكر الشيء. كذلك ﴿يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ شيئاً، ولم يذكر الشيء، وإن شئت جعلته، على قولك: «ما رأيت مِنْ أَحَدٍ»، تريد: «ما رأيتُ أحَداً»، و«هل جاءك مِنْ رَجُلٍ» تريد هل جاءك رَجُلٌ. فان قلت: «إنّما يكون هذا في النفي والاستفهام» فقد جاء في غير ذلك؛ قال تعالى ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ﴾ [الآية ٢٧١] فهذا ليس باستفهام ولا نفي. وتقول: «زيد مِنْ أَفْضَلِها»، تريد: هو أفضلها، وتقول العرب: «قد مِنْ حَدِيثٍ، فَخَلِّ عَنّي حتّى أذهب» يريدون: قَدْ كانَ حَديثٌ[3]. ونظيره قولهم: «هَلْ لَكَ في كذا وكَذا ولا يقولون: «حاجةٌ، و: لا عَلَيْكَ» يريدون: لا بَأْسَ عَلَيْكَ.

وأما قوله تعالى ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ [الآية ٦١] و﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩﴾ [يوسف] فزعم بعض الناس، أنه جلّ جلاله يعني فيهما جميعاً «مِصْرَ» بعينها، ولكن ما كان من اسم مؤنث على هذا النحو «هِنْد» و«جُمْل» فمن العرب من يصرفه، ومنهم من لا يصرفه. وقال بعضهم:

---

(١) وهي في الشواذ، ٥ و٦ الى الأعمش؛ وفي الجامع ١/ ٤٢٠ الى مجاهد وطلحة وعيسى؛ وفي البحر ١/ ٢٢٩ الى مجاهد وطلحة وعيسى بن يحي بن وثاب وابن أبي ليلى ويزيد وأبي عمرو في رواية غير مشهورة، والى الأعمش، وقد أيد في المحتسب ٨٥، وفي الجامع والبحر، كما سبق لها أنها لغة تميم؛ وقال في الجامع، وهذا من لغتهم نادر؛ ولهجة تميم ١٧٣.

(٢) في البحر ١/ ٢٢٩ نسبت هذه القراءة إلى أبي عمرو في رواية مشهورة عنه، والأعمش في رواية أيضا، وفي الجامع ١/ ٤٢٠ أنها لغة أهل الحجاز.

(٣) نقلت عنه هذه المعاني في اعراب القرآن ١/ ٥٢و٦٣، والجامع ٥٢و٦٣، والبحر ١/ ٢٣٢، والمشكل ١/ ٩٦.

«أمّا التي في «يوسف» فيعني بها «مِصْرَ»، بعينها، والتي في «البقرة»، يعني بها مِصراً من الأمصار.

وأما قوله تعالى ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية ٦١] فمعنى باؤوا: «رَجَعُوا بِهِ» أي صار عليهم، وتقول «باء بِذَنْبِهِ يَبُوءُ بَوْءاً»[1]. وقال تعالى ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ﴾ [المائدة/ ٢٩] مثله.

باب من تفسير الهمز

أمّا قوله تعالى ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ﴾ [الآية ٦١] و﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ [آل عمران/ ١١٢] كل ذلك جماعة العرب تقوله.

ومنهم، من يقول «النُّبَآء»، أولئك الذين يهمزون «النّبيء»، فيجعلونه مثل «عَرِيف» و«عُرَفاء»[2]. والذين لم يهمزوه، مثل بنات الياء، فصار مثل «وَصِيّ» و«أَوْصِياء»، ويقولون أيضاً: «هُمْ وَصِيُّونَ». وذلك أنّ العرب تحوّل الشيء من الهمزة حتى يصير كبنات الياء[3]، ويجتمعون على ترك همزة نحو «المِنسأة» ولا يكاد أحد يهمزها، إلاّ في القرآن، فإنّ أكثرهم قرأها بالهمز وبها نقرأ[4]، وهي من «نَسَأْتُ». وجاء ما كان من «رأيْتُ»، على «يَفْعَلُ» أو «تَفْعَلُ» أو «نَفْعَلُ» أو «أفْعَلُ» غير مهموز، وذلك أنّ الحرف الذي كان قبل الهمزة، ساكن، فحذفت الهمزة وحرّك الحرف الذي قبلها بحركتها كما تقول: «مَنَ ابوكَ»[5].

---

(١) في الصحاح (ب و ء) نقلت هذه الجمل والعبارات منسوبة الى الأخفش.

(٢) أشار الى هذه اللغة في البيان ١/ ٨٧ و٨٨ ولم يحدّد. وهم أهل مكّة «اللسان نبأ» وبعض أهل المدينة في القراءة «اللسان نبأ» واللهجات العربية ٢٦١.

(٣) قراءة النبيئين بالهمز في الشواذ ٥٧ بلا نسبة، وفي الجامع ١/ ٤٣١ الى نافع.

(٤) سبأ ٣٤/ ١٤ وهي في معاني القرآن ٢/ ٣٥٦ إلى عاصم والأعمش، وفي الطبري ٢٢/ ٧٤ الى عامة قرّاء الكوفة، وفي السبعة ٥٢٧ والكشف ٢/ ٢٠٣ الى غير نافع وأبي عمرو، وزاد في الاستثناء في التيسير ١٨٠ والجامع ١٤/ ٢٧٩ ابن ذكوان، وفي البحر ٧/ ٢٦٧ الى ابن ذكوان والوليد بن عتبة والوليد بن مسلم وسائر السّبعة إلاّ نافعاً وأبا عمرو، وأمّا قراءة الألف بلا همزة فهي في معاني القرآن ٢/ ٣٥٦ إلى أهل الحجاز والحسن وأبي عمرو وأنها لغة قريش، وفي الطبري ٢٢/ ٧٣ إلى عامة قرّاء أهل المدينة وبعض أهل البصرة، وفي السبعة ٥٢٧ والكشف ٢/ ٢٠٣ والتيسير ١٨٠ والجامع ١٤/ ٢٧٩ والبحر ٧/ ٢٦٧ الى نافع وأبي عمرو، وفي المحتسب ٢/ ١٨٧ الى أبي عمرو وابن أبي اسحاق في ثاني قراءتيه.

(٥) في اللسان «حرف الهمزة» قالوا. . . . لا بالك ولاب لغيرك ولابِ لشانئك. ولم يبيّن لغة من هي؟

قال تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم] وقال: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ [التكاثر/٦] وقال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال/٤٨] وقال: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف] وأما قوله تعالى ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ [الماعون] و﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [العلق] وما كان من «أَرَأَيْتَ» في هذا المعنى، ففيه لغتان، منهم من يهمز[١]، ومنهم من يقول «أرايْتَ»[٢]. وإنّما يُفعل هذا، في «أَرَأَيْتَ» هذه التي وُضعت للاستفهام، لكثرتها. فأما «أرأيتَ زَيداً»، إذا أردت «أبصرتَ زَيداً»، فلا يُتكلّم بها إلاّ مهموزة أو مُخفّفة. ولا يكاد يقال «أرَيْتُ»، لأنّ تلك كثرت في الكلام، فحذفت كما حذفت في أمّا أنّه ظريف»، يريدون: «أما إنّهُ ظَريفٌ» فيحذفون، ويقولون أيضاً: «لَهِنّكَ لَظَريفٌ» يريدون: «لأنّكَ لَظَريفٌ». ولكن الهمزة حذفت كما في قولهم [من البسيط وهو الشاهد الحادي والثمانون]:

لاهِ ابنُ عَمِّكَ لا أفْضَلْتَ في حَسَبٍ
عَنّي وَلا أنْتَ دَيّاني فَتَخْزُوني[٣]

وقال الشاعر[٤] [من الكامل وهو الشاهد الثاني والثمانون]:

أرأيْتَ إنْ أهْلَكْتُ ماليَ كُلَّهُ
وَتَرَكْتُ مالَكَ فيمَ أنتَ تَلومُ[٥]

فهمز، وقال الآخر[٦]: [من المتقارب وهو الشاهد الثالث والثمانون]:

أرَيْتَ امْرَءاً كُنْتُ لَمْ أبْلُهُ
أتاني وَقالَ اتّخِذْني خَليلا

فلم يهمز: وقال[٧] [من الكامل وهو الشاهد الرابع والثمانون]:

---

(١) هم بنو تميم. اللهجات العربية ٢٥٦.

(٢) هم أهل الحجاز. اللهجات العربية ٢٥٦.

(٣) البيت لذي الإصبع العدواني. ديوانه ٨٩، ومجالس العلماء ٧١، والأمالي ١/ ٢٥٥.

(٤) هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل الليثي، من شعراء صدر الدولة الأموية.

(٥) مجاز القرآن ٢/ ١١.

(٦) هو أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي، والبيت في ديوانه ٣٨، ومجاز القرآن ٢/ ١١، واللسان «رأي»، والصحاح «رأى».

(٧) هو العبّاس بن مرداس السلمي.

يـا خـاتِـمَ الـنُّـبَـآءِ إنَّـكَ مُـرْسَـلٌ
بـالـحقِّ كُلُّ هُـدَى الـسَّـبيـلِ هُـداكا[1]

وأمّا قوله تعالى ﴿بِمَا عَصَواْ﴾ [الآية ٦١] فجعله اسماً هنا كالعصيان يريد: بعصيانهم، فجعل «ما» و«عَصَوْا» اسماً.

وقوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [الآية ٦٣] فهذا على الكلام الأوّل، كأنّه «أُذْكروا اذ أَخَذْنا ميثاقَكُم وَرَفَعْنا فَوقَكُم الطورَ خُذُوا» ثم: «فقلنا لَكُم»: «خُذُوا»[2]. كما تقول: «أوْحَيتُ إليهِ: قُمْ»، كأنّه يقول: «أوْحَيْتُ إلَيْهِ، فقلتُ له: «قُمْ» وكان في قولك: «أوْحَيْتُ إلَيْهِ» دليلٌ على أنّكَ قد قلت له.

وأمّا قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [الآية ٦٥] كأنّه يقول: «ولَقَد عَرَفْتُمْ» كما تقول: «لقد علِمتُ زَيْداً وَلَمْ أكُنْ أعلمُه»[3]. وقال تعالى ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال/٦٠] كأنه يقول: «يَعْرِفُهُم». وقال تعالى ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة/١٠١] أي: لا تَعْرِفُهم نَحْنُ نَعْرِفُهُمْ. واذا أردت العلم الآخر قلت: «قَدْ عَلِمْتُ زَيْداً ظَرِيفاً» لأنّك تحدّث عن ظرفه. فلو قلت: «قدْ عَلِمْتُ زَيْداً» لم يكن كلاما.

وأمّا قوله تعالى ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ فلأنّك تقول: «خَسَأْتُهُ» «فَخَسِئَ» «يَخْسأُ خَسْأً»[4] شديداً» فـ «هُوَ خاسِئٌ» و«هُمْ خاسِئُون».

وأما قوله تعالى ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا﴾ [الآية ٦٦]، فتكون على القردة، وتكون على العقوبة، التي نزلت بهم، فلذلك أُنّثت.

وأما قوله تعالى ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [الآية

---

(١) ديوانه ٩٥ والكتاب ٢/١٢٦.

(٢) في إيضاح الوقف ١/٥١٩، وإعراب القرآن ١/٥٤، أفيد هذا الرأي، ونسب بعبارة مقاربة.

(٣) في إعراب القرآن ١/٥٤، والجامع ١/٤٣٩، أفيدت هذه الآراء منسوبة إلى الأخفش.

(٤) هكذا وردت الأمثلة الفعلية تحمل بابين للفعل، يبدو منهما أنّ المتعدي يصاغ من باب «فتح»، واللازم المطاوع من باب «فرح».

٦٧]، فمن العرب والقرّاء من يثقّله[1]، ومنهم من يخفّفه[2]؛ وزعم عيسى بن عمر، أنّ كلّ اسم على ثلاثة أحرف، أوّلُهُ مَضموم، فمن العرب من يثقله، ومنهم من يخفّفه، نحو: «اليُسُر» و«اليُسْر»، و«العُسُر» و«العُسْر» «الرُّحُم» و«الرُّحْم»[3]. وقال بعضهم ﴿عُذْرًا﴾ [المرسلات/٦] خفيفة، (أو نُذُراً) [المرسلات/٦] مثقلة، وهي كثيرة وبها نقرأ[4]. وهذه اللغة التي ذكرها عيسى بن عمر، تُحَرِّكُ أيضاً ثانِيَهُ بالضم.

وأمّا قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ﴾ [الآية ٦٨] فارتفع، ولم يَصِرْ نصباً، كما ينتصب النفي، لأنّ هذه صفة في المعنى للبقرة. والنفي المنصوب لا يكون صفة من صفتها، إنّما هو اسم مبتدأ، وخبره مضمر، وهذا مثل قولك: «عبدُ الله لا قائمٌ ولا قاعدٌ»، أدخلت «لا»، للمعنى وتركت الإعراب على حاله لو لم يكن فيه «لا».

وأمّا قوله تعالى ﴿بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ﴾ [الآية ٦٩] فـ «الفاقِعُ»: الشديد الصفرة. ويقال: «أَبيضُ يَقَقٌ»: أي: شديدُ البياض، و«لِهاقٌ» و«لَهَقٌ» و«لَهاقٌ»، و«أخضرُ ناضِرٌ»، و«أحمرُ قانِئٌ» و«ناصِعٌ» و«فاقِمٌ». ويقال: «قَدْ

---

(١) اللهجات العربية ١٧١ هي لغة الحجاز وهي في السبعة ١٥٧ و١٥٨ و١٥٩ قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر والكسائي في رواية الى نافع وعاصم. وفي حجّة ابن خالويه ٥٨، أنّها إلى عاصم في رواية أبي بكر، وفي الكشف ١/ ٢٤٧ إلى القرّاء عدا حمزة، وفي التيسير ٧٤ الى حفص، وفي الجامع ١/ ٤٤٧ والبحر ١/ ٢٥٠ كذلك، وزاد في الأخير غير حمزة أو إسماعيل أو خلف أو القزاز والمفضّل من أخذ بالقراءة الاخرى.

(٢) اللهجات العربية ١٧١ هي لغة بكر بن وائل وكثير من تميم، وهي في السبعة ١٥٨ و١٥٩ و١٦٠ الى حمزة، وفي رواية الى عاصم وأبي عمرو ونافع؛ وفي حجّة ابن خالويه ٥٨و٥٩ إلى حمزة وعاصم برواية حفص، وأضاف أنها لغة تميم وأسد وقيس؛ وفي الكشف ١/ ٢٤٧ أضاف إلى حمزة والقرّاء حفصاً، وفي التيسير ٧٤ إلى حمزة، وفي الجامع ١/ ٤٤٧ الى الكوفيين، وفي البحر ١/ ٢٥٠ إلى حمزة وإسماعيل وخلف والقزاز عن عبد الوارث والمفضّل.

(٣) وقد نقل هذا الرأي ونسب في الجامع ١/ ٤٤٧ ، والمشكل ١/ ٤٤٨.

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢٢٢ الى عاصم، وفي الطّبري ٢٩/ ٢٣٣ إلى عامّة قرّاء المدينة والشّام وبعض المكّيين وبعض الكوفيين، وفي السبعة ٦٦٦ الى ابن كثير ونافع وابن عامر والى عاصم في رواية، وفي الكشف ٢/ ٣٥٧ تثقيل الذّال في الثانية الى الحرمين وأبي بكر وابن عامر، وفي التيسير ٢١٨ كذلك، وفي الجامع ١٩/ ١٥٦ تنسب هذه القراءة إلى ابراهيم التيمي وقتادة وأبي عبّاس، وإسكان الأولى الى السّبعة كلّهم، وفي البحر ٨/ ٤٠٥ إلى أبي جعفر في رواية والى شيبة وزيد بن علي والحرمين وابن عامر وأبي بكر.

قَنَأَتْ لِحْيَتُهُ» فـ «هي تَقْنَأُ قُنُوءاً» أي: احمرّت. قال الشاعر [من الكامل وهو الشاهد الخامس والثمانون]:

.... كَـمـا
قَـنَـأَتْ أنـامِـلُ صـاحِـبِ الـكَـرْمِ[1]

و«قاطِفُ الكَرْمِ». وقال آخر[2] [من الكامل وهو الشاهد السادس والثمانون]:

مِنْ خَمْرِ ذي نُطَفٍ أغَنَّ كَأنّما
قَنَأَتْ أنامِلُهُ مِنَ الفِرْصادِ[3]

وأمّا في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [الآية ٧٠] فَجُعِلَ «البَقَر» مذكراً مثل «التَّمْر» و«البُسْر» كما تقول: «إنَّ زيداً تَكَلّمَ يا فتى» وإن شئت قلت (يَشَّابَهُ)[4] وهي قراءة مجاهد[5] ذكّر «البقر» يريد «يَتَشابَهُ» ثم أدغم التاء في الشين. ومن أنّث «البقر» قال (تَشّابَهُ)[6] فأدغم، وإن شاء حذف التاء الآخرة، ورَفَعَ، كما تقول «إنَّ هذِهِ تَكَلَّمُ يا فتى» لأنها في «تَشابَهُ» إحداهما تاء «تَفَعَلُ»، والأخرى التي في «تَشابَهَتْ»؛ فهو في التأنيث معناه «تَفْعلُ»، وفي التذكير معناه «فعَلَ»؛ و«فَعَلَ» أبداً مفتوح، كما ذكرت لك، والتاء محذوفة إذا أردت التأنيث، لأنك تريد «تَشابَهَتْ» فهي «تشابهُ» وكذلك كل ما كان من نحو «البَقَرِ»، ليس بين

---

(١) هذا ما ورد من الشعر.

(٢) هو الأسود بن يعفر كما في الصحاح «قنأ» و«فرصد» واللسان «قنأ» و«فرصد» وديوان الأسود بن يعفر ٢٩.

(٣) في الجمهرة الصدر (يسعى بها ذو تومتين كأنما) وفي الصحاح «قنأ» «مشمر» بدل «كأنما» وفي «فرصد» كما رواه الأخفش وفي اللسان «قنأ» كما رواية الصحاح الاولى وفي «فرصد» بـ «منطق» بدل «كأنما» وفي المخصص ٤/ ٤٣ بـ «منطق» وقال روي بالفاء والقاف. وفي التاج «قنأ» مثل رواية الصحاح الاولى وفي «فرصد» بـ «منطق» وما في ديوان الاسود بن يعفر:

مِنْ خَمْرِ ذي نُطَفٍ أغَنَّ مُنَطَّقٍ … وافى بها كَدَراهِمِ الأسْجادِ
يَسْعَى بِها ذو تُومَتَيْنِ مُشَمِّرٌ … قَنَأَتْ أنامِلُهُ مِنَ الفِرْصادِ

(٤) في الشواذ ٧ إلى محمد ذي الشامة وكذلك في الكشاف ١/ ١٥١ وفي البحر ١/ ٢٥٤ الى ابن مسعود.

(٥) هو أبو الحجّاج مجاهد بن جبر المكّي، علم من المتابعين وأئمة التفسير، قرأ على ابن عبّاس وعبد الله بن السائب، وله اختيار في القراءة وتوفي سنة ١٠٣. طبقات ابن الخياط ٢٨٠، وطبقات القرّاء ٢/ ٤٤، والمعارف ٤٤٤، وميزان الاعتدال ٣/ ٤٣٩.

(٦) في الشواذ ٧ إلى ابن مسعود، وبتخفيف الشين إلى الحسن. وفي الجامع ١/ ٤٥١ إلى الحسن والأعرج، وفي البحر ١/ ٢٥٤ أضاف «في احدى الروايتين».

الواحد والجماعة فيه، إلاّ الهاء، فمن العرب من يذكّره[1] ومنهم من يؤنّثه[2]، ومنهم من يقول: «هي البُرُّ والشَّعير»[3] وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق] فأنّث على تلك اللغة، وقال «باسقات» فجمع، لأن المعنى جماعة. وقال الله جل ثناؤه ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ [النور/٤٣]، فذكّر في لغة من يذكّر، قال ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد] فجمع، على المعنى، لأنّ المعنى سحابات.

وقال تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ [يونس/٤٣] وقال سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس/٤٢] على المعنى واللفظ.

وقد قال بعضهم: إنّ الباقِرَ[4] مثل «الجامِل» يعني «البَقَرَ» و«الجِمالَ» قال الشاعر [من الكامل وهو الشاهد السابع والثمانون]:

مالي رأيتُكَ بعْدَ أهلِكَ مُوحِشاً
خَلِقاً كَحَوْضِ الباقِرِ المُتَهَدِّمِ

وقال[5] [من الطويل وهو الشاهد الثامن والثمانون]:

فإنْ تَكُ ذا شاءٍ كثيرٍ فإنَّهُمْ
ذَوُو جامِلٍ لا يَهْدَأُ اللَّيْلَ سامِرُهْ[6]

وأما قوله تعالى ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ [الآية ٧١] «مسلّمة» على «إنها بَقَرَةٌ مُسلَّمةٌ».

﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ [الآية ٧١] يقول: «لا وَشْيَ فيها» من «وَشَيْتُ شِيَةً» كما تقول: «وَدَيْتُه دِيَةً» و«وعَدْتُهُ عِدَةً».

وإذا استأنفت ﴿ٱلْـَٰٔنَ﴾ [الآية ٧١]، قطعت الألفين جميعا لأنّ الألِفَ الأولى مثل ألف «الرّجل» وتلك تُقطع

---

(١) هم تميم وأهل نجد «اللهجات العربية ٤٥٠».

(٢) هم أهل الحجاز.

(٣) انظر الهامش السابق، والمزهر ٢/٢٧٧.

(٤) في الكشاف ١/١٥١ الى محمّد ذي الشامة. وذكرها في الإملاء ١/٤٣ بلا نسبة، وفي الجامع ١/٤٥٢ الى يحيى بن يعمر.

(٥) هو الحطيئة. ديوانه ١٨٤، واللسان «جمل» والخزانة ٣/٣٨٩.

(٦) في الأصل: له جامل ما يهدأ الليل سامر، والصدر والتصحيح من الديوان، وفي الصحاح «جمل» بـ «لهم» بدل «له» واللسان «جمل» كذلك. وفي الخزانة «النا» بدل «له» ولا بدل «ما» وأشار الى الروايات الاخرى.

إذا استؤنفت، والأُخرى همزة ثابتة تقول «ألآن» فتقطع ألف الوصل، ومنهم من يذهبها ويثبت الواو التي في ﴿قَالُوا﴾ [الآية ٧١] لأنه إنّما كان يذهبها لسكون اللام، واللاّم قد تحركت لأنه قد حوّل عليها حركة الهمزة[1].

وأما قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ [الآية ٧٢] فإنّما هي «فتدارأتم»، ولكنّ التاء تدغم أحياناً، كذا في الذال لأنّ مخرجها من مخرجها. فلمّا أُدغمت فيها حوّلت، فجعلت دالاً مثلها، وسكنت فجعلوا ألفاً قبلها حتى يصلوا إلى الكلام بها، كما قالوا: «اَضرب» فألحقوا الالف حين سكنت الضاد. ألا ترى أنك اذا استأنفت قلت «أدّرأتم» ومثلها ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾[2] و«تَذَّكّرون»[3] و﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾[4] ومثله في القرآن كثير. وإنّما هو «يتدبّرون» فأدغمت التاء في الدال، لأنّ التاء قريبة المخرج من الدال، مخرج الدال بطرف اللسان وأطراف الثنيتين، ومخرج التاء بطرف اللسان وأصول الثنيتين. فكلُّ ما قرب مخرجه، فافعَلْ به هذا، ولا تقل في «يَتَنَزَّلُون»: «يَنزَّلُون» لأنّ النون ليست من حروف الثنايا كالتاء.

وقال تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [الآية ٧٤] وليس قوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ﴾ كقولك: «هُوَ زيدٌ أو عمرو» إنّما هذه ﴿أَوْ﴾ التي في معنى الواو، نحو قولك، «نَحْنُ نأكُل البُرَّ أوْ الشّعيرَ أو الأرُزَّ، كلُّ هذا نأكُلُ» ف ﴿أَشَدُّ﴾ ترفع على خبر المبتدأ. وإنما هو «وهي أشدُّ قسْوَةً» وقرأ بعضهم (فَهْي كالحِجارة) فأسكن الهاء، وبعضهم يكسرها. وذلك أنّ لغة العرب في «هيَ» و«هوَ» ولام الأمر، اذا كان قبلهن واو، أو فاء، أسكنوا أوائلهن. ومنهم من يدعها. قال تعالى ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [القصص/ ٧٠] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ

---

(١) نقله في الجامع ١/ ٤٥٥.

(٢) في سبع آيات أوّلها الأنعام ٦/ ١٢٦، وآخرها النحل ١٦/ ١٣.

(٣) ليس في الكتاب الكريم فعل مضارع مسند الى المخاطبين من «ذكر» بتضعيف الذال والكاف، بل فيه بتاءين غير مدغمين في ثلاثة مواضع وبتاء واحدة، وتضعيف الكاف، في سبع عشرة آية، راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب ذكر.

(٤) المؤمنون ٢٣/ ٦٨ وفي الاصل «القرآن» بدل «القول» و«القرآن» في اثنتين أُخريين هما في (النساء ٤/ ٨٢ ومحمّد ٤٧/ ٢٤) والفعل معه «يتدبّرون» غير مجزوم.

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(1). وقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ [قريش/3] يجوز فيها، في غير القرآن، الوقف والكسر.

باب إنَّ وأنَّ

قال سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 74] فهذه اللامُ، كما نعلم، لام التوكيد، وهي منصوبة، تقع على الاسم الذي تقع عليه «إنَّ»، اذا كان بينها وبين «إنَّ» حشو من الكلام، نحو أن نقول: «إنَّ في الدار لَزَيْداً». وتقع هذه اللام أيضاً في خبر «إنَّ»، وتصرف «إنَّ» إلى الابتداء، تقول: «أشهدُ إنَّهُ لَظريفٌ» كأن اللاحق، في مثل هذا الترتيب، يعمل في السابق، قال الله عزّ وجلّ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون] وقال: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾ [العاديات] وهذا لو لم تكن فيه اللام كان «أنَّ رَبَّهُمْ»، لأنَّ «أنَّ» الثقيلة اذا كانت وهي وما عملت فيه بمنزلة «ذاكَ» أوْ بمنزلة اسم فهي أبداً «أنَّ» مفتوحة. وإنْ لم يحسن مكانها وما عملت فيه أسم، فهي «إنَّ» على الابتداء. ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ [البقرة] يقول: «اذْكُروا هذا» وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ﴾ [الصافات] لأنه يحسن في مكانه «لولا ذاك» وكل ما حسن فيه «ذاكَ» أنْ تجعله مكان «أنَّ» وما عملت فيه فهو «أنَّ». واذا قلت ﴿يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ لم يحسن أنْ تقول: يَعْلَم لَذلِكَ». فان قلت: «أطرح اللام أيضاً وقل «يَعْلَمُ ذَاكَ» فاللام ليست مما عملت فيه « إنَّ». وأمّا في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان/20] فلم تنكسر إلاّ هذه من أجل اللام [و] لو لم تكن فيها لكانت «أنَّ» أيْضاً لأنَّهُ لا يحسن أنْ تقول «ما أرْسَلْنا قَبْلَكَ إلاّ ذاكَ» و«ذاكَ» هو القصة. قال الشاعر(2): [من

---

(1) ابراهيم 14/ 4 وفي مواقع كثيرة اخرى. راجع المعجم المفهرس.

(2) هو كُثَيِّر عزّة. انظر ديوانه 273، والكتاب وتحصيل عين الذهب 1/ 472.

المنسرح وهو الشاهد التاسع والثمانون]:

ما أغضباني ولا سألتهما

إلاّ وإنّي لحاجزي كرمي

فلو أُلقيتْ من هذه اللام أيضاً لكانت «أن». وقال تعالى ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الأنفال] كأنه قال: «ذاكَ الأمر» وهذا قوله تعالى ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ تقع في مكانه «هذا». وقال ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال] كأنه على جواب من قال: «ما الأمرُ»؟ أو نحو ذلك فيقول للذين يسألون: «ذلِكم...» كأنه قال: «ذلِكُم الأمرُ، وأنَّ الله موهنُ كيدِ الكافرين» فحسن أن يقول: «ذلكم» و«هذا». وتضمر الخبر او تجعله خبراً مضمراً. قال تعالى ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه] لأنه يجوز أن تقول: «إنَّ لَكَ ذاكَ» و«هذا» وهذه الثلاثة الأحرفُ، يجوز فيها كسر «إنّ» على الابتداء. ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ [آل عمران/ ٣٩] فيجوز أنْ تقول: «فنادته الملائكة بِذاكَ» وإنْ شئتَ رفعته على الحكاية، كأنه يقول: «فنادَتْهُ الملائكةُ فقالَتْ: إنَّ الله يُبَشِّرُكَ»، لأنَّ كُلَّ شيء بعدَ القولِ حكاية، تقول: «قُلْتُ: «عبدُ الله مُنطَلِقٌ» قلت: «إنَّ عبدَ اللهِ زَيداً مُنطَلِقٌ»، إلاّ في لُغَةٍ من أعمل القول من العرب كعمل الظنّ فذاك ينبغي له أنْ يفتح «أنَّ». وقال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء/ ٩٢ والمؤمنون/ ٥٢] فيزعمون أن هذا، ولأنَّ «هذِهِ أُمَّتُكُم واحدةً وَأنَا رَبُّكُمْ فاتَّقُون» يقول: «فاتَّقُون لأنّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ» وهذا يحسن فيه كذاك، فإنْ قلت: «كي تلحق اللام ولم تكن في الكلام». فإنْ طَرَحَ اللام وأشباهها من حروف الجرّ، من «أنّ» حسن، ألا تراه يقول: «أشهدُ أنَّك صادِقٌ»، وإنّما هو: «أشهد على ذلك». وقال تعالى ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن] يقول: «فلا تدعوا مع الله أحداً لأنَّ المساجد لله»، وفي هذا الإعراب ضعف، لأنه عمل فيه ما بعده، أضافه اليه بحرف الجر.

ولو قلت «أنَّكَ صالِحٌ بَلَغَنِي» لم يجز، وإن جاز في ذلك. لأنَّ حرف الجر لمّا تقدّم ضميره قوي. وقد قُرِئ

مكسوراً[1]. وقال بعضهم: «إنما هذا على ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن/١] و«أوحِيَ إليّ أنَّ المَساجِدَ لله» و«أوْحِي إليّ أنهُ لمّا قَامَ عَبْدُ الله». وقد قُرِئ ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾[2] فَفَتْحُ كلِّ «أنّ» يجوز فيه على الوحي.

وقرأ بعضهم (وإنَّهُ تَعالى جَدُّ رِبِّنا)[3] فكسروها من قول الجن[4]. فلما صار بعد القول صار حكاية، وكذلك ما بعده، مما هو من كلام الجن.

وأمّا «إنّما»، فإذا حَسُنَ مكانها «أنَّ» فتحتها، وإذا لم تحسن كَسَرْتَها. قال تعالى، حكايةً عن الرسول محمد (ص)، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [فصّلت/٦] فالآخرة يحسن مكانها «أنّ» فتقول: «يُوحي إليّ أنَّ إلهَكُم إلهٌ واحد» قال الشاعر[5] [من الطويل وهو الشاهد التسعون]:

أرانِي - وَلا كُفْرانَ لله - إنّما
أواخِي من الأقوامِ كُلَّ بَخيلِ[6]

لأنَّهُ لا يَحْسُنُ هُهُنا «أنَّ» فلو قلت: «أرانِي أنّما أواخِي من الأقوام» لم يحسن. وقال[7] [من الخفيف وهو الشاهد الحادي والتسعون]:

(١) قراءة فتح الهمزة في الطّبري ٢٩/١٠٦ إلى أبي جعفر القارئ ونافع وقرّاء الكوفة وعاصم، وفي الكشف ٢/٣٣٩ إلى كل القرّاء، وفي الجامع ١٩/٧ إلى علقمة ويحيى والأعمش وحمزة والكسائي وابن عامر وخلف وحفص والسلمي وفي البحر ٨/٣٥٢ إلى الجمهور. وقراءة كسر الهمزة في الطّبري «كالسابق» إلى أبي عمرو، وفي الجامع ١٩/٧ إلى غير من أخذ بالأولى، وفي البحر ٨/٣٥٢ إلى ابن هرمز وصلحة.

(٢) الجن ٧٢/٣ في الطّبري ٢٩/١٠٥ إلى أبي جعفر القارئ وقرّاء الكوفة وفي التيسير ٢١٥ إلى ابن عامر وحفص والكسائي، وفي الجامع ١٩/٧ و٨ إلى علقمة ويحيى والاعمش وحمزة والكسائي وابن عامر وخلف وحفص والسلمي وأبي جعفر وشيبة، وفي البحر ٢/٣٤٧ إلى الحرميين والأبوين.

(٣) في الطّبري ٢٩/١٠٦ إلى نافع وعاصم وأبي عمرو، وفي التيسير ٢١٥ إلى غير ابن عامر أو حفص أو حمزة أو الكسائي، وفي الجامع ١٩/٧ إلى غير من أخذ بقراءة الفتح وقال «واختاره أبو عبيدة وأبو حاتم».

(٤) أشار في معاني القرآن ٣/١٩١ إلى أنه «كان عاصم يكسر ما كان قول الجن، ويفتح ما كان من الوحي».

(٥) هو كثيّر عزّة. ديوانه ٥٠٨ والكتاب، وتحصيل عين الذهب ١/٤٦٦.

(٦) في همع الهوامع ١/١٤٧ صدره بلفظ «آية» بدل «إنما» وفي الدرر ١/١٢٧ جعل صدره: ألا ربّما طالبت غير منيل.

وفي الهمع ١/٢٤٧ البيت كله بـ «أنني» بدل «إنما» و«أوافي» بدل «أواخي» وفي الدرر ١/٢٠٥ بـ «انني» و«أواتي» بالتاء من المواتاة.

(٧) هو عمرو بن الإطنابة الخزرجي الشاعر الجاهلي. الكتاب وتحصيل عين الذهب ١/٤٦٥، والاشتقاق ٤٥٣، وانظر المرتجل ٢٣٠، وشرح ابن يعيش ٨/٥٦.

أَبْلِغِ الحارِثَ بنَ ظالمٍ المُو ... عِدَ والناذِرَ النُّذُورَ عَلَيْنا

أنّما تَقْتُلُ النِّيامَ، ولا ... تَقْتُلُ يَقْظانَ ذا سِلاحٍ كَمِيّا

فحَسُنَ أن تقول: «أنك تَقْتُلُ النِّيام»[1]. وأمّا قوله عز وجل ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المؤمنون] فالآخرةُ بدلٌ من الأُولى.

وأمّا «إنْ» الخفيفة فتكون في معنى «ما» كقول الله عز وجل ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك/٢٠] أي: ما الكافرون. وقال ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ [الزخرف/٨١] أي: ما كان للرحمن ولد ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف] مِن هذهِ الأُمّةِ للرَّحْمن، بِنَفْيِ الوَلَدِ عَنْهُ.

أي: أنا أوّلُ العابِدينَ بأنّه ليسَ للرحمن ولد. وقرأ بعضُهم (فَأَنا أَوّلُ العَبِدين)[2] يقول: «أنا أوّلُ مَنْ يَغْضَبُ من ٱدّعائِكُمْ للّهِ وَلَداً» ويقول: «عَبِدَ» «يَعْبَدُ» عَبَداً» أي: غَضِبَ. وقال تعالى ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الاسراء/٥٢] فهي مكسورة أبدا اذا كانت في معنى «ما» وكذلك ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ﴾ [الأحقاف/٢٦]، فـ«إنْ» بمنزلة «ما»، و«ما» التي قبلها بمنزلة «الذي». ويكون للمجازاة نحو قوله تعالى ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [الآية ٢٨٤] ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا﴾ [التغابن/١٤]. وتزاد «إنْ» مع «ما»، يقولون: «ما إنْ كانَ كَذا وَكَذا» أي: «ما كانَ كَذا وَكَذا»، «ما إنْ هذا زيدٌ». ولكنها تغير «ما» فلا يُنْصَبُ بِهَا الخبر. وقال الشاعر[3] [من الوافر وهو الشاهد الثاني والتسعون]:

وما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ ولَكِنْ ... مَنايانا وَطُعْمَةُ آخَرِينا[4]

---

(١) في الكتاب ١/ ٤٦٥ و٤٦٦ هذه الآراء بهذه الشواهد من الشعر والآي.

(٢) في الطبري ١٦/ ١٢٠ إلى أبي عبد الرحمن واليماني، وفي المحتسب ٢/ ٢٥٧ كذلك وفي البحر ٨/ ٢٨ إلى «بعضهم».

(٣) هو فروة بن المسيك المرادي، تحصيل عين الذهب ١/ ٤٧٥، والكامل ١/ ٢٩٥، واللسان «طبب»، وقيل بل هو عمرو بن قعاس، وقيل الكُمَيْت شرح شواهد المغني ٣٠ و٣١.

(٤) في الكتاب ١/ ٤٧٥ بـ «دولة » بدل «طعمة» وفي إعراب القرآن للزّجاج ١/ ١٣٩ والصحاح «طبب»، واللسان «طبب»، والتاج «طبب»، والكامل ١/ ٢٩٥، والمغني ١/ ٢٥، وشرح وشواهد المغني ٣٠، وهمع الهوامع ١/ ١٢٣، والدرر ١/ ٩٤، وشرح التصريف ٣/ ١٢٨، كلها بلفظ «دولة» . وانظر الخزانة ٢/ ١٢١.

وتكون خفيفة في معنى الثقيلة، وهي مكسورة، ولا تكون إلاّ وفي خبرها اللام، يقولون: «إنْ زَيدٌ لَمنطلِقٌ» ولا يقولونه بغير لام، مخافة أنْ تلتبس بالتي معناها «ما». وقد زعموا أنّ بعضهم يقول: إنْ زيداً لَمُنْطَلِقٌ» يعملها على المعنى، وهي مثل ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ [الطارق]، يقرأ بالنصب[1]، والرفع، و«ما» زيادة للتّوكيد، واللام زيادة للتوكيد، وهي التي في قوله تعالى﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۝٧٨﴾ [الحجر]، ولكنها، إنّما وقعت على الفعل، حين خفّفت، كما تقع «لكنْ» على الفعل، إذا خفّفت. ألا ترى أنك تقول: «لكن قد قال ذاك زيد». ولم تُعَرَّ من اللام في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۝٧٨﴾، وعلى هذه اللغة فيما نرى - والله اعلم - ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾[2]، وقد شدّدها قوم فقالوا (إنّ هذانِ)[3] وهذا لا يكاد يعرف، إلاّ أنّهم يزعمون أنّ بلحارث بن كعب يجعلون الياء في أشباه هذا ألفاً، فيقولون: «رأيت أخواك» و«رأيت الرجلان»[4]، وأوضعته علاه» و«ذهبت

---

(١) قراءة النصب ترتبط بتخفيف «ما» على أنها زيادة للتوكيد، واللام زيادة للتوكيد أيضاً، ويكون المعنى «إن كل نفس لعليها حافظ» وليست «لما» التي بمعنى إلاّ و«ان» نافية. وقد قرأ بتخفيف «ما» في الطّبري ٣٠/ ١٤٢ نافع من أهل المدينة وأبو عمرو من أهل البصرة. وفي السبعة ٦٧٨ إلى ابن كثير ونافع وأبي عمرو والكِسائي، وفي البحر ٨/ ٤٥٤ إلى الجمهور.

(٢) طه ٢٠/ ٦٣ وفي الطّبري ١٦/ ١٧٩ أنّ وهب بن منبه وقتادة تأوّلا، وفي السبعة ٤١٩ إلى عاصم في رواية، وفي حجّة ابن خالويه ٢١٧ إلى ابن كثير وحفص، عن عاصم، وفي الكشف ٢/ ٢٩ إلى ابن كثير وحفص، وفي التيسير ١٥١ كذلك، وفي الجامع ١١/ ٢١٦ إلى الزهري والخليل بن احمد والمفضل وابان وابن محيصن وابن كثير وعاصم في رواية حفص، وابن كثير يشدِّد نون «هذان»، وفي البحر ٦/ ٢٥٥ إلى ابن بحرية وأبي حيوة والزهري وابن محيصن وحميد وابن سعدان وحفص وابن كثير.

(٣) في الطّبري ١٦/ ١٨٠ و١٨٢ إلى عامة قرّاء الأمصار، وفي السبعة إلى نافع وابن عامر وحمزة والكِسائي وإلى عاصم في رواية وفي حجة ابن خالويه ٢١٧ إلى القرّاء كلّهم عدا ابن كثير وحفصا وعن عاصم، وفي الكشف ٢/ ٩٩، وفي التيسير ١٥١ كذلك، وفي الجامع ١١/ ٢١٦ إلى المدنيين والكوفيين. وفي البحر ٦/ ٢٥٥ إلى أبي جعفر والحسن وشيبة والأعمش وطلحة وحميد وأيوب وخلف في اختياره وأبي عبيدة وأبي حاتم وابن عيسى الأصبهاني وابن جرير وابن جبير الانطاكي والأخوين والصاحبين من السبعة.

(٤) هي لغة بني الحارث بن كعب وخثعم وزبيد ومراد وعذرة وكنانة وهمدان ومزادة وبني العنبر وبطون من ربيعة وبكر بن وائل، همع الهوامع ١/ ٤٠ والبحر ٦/ ٢٥٥ واللهجات العربية ٣٨.

الاه»[1]، فزعموا أنه على هذه اللغة بالتثقيل تقرأ. وزعم أبو زيد[2] أنه سمع أعرابياً فصيحاً من بلحارث يقول: «ضَرَبْتُ يَداهُ» و«وضعته علاه» يريد: يدَيْه وَعَلَيهِ. وقرأ بعضهم (إنَّ هذَيْنِ لَساحِران)[3] وذلك خلاف الكتاب. وقال الشاعر[4] [من الرجز وهو الشاهد الثالث والتسعون]:

طاروا علَيه[5] فَشُلْ[6] علاها
وَاشْدُدْ بِمَثْنى[7] حَقَبٍ حَقْواها
ناجِيَةً وناجِياً أباها

وأمّا «أنْ» الخفيفة فتكون زائدة مع «فلمّا» و«لمّا» قال تعالى ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ [يوسف/٩٦] وانما هي «فَلَمّا جاءَ البَشِير» وقال ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا﴾ [العنكبوت/٣٣] يقول «وَلَمّا جَاءَتْ» وتزاد أيضاً مع «لَوْ» يقولون: «أَنْ لَوْ جِئْتَني كانَ خيراً لك» يقول «لَوْ جِئْتَني». وتكون في معنى «أي»؛ قال تعالى ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ [ص/٦] يقول «أيْ إمشوا». وتكون خفيفة في معنى الثقيلة في مثل قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [يونس/١٠] و(أَنْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيهِ)[8] على قولك «أنّهُ لَعْنَةُ اللهِ»

---

(١) هي لغة بني الحارث بن كعب اللسان «علا» والخزانة ٣/١٩٩ ونوادر أبي زيد ٥٨.

(٢) هو أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري المُتَوفّى سنة ٢٢٥ هـ أحد أعلام مدرسة البصرة، انظر ترجمته في أخبار النحويين البصريين ٤١، ومراتب النحويين ٤٢، وطبقات ١٦٥، ونزهة الالباء ٨٥، وإنباه الرواة ٢/٣٠، وبغية الوعاة ٢٥٤.

(٣) في معاني القرآن ٢/١٨٣ إلى أبي عمرو، وفي تأويل مشكل القرآن ٥١ زاد عيسى بن عمرو عاصماً الجحدري، وفي الطبري ١٦/١٨١ أغفل الجحدري، وزاد يونس في ١٦/١٧٩ ان السدّي تأوّل بها، وفي السبعة ٤١٩ إلى أبي عمرو وحده، وكذلك في حجّة ابن خالويه ٢١٧، والكشف ٢/٩٩، والتيسير ١٥١، وفي الجامع ١١/٢١٦، إلى عائشة وعثمان من الصحابة، وإلى الحسن وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي من التابعين، وأبي عمرو وعيسى بن عمر وعاصم الجحدري من القرّاء، وفي البحر ٦/٢٥٥ إلى عائشة والحسن والنخعي والجحدري والأعمش وابن جبير وأبي عبيد وأبي عمرو.

(٤) هو بعض أهل اليمن، وأنشده أبو الغول، النوادر ٥٨ و٦٤.

(٥) في الصحاح «علاه» والخزانة ٣/١٩٩ واللسان «علا» والخصائص ٢/٢٦٩ بـ «علاهن».

(٦) في الصحاح واللسان بـ «فطر».

(٧) في الأصل: «بمثنا» وفي النوادر ٥٨ بمتني بالتاء المثناة، وياء بعد النون، وفي ١٦٤ كما في رواية الأخفش «مثنى»، وفي اللسان «بمثني» بثاء مثلثة وياء بعد النون.

(٨) النور ٢٤/٧؛ والقراءة المشهورة: ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

و«أَنَّهُ الحَمْدُ لله». وهذه بمنزلة قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه/٨٩] و(وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ)[1] ولكن هذه إذا خُفِّفت وهي الى جنب الفعل، لم يَحْسُنْ إلاّ إن معها «لا»، حتّى تكون عوضاً من ذهاب التثقيل والإضمار. ولا تعوض «لا» في قوله تعالى ﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لأنها لا تكون، وهي خفيفة، عاملة في الاسم. وعوّضها «لا» اذا كانت مع الفعل لأنّهم أرادوا أن يبيّنوا أنها لا تعمل في هذا المكان، وأنها ثقيلة في المعنى. وتكون «أنْ» الخفيفة تعمل في الفعل، وتكون هي الفعل اسما للمصدر، نحو قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾﴾ [القيامة] إنّما هي «على تسوية بنانِهِ».

باب من الاستثناء

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ [الآية ٧٨] منصوبة، لأنه مستثنى، ليس من أوّل الكلام، وهذا الذي يجيء في معنى «لكن»، خارجاً من أوّل الكلام، إنّما يريد «الكنْ أمانيّ»، و«لكنّهم يَتَمَنَّوْنَ».

وإنّما فسّرناه بـ «الكن» لنبيّن خروجه من الأوّل. ألا ترى أنك إذا ذكرت «الكن» وجدت الكلام منقطعاً من أوّله، ومثل ذلك في القرآن كثير (منه قوله عزّ وجل) ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾ [الليل] وقوله: ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ [النساء/١٥٧] وقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [هود/١١٦] كأنه يقول: «فهلاّ كانَ منهُمْ مَنْ يَنْهى» ثم كأنه قال: «ولكنْ قليلاً مِنهُمْ مَنْ يَنهى» ثمّ كأنّه قال «ولكنْ(*) قليلٌ مِنهُمْ قد نَهَوْا» فلمّا جاء مستثنى خارجاً من الأوّل انتصب. ومثله ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [يونس/٩٨] كأنه يقول «فهلاّ كانت» ثم قال: «ولكنْ قَوْمَ يونسَ» فـ «إلا» تجيء في معنى «الكنّ». واذا عرفت أنها في معنى «الكنّ»، فينبغي أن تعرف خروجها من أوّله. وقد يكون (إلاّ قَوْمَ

---

(١) المائدة ٥/ ٧١؛ القراءة المشهورة ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، وبها نقرأ.

(*) وردت لكن في الأصل مخفّفة في كل الامثلة، فورد ما بعدها مرفوع.

يُونُسَ) رفعاً[1]، تجعل «إلاّ» وما بعده، في موضع صفة بمنزلة «غير»، كأنه قال: «فهلاّ كانَتْ قريةٌ آمنتْ غيرُ قريةِ قوم يونس» ومثلها ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء/٢٢] فقوله تعالى ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ صفة، ولولا ذلك لانتصب، لأنه مستثنى مقدّم، يجوز إلقاؤه من الكلام. وكلّ مستثنى مقدّم، يجوز إلقاؤه من الكلام نصب، وهذا قد يجوز إلقاؤه، فلو قلت «لو كانَ فيهما آلهةٌ لَفَسدتا» جاز، فقد يجوز فيه النصب، ويكون مثل قوله «ما مَرَّ بي أحَدٌ إلاّ مِثْلُكَ». قال الشاعر[2] فيما هو صفة [من الطويل وهو الشاهد الرابع والتسعون]:

أُنِيخَتْ فألقتْ بَلْدَةً فوقَ بَلْدَةٍ
قَليلٌ بها الأصْواتُ إلاّ بُغامُها

وقال[3] [من الوافر وهو الشاهد الخامس والتسعون]:

وكُلُّ أخٍ مُفارِقُهُ أخُوه
لَعَمْرُ[4] أبيكَ إلا الفَرْقَدانِ

ومثل المنصوب الذي في معنى«لكنْ»، قوله الله عز وجل ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾ [يس]؛وهو في الشعر كثير وفي الكلام. قال الفرزدق[5] [من الطويل وهو الشاهد السادس والتسعون]:

وما سَجَنُوني غيرَ أنّي ابْنُ غالبٍ
وأنّي من الأثْرَيْنِ غَيْرَ الزَّعانِفِ[6]

يقول: «ولكنّي»، وهو مثل قولهم: «ما فيها أحدٌ إلاّ حماراً» لما كان ليس من أوّل الكلام جعل على معنى «لكنّ»

---

(١) في الشواذ ٥٨ إلى الجرمي والكسائي.

(٢) هو ذو الرُّمة، انظر ديوانه ٢/ ١٠٠٤، والكتاب وتحصيل عين الذهب ١/ ٣٧٠.

(٣) هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي. ديوانه ١٨١، والكتاب ١/ ٣٧١، والكامل ٣/ ١٢٤٠، والدرر ١/ ١٩٤، والبيان والتبيين ١/ ٢٢٨، وشرح سقط الزند لِلْبَطَلْيَوْسي ٣/ ٩٧٧، والخزانة ٢/ ٥٢، وتحصيل عين الذهب ١/ ٣٧١؛ وقيل هو سوار بن المضرب، تحصيل عين الذهب ١/ ٣٧١؛ وقيل هو حضرمي بن عامر الأسدي، الخزانة والمؤتلف والمختلف ١١٦، وشرح شواهد المغني والدرر ١/ ١٩٤.

(٤) في الأصل لعمرو بالواو.

(٥) هو همّام بن غالب، انظر ترجمته في الأغاني ٨/ ١٨٦ و١٩/ ٢، وطبقات الشعراء ٢/ ٢٩٩، والشعر والشعراء ١/ ٤٧١.

(٦) البيت في ديوانه ٥٣٦، والكتاب وتحصيل عين الذهب ١/ ٦٧.

ومثله [من الخفيف وهو الشاهد السابع والتسعون]:

لَيسَ بَيْنِي وبَينَ قيسٍ عِتابُ
غيرَ طَعْنِ الكُلا وَضَربِ الرِّقابِ[1]

وقوله[2] [من الطويل وهو الشاهد الثامن والتسعون]:

حلَفْتُ يميناً غيرَ ذِي مَثْنَوِيةٍ
وَلا عِلْمَ إلاّ حُسْنَ ظَنٍّ بِغَائِبِ[3]

باب الجمع

وأمّا تَثقِيلُ ﴿ٱلۡأَمَانِيَّ﴾ فلأنّ واحدها «أُمْنِيّة» مُثقَّل. وكلُّ ما كان واحده مثقّلاً مثل: «بُخْتِيّة» و«بَخاتِيّ» فهو مُثقّل.

وقد قرأ بعضهم (إلاّ أماني) فخفّف[4]، وذلك جائز، لأنّ الجمع على غير واحده، وينقص منه، ويزاد فيه. فأما «الأثافِي»؛ فكُلُّهُم يخفّفها، وواحدها «أُثْفِيّة» مثقّلة، وإنّما خفّفوها، لأنهم يستعملونها في الكلام والشعر كثيراً، وتثقيلها في القياس جائز[5]. ومثل تخفيف «الأماني»، قولهم: «مِفْتاح» و«مَفَاتِح»[6] وفي «مِعْطاء» «مَعاطٍ»[7] قال الأخفش[8]: «قد سمعت بلعنبر تقول: «صحارِيّ» و«مَعاطِيّ» فتثقل.

وقوله تعالى ﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٧٨﴾ أي: «فما هُمْ إلاّ يَظُنُّونَ».

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية

(١) هو لابن الأيهم التغلبي، الكتاب، وتحصيل عين الذهب ١/ ٣٦٥، والبيت في شرح البطليوسي لسقط الزند ١/ ١٧٥، وشرح المفصّل ٢/ ٨٠.

(٢) هو النابغة الذبياني. ديوانه ٥٥، والكتاب وتحصيل عين الذهب ١/ ٣٦٥.

(٣) في الكتاب وتحصيل عين الذهب بـ «صاحب» بدل غائب، وهي رواية أشار إليها الأخفش أيضاً بعد البيت. وكذلك في شرح النحاس لأبيات سيبويه.

(٤) في الطبري ٢/ ٢٦٤ قراءة بعض القرأة، وفي المحتسب ٩٤ إلى أبي جعفر وشيبة والحسن، بخلاف، والحكم بن الأعرج، وفي الجامع ٢/ ٥ إلى أبي جعفر وشيبة والأعرج، وزاد في البحر ١/ ٢٧٦ عليه ابن جماز، عن نافع وهارون عن أبي عمرو.

(٥) في اللسان: «أثف» قال الأخفش اعتزمت العرب أثافي، أي أنهم لا يتكلمون بها إلا مخففة.

(٦) في اللسان «فتح» والجمع مفاتيح أيضاً، قال الأخفش هو مثل قولهم أماني وأماني يخفف ويشدد.

(٧) في اللسان(عطا): قوم معاطي ومعاطٍ، قال الأخفش: هذا مثل قولهم مفاتيح ومفاتح وأماني وأمانٍ، ونُسِبَ إلى سيبويه أنه « لا يمتنع معاطي كأثافي». وقد نقل عنه هذا الرأي ميسراً، في البحر ١/ ٢٧٦ والجامع ٢/ ٥.

(٨) هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الأخفش الاكبر، الذي نقل عنه سيبويه اللغات، انظر ترجمته في مراتب النحويين ٣٢، وطبقات اللغويين ٤٠، ونزهة الألباء ٢٨٠، وإنباه الرواة ٢/ ١٥٧، أو بغية الوعاة ٢٩٦.

٧٩] برفع «الويلُ»، لأنّه اسم مبتدأ، جعل ما بعده خبره. وكذلك «الوَيْحُ»، و«الوَيْلُ»، و«الوَيْسُ»، إذا كانت بعدهنّ هذه اللام، ترفعهن. أمّا «التّعْسُ»، و«البُعْدُ»، وما أشبههما فهو نصب أبداً، وذلك أنّ كلّ ما من هذا النحو تَحْسُن إضافته بغير لام، فهو رَفْعٌ باللام، ونَصْبٌ بغير لام، نحو ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطففين] و«وَيْلٌ لِزَيْدٍ» ولو ألقيت اللام قلت: «ويلَ زيدٍ»، و«ويحَ زيدٍ»، و«ويسَ زيدٍ»، فقد حسنت إضافتهُ بغير لام، فلذلك رفعته باللام مثل ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾[1]. وأما قوله ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ [هود/٩٥] و﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود/٦٨] و﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ [محمد/٨] فهذا لا تَحْسُن إضافتُهُ بغير لام. ولو قلت: «تَعْسَهُم» أو «بُعْدَهُم»، لم يحسن. وانتصاب هذا كلّه بالفعل، كأنّك قلت: «أتْعَسَهُم الله تَعْساً» «وأبْعَدَهُم اللهُ بُعْداً». وإذا قلت «ويلَ زيدٍ»، فكأنّك قلت «ألْزَمَهُ اللهُ الوَيْلَ»[2]. وأمّا رفْعُك إيّاه باللام، فإنّما كان، لأنّك جعلت ذلك، واقعاً واجباً لهم في الاستحقاق. ورفعه على الابتداء ، وما بعده مبني عليه، وقد ينصبه قوم، على ضمير الفعل، وهو قياس حسن، فيقولون: «وَيْلاً لزيد» و«وَيْحاً لِزيد». قال الشاعر[3] [من الطويل وهو الشاهد التاسع والتسعون]:

كَسَا اللُّؤْمُ تَيْماً خُضْرَةً في جُلُودِها
فَوَيْلاً لِتَيْمٍ من سرابيلِها الخُضْرِ[4]

قال الأخفش[5] «حدّثني عيسى بن

---

(١) تكرّرت هذه الآية الكريمة في عشرة مواضع من «المرسلات»؛ وأمّا في «المطفّفين» فقد وردت مرّة واحدة في الآية العاشرة من هذه السورة؛ أمّا في «الطور» ٥٢/ ١١ فقد وردت الآية الكريمة بلفظ ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ أي بزيادة الفاء، على أوّل الآية، كما وردت في المرسلات والمطفّفين.

(٢) نقل هذه العبارة، وأفاد المعنى في اعراب القرآن ١/ ٥٩، والجامع ٢/ ٨، والاملاء ١/ ٤٦.

(٣) هو جرير بن عطية بن الخطفي، الشاعر المشهور، الذي انتخب النقاد العرب من شعره، خير ما قاله العرب في فنون الشعر المختلفة. انظر ترجمته وأخباره في الأغاني ٧/ ٣٧ و١٠/ ٢ و٢٠/ ١٦٩، وطبقات الشعراء ٣٧٤، والشعر والشعراء ٤٦٤.

(٤) في الديوان ١/ ٥٩٤ بـ «فياخزي تميم»، وفي الفاخر ٢٨٦ بـ «فياويل تيم»، وهو في الكتاب وتحصيل عين الذهب ١/ ١٦٧ وفي شرح المفصّل ١/ ١٢١، واللسان «ويل».

(٥) هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الأخفش الأكبر، انظر ترجمته فيما سبق.

عمر[1] أنهُ سمع الأعراب ينشدونه هكذا بالنصب، ومنهم من يرفع ما ينصب في هذا الباب. قال أبو زُبَيدَ[2] [من الطويل وهو الشاهد المئة]:

أغـارَ وأقْـوى ذات يـومٍ وخَـيْـبَـةً
لأوَّلِ مَـنْ يَـلـقـى وغـيٌّ مُـيَـسَّـرُ[3]

باب اللام

وقـولـه تـعـالـى ﴿لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ﴾ [الآية ٧٩]، فهذه اللاّم إذا كانت في معنى «كَيْ»، كان ما بعدها نصبا على ضمير «أنْ»، وكذلك المنتصب بـ «كيْ»، هو أيضاً على ضمير «أنْ»، كأنّه يقول: «الاشتراءِ»، فـ «يَشْتَرُوا» لا يكـون اسـمـاً إلاّ بـ «أنْ»، فـ «أنْ» مضمرة وهي الناصبة، وهي في موضع جرّ بـالـلام. وكـذلـك ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ﴾ [الحشر/٧] «وأنْ» مضمرة، وقد جرّتها «كيْ»، وقالوا: «كَيْمَهْ»، فـ «مَهْ» اسم، لأنّه «ما» التي في الاستفهام، وأضافَ «كَيْ» إليها. وقد يكون «كَيْ» بمنزلة «أنْ»، هي الناصبة وذلك قوله تـعـالـى ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ﴾ [الحديد/٢٣] فأوقع عليها اللام. ولو لم تكن «كَيْ» وما بعدها اسماً لم تقع عليها اللام، وكذلك ما انتصب بعد «حتّى»، إنّما انْتَصَبَ بإضمارِ «أنْ»، قال تعالى ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ﴾ [الرعد/٣١]، و﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ﴾ [الآية ١٢٠]، إنّما هو «حتّى أنْ يأتيَ» و«حتّى أنْ تَتَّبعَ»، وكذلك جميع ما في القرآن من «حتّى». وكذلك ﴿وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [الآية ٢١٤] أي: «حتّى أنْ يقولَ،» لأنّ «حتّى» في معنى «إلى»، تقول «أقَمْنا حتّى الليلِ» أي: «إلى اللّيلِ». فإن قيل: إظهارُ «أنْ» هُهنا قبيح، قلتُ: «قد تُضمَرُ أشياءُ يقبحُ إظهارها إذا كانوا يستغنون عنها». ألا ترى أنّ قولك: «إنّ زيداً ضربْتَهُ»، مُنْتَصِبٌ بفعل مضمر لو أظهرته لم يَحْسُن. وقد قرئت هذه الآية

---

(١) هو عيسى بن عمر الثقفي، وقد مرت ترجمته قبلا.

(٢) هو أبو زبيد حرملة بن المنذر الطائي المتوفى من زمن عثمان، انظر ترجمته وأخباره في الاغاني ٤/ ١٨١ و١١/ ٢٤، والشعر والشعراء ٣٠١، وطبقات الشعراء ٥٩٣.

(٣) البيت في الديوان ٦١ بـ «اقام» بدل أغار وبـ «شر» بدل «غيّ»، وفي المخصص ١٢/ ١٨٤ بـ «أقام» بدل «أغار»، وفي الكتاب وتحصيل عين الذهب ١/ ١٥٧، كما في المخصص.

(وزُلزِلُوا حَتّى يقولُ الرّسولُ)[1] يريد: «حتّى الرّسُولُ قائلٌ»، جعل ما بعد «حتّى» مبتدأ. وقد يكون ذلك نحو قولك: «سِرْتُ حتّى أدْخُلُها»، اذا أردت: «سرت فإذا أنا داخِلٌ فيها»، و«سِرْتُ» أمسِ حتّى أدْخُلُها اليومَ»، أيْ: حتّى «أنا اليومَ أدْخُلُها فَلا أُمْنَعُ». واذا كان غاية للسير نصبته. وكذلك ما لم يجب، ممّا يقع عليه « حتّى» نحو ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠﴾ [الكهف] وأمّا ﴿وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ﴾ [الحج/٤٧] فنصب بـ «لَنْ» كما نصب بـ «أنْ» وقال بعضهم: إنّما هي «أنْ » جُعِلَتْ معها «لا» كأنه يريد «لا أنْ يُخلِفَ اللّهُ وَعْدَهُ» فلمّا كثرت في الكلام حذفت، وهذا قول، وكذلك جميعُ «لَنْ» في القرآن. وينبغي لِمَنْ قال ذلك القول أن يرفع «أزيدٌ لَنْ تَضرِبُ» لأنها في معنى «أزيدٌ لا ضَرَبْتَ لَه». وكذلك ما نصب بـ «إذَنْ» تقول: «إذَنْ آتِيَكَ» تنصب بها كما تنصب بـ «أنْ» وبـ «لَنْ» فاذا كان قبلها الفاء أو الواو رفعت، نحو قول الله عزّ وجلّ ﴿وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٦﴾ [الأحزاب] وقوله ﴿فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ٥٣﴾ [النساء] وقد يكون هذا نصباً أيضاً عنده على إعمال «إذَنْ». وزعموا أنّهُ في بعض القراءة منصوب[2]؛ وإنّما رفع، لأنّ معتمد الفعل صار على الفاء والواو، ولم يحمل على «إذَنْ»، فكأنه قال: «فلا يُؤتُونَ النّاسَ إذاً نَقيراً» و «ولا تُمتَّعُون إذَنْ». وقوله تعالى ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ [الحديد/ ٢٩] و (وَحَسِبُوا ألاّ تكونُ فِتْنَةٌ)[3]

(١) هي في معاني القرآن: ١/ ١٣٢ إلى مجاهد وبعض أهل المدينة، وفي ١/ ١٣٣ أنها للكسائي دهراً، ثم عاد عنها إلى النّصب. وفي الكشف ١/ ٢٨٩و ٢٩٠ و٢٩١ إلى نافع والأعرج ومجاهد وابن محيصن وشيبة، وفي التيسير ٨٠، والجامع ٣/ ٣٤، والبحر ٢/ ١٤٠، إلى نافع. أمّا الرفع فهو في معاني القرآن ١/ ١٣٣ إلى القرّاء عدا نافعاً والكسائي في أوّل أمره، وفي السبعة ١٨١ كذلك، وفي الكشف ١/ ٢٩١ إلى الحسن وأبي جعفر وابن أبي اسحاق وشبل وغيرهم، وقال إنّ عليه جماعة القرّاء، وفي البحر ٢/ ١٤٠ إلى الجمهور، وفي التيسير ٨٠، والجامع ٣/ ٣٤ إلى غير نافع.

(٢) في معاني القرآن٢/ ٢٣٧ ذكر النصب، ولم ينسب قراءة، وفي الطّبري ٢١/ ١٣٨ كذلك، وفي الجامع ١٤/ ١٥١ ذكرت القراءة، ولم تنسب.

(٣) المائدة ٥/ ٧١ القراءة المشهورة: ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾.

و﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طـــــه/٨٩] فارتفع الفعل بعد «أن لا»[1]، لأنّ («أن») هذه مثقلة في المعنى، ولكنها خفّفت، وجعل الاسم فيها مُضمَراً؛ والدليل على ذلك، أنّ الاسم يحسن فيها والتثقيل. ألا ترى أنّك تقول: «أفلا يَرَوْنَ أنّه لا يرجعُ إليهِمْ»، وتقول: «أنّهُمْ لا يَقْدِرونَ على شَيْءٍ» و«أنّهُ لا تَكُونُ فتنة». وقال تعالى ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ [آل عمران/٤١؛ ومريم/١٠] نصب، لأن هذا ليس في معنى المثقل، إنما هو ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ﴾ كما تقول: (آيتُكَ أنْ تُكلّمَ)، وأدخلت «لا» للمعنى الذي أريد من النفي. ولو رفعت هذا، جاز على معنى آيتك أنّك لا تكلّم[2]، ولو نصب الآخر جاز على أن تجعلها «أنْ» الخفيفة التي تعمل في الأفعال[3]. ومثل ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤﴾ [الانشقاق] وقوله ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥﴾ [القيامة]. وقال ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [الآية ٢٣٠]؛ وتقول: «عَلِمْت أنْ لا تُكْرِمُني» و«حسِبْتُ أنْ لا تُكرِمُني». فهذا مثل ما ذكرت لك. فإنّما صار «عَلِمْتُ» و«أسْتَيْقَنْتُ»؛ ما بعده رَفْع لأنّه واجب. فلمّا كان واجباً لم يحسن أن يكون بعده «أنْ» التي تعمل في الأفعال، لأنّ تلك إنما تكون في غير الواجب، ألا ترى أنك تقول «أُريدُ أنْ تأْتِيَني» فلا يكون هذا إلاّ لأمرٍ لم يقع، وارتفع ما بعد الظن وما أشبهه؛ لأنه مُشاكل للعلم، لأنه يعلم بعض الشيء إذا كان يظنّه. وأما «خَشِيتُ أنْ لا تُكرِمَني» فهذا لم يقع. ففي مثل هذا تعمل أنْ الخفيفة، ولو رفعته على أمر قد استقرّ عندك، وعرفته، كأنّك جرّبته، فكان لا يكرمك، فقلت: «خَشِيتُ أنْ لا تُكرِمُني» أي: خَشيتُ أنّكَ لا تُكرِمُني جاز.

---

(1) أي ﴿أَلَّا﴾.

(2) في معاني القرآن في آية آل عمران ١/٢١٣، والمشكل ١/٩٥ بلا نسبة، وفي البحر ٢/٤٥٢ إلى ابن أبي عبلة، وفي الطّبري ١/٣٨٧ لم ينسب قراءة. وفي آية مريم في البحر٦/١٧٦ إلى ابن أبي عبلة وزيد بن علي، وفي معاني القرآن ٢/١٦٢ لم ينسب قراءة.

(3) النصب في آية آل عمران، في معاني القرآن ١/٢١٣، والطّبري ٦/٣٨٧، والمشكل ٩٥ بلا نسبة. والنصب في آية مريم في البحر ٦/١٧٦ إلى الجمهور، وفي معاني القرآن ٢/١٦٢ بلا نسبة، ولا إشارة ما إلى أنه قراءة.

وزعم[1] يونس[2]، أنّ ناساً من العرب يفتحون اللام التي في مكان «كَيْ»[3]، وأنشدوا هذا البيت، فزعم أنّه سمعه مفتوحاً [من الوافر وهو الشاهد الحادي بعد المئة]:

يُؤامِرُنِي رَبِيعَةُ كُلَّ يَوْمٍ
لأَهْلِكَهُ وأَقْتَنِيَ الدَّجاجا[4]

وزعم خلف[5]، أنها لغة لبني العنبر، وأنه سمع رجلاً يُنْشد هذا البيت منهم مفتوحاً [من الطويل وهو الشاهد الثاني بعد المئة]:

فقُلْتُ لِكَلْبِيَّيْ قُضاعَةَ إنَّما
تَخَبَّرْتُماني أهْلَ فَلْجٍ لأَمْنَعا[6]

يريد «مِنْ أهلِ فَلْجٍ». وقد سمعت أنا ذلك من العرب، وذلك أنّ أصل اللام الفتح، وإنما كسرت في الإضافة ليفرّق بينها وبين لام الابتداء. وزعم أبو عبيدة[7] أنّه سمع لام«لعلّ» مفتوحة في لغةِ من يَجُرُّ بِها ما بعدها في قول الشاعر[8] [من الوافر وهو الشاهد الثالث بعد المئة]:

لَعَلَّ اللهِ يُمَكِّنُنِي عَلَيْها
جِهاراً مِن زُهَيْرٍ أَوْ أَسِيدِ[9]

---

(١) في خزانة الأدب ٤/ ٣٧٦ نقل هذا النص للأخفش من المسائل البصرية لأبي علي الفارسي، حتى نهاية البيت «لعلّ الله» مع تقديم وتأخير فيه.

(٢) يونس بن حبيب البصري، وقد مرت ترجمته فيما سبق.

(٣) انما تكلم على لام كي، إشارة إلى قوله تعالى في الآية [٧٩] ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

(٤) في شرح الأبيات للفارقي ٥١ بـ «تواعدني» و«لاهلكها»، وفي الخزانة ٤/ ٣٧٦ كذلك وبلا عَزْو فيهما، ونص الفارقي هو أنه نقل نص أبي علي في المسائل البصرية، وكذلك نص البغدادي في الخزانة، وكان نص أبي علي عند الفارقي «واحفظ من كتاب أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش...» وعند البغدادي: قال أبو الحسن الأخفش...».

(٥) هو أبو محرز خلف بن حيان النحوي المتوفى في حدود ثمانين ومئة. انظر ترجمته في مراتب النحويين ٤٦، وطبقات النحويين ١٦١، ونزهة الألباء وإنباه الرواة ١/٣٤٨، وبغية الوعاة ٢٤٢.

(٦) لم تفد المراجع والمصادر شيئا في القائل والقول.

(٧) هو ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي. انظر ترجمته في اخبار النحويين البصريين ٥٢ ومراتب النحويين ٤٤ وطبقات النحويين ١٧٥ ونزهة الالباء ٦٨ وانباه الرواة ١/ ٢٧٦ وبغية الوعاة ٢٩٥.

(٨) في الخزانة ٤/ ٣٧٥، أنه خالد بن جعفر بن كلاب العبسي. الأغاني ١٠/ ١٢.

(٩) البيت في شرح الأبيات للفارقي ٥١ أما في الخزانة ٤/ ٣٧٥ في العنوان فموافق في اللفظ لما رواه الأخفش، ولكن ورد في ص ٣٧٧ بـ «يقدرني» وفي الأغاني ١٠/ ١٢ بـ «يظفرني».

يريد «لِعَلُ عبدِ اللَّهِ» فهذه اللام مكسورة لأنها إضافة. وقد زعم انه قد سمعها مفتوحة فهي مثل لام «كَيْ». وقد سمعنا من العرب من يرفع بعد «كيما» وأنشد[1] [من الطويل وهو الشاهد الرابع بعد المئة]:

إذا أنتَ لم تَنفَعْ فَضُرَّ فإنَّما
يُرَجَّى الفَتى[2] كيما يَضُرُّ وَيَنفَعُ

فهذا جعل «ما» اسماً وجعل «يَضُرُّ» و«يَنْفَعُ» من صلته جعله اسماً للفعل وأوقع «كَيْ» عليه وجعل «كَيْ» بمنزلة اللام. وقوله تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[3] وقوله ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4] فيشبه أن تكون الفاء زائدة كزيادة «ما» ويكون الذي بعد الفاء بدلا من «أنّ» التي قبلها. وأجوده أن تكسر «إنّ» وأن تجعل الفاء جواب المجازاة. وزعموا أنه يقولون «أخُوكَ فوُجِدَ»، «بل أخوك فجُهِدَ»، يريدون «أخوك وُجِدَ» و«بل أخوك جُهِدَ» فيزيدون الفاء. وقد فسّر الحسن[5] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ [الزمر/ ٧٣] على حذف الواو. وقال: «معناها: قال لَهُمْ خَزَنَتُها»، فالواو في هذا زائدة. قال الشاعر[6] [من الكامل وهو الشاهد الخامس بعد المئة]:

فإذا وَذلِكَ يا كُبَيْشَةُ لَمْ يَكُنْ
إلاّ كَلَمَّةِ حالِمٍ بِخَيالِ[7]

---

(١) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وقيل النابغة الذبياني، وقيل الجعدي، وقيل عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، وقيل قيس بن الخطيم، وقيل عبد الملك بن عبد الله «ديوان عبد الله بن معاوية ٥٩، وخزانة الأدب ٣/ ٥٩١، والمقاصد النحوية ٣/ ٣٤٥ و٤/ ٣٧٩، وشرح شواهد ابن الناظم ٢١٦، وشرح شواهد المغني ١٧٣، والدرر اللوامع ٢/ ٤، وهو في المراجع كلها مترجح بين نصب الفعلين ورفعهما وبين لفظ «يرجى» و«يراد».

(٢) في الأصل: يرجى الفتي.

(٣) التوبة ٩/ ٦٣. القراءة المشهورة: ﴿فَأَنَّ﴾.

(٤) الأنعام ٦/ ٥٤: القراءة المشهورة: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ﴾ و﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(٥) هو الحسن البصري، أحد كبار التابعين.

(٦) هو تميم بن أُبَيّ بن مقبل. ديوانه ٢٥٩، واللسان «لمم»، والخزانة ٤/ ٤٢٠.

(٧) وهو في الديوان بـ «كحلمة»، وفي اللسان بكسر لام «لمة»، وانظر الصحاح «لمم».

وقال[1] [من الكامل وهو الشاهد السادس بعد المئة]:

فإذا، وذلك ليس إلا حينُهُ
وإذا مضى شيءٌ كأنْ لم يُفْعَلِ[2]

كأنه زاد الواو وجعل خبره مُضمراً، ونحو هذا مما خبره مضمر كثير.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الآية ٨٣].

وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ [الآية ٨٤] فرفع هذا، لأنّ كُلّ ما كان من الفعل على «يَفعَلُ هو» و«تَفْعَل أنت» و«أفْعلُ أنا» و«نَفْعَلُ نحن»، فهو أبداً مرفوع، لا تعمل فيه إلا الحروف التي ذكرت لك، من حروف النصب أو حروف الجزم والأمر والنهي والمجازاة. وليس شيء من ذلك هٰهنا، وإنّما رفع لموقعه في موضع الأسماء. ومعنى هذا الكلام حكاية، كأنه قال: «اَسْتَحْلَفْناهُم لا يَعْبدونَ» أي: قُلْنا لَهُم: «واللهِ لا تَعْبُدونَ»، وذلك أنها تقرأ (يَعْبُدون)[3] و﴿تَعْبُدُونَ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ [الصافات] ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ﴾ [الصافات/٨]. فإن شئت جعلت (لا يَسْمَعُون) مبتدأ، وانْ شئت قلت: هو في معنى «أنْ لا يَسْمَعُوا» فلمّا حذفت «أنْ» ارتفع، كما تقول: «أتَيْتُكَ تُعْطِيني وتُحسِنُ إلَيّ وتَنْظُرُ في حاجتي» ومثله «مُرْهُ يُعطِيني» إنْ شئت جعلته على «فَهوَ يُعطِيني»، وإنْ شئت على «أنْ يُعْطِيَني». فلما ألْقَيْتَ «أنْ» ارتفع. قال الشاعر[5] [من الطويل وهو الشاهد السابع بعد المئة]:

---

(١) هو أبو كبير الهذلي. ديوان الهذليين ٢/ ١٠٠، والصناعتين ٤٤٣ والخزانة ٤/ ٤٢٠. وهو كثير في إعراب القرآن للزجاج ٣/ ٨٨٩، وجاء في الأصل «وقوله».

(٢) في الخزانة ورد مرتين في إحداهما بـ «ذكره» و«لم أفعل»، وفي التمام ٢٤٨ بفتح ياء «يفعل»، وفي الصناعتين ومجالس ثعلب ١٢٦ بـ «ذكره».

(٣) في المصاحف ٥٧ إلى الأعمش وفي السبعة ١٦٢ إلى ابن كثير وحمزة والكسائي، وكذلك في التيسير ٧٤ والجامع ٢/ ١٣ والبحر ١/ ٢٨٢، وفي الطبري ٢/ ٢٨٨ بلا نسبة، وفي معاني القرآن ١/ ٥٤ بلا نسبتها، قراءة.

(٤) في السبعة ١٦٢ إلى أبي عمرو ونافع وعاصم وابن عامر، وفي التيسير ٧٤ إلى غير ابن كثير أو حمزة والكسائي، وفي الجامع ٢/ ١٣ بالجزم إلى أبيّ وابن مسعود، وفي البحر ١/ ٢٨٢ مثل التيسير.

(٥) هو طرفة بن العبد البكري.

ألا أيُّهذا[1] الزاجِرِي أحْضُرَ الوغى[2]
وأنْ أشْهَدَ اللَّذاتِ هَلْ أنت مُخْلِدِي[3]

فـ «أحْضُرَ» في معنى «أنْ أحْضُرَ».

وقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الآية ٨٣] فجعله أمراً، كأنّه يقول:

وإحساناً بالوالدينِ» أي: «أحْسِنُوا إحْساناً».

وقال تعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [الآية ٨٣] فهو على احد وجهين: إمّا أن يكون يراد بـ «الحُسْنِ» «الحَسَنَ»، كما تقول: «البُخْلُ» و«البَخَلَ»[4]، وإمّا أن يكونَ جعل «الحُسْنَ» هو «الحَسَنَ» في التشبيه كما تقول: «إنّما أنتَ أكلٌ وشُرْبٌ». قال الشاعر[5] [من الوافر وهو الشاهد الثامن بعد المئة]:

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَها بِخَيْلٍ
تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ

«دَلَفْتُ»: «قَصَدْتُ» فجعل التحية ضرباً. وهذه الكلمة في الكلام ليست بكثير وقد جاءت في القرآن. وقد قرأها بعضهم (حَسَناً)[6] يريد «قولوا لهم حَسَناً» وقرأ بعضهم (قُولُوا لِلنّاسِ حُسْنى)[7] يؤنثها ولم ينوّنها، وهذا لا يكاد يكون، لأنّ «الحُسْنى» لا يتكلّم بها إلاّ بالألف واللاّم، كما لا يتكلّم بتذكيرها إلاّ بالألف واللاّم فلو قلت: «جاءَني أحْسَنُ وأطْوَلُ» لم يَحْسُن حتّى تقول: «جاءَني الأحْسَنُ والأطْوَلُ» فكذلك هذا، يقول: «جاءَتْني الحُسْنى

(١) في الأصل: أيها ذا.

(٢) في الأصل: الوغا.

(٣) هو أحد أبيات معلقته، وهو في الكتاب وتحصيل عين الذهب ١/ ٤٥٢ بـ «أن أشهد»، وفي معاني القرآن ٣/ ٢٦٥ بـ «الزاجري وأن أشهد»، وفي الديوان ٣١ بلفظ رواية الأخفش.

(٤) نقل هذا الرأي بعبارته عنه، في إعراب القرآن ١/ ٦٠، والمحتسب ٢/ ٣٦٣، والجامع ٢/ ١٦.

(٥) هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي. ديوانه ١٣٠، وتحصيل عين الذهب ١/ ٣٦٥، والكتاب وتحصيل عين الذهب ١/ ٤٢٩، ونوادر أبي زيد ١٤٩، وفي الخزانة ٤/ ٥٣ إليه، وبعجزٍ ثانٍ إلى عنترة، وبعجزٍ ثالث إلى الخنساء، وبعجزٍ رابع إلى الأعرابي.

(٦) في الطّبري ٢/ ٢٩٤ إلى عامة قرأة الكوفة غير عاصم، وفي السبعة ١٦٢ إلى حمزة والكسائي، وفي الكشف ١/ ٢٥٠، والتيسير ٧٤ والجامع ١/ ١٦؛ وزاد في البحر ١/ ٢٨٤ ويعقوب، وفي حجة ابن خالويه ٦٠ بلا نسبة.

(٧) في الطّبري ٢/ ٢٩٤ إلى بعض القرّاء، وفي الشواذ بالإ مالة للأخفش عن بعضهم ٧، وفي البحر ١/ ٢٨٥ إلى أبيّ وطلحة بن مصرف. وقد نقلت هذه القراءة والآراء، في إعراب القرآن ١/ ٦٠ والمحتسب ٢/ ٣٦٣ والجامع ٢/ ١٦.

والطُّولى». إلاّ أنهم قد جعلوا أشياء من هذا أسماء نحو «دُنْيا» و«أُوْلَى». قال الراجز[1] [وهو الشاهد التاسع بعد المئة]:

في سَعْي دُنْيا طالَما قَدْ مُدَّتِ[2]

ويقولون: «هي خَيْرَةُ النِساءِ» [«هنّ خَيْراتُ النّساء»][3]

لا يكادون يفردونه، وإفراده جائز. وفي كتاب الله عز وجل ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾ [الرحمن] وذلك أنّه لم يُرد «أفْعَلَ»، وإنما أراد تأنيث الخير، لأنه لما وصف فقال: «فلانٌ خَيْرٌ»، أشبه الصفات، فأدخل الهاء للمؤنث[4].

وقرأ: (تَظَّاهَرُونَ عليهم بالاثم والعُدْوان) [الآية ٨٥] فجعلها مِنْ «تَتَظاهَرُونَ»، وأدغم التاء في الظاء وبها يقرأ مَنْ ذُكِر في الحاشية[5]. والقراءة المشهورة التي بها نقرأ هي: ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾[6] مخففة، بحذف التاء الآخِرة، لأنها زائدة، لغيرِ معنى. وقُرِئ (وإنْ يَأْتُوكُم أسْرى) [الآية ٨٥][7] وقرئت ﴿أُسَٰرَىٰ﴾[8]. وذلك لان

---

(١) هو العجاج. ديوانه ٢٦٧، والخزانة ٣/ ٥٠٨ و٥٠٩، والتمام ١٧٣، والمخصص ١٥/ ١٩٣.

(٢) في الديوان بـ «عن» بدل في، وكذلك في الخزانة في الموضعين، وفي التمام والمخصص، وفي الديوان بضم الميم في (مدت).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) نقل في الصحاح واللسان «خير» عنه هذا الرأي بعبارة مغايرة.

(٥) رسمت في المصحف بفتح التاء وتخفيف الظاء. أما تضعيف الظاء فقراءة في السبعة ١٦٣ إلى ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر، وفي الكشف ١/ ٢٥٠ والتيسير ٧٤ إلى غير الكوفيين، وفي البحر ١/ ٢٩١ إلى غير عاصم وحمزة والكسائي من السبعة، وفي الجامع ٢/ ٢٠ إلى أهل المدينة وأهل مكة، وفي الطبري ٢/ ٣٠٨، وحجة ابن خالويه ٦٠ بلا نسبة.

(٦) في السبعة ١٦٣ إلى أبي عمرو وحمزة والكسائي، وفي البحر ١/ ٢٩١ إلى أبي حيوة. أما فتح التاء وتخفيف الظاء ففي الكشف ١/ ٢٥٠ إلى الكوفيين، وكذلك في الجامع ٢/ ٢٠، وعليها رسم المصحف كما أشرنا. وفي الأصل تظاهرون بضم التاء وتخفيف الظاء وكسر الهاء، ولا ينسجم رسمها مع ما بعدها من كلام.

(٧) رسم المصحف على القراءة الثانية بألف بعد السين. أمّا هذه القراءة فهي في السبعة ١٦٣، والكشف ١/ ٢٥١، والتيسير ٢١/٢٧٤، والبحر ١/ ٢٩١، إلى حمزة؛ وفي الطبري ٢/ ٣١١، وحجة ابن خالويه ٦١ بلا نسبة.

(٨) في السبعة ١٦٣ إلى أبي عمرو وابن عامر ونافع وعاصم والكسائي، وفي الكشف ١/ ٢٥١ والتيسير ٧٤ إلى غير حمزة، وفي القرطبي ٢/ ٢١ إلى الجماعة، وفي البحر ١/ ٢٩١ إلى الجمهور، وفي الطبري ٢/ ٣١١ وحجة ابن خالويه ٦١ بلا نسبة.

«أسير» «فَعِيل» وهو يشبه «مَرِيض» لأنَّ به عيْباً كما بالمريض، وهذا «فَعِيل» مثله. وقد قالوا في جماعة «المريض»: «مَرْضى» وقالوا «أسارَى»، فجعلوها مثل «سكارَى» و«كُسالَى»، لأنَّ جمع «فَعْلان» الذي به علّة قد يشارك جمع «فَعِيل» وجمع «فَعِل» نحو: «حَبِطٌ» و«حَبْطى» و«حُباطَى»[1] و«حَبِجٌ» و«حَبْجى» و«حَباجى»[2]. وقد قالوا ﴿أُسْكَرَى﴾ كما قالوا ﴿سُكَرَى﴾[3].

وقرأ بعضهم (تَفْدُوهم) [الآية ٨٥][4] من «تَفْدِي» وبعضهم ﴿تُفَـٰدُوهُمْ﴾[5] من «فادَى يُفادِي» وبها نقرأ، وكلُّ ذلك صواب.

وقال تعالى ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ [الآية ٨٥]، وقال ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون/ ٢٤ و٣٣] و﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ [القمر/٥٠] رفع، لأن كل ما تحسن فيه الباء من خبر «ما»، فهو رفع؛ لأن «ما» لا تُشبه في ذلك الموضع بالفعل، وإنما تُشبَّه بالفعل، في الموضع الذي تحسن فيه الباء، لأنها حينئذ تكون في معنى «ليس»، لا يشركها معه شيء. وذلك قول الله عز وجل ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف/٣١]. وتميم ترفعه، لأنه ليس من لغتهم أن يشبهوا «ما» بالفعل.

وأما قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية ٨٣] ثم قال ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [الآية ٨٣] ثم قال ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ [الآية ٨٣] فلأنه جلّ جلاله خاطبهم من بعدما حدّث عنهم، وذا في الكلام والشعر كثير.

(١ و٢) في الأصل بكسر الفاء.

(٣) في الأصل بضم الفاء في كلتيهما، ولا مفاد لذلك الا التكرار، وقد أشار إلى هذا مكي في المشكل ١/ ١٠٣ على انه وجه أجازه أبو اسحاق ومنعه أبو حاتم، وفي الاملاء ١/ ٤٩ انها قراءة، وبلا نسبة وكذلك في الجامع ٢/ ٢١. وعدّ أبو اسحاق القراءتين بالالف بضم الهمزة وفتحها على أنهما جمع الجمع «الأسرى» اللسان «أسر».

(٤) رسم المصحف على القراءة الثانية بعد الفاء. أما هذه، ففي المصاحف ٥٧، ما يوحي أنها إلى الاعمش، وفي السبعة ١٦٣ إلى ابن كثير وأبي عمرو وحمزة، وفي الكشف ٢/ ٢٥١ إلى غير نافع وعاصم والكسائي، وكذلك في التيسير ٧٤ والبحر ١/ ٢٩١، وفي الجامع ٢/ ٢١ أبدل بعاصم حمزة، وفي الطّبري ٢/ ٣١١ وحجة ابن خالويه ٦١ بلا نسبة.

(٥) في السبعة ١٦٣ والكشف ١/ ٢٥١ والتيسير ٧٤ والبحر ١/ ٢٩١ إلى نافع وعاصم والكسائي، وفي الجامع ٢/ ٢١ أبدل بعاصم حمزة، وفي الطّبري ٢/ ٣١١ وحجّة ابن خالويه ٦١ بلا نسبة.

قال الشاعر[1] [من الطويل وهو الشاهد العاشر بعد المئة]:

أسيئي بِنا أوْ أحسِنِي لا مَلُومَةٌ
لَدَيْنا وَلا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ[2]

وإنّما يريدون «تقَلَّيت». وقال عنترة [من الكامل وهو الشاهد الحادي عشر بعد المئة]:

شَطَّتْ مَزارَ العاشِقِينَ فأصبحَتْ
عَسِراً عَلَيَّ طِلابُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ[3]

إنّما أراد «فأصبحت ابْنَةُ مخرَم عسراً عليَّ طلابُها». وجاز أن يجعل الكلام، كأنه خاطبها، لأنه حين قال: «شَطَّتْ مزارَ العاشِقين»، كأنه قال: «شَطَطْتِ مزار العاشِقين» لأنه إيّاها يريدُ بهذا الكلام. ومثله ممّا يخرج من أوله قوله[4] [من الرجز وهو الشاهد الثاني عشر بعد المئة]:

إنَّ تميماً خُلِقَتْ مَلْمُوما

فأراد القبيلة بقوله: «خُلِقَتْ»، ثمّ قال «مَلْمُوما» على الحي أو الرجل، ولذلك قال:

مثلَ الصَّفا لا تَشْتَكِي الكُلُوما

ثم قال:

قوماً[5] تَرَى واحِدَهُم صِهْمِيما

فجاء بالجماعة، لأنّه أراد القبيلة أو الحيّ؛ ثم قال:

لا راحِمَ[6] النّاسِ ولا مرْحُوما

وقال الشاعر[7] [من الطويل وهو الشاهد الثالث عشر بعد المئة]:

أقولُ لَهُ[8] والرُّمْحُ يأطِرُ مَتْنَهُ
تأمَّلْ خُفافاً إنَّنِي أنا ذلِكَ

و«تَبَيَّنْ خُفافاً»، يريد «أنا هُوَ». وفي

---

(١) هو كُثيّر عزّة.

(٢) ديوانه ١٠١. اللسان «قلا» وقيل هو جميل بن مَعْمَر «معاني القرآن ١/ ٤٤١».

(٣) ديوانه ١٩٠ وهو من أبيات معلقته، وانظر مجاز القرآن ١/ ٢٥٢ و٢٧٣.

(٤) هو المُخَيَّس بن أرطأة الأعرجي، مجاز القرآن ٢/ ٧١، والجمهرة ٢/ ٣٧٣ باب ما جاء على «فعيل»، والصحاح «صهم»، واللسان «صهم»، وقيل بل هو رؤبة بن العجاج. ديوانه ١٨٥، واللسان «صهم».

(٥) في المخصص ٣/ ٥٧ بـ «قوم».

(٦) في الأصل «زاحم» بالزاي، وفي المخصص كالسابق بـ «يرحم» بدل «راحم».

(٧) هو خُفاف بن نَدْبَة السُّلَمِيّ. ديوانه ٦٤، ومجاز القرآن ١/ ٢٩، والدرر ١/ ٥١.

(٨) في الدرر بـ «وقلت له» وكذلك في الخزانة.

كتاب الله عز وجل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس/٢٢] فأخبر بلفظ الغائب وقد كان في المخاطبة، لأنّ ذلك يدلّ على المعنى. وقال الأسْوَد[1] [من البسيط وهو الشاهد الرابع عشر بعد المئة]:

وَجَفْنَةٍ كإزاءِ الحَوْضِ مُتْرَعَةٍ
ترى جَوانِبَها بِالشَّحْمِ مَفْتُونا

فيكون على أنه حمله على المعنى، أي: ترى كلَّ جانب منها، أو جعل صفة الجميع واحداً كنحو ما جاء في الكلام. وقوله «يأطِرُ مَتْنَه». يثني متنه. وكذلك ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة] ثم قال تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة/٥] لأنّ الذي أخبر عنه هو الذي خاطب. قال رؤبة[2] [من الرجز وهو الشاهد الخامس عشر بعد المئة]:

الحَمْدُ للهِ الأعَزِّ الأجْلَلِ
أنْتَ مَليكُ الناسِ رَبّاً فاقْبَلِ[3]

وقال زهير[4] [من الوافر وهو الشاهد السادس عشر بعد المئة]:

فإنّي لَوْ أُلاقِيكَ أجْتَهِدْنا
وكانَ لِكُلِّ مُنْكَرَةٍ كِفاءُ[5]

فأُبْرِئَ مُوضِحاتِ الرَّأسِ مِنْهُ
وَقَدْ يَشْفِي مِنَ الجَرَبِ الهِناءُ[6]

وقال الله تبارك وتعالى ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ١٤﴾

(١) ليس البيت في ديوان الأسود بن يعفر، ولا فيما ذكر في الأغاني من شعر للأساود كلهم. ولا أفادت المراجع والمصادر شيئا عن القائل والقول.

(٢) هو رؤبة بن العجاج الرجاز بن الرجاز المعروف توفي سنة ١٤٥ أو ١٤٧هـ، ترجمته في الأغاني ٢١/ ٨٤، والشعر والشعراء ٢/ ٥٩٤ وطبقات الشعراء ٢/ ٧٦١.

(٣) ليس في ديوان رؤبة، وانما يوجد في الطرائف الأدبية ٥٧، مطلع أرجوزة لأبي النجم العجلي، أولها:

الحمد لله الوهوب المجزل ... أعطى فلم يبخل ولم يبخل

والمصراع الأول معزو إلى أبي النجم منفردا، أو مع هذا المصراع، أو مع آخر هو: الواسع الفضل الوهوب المجزل، والكتاب وتحصيل عين الذهب ٢/ ٣٠٢.

(٤) هو زهير بن أبي سُلْمى أحد شعراء المعلّقات، الأغاني ٢/ ١٤٧ و٩/ ١٤٦، والشعر والشعراء ١٣٧، وطبقات الشعراء ٦٣، وخزانة الأدب ١/ ٣٧٥.

(٥) في الديوان ٨١ بـ «لو لقيتك واتجهنا» و«لكان».

(٦) في الديوان ٨١ «فأُبرئ»، وفي طبعة التوفيق الادبية لشرح الاعلم ص ٧٦ بـ «لو لقيتك فاجتمعنا وكان لكلّ مندية فأبرئ» والمندية الداهية التي تندي صاحبها عرقا لشدتها.

[الذاريات] فذكّر بعد التأنيث كأنه أراد: هذا الأمر الذي كنتم به تستعجلون. ومثله ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾ [الأنعام/ ٧٨] فيكون هذا على: الذي أرى ربّي أي: هذا الشيء ربّي[١]، وهذا يشبه قول بعض المفسّرين، في قوله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [الآية ١٨٧] قال: إنّما دخلت «إلى» لأن معنى «الرّفث» و«الإفضاء» واحد، فكأنه قال: الافضاءُ إلى نِسائِكُمْ»، وإنّما يقال: «رَفَثَ بامرأته» ولا يقال: «إلى امرأته» وذا عندي كنحو ما يجوز من «الباء» في مكان «إلى» في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف/ ١٠٠] وإنّما هو «أحسنَ اليّ» فحذَف «إلى» ووضع «الباء» مكانها[٢] وفي مكان «على» في قوله تعالى ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ [آل عمران/ ١٥٣] إنّما هو «غمًا على غَمٍّ» وقوله تعالى ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾[٣] أي: «على قِنطارٍ» كما تقول: «مررتُ بِهِ» و«مررت عَلَيْهِ» كما قال الشاعر[٤] ـ وأخبرني من أثق به أنه سمعه من العرب [من الوافر وهو الشاهد الرابع والعشرون]:

إذا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ
لَعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَنِي رِضاها[٥]

يريد «عنّي». وذا نحو ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [الآية ١٤] لأنك تقول: «خَلَوْتُ إِلَيْهِ وصنعنا كذا وكذا» و«خَلَوْتُ به». وإن شئت جعلتها في معنى قوله تعالى ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران/ ٥٢ والصف/ ١٤] أي: «معَ الله»، وكما قال ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأنبياء/ ٧٧] أي: «على القَوْمِ»[٦].

---

(١) في الجامع ٧/ ٢٧ و٢٨ نقل هذا الرأي منسوبا مع تغيير في اللفظ وإشراك في النسبة إلى الكسائي، وفي إعراب القرآن ١/ ٢٢٢ كذلك، وفي البحر ٤/ ١٦٧ كذلك، مع عدم إشراك الكسائي.

(٢) ولم تذكر كتب النحو في معاني حروف المباني، الا قيام الباء مقام إلى في قوله تعالى ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف/ ١٠٠] المغني حرف الباء المغني الثالث عشر. وفي الأصل «إلى مكان الباء»، وقد صححت العبارة فنسقت على العبارة التي بعدها. انظر الخبر الداني ١٠٦.

(٣) آل عمران ٣/ ٧٥. في الأصل «بدينار» في الموضعين، وهو اللفظ الذي عليه الجملة الثانية في الآية الكريمة.

(٤) هو القُحَيْف العامري. مجاز القرآن ٢/ ٨٤، والكامل ٢/ ٥٣٨ ٣/ ٨٢٤، وأدب الكاتب ٣٦٥.

(٥) في الأصل لعمرو بالواو وفي المجاز «لعمر أبيك».

(٦) سبق للاخفش في الكلام على هذه الآية، أن أورد هذه الأمثلة نفسها، وهذه الشواهد تقريبا.

وقال ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ﴾ [الآية ٨٥] وفي موضع آخر ﴿هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ﴾ [النساء/١٠٩] كبعض ما ذكرنا، وهو كثير في كلام العرب، وردّد التنبيه توكيداً. وتقول: «ها أنا هذا» و«ها أنتَ هذا فتجعل «هذا» للذي يخاطب، وتقول: «هذا أنت». وقد جاء أشدّ من ذا، قال الله عز وجل ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص/٧٦] والعصبة هي تنوء بالمفاتيح. قال[1] [وهو الشاهد السابع عشر بعد المئة من مجزوء الوافر]:

تَـنُـوءُ بِـهـا فَـتُـثْـقِـلُـهـا
عَـجِـيـزَتُـهـا..........

يريد: «تنوء بعجيزتها، أي: لا تقوم إلاّ جهْداً بعد جهد» قال الشاعر[2] [من البسيط وهو الشاهد الثامن عشر بعد المئة]:

مِثْلُ القَنافِذِ هَدّاجُونَ قَدْ بَلَغَتْ
نَجْرانَ أَوْ بَلَغَتْ سَوْآتِهِمْ هَجَرُ[3]

وهو يريد أن السنوات بلغت هَجَراً، و«هجَرُ» رفعٌ لأنَّ القصيدة مرفوعةٌ ومثلُ ذا قول الشاعر[4] [من الطويل وهو الشاهد التاسع عشر بعد المئة]:

وَتَلْحَقُ خَيْلٌ لا هَوادَةَ بَيْنَها
وَتَشْقَى الرِّماحُ بالضَّياطِرَةِ الحُمْرِ[5]

والضياطرةُ، هم يشقون بالرماح. و«الضياطرةُ» هم العظام وواحدهم «ضَيْطار» مثل «بَيْطار» ومثل قول الشاعر[6] [من الطويل وهو الشاهد العشرون بعد المئة]:

لَقَدْ خِفْتُ حَتّى ما تَزِيدُ مَخافَتي
عَلى وَعِلٍ بِذِي الفَقارَةِ عاقِلِ[7]

---

(١) في الأصل رسم القول، بحيث يشير ضمناً إلى أنه شعر ولم تفد المراجع والمصادر شيئاً فيه، إنما ورد في مجاز القرآن ٢/ ١١٠، بحيث لا يميّزه من النثر مائزٌ مّا، وسيعود الأخفش إلى الاستشهاد بهذا النص فيما بعد.

(٢) هو الأخطل غياث بن غوث التغلبي. ديوانه ١١٠، ومجاز القرآن ٢/ ٣٩، والكامل ١/ ٣٢٢.

(٣) في الديوان بـ «على العيارات» بدل «مثل القنافذ» و«حدثت» بدل «بلغت»، وفي الكامل «نجران»، والمغني ٢/ ٦٩٩ كذلك.

(٤) هو خِداش بن زهير. الكامل ٢/ ٤٠٦، والصحاح «ضطر» واللسان «ضطر».

(٥) البيت فيما سبق من المظان، وفي مجاز القرآن ٢/ ١١٠، والصاحبي ٢٠٣، والمقاييس ٣/ ١٠٢، والمخصص ٢/ ٧٧، وأضداد اللغوي ٧٢٢ بـ «تركب» بدل تلحق، واللسان بـ «تركب خيلاً» وفي مجاز القرآن بـ «تركب».

(٦) هو النابغة الذبياني. ديوانه ٦٨، ومجاز القرآن ١/ ٦٥ و١٣٩.

(٧) في الأصل عافل بالفاء الموحدة، وفي الديوان بـ «رفد» و«ذي المطارة عاقل» والبيت في مجاز القرآن ١/ ٦٥ ـ

يريد: حتّى ما تزيد مخافةٌ وعِلٍ على مخافتي.

وقال تعالى ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وتفسيره: «فقليلاً يؤمنون» و«ما» زائدة كما قال تجلى شأنه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران/ ١٥٩] يقول: «فَبِرَحْمَةٍ مِنَ اللهِ» وقال ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات] أي: لَحَقٌّ مثلَ أنَّكُمْ تَنطِقُونَ، وزيادة «ما» في القرآن والكلام، نحو ذا كثير.

قال[1] [من المنسرح وهو الشاهد الحادي والعشرون بعد المئة]:

لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطِبُهَا
خُضِّبَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ[2]

أي: خُضِّبَ بِدَمٍ أنفُ خاطِبٍ.

وقال تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [الآية ٨٩] فإن قيل فأين جواب ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [الآية ٨٩] قلت: «جوابه في القرآن كثير»، واستغني عنه في هذا الموضع إذ عرف معناه[3]. كذلك جميع الكلام إذا طال تجيء فيه أشياء ليس لها أجوبة في ذلك الموضع ويكون المعنى مُستغنًى به، نحو قول الله عز وجل ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد/ ٣١] فيذكرون أن تفسيره: «لَوْ سُيِّرتِ الجِبالُ بقرآنٍ غيرِ هذا لَكَانَ هذا القرآنُ سَتُسَيَّرُ بِهِ الجِبالُ» فاستُغْنِيَ عن اللَّفْظِ بالجواب، إذْ عُرِفَ المَعْنى.

وقال تعالى ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [آل عمران/ ١٨٨]، ولم يجيء لـ «تحسَبَنَّ» الأولى بجواب، وتُرِكَ للاستغناءِ بما في القرآن

= و١٣٩ بـ «وقد» و«الغفارة عاقل»، ومعاني القرآن ١/ ٩٩ بـ «ذي المطارة عاقل»، وفي ٣/ ٢٧٢ بـ «في المكاره عاقل»، وفي معجم البلدان «مطارة» بـ «رقد» و«من ذي مطارة عاقل».

(١) هو المهلهل بن ربيعة التغلبي، الكامل ٣/ ٨١٦، والجمهرة ٣/ ٢١١، والاشتقاق ٧٧، واللسان «ابن»، المغني ١/ ٣١٢، وشرح شواهد المغني ٢٤٧، ومعجم البلدان «أبانان».

(٢) في اللسان بـ «رمل»، وفي المغني وشرح شواهده بـ «زمل»، وفي سائر المراجع الأخرى بـ «ضرج» بدل «خضب»، وأعاد ذكره بين الأبيات في شرح شواهد المغني، بـ «ضرج» أيضاً.

(٣) نقل عنه هذا في إعراب القرآن ١/ ٦٣، والجامع ٢/ ٢٧، والبحر ١/ ٣٠٣.

من الأجوبة. وقال تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [آل عمران/ ١٨٠] معناه «لا يَحْسَبُنَّهُ خَيْراً لَهُمْ» وحذف ذلك الكلام، وكان فيما بقي دليل على المعنى. ومثله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [يس] ثمّ قال تعالى ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ [يس/ ٤٦] من قبل أن يجيء بقوله «فَعَلُوا كَذا وكَذا» لأنّ ذلك في القرآن كثير، استغني به. وكان في قوله جل شأنه ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾[1] دليل على أنّهُمْ أعرضُوا فاستغني بهذا وكذلك جميع ما جاز فيه نحو هذا. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء] ولعلّ معنى قوله تعالى ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾ على معنى: «خَلَّيْناهُمْ وإيّاكُمْ لَمْ نَمْنَعْكُمْ مِنْهُم بِذُنُوبِكم». وقال ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾، ولم يذكر أنّهُ خلاّهم وإيّاهم على وجه الترك في حال الابتلاء بما أسلفوا ثمّ لم يمنعهم من أعدائهم أن يسلطوا عليهم بظلمهم. وقال ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام/ ٩٣] فليس لهذا جواب. وقال تعالى ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ [البقرة/ ١٦٥] فجواب هذا إنّما هو في المعنى، وهذا كثير[2]. وسنفسّر كل ما مررنا به إن شاء الله. وزعموا أنّ هذا البيت ليس له جواب [من الطويل وهو الشاهد الثاني والعشرون بعد المئة]:

وَدَوِّيَّةٍ قَفْرٍ تَمَشّى نَعامُها
كَمَشْيِ النَّصارى في خِفافِ الأَرَنْدَجِ[3]

يريد «وَرُبَّ دَوِّيَّةٍ» ثُمَّ لم يَأْتِ له بجواب. وقال[4] [من البسيط وهو

---

(١) يس ٣٦/ ٤٦، والأنعام ٦/ ٤ أيضا.

(٢) نقل عنه هذا الرأي في إعراب القرآن ١/ ٨٦ و٨٧، والجامع ٢/ ٢٠٥، والبحر ١/ ٤٧٢.

(٣) في الأصل: يمشي. البيت للشمّاخ بن ضرار الذبياني، وهو في ديوانه ٨٣ بـ «داوية» و«تَمَشّى نِعاجُها» و«اليرندج»، وفي الكتاب ١/ ٤٥٤ بـ «تَمشّي»، ورواه الاصمعي في شرح ديوان العجاج ٣٥٣ بـ «تُمَشّي نعاجها» و«اليرندج»، وفي المقاييس ٢/ ٢٦٢ بـ «اليرندج» وبلا عزو. وفي الصحاح «دوى» كما في رواية الأخفش بلا عزو. وفي اللسان «ردج» معزوا بـ «اليرندج» وفي «دوا» مَعْزوّاً أيضاً برواية الأخفش.

(٤) هو عبد مناف بن ربيع الهذلي. ديوان الهذليين ٢/ ٤٢، ومجاز القرآن ١/ ٣٧ و٣٣١، و٢/ ١٩٢ والصحاح، =

الشاهد الثالث والعشرون بعد المئة]:

حتى إذا أسلكوه في قُتائِدة ... شلاً كما تطرُدُ الجمّالةُ الشُّرُدا

فهذا ليس له جواب إلاّ في المعنى، وزعم بعضهم أنّ هذا البيت [من الكامل وهو الشاهد الخامس بعد المئة]:

فإذا وذلِكَ يا كُبَيْشَةُ لَمْ يكنْ ... إلاّ كَلَمَّةِ حالِمٍ بخيالِ

قالوا: الواو فيه ليست بزائدة ولكن الخبر مضمر.

وقال تعالى ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [الآية ٩٠] فـ ﴿مَا﴾ وحدها اسم، و﴿أَن يَكْفُرُوا﴾ تفسير له نحو: «نِعْمَ رَجُلاً زَيدٌ»[1] و﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ بَدَلٌ من ﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ﴾ [الآية ٩١] بنصب ﴿مُصَدِّقًا﴾ لأنه خبر معرفة. و﴿تَقْتُلُونَ﴾ في معنى «قَتَلْتُم». كما قال الشاعر[2] [من الكامل وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد المئة]:

ولَقَدْ أمرُّ[3] على اللئيمِ يَسُبُّني ... فمضيتُ ثُمّتَ قُلتُ لا يَعْنيني

= «قتدة» و«شرد» و«جمل» و«سلك»، والجمهرة ٢/ ٩ بـ «أسلكوهم» و١١٠ و٣/ ٤٥، والإنصاف ٢/ ٢٤٥، والتمام بلا عَزْو ٥٥، وتاج العروس «شرد» و«قتد»، ومختار الصحاح «عز»، والصاحبي بلا عَزْو ١٣٩، والاشتقاق ٢٤٦ بلا عَزْو وأدب الكاتب ٣٣٣، والمخصص بلا عَزْو ١٦/ ١٠١. وتفرّد الأزهري في التهذيب ١٠/ ٦٣ إلى ابن أحمر، وبلفظ «سلكوهم»، بلا ألف، والأنباري في شرح القصائد السبع ٥٦ بلفظ «أسلموهم»، وورد في سائر المصادر الأخرى بـ «أسلكوهم»، إلاّ ما نصصت عليه، وفيها جميعا بـ «تطرد» أمّا في الأصل فـ «طرد».

(1) في إعراب القرآن ١/ ٦٤ نقل عنه شاهداً غير هذا، وفي الجامع ٢/ ٢٨ كذلك، واستنتج القرطبي ومكّي في المشكل ١/ ١٠٤ من المثال أنّ «ما» في موضع نصب على التمييز عند الأول، والتفسير عند الثاني، وكذلك البحر ١/ ٣٠٤، ٣٠٥، والإملاء ١/ ٥١.

(2) هو رجل مولّد من بني سلول. الكتاب وتحصيل عين الذهب ١/ ٤١٦، والمقاصد النحوية ٤/ ٥٨، شواهد المغني ١٠٧، والخزانة ١/ ١٧٣، وشرح شواهد ابن الناظم ٣٠٣، وقيل هو شمر بن عمرو الحنفي، الأصمعيات ١٢٦.

(3) في الإنصاف ١/ ٦٥ بلفظ «مررت» والأصمعيات ١٢٦، وفي شرح شواهد ابن الناظم ٣٠٣ ـ «ثم أقول»، وفي المقاصد ٤/ ٥٨ بـ «فأعف ثمّ أقول ما»، وفي الصاحبي ٢١٩ بـ «عنه» بدل «ثُمّتَ»، وفي الكامل ٣/ ٨٠٦ بـ «فأجوز ثمّ أقول»، وفي شرح ابن الناظم ٢٠٢ بـ «فأعف ثمّ أقول ما». ويمكن النظر في الخصائص ٣/ ٣٣٠ =

يريد: «لَقَد مَرَرْتُ» بقوله «أمُرُّ».

وقوله تعالى ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ [الآية ٩٦] فهو نحو «ما زَيْدٌ بِمُزَحْزِحِهِ أنْ يُعَمَّرَ» و«ما زَيْدٌ بِضارِهِ أنْ يَقُومَ» فـ «أنْ يُعَمَّرَ في موضع رفع وقد حسنت الباء كما تقول: «ما عَبدُ الله بِملازِمِهِ زَيْدٌ».

وقوله تعالى ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [الآية ٩٧]، فمن العرب من يقول: (لِجِبرئِيلَ) فيهمزون ولا يهمزون، وكذلك (إسرائيل)[1] منهم من يهمز ومنهم من لا يهمز، ويقولون (مِيكائِيل)[2] فيهمزون ولا يهمزون ويقولون ﴿وَمِيكَٰلَ﴾ كما قالوا ﴿وَجِبْرِيلَ﴾. وقال بعضهم (جبرعَل) ولا أعلم وجهه إلاّ أني قد سَمِعت (إسرائِل) وقال بعضهم (إشرِيِيلِ) فأمال الراء[3]. وقال أبو

= و٣٣٢، والكشاف ١/ ١٦، وشرح ابن عقيل ١/ ١٥٧، وأوضح المسالك، والصحاح «نمم»، واللسان«نمم»، والمغني ١/ ١٠٢، وشرح سقط الزند لِلْبَطَلْيَوْسِي ٤/ ١٦٥٩ بالمخصص ١٦/ ١١٦ والنمام ٢٨ و٦٧.

(١) وردت في ثلاثة وأربعين مَوْضِعاً من الكتاب العزيز أوّلها البقرة ٢/ ٤٠، وآخرها الصف ٦١/ ١٤، المعجم المفهرس ٣٣، وفي الجامع ١/ ٣٣١ عدم الهمز إلى الأعمش وعيسى، وزاد في البحر ١/ ١٧١ أبا جعفر، وفي البحر ١/ ١٧١ الهمز إلى الجمهور.

(٢) من الآية القادمة.

(٣) في «اللهجات» ٢٤٣ ـ ٢٦٧، ولهجة تميم ٨٥، والقراءات القرآنية هـ١٠٦، أنّ الهمزة عامة لهجة تميم، وتركه عامة لهجة الحجاز؛ «وفي اللهجات ٢٤٧» أنّ جبريل لغة الحجاز وجبرئيل لغة تميم، وكذلك في الطّبري ٢/ ٣٨٨ والجامع ٢/ ٣٧ والبحر ١/ ٣١٨، وفي الطّبري ٢/ ٣٨٨ «ميكائيل» بهمزة وياء لغة تميم وقيس وبعض نجد، وعليها قرّاء أهل الكوفة؛ وفي السبعة ١٦٦ و١٦٧ إلى ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبي بكر وحمزة والكِسائي؛ وفي الكشف ١/ ٢٥٥ والتيسير ٧٥ إلى غير نافع وأبي حفص وعمرو وفي الجامع ٢/ ٣٨ إلى حمزة وابن كثير، وفي البحر ١/ ٣١٨ كما في السبعة مع إسقاط ابن كثير وعاصم، واضافة قنبل والبزّي. أما «ميكايِيل» بياءين فهي في الطّبري ٢/ ٣٨٩ لغة لبعض العرب، ولم يشر إلى أنّها قراءة، وفي المحتسب ٩٧ والبحر ١/ ٣١٨ إلى الأعمش، وفي الجامع ٢/ ٣٨ إلى نافع وابن كثير وعن الاعمش باختلاف. أما «ميكال» فهي في الطّبري ٢/ ٣٨٨، والجامع ٢/ ٣١٨، لغة أهل الحجاز؛ وهي في الطّبري قراءة أهل المدينة والبصرة، وفي الكشف ١/ ٢٥٥ والتيسير ٧٥ والبحر ١/ ٣١٨ إلى أبي عمرو وحفص، وفي السبعة ١٦٦ إلى أبي عمرو وعاصم وزاد في الجامع انها عن عاصم وعن ابن كثير. أمّا إمالة الراء من «إسرِيِيل» فهي قراءة حمزة والكِسائي. الكشف ١/ ١٧٨ وهي كما في «لهجة تميم ١٤٠» لهجة تميم. وفصّل ذلك في الكتاب ٢/ ٢٥٩ و٢٦٠، واللهجات العربية ٢٠٣، وما بعدها ان الامالة لهجة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس، وقد أوردها ابو حيان في البحر ١/ ١٧١ ولم ينسبها. أما «جبرعل» بالعين فهي من العنعنة وقد خُصّت بها تميم وقيس وأسد وكلاب بن عامر بن صعصعة، كما في اللهجات العربية ٢٨٣، واضاف الفرّاء «ومن جاورهم»، لهجة تميم ٩٠، وفي الطّبري ٢/ ٣٨٨ ساق =

الحسن[1]: في «جبريل» «ست لغات: جَبْرابِيل[2] وجَبْرَئِيل[3] وجَبْرَئِلُ[4] جَبْراعيل جَبْرعيل جَبرعل وجَبْرِيل[5] وجِبريلَ[6] فِعليل فعليل وجَبْرَائِل[7] جبراعل.

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ فأظهر الاسم وقد ذكره في أول الكلام، قال الشاعر [من الكامل وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد المئة]:

لَيتَ الغُرابَ غَداةَ يَنْعَبُ دائِباً
كانَ الغُرابُ مُقَطَّعَ الأَوداجِ[8]

وقال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا﴾ [الآية ١٠٠] فهذه واوٌ تُجعل مع حرف الاستفهام، وهي مثل الفاء التي في قوله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾ [الآية ٨٧]. فهذا في

= لفظ «جبرعيل» و«ميكاعيل» مثالا لوزن اللفظ «جبرئيل» و«ميكائيل» ولم ينسبهما قراءة. أما «اسرائل» فكسر الهمزة كما في البحر ١/ ١٧١ قراءة وَرْش، ولم يُشِرْ إلى حذف الياء. وهي لهجة قيس وأسد وهوازن، كما في «اللهجات ٥٤٩ و٥٥٤».

(١) هو المؤلف أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش.

(٢) في التكملة والتاج «جبر».

(٣) في الصحاح والتكملة واللسان والتاج «جبر»، واللسان أيضاً «جبر»، وهي قراءة بلا نسبة في حجّة ابن خالويه ٦٢ والكشاف ١/ ١٦٩، وفي السبعة ١٦٧ قراءة عاصم وحمزة والكسائي، وأسقط في الكشف ١/ ٢٥٤ عاصماً والتيسير ٧٥ كذلك، وفي الجامع ٢/ ٣٧ قراءة أهل الكوفة، وهي لغة تميم وقيس.

(٤) في الصحاح والتكملة «وفيها بتضعيف اللام»، واللسان والتاج «جبر»، وفي الكشاف ١/ ١٦٩، وباختلاف الهمز في حجّة ابن خالويه، قراءة بلا نسبة. وفي السبعة ١٦٦، قراءة عاصم في رواية، وفي الكشف ١/ ٢٥٤ إلى أبي بكر وفي التيسير ٧٥ كذلك وفي الجامع ٢/ ٣٧ كذلك عن عاصم.

(٥) في التكملة والتاج «جبر»، وفي الكشاف ١/ ١٦٩، وحجة ابن خالويه ٦٢، قراءة بلا نسبة؛ وفي السبعة ١/ ١٦٦ إلى ابن كثير، والكشف ١/ ٢٥٤، والتيسير ٧٥، كذلك وزاد الجامع ٢/ ٣٧ الحسن.

(٦) في الصحاح واللسان والتاج «جبر»، واللسان أيضاً «جبر»، وفي الكشاف ١/ ١٦٩ وحجة ابن خالويه ٦٢ قراءة بلا نسبة، والكشف ١/ ٢٥٤ و٢٥٥ والتيسير ٧٥ إلى غير ابن كثير وأبي بكر وحمزة والكسائي، وفي الجامع ٢/ ٣٧ لغة أهل الحجاز.

(٧) في التكملة، وفي التاج «جبر» وفيه بلا تضعيف. وفي الكشاف ١/ ١٦٩ قراءة بلا تضعيف. وفي الكشاف ١/ ١٦٩ قراءة بلا تضعيف وبلا نسبة، وفي الأصل «جبرعل» بلا ألف.

(٨) لم تفد المراجع والمصادر شيئا في هذا الشاهد، سوى أنه مستشهد به لهذا المعنى، في الأمالي الشجرية، بلا عزو ١/ ٢٤٣.

القرآن والكلام كثير، وهما زائدتان في هذا الوجه[1]. وهي مثل الفاء، التي في قولك: «أنا لله لَتَصْنَعَنَّ كَذَا وكَذَا» وقولك للرجل: «أفلا تَقُوم». وإن شئت، جعلت الفاء والواو، هٰهنا، حرف عطف.

وقوله تعالى ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ [الآية ١٠٢] فـ ﴿هَٰرُوتَ﴾ و﴿وَمَٰرُوتَۚ﴾ معطوفان على ﴿ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾، و بدل منهما، ولكنهما أعجميان فلا ينصرفان وموضعهما جر. و«بابلَ» لم ينصرف لتأنيثه[2]، وذلك أن اسم كل مؤنث، على حرفين أو ثلاثة، أوسطها ساكن، فهو ينصرف، وما كان سوى ذلك من المؤنث فهو لا ينصرف ما دام اسماً للمؤنث.

وقال تعالى ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٌ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا﴾ [الآية ١٠٢] فليس قوله ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ جواباً لقوله ﴿فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ [الآية ١٠٢]، إنما هو مبتدأ ثم عطف عليه فقال ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ﴾ [الآية ١٠٢]. وقال ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ﴾ [الآية ١٠٢] لأنّ كلّ واحدٍ منهما زوج، فالمرأة زوج والرجل زوج. قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [النساء/١] وقال ﴿مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [هود/٤٠ والمؤمنون/٢٧]. وقد يقال أيضاً «هُما زَوجٌ» للاثنين، كما يقول: «هُما سَواءٌ» و: «هُما سِيّانِ»[3]. [والزَوْجُ أيضاً: النَمَطُ يُطْرَحُ على الهَوْدَجِ][4]. قال الشاعر[5] [من الكامل وهو الشاهد السادس والعشرون بعد المئة]:

مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ
زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلَّةٌ وَقِرامُها

---

(١) نقل رأيه في زيادة الواو في إعراب القرآن ١/٦٨، والمشكل ١/١٠٥، والجامع ٢/٣٩، والبحر ١/٣٢٣، والبيان ١/١١٣.

(٢) نقله في الصحاح «بيل»، وعبارته قال الأخفش: «لا ينصرف لتأنيثه وذلك أنّ اسم كلّ شيء مؤنث إذا كان أكثر من ثلاثة أحرف فإنه لا ينصرف في المعرفة».

(٣) في الصحاح «زوج» ويقال: «هما زوجان» و«هما زوج» كما يقال «هما سيان» و«هما سواء».

(٤) زيادة يقتضيها السياق، مستفادة من الجمهرة ٢/٩٢، والصحاح «زوج»، واللسان «زوج».

(٥) هو لبيد بن ربيعة العامري. والبيت من معلّقته في ديوانه ٣٠٠، وشرح المعلّقات السبع ١١٢، وشرح القصائد العشر ١٣٨.

وقد قالوا: «الزَّوْجَة». قال الشاعر[1] [من البسيط وهو الشاهد السابع والعشرون بعد المئة]:

زوجةُ أشمَطَ مرهوبٍ بوادِرُهُ
قد صار[2] في رأسِهِ التخويصُ والنَّزَعُ[3]

وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [الآية ١٠٢] فهذه لامُ الابتداء تدخل بعد العلم وما أشبهه ويُبْتدأ بعدها، تقول: «لَقَدْ علمت لَزَيْدٌ خَيْرٌ منك» قال تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص] وقال ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ [يوسف/٨].

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [الآية ١٠٣]، فليس لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ جواب في اللفظ، ولكنه في المعنى يريد «لأُثِيبُوا» فقوله ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ يدل على «لأُثِيبُوا» فاستُغْنِيَ به عن الجواب[4]. وقوله ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ هذه اللام للابتداء كما فسرت لك.

وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ [الآية ١٠٢] ثم قال ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ يعني بالأولين الشياطين، لأنهم قد علموا؛ و﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ يعني الانس[5]. وكان في قوله سبحانه ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ دليل على «أُثِيبُوا» فاستغني به عن الجواب.

وقال تعالى ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية ١٠٥] أي: «ولا مِنَ المُشْرِكِين» لا يَوَدُّونَ ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم﴾ [الآية ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [الآية

---

(١) هو الأخطل غياث بن غوث. الديوان ٦٩، والتهذيب ٧/ ٤٧٥ واللسان «خوص».

(٢) في الديوان «كان»، وفي التهذيب واللسان كذلك، وفي الجمهرة ٢/ ٢٢٨ شاع.

(٣) في الجامع ١/ ٢٤٠، عن الاصمعي أنه: لا تكاد العرب تقول زوجة، وفي المذكر والمؤنث للفراء ٩٥ أن التذكير للرجل والمرأة قول أهل الحجاز، وأن أهل نجد يلحقون الهاء فيقولون «زوجة»، وهو أكثر من زوج، «اللهجات العربية ٥٠٣ كذلك».

(٤) نقل عنه هذا الرأي في المشكل ١/ ١٠٨، وإعراب القرآن ١/ ٦٩، والجامع ٢/ ٥٦، والبحر ١/ ٣٣٥.

(٥) نقل عنه هذا الرأي في الجامع ٣/ ٥٦.

١٠٦] وقرأ بعضهم (نَنْسَأْها)(١) أي نُؤَخِّرها، وهو مثل ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ [التوبة/٣٧] لأنَّهُ تأخير. «النَّسِيئَةُ» و«النَّسِيءُ» أصلُهُ واحدٌ من «أنسأت»، إلاّ أنَّكَ تقول: «أَنْسَأْتُ الشَّيْءَ أي: أَخَّرْتُه ومصدره: النَّسِيءُ. و:«أَنسأتُكَ الدَّيْنَ» أي: جعلتك تؤخّره. كأنه قال: «أَنْسَأْتُكَ»، فـ «نَسَأْتُ»(٢) و«النَّسِيء»، أنّهم كانوا يدخلون الشهر في الشهر. وقرأ بعضهم (أو نُنْسِها)(٣) كل ذلك صواب. وجزمه بالمجازاة. والنسيء في الشهر: التأخير.

وقال تعالى ﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ﴾ [الآية ١٠٨] ومن خفف قال: (سُيِل)(٤)، فإنْ قيل: كيف جعلتها بين بين، وهي تكون بين الياء الساكنة وبين الهمزة؛ والياء الساكنة لا تكون بعد ضمّة، والسين مضمومة؟ قلت أمّا في «فُعِلَ» فقد تكون الياء الساكنة بعد الضمة لأنهم قد قالوا «قُيْل» و«بُيْعَ» وقد تكون الياء في بعض «فُعِلَ» واواً خالصة لانضمام ما قبلها وهي معه في حرف واحد كما تقول: «لم تُوطُوْ الدابّةُ» وكما تقول: «قَدْ رُوِس فلان»(٥).

---

(١) في الطبري ٢/ ٤٧٧ قراءة جماعة من الصحابة والتابعين، وجماعة من قرّاء الكوفيين والبصريين، وخصّ عبيد بن عمير، وأنّه هو وابن أبي نجيح ومجاهد وعطية تأوّلوا بها. وفي السبعة ١٦٨ إلى ابن كثير وأبي عمرو، وفي الكشف ١/ ٢٥٨ و٢٥٩ زاد عمر وابن عباس وعطاء ومجاهداً وأبيّ بن كعب وعبيد بن عمير والنخعي وعطاء بن أبي رباح وابن محيصن، وفي الجامع ٢/ ٦٧ كذلك، وفي البحر ١/ ٣٤٣ أسقط أبيّ بن كعب وابن محيصن، وأضاف ابن كثير وأبا عمرو من السبعة. وفي التيسير ٧٦ إلى ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) في الصحاح «نسأ» قال الأخفش: أنسأته الدَّيْن: اذا جعلته له مؤخراً وتسأت عنه دَيْنَهُ، اذا أخّرته نَساءً، قال: وذلك النَّساء في العمر ممدود. ومنه قولهم: «من سرّه النَّساء ولا نَساء، فليُخَفِّف الرِّداء وليُباكِر الغداء وليُقِلَّ غِشْيانَ النِّساء».

(٣) في البحر ١/ ٣٤٣ أنها قراءة طائفة «ولم يعيّن أسماءهم»، وأنّ أبا عبيد البكري وَهِمَ في نسبتها إلى سعد بن أبي وقاص، ووَهِمَ ابن عطية أيضاً في ذلك.

(٤) في السبعة ١٦٩: أنّ قراءة ابن عامر مهموزة من غير إشباع، وفي الشواذ ٩ أن اختلاس الضمة من غير همزة إلى ابن عامر وفي الجامع ٢/ ٧٠ أنّ كسر السين من غير همز للحسن؛ وفي البحر ١/ ٣٤٦، أنّ الجمهور قرأ (سيل) «ولم يشكل»، وقرأ الحسن وأبو السمال بكسر السين وياء، وقرأ أبو جعفر وشيبة والزهري بإشمام السين وياء، وقرأ بعض القرّاء بتسهيل الهمزة بين بين وضم السين. وفي الاملاء كان قراءة (سيل) «بلا شكل» على لغة من قال: أسلت بغير همزة، مثل خفت تخاف، والياء منقلبة عن واو، لقولهم سوال وساولته، ويقرأ (سيل) بجعل الهمزة بين بين، أي بين الهمزة وبين الياء.

(٥) هي لغة قيس وعقيل ومن جاورهم، وعامّة بني أسد. اللهجات ٤٥٢.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ﴾ [الآية ١١١]، فزعموا أن «الهُود»: جماعة «الهائِد». و«الهائد»: التائب الراجع الى الحق. وقال تعالى في مكان آخر ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا﴾ [الآية ١٣٥] أي: كونوا راجعين الى الحق، «هائِد» و«هُوْد» مثل «ناقِه» و«نُقَّه»، «عائِد» و«عُوْد»، و«حائِل» و«حُوْل»، و«بازِل» و«بُزَّل»[1] وجعل ﴿مَن كَانَ﴾ واحداً لأنَّ لفظ «مَنْ» واحدٌ وجمع[2] في قوله ﴿هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ﴾. وفي هذا الوجه تقول: «مَنْ كانَ كانَ صاحبك». قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [الآية ١١٤] إنّما هو «مِنْ أنْ يُذْكَرَ فيها اسمه»، ولكنّ حروف الجرّ تحذف مع «أنْ» كثيراً ويعمل ما قبلها فيها، حتى تكون في موضع نصب، أو تكون ﴿أَن يُذْكَرَ﴾ بدلا من «المَساجِد» يريدون: «مَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ أنْ يُذْكَرَ».

وقال تعالى ﴿وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [الآية ١١٤] فهذا على «مَنَعَ» و«سَعَى» ثم قال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾ [الآية ١١٤] فجعله جميعاً لأنَّ ﴿مَنْ﴾ تكونُ في معنى الجماعة.

وقال تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية ١١٥] لأنَّ «أينما» من حروف الجزم من المجازاة والجواب في الفاء.

وقال جلَّ شأنه ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [الآية ١١٧] بالرفع على العطف، كأنّه إنّما يريد أن يقول: «إنّما يَقُولُ كُنْ فيكونُ»؛ وقد يكون أيضاً بالرفع على الابتداء. وقال ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل] فان جَعَلْتَ (يكونَ) ها هنا معطوفةً، نَصَبْتَ، لأنَّ ﴿أَن نَّقُولَ﴾ نصب بـ «أنْ» كأنه يُريد: ﴿أَن نَّقُولَ﴾ (فيكونَ). فان قيل: «كيف والفاء ليست في هذا المعنى؟ فإنَّ الفاء والواو قد تعطفان على ما قبلهما وما بعدهما، وإن لم يكن في معناه نحو «ما أنتَ وزيداً»، وإنّما يريد «لم تضرب زيداً»، وترفعه على «ما أنت وما زيد»، وليس ذلك معناه. ومثل قولك: «إيّاكَ والأسَدَ». والرفع في قوله تعالى ﴿فَيَكُونُ﴾ على الابتداء نحو

---

(١) كان يمكن أن يحمل على «فاعل» «فُعْل»، لولا ورود «ناقه» التي لا تجمع على «فُعْل» «نُقْه» بل «فُعَّل» «نُقَّه».

(٢) نقله عنه في اعراب القرآن ١/ ٧١، والجامع ٢/ ٧٥.

قوله: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الحج/ ٥].

قال الشاعر[1] فرفع على الابتداء [من الوافر وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد المئة]:

يُعالِجُ عاقِراً أعْيَتْ[2] عَلَيْهِ
لِيَلْقِحَها فَيَنْتِجُها حُوارا

وقال الشاعر[3] أيضاً [من الطويل وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد المئة]:

وما هُوَ إلاّ أنْ أراها فُجاءَةً
فَأبْهَتُ حَتى ما أكادُ أُجِيبُ

والنصب في قوله «فأبْهَتُ» على العطف والرفع على الابتداء.

وقال تعالى ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾ وقد قرئت[4] (ولاَ تَسْألُ) وكلّ هذا رفعٌ، لأنه ليس بنهيٍ، وإنّما هو حال، كأنّه قال «أرْسَلْناكَ بشيراً ونذيراً وغيرَ سائِلٍ أو غيرَ مَسْؤولٍ»، وقد قرئتا جزماً جميعاً على النهي[5].

وقال تعالى ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [الآية ١٢١] كما يقولون: «هذا حَقُّ عالِمٍ» وهو مثل «هذا عالِمٌ كُلُّ عالِمٍ».

وقال تعالى ﴿۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾ [الآية ١٢٤] أي: أخْتَبره. و«إبراهيم» هو المبتلى فلذلك انتصب.

وقال تعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية ١٢٤] لأنّ العَهْدَ هو

---

(١) هو ابن أحمر. الديوان ٧٣، والكتاب ١/ ٤٣٠، وتحصيل عين الذهب ١/ ٤٣١.

(٢) في الديوان «عاصت» بدل «أعيت».

(٣) هو عُروة بن حزام العذري. شعر عروة بن حزام ٢٨، والخزانة ٣/ ٦١٥ وشرح ابن يعيش ٧/ ٣٨، وقيل كثير عزّة. الخزانة ٣/ ٦١٥، ولا وجود له في شعره، وقيل بعض الحجازيين. الكتاب ١/ ٤٣٠، كما أضاف الجرمي. وقيل بعض الحارثيين، تحصيل عين الذهب ١/ ٤٣٠.

(٤) في الحجة ٦٣، ذكرت من غير نسبة، وانتصر لها بقراءة عبد الله وأبي (ولن تسال).

(٥) قراءة «تسأل» هي في معاني القرآن ١/ ٧٥ لابن عباس وأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، وبعض أهل المدينة، وأنّ التفسير جاء بذلك. وفي الكشف ١/ ٢٦٢ إلى نافع وابن عباس، وفي الحجة ٦٣ بلا نسبة. وقراءة «تسأل» في معاني القرآن ١/ ٧٥ أنّ التفسير عليها، وفي الحجة ٦٣ بلا نسبة، وفي التيسير ٧٦ والجامع ٢/ ٩٢ إلى نافع، وزاد في البحر ١/ ٣٦٨ يعقوب، وفي الطبري ٢/ ٥٥٨ إلى بعض أهل المدينة، وتأوّل بها النبي(ص) في رواية محمد بن كعب القرظي وداود بن أبي عاصم. وفي إعراب القرآن ١/ ٧٢، والجامع ٢/ ٩٢، نقلت آراء الأخفش هذه بنصوص فيها.

الذي لا يَنالُهُم، وقرأ بعضهم: (لا ينالُ عهدي الظالِمُون)[1] والكتاب بالياء. وإنما قرأوا (الظالمونَ) لأنهم جعَلوهُم الذينَ لا ينالون.

وقال: إن قوله تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [الآية ١٢٥] على ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية ١٢٢] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ وألحِقَت الهاءُ في «المَثابة» لمّا كَثُر مَنْ يَثُوب اليه كما تقول: «نَسّابَةٌ» و«سيّارة» لِمَنْ يكثُر ذلك منه[2].

وقال في قوله تعالى ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [الآية ١٢٥][3] يريد (واتخذُوا) كأنّهُ يقولُ «واذكروا نِعْمَتِيَ وإذْ اتخذُوا مُصَلّىً من مَقامِ إبراهيمَ» و﴿وَٱتَّخِذُوا۟﴾ بالكسر وبها نقرأ[4] لأنها تدلّ على الغَرض.

وأمّا ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الآية ١٢٥] فـ (السُّجود) جماعة «السّاجد» كما تقول: «قَوْمٌ قُعُودٌ» و«جُلوسٌ».

قال تعالى ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم﴾ [الآية ١٢٦] فـ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل على التبيان، كما تقول «أخَذْتُ المالَ نِصفَهُ» و«رأيتُ القومَ ناساً مِنهُم». ومثل ذلك ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [الآية ٢١٧] يريد: عن قِتالٍ فيه. وجعله بدلاً. ومثله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران/٩٧] ومثله ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف/٧٥] شبيه هذا أيضاً إلا أنه قدر فيه حرف الجرّ.

وقرأ (وَمَنْ كَفَر فَأُمْتِعُهُ قَليلاً) [الآية

(١) في معاني القرآن ١/ ٧٦ هي قراءة عبدالله بن مسعود، ومثله في الشواذ ٩ والطبري ٣/ والجامع ٢/ ١٠٨.

(٢) نقله عنه في الجامع ٢/ ١١٠، والبحر ١/ ٣٧٩ و٣٨٠.

(٣) كلام المؤلف يشير إلى فتح الخاء، بدليل قوله فيما بعد ﴿وَٱتَّخِذُوا۟﴾ بالكسر أجود. وما في الكتاب الكريم بالكسر. وهي في الطبري ٣/ ٣٢ قراءة بعض قرّاء أهل المدينة والشام، وفي السبعة ١٦٩ والتيسير ٧٦ والجامع ٢/ ١١١ والبحر ١/ ٣٨٠ إلى نافع وابن عامر، أمّا في معاني القرآن ١/ ٧٧ وحجّة ابن خالويه ٦٤/ فبلا نسبة.

(٤) هي في الطبري ٣/ ٣٠ و٣١ قراءة عامة المِصْرَيْن الكوفة والبصرة، وقراءة عامة قرّاء أهل مكة وبعض قرّاء أهل المدينة، وقد نقل خبرها عن عمر، وفي ٣٣ عن جابر بن عبد الله. وفي السبعة ١٦٩ والبحر ١/ ٣٨٠ إلى ابن كثير وعاصم وأبي عمرو وحمزة والكسائي، وزاد في البحر الجمهور. وفي الجامع ٢/ ١١١ قصرها على الجمهور، وفي التيسير ٧٦ إلى غير نافع وابن عامر. وفي معاني القرآن ١/ ٧٧، وحجّة ابن خالويه ٦٤ بلا نسبة.

١٢٦] على الأمر ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾ [الآية ١٢٦] فجزم (فأُمْتِعْهُ) على الأمر[1]، وجعل الفاء جواب المجازاة. وقرأ بعضهم ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾، وبها نقرأ[2]، رفع على الخبر وجواب المجازاة الفاء.

وقال تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [الآية ١٢٧] أي كانَ إسْماعِيل هو الذي يدعو: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾.

قال تعالى ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [الآية ١٢٨] وقرأ بعضهم (وأَرْنا) بإسكان الراء[3] كما تقول «قَدْ عَلْمَ ذلك»[4] وبالكسر نقرأ[5]. وواحد «المناسِك»: «مَنْسِك» مثل «مَسْجِد»[6] ويقال أيضاً: «مَنْسَك»[7].

وقال تعالى ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [الآية ١٣٠] فزعم أهل التأويل أنه في

---

(١) في معاني القرآن ١/ ٧٨ والطّبري ٣/ ٥٤ إلى ابن عباس، وفي البحر ١/ ٣٨٤ زاد مجاهداً وغيرهما، وفي الجامع ٢/ ١١٩ زاد قتادة، وفي التيسير ٧٦ قصرها على ابن عامر، وفي حجّة ابن خالويه ٦٤، والمشكل ٥٠، بلا نسبة.

(٢) في الطّبري ٣/ ٥٣ إلى أُبيّ بن كعب وابن اسحاق، و٥٤ إلى مجاهد، وفي السبعة ١٧٠ إلى القرّاء جميعاً إلاّ ابن عامر، وكذلك في التيسير ٧٦، وفي الجامع ٢/ ١١٩، كما في الطّبري؛ وفي البحر ١/ ٣٨٤ إلى الجمهور من السبعة.

(٣) في السبعة ١٧٠ إلى ابن كثير، وزاد في الكشف ١/ ٢٤١ أبا عمرو، في رواية الرقيين عنه؛ وفي التيسير ٧٦ أبدل أبا شعيب بأبي عمرو، وفي البحر ١/ ٣٩٠ إلى ابن كثير، ومع الاختلاس والإشباع أيضاً إلى أبي عمرو. وفي الجامع ٢/ ١٢٧ إلى عمر بن عبد العزيز وقتادة، وابن كثير وابن محيصن والسُّدّي وروح، عن يعقوب ورويس والسوسي، واختارها أبو حاتم، وفي حجّة ابن خالويه ٥٥ بلا نسبة. وفي الطّبري ٣/ ٧٦ كذلك مع إشمامها كسرة.

(٤) هي لغة نجدية تميمية، اللهجات ١٧٣، وخص بها مؤلف لهجة تميم، من الأفعال ما كان من هذا الباب، «أي فَرِح» فاؤه حرف حلق، في ١٩٧.

(٥) هي في الطّبري ٢/ ٧٥ قراءة عامّة أهل الحجاز والكوفة، وفي السبعة ١٧٠ إلى نافع وحمزة والكِسائي، وفي الكشف ١/ ٢٤٢ إلى جماعة من القرّاء، واختيار اليزيدي وإشباع الحركة إلى أبي أيوب، وفي التيسير ٧٦ الاختلاس الى أبي عمرو واليزيدي، والإشباع إلى غيرهما وغير ابن كثير وأبي شعيب، وفي الجامع ٢/ ١٢٨ إلى غير من قرأ بإسكانِ الراء.

(٦ و٧) في الاملاء ١/ ٦٣ أفاد اللغتين، ولم تميّز كتب اللغة «الصحاح» واللسان «نسك» إحداهما بشيء عن الأخرى، إلاّ ما قيل من أن المنسِك [بكسر السين] الموضع الذي تعتاده والمنسَك [بفتح السين] الموضع الذي تذبح فيه النسيكة أي ذبيحة الحجّ.

معنى «سَفَّهَ نفسَهُ»[1] وقال يونس[2]: «أُراها لُغَةً»[3]. ويجوز في هذا القول: «سَفِهْتُ زَيْداً»، وهو يشبه «غَبِنَ رأيَهُ» و«خَسِرَ نَفْسَه» الا أنّ هذا كثير، ولهذا معنى ليس لذاك. تقول: «غَبِنَ في رأيِهِ» و«خَسِرَ في أَهْلِهِ» و«خَسِرَ في بيعِهِ». وقد جاء لهذا نظير، قال: «ضُرِبَ عبدُ اللهِ الظَّهرَ والبَطْنَ»[4] ومعناه: على الظَّهر والبطن» كما قالوا: «دَخَلْتُ البيتَ» وإنّما هو «دَخَلْتُ في البيتِ» وقوله: «تَوَجَّهَ مَكَّةَ والكُوفَةَ» وإنّما هو: إلى مَكَّةَ والكُوفَةِ. ومما يشبه هذا قول الشاعر [من الوافر وهو الشاهد السادس والخمسون]:

نُغالي اللَّحْمَ لِلأَضْيافِ نِيْئاً
وَنَبْذُلُهُ إذا نَضِجَ القُدُورُ

يريد: نُغالي باللحم. ومثل هذا ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ [الآية ٢٣٣] يقول: «لأَوْلادِكم» ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ [الآية ٢٣٥] أي: على عُقْدَةِ النِّكاحِ[5]. وأحسن من ذلك أن تقول: إنّ «سَفِهَ نَفْسَهُ» جرت مجرى «سَفَّهَ» إذْ كان الفعل غير متعدٍّ، وإنما عدّاه الى «نَفْسِه» و«رَأْيِهِ» وأشباهُ ذا مِمّا هو في المعنى نحو «سَفِهَ» إذا لم يتعدَّ. وأمّا «غَبِنَ» و«خَسِرَ» فقد يتعدّى الى غيره تقول: «غَبِنَ خَمْسِين» و«خَسِرَ خَمْسِين».

وقال تعالى ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ﴾ [الآية ١٣٢] فهو - والله أعلم - «وقالَ يعقوبُ يا بَنِيّ»، لأنّ قوله تعالى ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾ يتضمّن أنه قال لهم شيئا، فأجري الأخير على معنى الأوّل وإن شئت قرأت ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ لأنه معطوف، كأنك قلت: «ووصّى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوبَ»[6] ثمّ فسّر ما قال يعقوبُ، قال: «يابَنِيّ».

---

(١) نقل رأيه في التهذيب ٦/ ١٣١ «سفه»، ونقله» عنه المؤلف في الجامع ٢/ ١٣٢ وزاد المسير ١/ ١٤٧، واللسان: «سفه».

(٢) هو يونس بن حبيب، وقد مرت ترجمته.

(٣) انظر الجامع ٢/ ١٣٢، وزاد المسير ١/ ١٤٧.

(٤) في الجامع ٢/ ١٣٢ نسبت هذه الآراء وهذه الأمثلة إلى سيبويه، نقلا عن الأخفش نفسه.

(٥) نقل هذا الرأي الرَّضيّ الأستراباذي في شرحه على الكافية ٢٦٩، واستشهد بهذه الشواهد وبغيرها ناسباً إيّاه إلى الأخفش الأصغر، كما نسبه إلى الأخفش في إعراب القرآن ١/ ٧٧ مستشهداً بالآية الثانية. والقرطبي ٢/ ١٣٢.

(٦) أفاده في الكشاف ١/ ١٩١، والإملاء ١/ ٦٤. وأفاده أيضاً والمعنى السابق في الجامع ١/ ١٣٥.

وقال تعالى ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ [الآية ١٣٣] أستفهام مستأنف.

ثمّ قال ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ [الآية ١٣٣] فأبدل «إذ» الآخرة من الأولى[1].

وقال تعالى ﴿إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [الآية ١٣٣] على البدل[2]، وهو في موضع جرّ، إلاّ أنها أعجمية فلا تنصرف[3].

وأمّا قوله تعالى ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [الآية ١٣٣] فهو على الحال[4].

وقال تعالى ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [الآية ١٣٤]

كأنه يقول: «قد مضت» ثم استأنف فقال: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾[5].

وقال ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية ١٣٥] (بالنصب).

وقال ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [الآية ١٣٨] بالنصب. لأنهم حين قيل لهم كما ورد في التنزيل: ﴿كُونُوا هُودًا﴾ [الآية ١٣٥] كأنه قيل لهم: «اتّخِذُوا هذِهِ المِلَّةَ» فقالوا: «لا» ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: نَتّبعُ مِلّةَ إبراهيم، ثُم أُبدِلَت «الصِّبْغَةُ» من «المِلَّةِ»[6] فقُرِئ: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ بالنّصب. أو يكون المعنى: «كونوا أصحابَ مِلّةٍ» ثم حُذِفَ لفظ «أصحاب» كما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ [الآية ١٧٧] يريد: «بِرُّ مَنْ آمَنَ باللهِ». والصِّبْغَةُ: هي الدين[7].

وقرأ: (أَتُحاجُّونا)[8] [الآية ١٣٩] مُثقّلة لأنهما حرفان مثلان فأدغم أحدهما في الآخر[9]، واحتمل الساكن قبلهما إذا

(١) افاده في الإملاء ١/ ٦٤.

(٢ و٣) أفاد هذه المعاني في المشكل ١/ ١١٢، وأضاف التعريف إلى العجمة. كما أفادها في البيان ١/ ١٢٤، وأفاد المعنى الأوّل في الإملاء ١/ ٦٥، وأفاد المعنيين في الجامع ٢/ ١٣٨، وفي الأصل ينصرف بالياء.

(٤) أفاده في المشكل ١/ ١١٢، والبيان ١/ ١٢٤، والإملاء ١/ ٦٥، والجامع ٢/ ١٣٨.

(٥) أفاده في المشكل، ونعت التركيب بالانقطاع، وأنّه لا محلّ له من الاعراب ١/ ١١٢، وفي البيان ١/ ١٢٤، والإملاء ١/ ٦٥.

(٦) في إعراب القرآن ١/ ٨٠ نقله عنه، ونسبه إليه، وفي الجامع ٢/ ١٤٤ كذلك.

(٧) نقله في اعراب القرآن ١/ ٨٠.

(٨) في الأصل ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ كما هي في المصحف، ولكن الكلام الذي بعدها يدل على إدغام النّونَين.

(٩) في الشواذ ١٠، أنها قراءة زيد بن ثابت وابن محيصن، وفي الجامع ٢/ ١٤٥ اقتصر على ابن محيصن، وفي البحر ١/ ٤١٢ زاد عليها الحسن والأعمش.

كان من حروف اللّين الياء والواو والألف إذا كُنّ سَواكِن. وقرأ بعضهم ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ [الآية ١٣٩][1] فلم يدغم ولكن أخفى فجعل حركة الأولى خفيفة وهي متحرّكة في الوزن، وهي في لغة الذين يقولون: «هذِهِ مِئَةُ دُرْهَم» يُشِمُّون شيئاً من الرفع ولا يبيّنون، وذلك الإخفاء. وقد قرئ هذا الحرف على ذلك ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف/١١] بين الإدغام والإظهار[2]. ومثل ذلك ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ [يوسف/١٣] وأشباه هذا كثير، وإدغامه أحسن[3] حتى يُسَكَّنَ الأول.

قرأ بعضهم من الآية ١٤٠ من المائدة: (أَمْ يَقُولونَ إنّ إبراهِيمَ)[4] وقد قرأ بعضهم ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ [الآية ١٤٠][5] على ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾ و﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾. ومن قرأ (أَمْ يَقُولُونَ) جعله استفهاماً مستأنفاً كما تقول: «إنها لإبِلٌ» ثم تقول: «أَمْ شاةٌ»[6].

قال تعالى ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ [الآية ١٤٣] قال: يعني «القِبْلَةَ»[7] ولذلك أنث.

وقال تعالى ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا

(١) في الجامع ٢/ ١٤٥ إلى الجماعة عدا ابن محيصن، وفي البحر ١/ ٤١٢ إلى الجمهور.

(٢) في معاني القرآن ٢/ ٣٨ أورد القراءتين ولم ينسبهما، وفي تأويل ابن قتيبة ٣٩ ذكر إشمام الضم مع الادغام، وفي السبعة ٣٤٥ ذكر إجماعهم على فتح الميم، وادغام النون الأولى في الثانية، والاشارة إلى إعراب النون المدغمة بالضمّ. وفي التيسير ١٢٧ نسب إلى كلّهم الادغام مع إشمامها الضم. أمّا في الجامع ٩/ ١٣٨ فإلى يزيد بن القعقاع وعمرو بن عبيد والزهري، قراءة الادغام بغير إشمام، وإلى طلحة بن المصرف لا تأمننا بنونين ظاهرتين على الأصل، وإلى سائر الناس الادغام والإشمام، وفي البحر ٥/ ٢٨٥ إلى زيد بن علي وأبي جعفر والزهري وعمرو بن عبيد، الإدغام بلا إشمام، وإلى الجمهور الادغام والاشمام.

(٣) في البحر ٥/ ٢٨٦، قراءة تشديد النون إلى زيد بن علي وابن هرمز وابن محيصن؛ وقراءة الفكّ إلى الجمهور.

(٤) في المصحف بالتاء المثناة من فوق في «يقولون» والقراءة بالياء في السبعة ١٧١، إلى ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر، وإلى أبي عمرو. وفي الكشف ١/ ٢٦٦ إلى غير من قرأ بالأخرى، وأخذ بها الحسن وأبو عبد الرحمن وأبو رجاء وقتادة وأبو جعفر يزيد وشيبة، وهي اختيار أبي حاتم، وفي التيسير ٧٧ إلى غير من أخذ بالأخرى، وفي حجّة ابن خالويه ٦٦ والكشاف ١/ ٩٧ والاملاء ١/ ٦٦ بلا نسبة.

(٥) في السبعة ١٧١ إلى ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم، وفي الكشف ١/ ٢٦٦، والتيسير ٧٧، والجامع ٢/ ١٤٦ كذلك، وفي حجّة ابن خالويه ٦٦، والكشاف ١/ ١٩٧، والاملاء ١/ ٦٦ بلا نسبة.

(٦) في إعراب القرآن ١/ ٨٠، أنّ الاخفش يرى في هذا قيام «أم» مقام «بل».

(٧) في الجامع ٢/ ١٥٧ وقال الأخفش: أي: «وإن كانت القبلة أو التحويلة أو التولية لكبيرة». فلعلّ القرطبي أفاد هذه المعاني من كتب أو روايات أخرى للأخفش. وفي البحر ١/ ٤٢٥، جاء رأي الأخفش مقصوراً على القبلة.

﴿الْكِتَابَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [الآية ١٤٥] قال لأنّ معنى قوله تعالى ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ﴾. ولو أتيتَ. ألا ترى أنك تقول: «لَئِنْ جِئْتَنِي ما ضَرَبْتُكَ» على معنى «لَوْ» كما في قوله تعالى ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا﴾ [الروم/ ٥١] قال: يقول تعالى: «وَلَو أرسلنا ريحاً» لأنّ معنى «لَئِنْ»[1] مثل معنى «لَوْ» لأنّ «لَوْ» لم تقع وكذلك «لَئِنْ» كذا يفسّره المفسّرون[2]. وهو في الإعراب على أنّ آخرَهُ معتمد لليمين، كأنّه قال «والله ما تَبِعُوا» أي: ما هم بمتّبِعين.

وقال ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية ١٤٧] على ضمير الاسم ولكن استُغْنِيَ عنه لمّا ذكره كأنّه قال. «هُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ».

قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [الآية ١٤٨] على: «ولِكل أمّةٍ وُجْهَةٌ». وقد قرأ قوم (وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ)[3] فلم ينوّنوا «كلّ». وهذا لا يكون لأنك لا تقول: «لِكُلِّ رَجُلٍ هُو ضارِبُه» ولكن تقول: «لِكُلِّ رَجُلٍ ضارِبٌ» فلو كان «هُوَ مُوَلٍّ» كان كلاما. فأما «مُولِّيها» على وجه ما قرأ، فليس بجائز.

وقال تعالى ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية ١٥٠]، فهذا معنى «لكنْ»[4] وزعم يونس[5] أنه سمع أعرابياً فصيحاً يقول: «ما أشْتَكِي شَيْئاً إلاّ خَيْراً» وذلك أنه قيل له: «كَيْفَ تَجِدُكَ». وتكون «إلاّ» بمنزلة الواو نحو قول الشاعر[6] [من الكامل وهو الشاهد الثلاثون بعد المئة]:

وأرى لَـهـا داراً بـأغْـدِرَةِ الـسـ ... ـيدانِ لـم يَـدْرُسْ لَـهـا رَسْـمُ

---

(١) في الاصل «لأنّ»، ونقلت آراء الاخفش هذه، في إعراب القرآن ١/٨١و٨٢، والجامع ٢/١٦١و١٦٢ والبحر ١/٤٣١.

(٢) في معاني القرآن ١/٨٤، ذكر الفرّاء تساوق معنى «لئن» و«لو» في المعنى، وإن كان يؤكّد كون الأولى للاستقبال، والثانية للمضيّ.

(٣) في الشواذ ١٠ إلى ابن عبّاس، وفي البحر ١/٤٣٧ إلى ابن عامر، وفي الكشاف ١/٢٠٥ والإملاء ١/٦٩ والجامع ٢/١٦٥ والطبري ٣/١٩٥، بلا نسبة.

(٤) نقل رأي الاخفش في التهذيب ١٥/٤٢٤ و٤٢٥ «الا».

(٥) هو يونس بن حبيب، وقد سبقت ترجمته.

(٦) هو المخبّل السّعدي، الصحاح «خلد»، ومعجم البلدان «أغدرة».

إلاّ رَماداً هامِداً دَفَعَتْ
عَنْهُ الرياحَ خَوالِدٌ سُحْمُ[1]

أراد: أرى لَها داراً ورماداً. وقال بعضُ أهْلِ العِلم إنّ الذين ظلموا هُهنا هم ناس من العرب كانوا يهوداً أو نصارى، فكانوا يحتجّون على النبي (ص)، فأمّا سائر العرب فلم يكن لهم حجّة، وكانت حجّة مَنْ يحتجُّ منكسرة. إلاّ أنّك تقول لمن تنكسر حجته «إنّ لك علي الحجة ولكنها منكسرة، وإنّك تحتجّ بلا حجّة وحجّتك ضعيفة».

وقال تعالى ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ [الآية ١٥٠] كأنه يقول: «لأن لا يكون للناسِ عَلَيْكُمْ حُجّة وَلِأُتِمَّ عَلَيكُم» عطف على الكلام الأوّل[2].

وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية ١٥١] ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية ١٥٢] أي كما فعلت هذا فاذكروني.

وقال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ [الآية ١٥٤] على: وَلا تَقُولوا هُمْ أمواتٌ. وقال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ [آل عمران/١٦٩] بالنصب[3] على «تَحْسَبُ»، ثمّ قال ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ أي: بلْ هُمْ أحياءٌ. ولا يكون أنْ تجعله على الفعل: لأنّهُ لو قال: «بلْ أَحْسِبُوهم أحياء» كان قد أمرهم بالشك.

وقال تعالى ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [الآية ١٥٨] فـ «اطَّوَّفَ» «يَطَّوَّفُ»؛ وهي من «تَطَوَّفَ». فأدغم التاء في الطاء، فلما سكنت جعل قبلها ألفاً حتّى يُبْتَدَأ بها. وإنّما قال تعالى ﴿لا جُناحَ عَلَيْهِ﴾ لأنّ ذلك كان مكروهاً في الجاهلية، فأخبر سبحانه أنه ليس بمكروه عنده.

وقال تعالى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية ١٦١] لانه أضاف اللعنة ثمّ قال ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية ١٦٢] بالنصب على الحال.

---

(١) في الصحاح واللسان «خلده ثانيهما وحده، وورودا كلاهما في الصاحبي ١٣٥، ومختار الصحاح «دل» ومعجم البلدان «أغدرة»؛ والبيتان في القصيدة العشرين، من شرح اختيارات المفضل للتبريزي ٥٣٥ من الجزء الأوّل.

(٢) نقله منسوبا في الجامع ٢/ ١٧٠.

(٣) في الكشاف ١/ ٤٣٩، أنه قرئ بالنصب، ولم تنسب القراءة.

وقرأ بعضهم (وَلَوْ تَرى الذينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذابَ إنّ القُوّةَ لله جَميعاً) [الآية ١٦٥][1] فـ «إنّ» مكسورة على الابتداء إذْ قال: (لو ترى)[2]. وقرأ بعضهم: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [الآية ١٦٥][3]. كأنّ السّياق: «ولو يرون أنّ القوة لله» أي: «لَوْ يَعْلَمون»، لأنّهم لم يكونوا علموا، قدر ما يعاينون من العذاب. ويجوز أن تُكْسَر همزة إنّ، ويُقْرأ بـ ﴿ولو يرى﴾ أو (ولو ترى) تقول للرجل: «أما والله لو تَعْلَم»، و«لَوْ يَعْلم» قال الشاعر[4] [من الخفيف وهو الشاهد الحادي والثلاثون بعد المئة]:

إنْ يَكُنْ طِبُّكِ الدَّلالُ فَلَوْ في
سالِفِ الدَّهْرِ والسنينَ الخَوالي[5]

فهذا ليس له جواب إلاّ في المعنى. وقال[6] (من الخفيف وهو الشاهد الثاني والثلاثون بعد المئة):

فَبِحَظٍّ مِمّا تَعيشُ ولا تَذْ
هَبْ بِكَ التُّرَّهاتُ في الأَهْوالِ[7]

فأضمر «فعيشي». وقرأ بعضهم (وَلَوْ تَرى) وفتح ﴿أَنَّ﴾[8] على (ترى) وليس ذلك، لأن النبيّ (ص) لم يعلم، ولكن أراد أن يُعْلِمَ ذلكَ النّاسَ كما قال

---

(١) في المصحف الكريم رسمت «يرى» بالياء المعجمة المثناة من تحت، وفتح همزة «أنّ».

(٢) هي قراءة نسبها الطّبري ٣/ ٢٨١ إلى عامة أهل المدينة والشام، وكذلك في الجامع ٢/ ٢٠٤، وفي السبعة ١٧٣، والكشف ١/ ٢٧١، والتيسير ٧٨، إلى نافع وابن عامر، وفي البحر ١/ ٤٧١ إلى الحسن وقتادة وشيبة وأبي جعفر ويعقوب، وفي حجّة ابن خالويه ٦٨، ومعاني القرآن ١/ ٩٧و٩٨، بلا نسبة.

(٣) نسبها الطّبري ٣/ ٢٨٣ إلى عامة قرّاء الكوفيين البصريين، وأهل مكّة؛ وفي السبعة ١٧٣ إلى ابن كثير وعاصم وأبي عمرو وحمزة والكسائي، وفي الكشف ١/ ٢٧١ والتيسير ٧٨ إلى غير نافع وابن عامر، وفي الجامع ٢/ ٢٠٤ إلى أهل مكّة وأهل الكوفة وأبي عمرو، وهي اختيار أبي عبيد؛ وفي البحر ١/ ٤٧١ إلى الكوفيين وأبي عمرو وابن كثير، وفي معاني القرآن ١/ ٩٧، وحجّة ابن خالويه ٦٨، بلا نسبة.

(٤) هو عبيد بن الأبرص. ديوانه ١٠٧، والمقاصد النحوية ٤/ ٤٦١، وشرح شواهد المغني للسيوطي ٣١٧.

(٥) في الديوان: «... العصر والليالي الخوالي»، وقد ورد في المغني ٢/ ٦٤٩، وشرح شواهده للسيوطي ٣١٧.

(٦) هو عبيد بن الأبرص أيضاً. ديوانه ١٠٨.

(٧) في الديوان ١٠٨ بـ «وبحظّ» و«تعيش فلا».

(٨) في الطّبري ٣/ ٢٨١ إلى عامة أهل الشام والمدينة، وفي البحر ١/ ٤٧١ إلى الكوفيين وأبي عمرو وابن كثير. وفي معاني القرآن ١/ ٩٨ بلا نسبة، وكذلك في المشكل ١/ ٥٥.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ﴾[1] ليخبر النّاس عن جهلهم، وكما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية ١٠٧][2].

وقال: إنّ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [الآية ١٧٣] إنّما هي «المَيِّتَةُ» خففت وكذلك قوله تعالى ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [ق/١١] يريد به «ميّتاً» ولكن يخففون الياء كما يقولون في «هيّن» و«ليّن»: «هَيْن» و«لَيْن» خفيفة. قال الشاعر[3] [من الخفيف وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد المئة]:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ
إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ

فثقّل وخُفّف في معنى واحد. فأمّا «الميتة» فهي الموت.

وقال تعالى ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [الآية ١٧٥]، فزعم بعضهم أنه تعجّب منهم كما قال جلّ شأنه ﴿قُتِلَ الْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧﴾ [عبس] تعجّبا من كفره. وقال بعضهم ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ﴾ أي: ما أصبَرَهُم، و: ما الذي أصْبَرَهم[4].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية ١٧٦] فالخبر مُضْمَرٌ كأنه يقول: «ذلك معلوم لهم، بأنّ الله نزّل الكتاب» لأنه قد أخبرنا في الكتاب أن ذلك قد قيل لهم، فالكتاب حق.

وقال تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ وَالنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الآية ١٧٧]، ثم قال ﴿وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الآية ١٧٧] و﴿وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ﴾ [الآية ١٧٧]؛ فهو على أوّل الكلام «ولكنّ البِرّ بِرُّ مَنْ آمنَ بالله وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاةَ» ثم قال تعالى ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا

---

(١) ورد في خمسة مواضع من القرآن الكريم، أوّلها يونس ١٠/ ٣٨، وآخرها الأحقاف ٤٦/ ٨، المعجم المفهرس ٥١٧ و٥١٨.

(٢) والمائدة ٥/ ٤٠. وقد نقلت آراء الأخفش في إعراب القرآن ١/ ٨٦ و٨٧، والجامع ٢/ ٢٠٥، والبحر ١/ ٤٧٢.

(٣) هو عَدِيّ بن الرعلاء. الأصمعيات ١٥٢، ومجاز القرآن ١/ ١٤٩و٢/ ١٦١، والحماسة الشجرية ١/ ١٩٥. والبيان ١/ ١٩٨ والبارع «موت»، والحيوان ٦/ ٥٠٧، والخزانة ٤/ ١٨٧، والصناعتين ٣١٥، واللسان وتاج العروس «موت» والاشتقاق ١٥١ وهو في التهذيب ٤/ ٣٤٣ والقسطاس المستقيم ٢٠٥، والجامع ٢/ ٢١٦، والبيان والتبيين ١/ ١١٩، وأضداد اللغوي ١/ ٣١٨.

(٤) في معاني القرآن ١/ ١٠٣ ومجاز القرآن ١/ ٦٤ بلفظ «صبرهم»، وقَصَرَهُ في البيان ١/ ١٣٨ على الأخفش وَحْدَهُ.

﴿وَالصَّـٰبِرِينَ﴾ [الآية ١٧٧]، فـ ﴿وَالْمُوفُونَ﴾ رفع على «الكنّ المُوفين» يريد «بِرّ الموفين»، فلمّا لم يذكر «البِرّ»، أقام السّياق ﴿وَالْمُوفُونَ﴾ مقام البرّ، كما في ﴿وَسْـَٔلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف/٨٢] بنصبها على ﴿وَسْـَٔلِ﴾ والمُراد «أهلَ القرية»، ثم نصب ﴿الصَّـٰبِرِينَ﴾ على فعل مُضمَر كما ﴿لَّـٰكِنِ الرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [النساء/١٦٢] ثم ورد ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ﴾ بالنصب على فعل مضمر، ثمّ ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾، بالرّفع على الابتداء، أو يعطفه على «الرّاسخين». قال الشاعر[1] [من الكامل وهو الشاهد السابع والستون بعد المئة]:

لا يَبْعُدَنْ قَومِي الذين هُمُ
سُمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ
النّازلينَ بكُلِّ مُعتَرَكٍ
والطّيّبونَ مَعاقِدَ الأُزُرِ

ومنهم من يقول «النازلون» و«الطيبين»[2]. ومنهم من يرفعهما جميعاً[3]، وينصبهما جميعاً[4]، كما فسّرت لك. ويكون ﴿الصَّـٰبِرِينَ﴾ معطوفاً على ﴿ذَوِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الآية ١٧٧] أي «وآتى الصّابرين».

وأمّا «البأساء» و«الضّراء» في قوله تعالى: ﴿فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [الآية ١٧٧] فبناهما على «فَعْلاء» التي لها «أَفْعَلُ» لأنهما اسمان؛ كما قد جاء «أفعَل» في الأسماء ليس معه «فَعْلاء» نحو «أحمَدُ»[5]. وقد قالوا «أفعَلُ» في الصفة ولم يجئ له «فَعْلاء»، قالوا: «أنتَ مِنْ ذاكَ أَوْجَلُ» و«أَوْجَرُ» ولم يقولوا: «وَجْلاء» ولا «وَجْراء» وهما من الخوف. ومنه «رجلٌ أَوْجَلُ» و«أَوْجَرُ».

وقال تعالى ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [الآية ١٨٧] أي: «فعليه

(١) هي خرنق بنت هفان أخت طرفة بن العبد لأمّه، وقد سبق الكلام على الشاهد. وقد جاء بالياء في «النازلين» والواو في «الطيبون» في الكتاب ١/٢٤٦ و٢٤٩، ومجاز القرآن ١/١٤٣، والخزانة ٢/٣٠١، والمقاصد النحوية ٣/٦٠٢، والتنبيه للبكري ٧٥، والهمع ٢/١١٩، والدرر ٢/١٥٠، والجامع ٢/٢٣٩، والبيان ١/٢٧٦.

(٢) جاء على هذا في الديوان ٢٩، والكتاب ١/٢٤٩، والخزانة ٢/٣٠٢، رواية ليونس والأنصاف ٢/٢٤٩ و٢٩٩.

(٣) جاء على هذا في الكتاب ١/١٠٤، والأمالي ٢/١٥٨.

(٤) جاء على هذا في مجاز القرآن ١/٦٦، ومعاني القرآن ١/١٠٥ و٤٥٣، والكامل ٢/٧٥١.

(٥) نقلت هذه العبارة في الصحاح «بأس» بـ «ابنيا» بدل «فبناه» و«يجيء» بدل «جاء» وفي اللسان «بأس» كذلك.

اتباعٌ بالمعروف أوْ أداءٌ إليْهِ بإحْسان» على الذي يُطْلَبُ.

وقال تعالى ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الآية ١٨٠] فـ ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ على الاستئناف، كأنه ـ والله أعلم ـ ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ فالوصيّةُ[1] ﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا﴾.

وقال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية ١٨٣].

ثمّ قال ﴿أَيَّامًا﴾ [الآية ١٨٤] أي: كُتِبَ الصّيامُ أياماً. لأنكَ شغلْتَ الفعلَ بالصيام، حتّى صار هو يقوم مقام الفاعل، وصارت الأيّامُ، كأنّك قد ذكرْتَ مَنْ فَعَلَ بِها.

وقال تعالى ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [الآية ١٨٤]، يقول «فعَلَيْهِ عِدّةٌ» رفع، وإنْ شِئْتَ نَصَبْتَ «العِدّةَ» على «فَلْيَصُمْ عِدّةً» إلاّ أنّهُ لَمْ يُقرأ[2].

﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ [الآية ١٨٥]، وهو معطوف على ما قبله، كأنّه قال «وَيُرِيدُ لِتُكْمِلوا العِدّة»[3] ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية ١٨٥]. وأمّا قولُه تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء/٢٦] فإنّما معناه يريد هذا ليبيّن لكم. قال الشاعر[4] [من الطويل وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد المئة]:

أُريدُ لأنْسى ذِكْرَها فكأنّما
تَمَثَّلُ لِي لَيْلى بِكُلِّ سَبيلِ

فمعناه: أريد هذا الشيء، لأنْسى ذكرها، «أوْ يَكُونُ أضْمَرَ» «أنْ» بعد اللام، وأوصَلَ الفعلَ إلَيْها بحرف الجر. قال تعالى ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [الآية ٢١٣] فعدّى الفعل بحرف الجرّ، والمعنى: عرّفهم الاختلاف حتّى تركوه.

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [الآية ١٨٤] وقد

(١) نقله عنه في المشكل ١/ ١١٩، وإعراب القرآن ١/ ٩١، والإملاء ١/ ٧٩، والمغني ١/ ١٦٥ و٢/ ٦٣٦، والجامع ٢/ ٢٥٨، والبحر ٢/ ٢٠، والأشباه والنظائر ٤/ ٣٤.

(٢) جاء في الكشّاف ١/ ٢٢٥ «قُرئ بالنصب بمعنى» «فليصم عدة» على سبيل الرخصة.

(٣) نقله في إعراب القرآن ١/ ٩٥.

(٤) هو كُثَيِّر عزّة. الديوان ١٠٨، والكامل ٣/ ٨٢٣، وذيل الأمالي ١١٩.

قرئت: (فِدْيةُ طَعامِ مِسكين)[1] وهذا ليس بالجيّد، إنما الطَّعام تفسيرٌ للفدية، وليست الفدية بمضافة الى الطعام. وقوله تعالى ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ يعني الصيام. وقرأ بعضهم (يُطَوَّقُونَه)[2]، أي يتكلَّفون الصيام. ومن قرأ: (مَساكِين)[3]، فهو يعني جماعة الشهر، لأنَّ لكلِّ يوم مسكيناً. ومن قرأ ﴿مِسْكِينٍۖ﴾، فإنما أخبر ما يلزمه في ترك اليوم الواحد.

وقال تعالى ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية ١٨٤]، لأنَّ «أن» الخفيفة وما عملت فيه بمنزلة الاسم، كأنه قال: «والصيامُ خَيْرٌ لكم».

ثمّ قال ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ [الآية ١٨٥] على تفسير الأيام، كأنّه حين قال ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [الآية ١٨٤] فسّرها سبحانه فقال: «هيَ شَهْرُ رَمَضانَ»[4] وقد نصب بعضهم، فقرأ: (شَهْرَ رَمَضانَ)[5] وذلك جائز على الأمر، كأنه قال: «شَهْرَ رَمَضانَ فصُوموا»، أو بجعله[6] ظرفاً على ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾

(١) قراءة الاضافة في الطّبري ٣/ ٤٣٨، إلى معظم قرّاء أهل المدينة؛ وفي السبعة ١٧٦، إلى نافع وابن عامر وفي الكشف ١/ ٢٨٢ أبدل بابن عامر ابن ذكوان، وكذلك التيسير ٧٩، والبحر ٢/ ٣٧؛ وفي الجامع ٢/ ٢٨٧ إلى أهل المدينة والشام. أما قراءة إبدال الطعام من الفدية ورفعه، ففي الطّبري ٣/ ٤٣٩ إلى معظم قرّاء أهل العراق، و٤٤٠ إلى أبي عمرو؛ وفي السبعة ١٧٦ إلى ابن كثير وعاصم وأبي عمرو وحمزة والكسائي، وفي الكشف ١/ ٢٨٢ و٢٨٣ إلى ابن عبّاس، وإلى غير نافع وابن ذكوان وابن عمر ومجاهد؛ وفي التيسير ٨٩ إلى غير نافع وابن ذكوان وإلى هشام، وفي البحر ٢/ ٣٧ إلى الجمهور.

(٢) في الطّبري ٣/ ٤١٨ و٤٢٩ و٤٣٠ و٤٣١، إلى ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير وعائشة وعطاء ومجاهد؛ وفي المصاحف ٨٩ إلى سعيد بن جبير؛ وفي الشواذ ١١ إلى مجاهد؛ وفي المحتسب ١١٨ نسبت إلى ابن عباس بخلاف، وعائشة وسعيد بن المسيّب وطاووس بخلاف، وسعيد بن جبير ومجاهد بخلاف، وعكرمة وأيوب السختياني وعطاء؛ وفي الجامع ٢/ ٢٨٦، والبحر ٢/ ٢٥، إلى ابن عبّاس، وقرّاء إلى غير من أخذ بالأخرى.

(٣) في الطّبري ٣/ ٤٤٠ إلى الحسن، وفي السبعة ١٧٦ إلى نافع وابن عامر، وأضاف في الكشف ١/ ٢٨٢ ابن عمر ومجاهداً، وفي التيسير ٧٩ إلى ابن ذكوان ونافع وهشام، واقتصر في البحر ٢/ ٣٧ على هشام، وفي الجامع ٢/ ٢٨٧ إلى أهل المدينة والشام.

(٤) نقله في زاد المسير ١/ ١٨٥.

(٥) في معاني القرآن ١/ ١١٢ أنها للحسن، وفي الشواذ ١٢ إلى عاصم في رواية، ومجاهد؛ وفي الجامع ٢/ ٢٩٧ إلى مجاهد وشَهْر بن حَوْشَب؛ وزاد في البحر ٢/ ٣٨ هارون الأعور عن أبي عمرو، وأبا عمارة عن حفص عن عاصم؛ وفي الطّبري ٣/ ٤٤٥، والمشكل ٦١، بلا نسبة.

(٦) في الأصل: يجعله. وقد نقله عنه في الجامع ٢/ ٢٩٧.

﴿ٱلصِّيَامُ﴾ [الآية ١٨٣] (شَهْرُ رَمَضَانَ) أي: «في شَهْرِ رَمَضانَ» و«رَمَضان» في موضع جر، لأنّ الشهر أضيف اليه، ولكنّه لا ينصرف.

وقال تعالى ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية ١٨٥]، فموضع ﴿هُدًى﴾ و﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ نصب، لأنه قد شغل الفعل بـ ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾، وهو كقولك: «وَجد عبد الله ظريفاً».

وأمّا قوله تعالى ﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [الآية ١٨٥] فَجُرٌ على «وبيناتٍ من الفرقان».

وقوله تعالى ﴿يَرْشُدُونَ﴾ [الآية ١٨٦] لأنها من: «رَشَدَ» «يَرْشُد»[1] ولغة للعرب «رَشِدَ» «يَرْشَدُ»[2] وقد قرئت (يُرْشَدُون)[3].

وفي قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ [الآية ١٨٨] جزمٌ على العطف، ونصبٌ اذا جُعِل جَواباً بالواو.

وقوله تعالى ﴿هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [الآية ١٨٩] بجرّ ﴿وَٱلْحَجِّ﴾ لأنه لمّا عُطِفَ على «الناس» انجرّ باللام.

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [الآية ١٨٩] يريد به «بِرّ مَنْ اتّقى».

وقال تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [الآية ١٩٥] كأنه يقول: أيديكم «إلى التهلكة». والباء زائدة[4] قال الشاعر [من الطويل وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد المئة]:

كَثيراً بِما يَتْرُكْنَ في كُلِّ حُفْرَةٍ
زَفيرَ القَواضِي نَحْبَها وسُعالَها

يقول: «كثيراً يَتْرُكْنَ» وجعل الباء و«ما» زائدتين.

وأما قوله تعالى ﴿فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾ [الآية ١٩٤]، فإنّ الله لم يأمر بالعدوان، بل طلب إليهم أنِ: «ايتوا إليهم الذي يُسمّى بالاعتداء» أي: افعلوا بهم كما فعلوا بكم، كما تقول: «إنْ تَعاطَيْتَ

---

(١) ومصدرها «رشد» الصحاح. وهي في البحر ٢/٤٧ قراءة الجمهور، وكذلك في الإملاء ١/٨٢.

(٢) ومصدرها «رشد» الصحاح. وهي في الكشاف ١/٢٢٩ قراءة غير منسوبة، والإملاء ١/٨٣ كذلك.

(٣) في البحر ٢/٤٧ هي قراءة ولم تنسب، وكذلك في الاملاء ١/٨٣؛ وفي الكشاف ١/٢٢٩ قراءة أخرى غير منسوبة، جاء الفعل فيها من باب «ضرب» هي «يرشِدون».

(٤) نقله في إعراب القرآن ١/٩٨.

مني ظُلْماً تعاطَيْتُهُ مِنْكَ»؛ والثاني ليس بظالم. قال عَمْرُو بن شَأْس[1] [من الطويل وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد المئة]:

جَزَيْنا ذَوِي العُدْوانِ بالأمْسِ مِثْلَهُ
قِصاصاً سَواءً حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْلِ

وأما قوله تعالى ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فيريد: إنّ الله لهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ لانه قال ﴿إِنِ انتَهَوْا﴾ وهو قد علم أنهم لا ينتهون إلاّ بعضهم، فكأنه قال: «إن انتهى بعضهم فلا عدوان إلا على الظالمين منهم» فأضمر، كما في ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ [الآية ١٩٦] أي: فعليه ما استيسر[2] كما تقول «زيداً أكرمت» وأنت تريد «أكرمته» وكما تقول «إلى مَنْ تَقْصِدُ أَقْصِد» تريد إليه.

وأمّا قوله تعالى ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [الآية ١٩٦] فإنّك تقول: «أَحْصَرَنِي مَرَضي»[3] أي: جعلني أَحْصُرُ نفسي.

وتقول: «حَصَرْتُ الرجل» أي: حبسته، فهو «مَحْصور»[4]. وزعم يونس[5] عن أبي عمرو[6] أنه يقول: «حَصَرْتُهُ إذا منعته عن كُلّ وَجْهٍ» وإذا منعته من التقدّم خاصّة فقد «أَحْصَرْتُهُ»، ويقول بعض العرب في المرض وما أشبهه من الإعياء والكلال: «أَحْصَرْتُهُ».

وقال تعالى ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾ [الآية ١٩٦] أي: فعليه فدية.

وقال تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [الآية ١٩٦] فإنما قال ﴿عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ وقد ذكر سبعة وثلاثة، ليخبر أنها مجزية، وليس ليخبر عن عِدّتها،

---

(١) هو عمر بن شأس الأسدي الشاعر الجاهلي، وردت ترجمته في الأغاني ١٠/ ٦٢ والشعر والشعراء ١/ ٤٢٥، وطبقات الشعراء ١/ ١٩٦، والبيت ليس في ديوانه، ولم تفد المصادر والمراجع شيئاً عنه.

(٢) نقله في إعراب القرآن ١/ ٩٩، والبحر ٢/ ٧٤.

(٣) في الأصل أحصرني قولي و«أحصرني مرضي».

(٤) نقلها عنه في الصحاح «حصر» مع تقديم العبارة الثانية على الأولى، وكذلك في الجامع ٢/ ٣٧٢ والبحر.

(٥) هو يونس بن حبيب، وقد مرت ترجمته فيما سبق.

(٦) هو أبو عمرو بن العلاء النحوي البصري المشهور؛ ترجمته في أخبار النحويين البصريين ٢٢، ومراتب النحويين ١٣، ونزهة الألباء ١٥، وطبقات اللغويين ٣٥ وإنباه الرواة ٤/ ١٢٥، وبغية الوعاة ٣٦٧.

ألا ترى أن قوله تعالى ﴿كَامِلَةٌ﴾ إنما هي «وافية».

وقد ذكروا أنهُ في حرف ابنِ مَسْعودٍ[1] «تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى»[2] وذلك أن الكلام يؤكد بما يستغنى به عنه، كما قال تعالى ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر/ ٣٠ وص/ ٧٣]. وقد يُستغنى بأحدهما، ولكنّ تكرير الكلام، كأنه أوجب. ألا ترى أنك تقول: «رأيت أخَويكَ كِلَيْهما» ولو قلت: «رأيت أخويك»، استغنيت فتجيء بـ «كليهما» توكيداً. وقال بعضهم في قول ابن مسعود «أُنثى»، إنّه إنّما أراد «مُؤَنَّثَةً»، يصفها بذلك، لأنّ ذلك قد يُستحبُّ من النساء.

وقال تعالى ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية ١٩٦]، وإذا وقفت قلت: «حاضري» لأنّ الياء إنّما ذهبت في الوصل لسكون اللام من «المسجد»، وكذلك ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾ [المائدة/ ١] وقوله تعالى ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ [النبا] و﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣﴾ [النازعات] وأشباه هذا مما ليس هو حرف إعراب. وحرف الإعراب الذي يقع عليه الرفع والنصب والجرّ، ونحو «هو» و«هي»، فإذا وقفت عليه، فأنت فيه بالخِيار، إن شئت ألحقت الهاء، وإن شئت لم تلحق. وقد قالت العرب في نون الجميع ونون الاثنين في الوقف بالهاء فقالوا: «هُما رَجُلانِه» و«مُسْلِمُونَه» و«قَدْ قُمْتُهْ» اذا أرادوا: قَدْ قُمْتُ»[3] وكذلك ما لم يكن حرف إعراب، إلاّ أنّ بعضه أحسن من بعض، وهو في المفتوح أكثر. فأمّا «مَرَرْتُ بِأَحْمَرَ» و«يَعْمَرَ» فلا يكون الوقف في هذا بالهاء، لأنّ هذا قد ينصرف عن هذا الوجه. وكذلك ما لم يكن حرف

---

(١) هو عبد الله مسعود الصحابي، وقد مرت ترجمته فيما سبق.

(٢) ص ٣٨/ ٢٣ وقد أثبتت في المصحف الشريف، على هذا النحو ﴿تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾، والقراءة مذكورة في معاني القرآن ٢/ ٤٠٣، والطّبري ٢٣/ ١٤٣، وإعراب ثلاثين سورة ٤٤، والشواذ ١٣٠، والجامع ١٥/ ١٧٤.

(٣) هي في الخزانة ٤/ ٤٩٢ لغة عليا تميم وسفلى قيس، مع «أنا» ضمير المتكلم، وأنكر ذلك الجندي في اللهجات ٣٩٧، وعزاها إلى طيّئ، استناداً إلى شرح الشافية ٢/ ٢٩٤، وأوردها ابن جني في المنصف ١/ ٩ على أنها سمة عامة في العربية، ولم يخصّ بها جماعة من العرب معيّنة. وقال أبو زيد في النوادر ١٧١ إنها لغة أهل العالية، فإذا حملنا لفظ «غير» على الخطأ في النسخ جاز لنا تصوره «نميريًا» وتصوّر اللغة نميرية أيضاً. وفي الكتاب ١/ ٢٧٨ بلا نسبة.

إعراب ثم كان يتغير عن حاله، فإنه لا تلحق فيه الهاء، اذا سُكِتَ عليه. وأمّا قوله تعالى ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ [المائدة/ ٢٩] فإذا وقفت قلت «تَبُوءُ»، لأنّها «أن تَفْعَلَ»، فاذا وقفت على «تفْعَل»، لم تحرّك. قال تعالى ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾ [يونس/ ٨٧]، إذا وقفت عليه قلت: «أن تبوّأ» لأنه «أنْ تَفعّلا»، وأنت تعني فعل الاثنين، فهكذا الوقف عليه. قال تعالى ﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾ [يونس/ ٩٣] فإذا وقفت قلت: «مبوّأ» لا تقول «مبوءا»، لأنه مضاف، فاذا وقفت عليه لم يكن ألفا. ولو أثبت فيه الألف، لقلت في وقف ﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ﴾: «مُحِلّينَ»، ولكنه مثل «رأيت غُلامي زيد» فإذا وقفت قلت: «غلامي». وقال تعالى ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ [الشعراء/ ٦١]، فاذا وقفت قلت: «تراءى»، ولم تقل: «تراءيا»، لأنك قد رفعت الجمعين بذا الفعل، ولو قلت: «تراءيا»، كنت قد جئت باسم مرفوع بذا الفعل، وهو الالف، ويكون قولك «الجَمْعانِ» ليس بكلام إلاّ على وجه آخر.

وقال تعالى ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [الآية ١٩٨]، فصرف «عَرفاتٍ» لا لأنّها تلك الجماعة التي كانت تنصرف، وإنّما صرفت لأنّ الكسرة والضمة في التاء، صارت بمنزلة الياء والواو في «مُسلمين» و«مُسلمون» لانه تذكيره، وصارت التنوين في نحو «عَرَفاتٍ» و«مُسْلِماتٍ»، بمنزلة النون فلما سمّي به تُرك على حاله، كما يترك «مسلمون»[1]، إذا سمّي به على حاله حكاية. ومن العرب من لا يصرف ذا، إذا سمّي به، ويشبّه التاء بهاء التأنيث في نحو «حَمْدَة»، وذلك قبيح ضعيف[2]. قال الشاعر[3] [من الطويل وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد المئة]:

تَنَوَّرْتُها مِنْ أذرِعاتٍ وأَهْلُها
بِيَثْرِبَ أدْنى دارِها نَظَرٌ عالِ

---

(١) نقلت عبارته مع تغيير طفيف في الصحاح «عرف»، والرأي في الكتاب ٢/ ١٨.

(٢) نقله عنه وعن الكوفيين في المشكل ١/ ١٢٤، وزاد في اعراب القرآن ١/ ١٠١، والجامع ٢/ ٤١٤، والبحر ٢/ ٨٣و٨٤ رواية الشاهد الشعري.

(٣) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي. ديوانه ٣١، والكتاب ٢/ ١٨.

ومنهم من لا ينوّن «أذرعات» ولا «عانات» وهو مكان.

وقال تعالى ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ [الآية ٢٠٣]، كأنّه حين ذكر هذه الرُّخصة، قد أخبر عن أمر، فقال ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾: أي: ذلك لمنِ اتّقى[1].

وقال تعالى ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾ [الآية ٢٠٤] اذا كان هو يشهد[2] وقرأ بعضهم: (وَيَشْهَدُ الله)[3] أي أن الله سبحانه هو الذي يشهد.

وقال تعالى ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [الآية ٢٠٤] من «لَدِدْتَ» «تَلَدُّ» و«هو أَلَدُّ» و«هُمْ قَوْمٌ لُدٌّ» و«امْرَأَةٌ لَدَّاءُ» و«نسوةٌ لُدٌّ».

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ﴾ [الآية ٢٠٧] يقول: «يَبِيعُها» كما تقول «شَرَيْتُ هذا المتاعَ» أي: بِعْتُهُ و«شَرَيْتُهُ»: أشْتَرَيتهُ أيضاً، يجوز في المعنيين جميعاً، كما تقول: «إنَّ الجِلَّ لأفضلُ المَتاعِ»، وإنّ «الجِلَّ لأَرْدَؤُه»[4]، وعلى ذلك يجوز مع كثير مثله، وكذلك «الجَلَلُ»، يكون العظيمَ، ويكون الصغير. وكذلك «السَّدَفُ» يكون الظُلْمةَ والضَّوْءَ. وقال الشاعر[5] [من الرمل وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد المئة]:

وأرى أرْبَدَ قد فارَقَني
ومن الأرْزاءِ رُزْءٌ ذو جَلَلْ[6]

أي: عظيم. وقال الآخر[7] [من الطويل وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد المئة]:

---

(١) نقله في إعراب القرآن ١/ ١٠٢ والجامع ٣/ ١٤.

(٢) هي قراءة لجمهور القرّاء وعامتهم، الطّبري ٤/ ٢٣٣، والجامع ٣/ ١٥، والبحر ٢/ ١١٤، وتأوّل بها ابن زيد والسدّي واسباط ومجاهد والطّبري، كما سبق، وفي معاني القرآن ١/ ١٢٣ بلا نسبة، والكشاف ١/ ٢٥١، والاملاء ١/ ٨٩ كذلك.

(٣) في الطّبري ٤/ ٢٣٤، والجامع ٣/ ١٥ إلى ابن محيصن، وزاد في البحر أبا حيوة، وفي الطّبري أنّ ابن عباس تأوّل بها، وفي معاني القرآن ١/ ١٢٣ بلا نسبة، والكشاف ١/ ٢٥١، والأملاء ١/ ٨٩ كذلك.

(٤) الجِلُّ: من الاضداد فالجِلُّ من المتاع: القُطُف، الأكسية، والبُسُط، ونحوه؛ والجِلُّ والجَلُّ قصب الزرع وسُوقُه، اذا حصد عنه السنبل، «اللسان».

(٥) هو لبيد بن ربيعة العامري. الديوان ١٩٧ والكامل ١/ ٦٣، وأضداد اللغوي ١/ ١٤٧ والأضداد للسجستاني ٨٤.

(٦) والبيت في المقاييس ٢/ ٢٩٠ بلا عزو، وهو في أضداد السجستاني بـ «ومن الرزء» رزء غير جلل.

(٧) هو طرفة بن العبد البكري. ديوانه ٩٣، وفيه بـ «قاسر» بدل «صادق».

ألا إنّمـا أبكـي لـيـومٍ لَـقِـيـتُـهُ
بِجُرثُـمِ صـادٍ كُـلُّ مـا بَـعْـدَهُ جَـلَـلْ

أي: صغير.

وأما قوله تعالى ﴿ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية ٢٠٧] فإن انتصاب (ابتغاء) على الفعل، وهو على يَشْرِي، كأنه قال «لابْتِغاءِ مَرْضاةِ الله» فلمّا نزع اللام، عمل الفعل. ومثله ﴿حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ [الآية ٢٤٣] وأشباه هذا كثير. قال الشاعر[1] [من الطويل وهو الشاهد الأربعون بعد المئة]:

وأَغْـفِـرُ عَـوْراءَ الـكَـريـمِ ادّخـارَهُ
وأُعْـرِضُ عَنْ شَـتْـمِ الـلَّـئيمِ تَـكَرُّما

لما حذف اللامَ عمل فيه الفعل.

وقـال تـعـالـى ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [الآيـة ٢٠٨] و«الـسِّـلْـمُ»: الإسْلامُ. وقوله تعالى ﴿وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ [مـحـمـد/ ٣٥] ذلـك: الـصُّـلْـح. وقـد قـال بـعـضـهـم فـي «الصلح»: «السَّلْم. وقال تعالى ﴿وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ [الـنـسـاء/ ٩١] وهـو الاستسلام. وقال تعالى ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان] أي: قالوا «بَراءةً مِنْكُم» لأنّ «السَّلام» في بعض الكلام هو: البراءة. تقول: «إنّما فلانٌ سَلامٌ بِسلام» أي: لا يُخالِطُ أحداً. قال الشاعر[2] [من الوافر وهو الشاهد الحادي والأربعون بعد المئة]:

سَـلامَـكَ رَبَّـنـا فـي كـلِّ فَـجْـرٍ
بَـرِيـئـاً مـا تَـغَـنَّـثُـكَ[3] الـذُّمـومُ

يعني تأوُّبكَ، يقول: «براءَتَكَ». وقال تعالى ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ﴾ [الذاريات/ ٢٥] وهذا فيما يزعم المفسّرون: قالوا خيراً. كأنه ـ والله أعلم ـ سمع منهم التوحيد، فقد قالوا خيراً، فلما عرف أنهم مُوَحِّدُون قال: «سلامٌ عَلَيْكُم»، فسلَّمَ عليهم. فهذا الوجه رفع على الابتداء. وقال بعضهم: «ما كان من كلام الملائكة فهو نصب، وما كان من الإنسان فهو رفع في السلام». وهذا ضعيف ليس بحجّة؛ وقال تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ

(١) هو حاتم الطائي مضرب المثل بالكرم ديوانه ٨٢. الكتاب وتحصيل عين الذهب ١/ ١٨٤، والنوادر ١١٠.

(٢) هو أميّة بن أبي الصَّلْت ديوانه ٢٣٨، والكتاب وتحصيل عين الذهب ١/ ١٦٤.

(٣) وجاء في الهامش: «قال أبو عبد الله»: سألت أبا العباس أحمد بن يحيى فقال: «تغنثك»: يلزق بك. هذا البيت عن ابن الأعرابي.

سَلَٰمٌۚ﴾ [الزخرف/ ٨٩] فهذا يجوز على معنى: «سلامٌ عَلَيْكُم» في التسليم. او يكون على البراءة إلاّ أنه جعله خبر المبتدأ، كأنه قال «أمري سَلامٌ». أي: أمري براءة منكم، وأضمر الاسم كما يضمر الخبر. وقال الشاعر[1] [من الطويل وهو الشاهد الرابع عشر]:

فَيا ظَبْيَةَ الوَعْساءِ بَيْنَ جُلاجِلٍ
وَبَيْنَ النَّقا آأَنْتِ أمْ أُمُّ سالِمِ

على: «أنْتِ هِي أمْ أمّ سالِم» أيْ: أشْكَلْتِ عليَّ بِشَبَهِ أمّ سالِمٍ بِكِ. وكلّ هذا قد أضمر الخبر فيه. ومثل ذلك ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ [الحديد/ ١٠] فلمّا قال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ كان فيه دليلٌ على معنى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ «ومن أنفق من بعد الفتح» أي لا يستوي هؤلاء وهؤلاء.

وقال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ [الآية ٢٠٨] لأنّ كل اسم على «فُعْلَة» خفيف، اذا جمع حُرّك ثانيه بالضمّ، نحو «ظُلُمات» و«غُرُفات»، لأنّ مخرج الحرفين بلفظ واحد، إذا قرب أحدهما من صاحبه كان، أيسر عليهم. وقد فتحه بعضهم فقال: «الرُّكَبات» و«الغُرَفات»، و«الظُّلَمات»، وأسكن بعضهم ما كان من الواو، كما يسكّن ما كان من الياء، نحو «كُلْيات» أسكن اللام، لئلا تحوّل الياء واواً، فأسكنها في «خُطْوات»[2] لأنّ الواو أخت الياء. وما كان على «فَعْلة»، نحو «سَلْوَة» و«شَهْوَة»، حُرّك ثانيه في الجمع بالفتح، نحو «سَلَوات» و«شَهَوات»، فاذا كان أوّله مكسوراً، كُسِر ثانيه نحو «كِسْرة» و«كِسِرات»، و«سِدْرة»، و«سِدِرات». وقد فتح بعضهم، ثاني هذا، كما فتح ثاني المضموم، واستثقل الضمّتين والكسرتين. وما كان من نحو هذا، ثانيه واو أو ياء، أو التقى فيه حرفان من جنس واحد، لم يحرّك، نحو: «دَوْمَة» و«دَوْمات»، «وعُودَة»

---

(١) هو ذو الرّمّة، وقد مر الاستشهاد بهذا الشاهد سابقا.

(٢) في الصحاح «ركب»: أورد اللغات الثلاث في فتح العين وضمّها وسكونها، إلاّ ماجاءت عينه ياء فلا تضمّ، وأشار إلى اللغات الثلاث في «غرف» و«ظلم»، وذكر هذه اللغات أيضا في «خطا» ولم ينسب في أيّ من هذه المواضع.

و«عوذات» وهي: المعاذة، و«بَيْضة» و«بَيْضات»، و«مَيْتة» و«مَيْتات». لأنّ هذا لو حرّك، لتغيّر وصار ألفاً فكان يُغَيّر بناء الاسم، فاستثقلوا ذلك. وقالوا: «عِضَةٌ» و«عِضات» فلم يحرّكوا لأنّ هذا موضع تتحرّك فيه لام الفعل، فلا يضعّف، ولولا أنّهُ حرك، لضعّف؛ وأكثر ما في «الظُلُمات» و«الكِسِرات» وما أشبههما، أن يُحرّكَ الثاني على الأوّل[1]. وقد دعاهم ذلك إلى أن قالوا «أُذْكُر» فضمّوا الألف لضمة الكاف، وبينها حرف، فذلك أخلق.

وقد قال بعضهم: «أَنا أُنْبُوك»، «أنا أُجُوك»، فضم الباء والجيم، لِضَمّةِ الهمزة ليجعلها على لفظ واحد، فهذا أشدّ من ذاك. وقال: «هذا هو مُنْحُدُرٌ من الجَبَل» يريد «مُنْحَدَرٌ»، فضم الدال لضمه الراء، كما ضم الباء والجيم، في «أُنْبُوكَ» و«أُجُوكَ».

وقرأوا كلمة «الملائكة»، بالجر[2] والرفع[3] قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية ٢١٠] لأنه قد قال ذلك في غير موضع. قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ [الفجر/٢٢] وقال ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام/١٥٨] و«المَلَكُ» في هذا الموضع جماعة كما تقول: «أَهْلَكَ النَّاسَ الدِّينارُ والدِّرْهَمُ» و«هَلَكَ البَعِيرُ والشاء. وقوله تعالى ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يعني أمرهُ، لأنّ الله تبارك وتعالى، لا يَزُولُ كما تقول: «قَدْ خَشِينا أَنْ تَأْتِيَنا بَنُو أُمَيَّة»، وإنما تعني حكمهم.

وقال تعالى ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الآية ٢١٣] أي: «وما اختلف فيه إلاّ الذينَ أُوتُوهُ بَغْياً بَيْنَهُمْ مِنْ بعدِ ما جاءَتْهُمْ البَيِّناتُ».

---

(١) في شرح الرضيّ على الكافية ٢٣٢و٢٣٣ تفصيل لهذه اللغات من غير نسبة، إلاّ في لغة هُذَيل في فتح ما عينه واو أو ياء، وجاء مثل ذلك في شرح الرضي على الشافية ١٠٤، مع إيجاز شديد أحال معه إلى شرح الكافية. وفي اللهجات العربية ٤٢٨ و٤٢٩ نسبت هذه اللغة عينها إلى هُذَيل تارة، وتميم تارة أخرى حسب اختلاف المراجع والمصادر لديه.

(٢) في معاني القرآن ١/ ١٢٤ إلى بعض أهل المدينة، وفي الشواذ ١٣ إلى أبي جعفر المدني، وفي البحر ٢/ ١٢٥ إلى الحسن وأبي حيوة وأبي جعفر، وفي الطّبري ٤/ ٢٦١ بلا نسبة.

(٣) في الطّبري ٤/ ٢٦١ إلى أبيّ بن كعب، وفي البحر ٢/ ١٢٥ إلى الجمهور، وفي القرطبي ٣/ ٢٥ أنّ قراءة ابن مسعود (الله والملائكة في ظلل) وهي التي انتصر بها الفرّاء في معاني القرآن ١/ ١٢٤ لقراءة الرفع.

وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [الآية ٢١٦] وقرأ بعضهم (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهاً)[1] والوجه هو: ﴿كُرْهًا﴾، بالضم، وبه نقرأ، وهما لغتان[2]. مثل «الغُسْل» و«الغَسْل» و«الضُّعْف» و«الضَّعْف»؛ إلاّ أنّه قد قال بعضهم إنه اذا كان في موضع المصدر كان «كُرْهاً» كما تقول: «لا تقوم إلاّ كَرْهاً» وتقول: «لا تقوم الاعلى كُرْهٍ» وهما سواء مثل «الرُّهْبِ» و«الرَّهْبِ» وقال بعضهم: «الرَّهَب» كما قالوا: «البُخْل» و«البَخْل» و«البَخَل». وإنما قال تعالى: ﴿كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ أي: ذُو كُرْهٍ وحذف «ذو» كما قال ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف/٨٢].

وقال تعالى ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية ٢١٧].

وقال جل شأنه ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية ٢١٧]، على «وَصدٌّ عن المَسْجِدِ الحرامِ».

ثم قال: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ﴾ [الآية ٢١٧] على الابتداء.

وقرأ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ [الآية ٢١٧] فضعّف لأن أهل الحجاز، إذا كانت لام الفعل ساكنة ضعّفوا، وهي هُهنا ساكنة، أسكنها بالجزاء. وقرأ: (وَمَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوف) [المائدة/٥٤] فلم يضاعِفْ[3] في لغة من لا يضاعف لأنّ من لا يضاعف[4] كثير.

وقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[5] [الآية ٢١٩] اذا جعلت

---

(١) الاحقاف ٤٦/ ١٥، وقراءة فتح الكاف في الكشف ٢/ ٢٧٢، والتيسير ١٩٩ إلى غير الكوفيين وابن ذكوان، وفي الجامع ١٦ / ١٩٣ إلى العامة وهي اختيار أبي عبيد، وفي البحر ٨/ ٦٠ إلى شيبة وأبي جعفر والأعرج والحرميين وأبي عمرو، وإلى أبي رجاء ومجاهد وعيسى في رواية.

(٢) الفتح لغة تميم، والضم لغة الحجاز، وقيل العكس؛ اللهجات ١٩١و١٩٢ و١٩٣، ولهجة تميم ١٥٨ وما بعدها، وفي اللهجات العربية٨١؛ ونسب هذا القول للكسائي في «الصحاح كره».

(٣) وقراءة التضعيف (اي الادغام والتشديد) في السبعة ٢٤٥ إلى ابن كثير وعاصم وأبي عمرو وحمزة والكسائي، وفي الكشف ١/ ٤١٢، والتيسير ٩٩ إلى غير نافع وابن عامر، وفي الجامع ٦/ ٢١٩ إلى غير أهل المدينة والشام، وفي حجة ابن خالويه ١٠٦ بلا نسبة، أمّا قراءة الفك بدالين ففي السبعة ٢٤٥، وفي الكشف ١/ ٤١٢، وفي التيسير ٩٩، إلى نافع وابن عامر، وفي الجامع ٦/ ٢١٩ إلى أهل المدينة والشام.

(٤) «يضاعف» هنا، في هذا السياق، بمعنى «يفكّ التشديد».

(٥) في السبعة ١٨٢ إلى القرّاء جميعاً إلاّ أبا عمرو، وفي الكشف ١/ ٢٩٢و٢٩٣ والتيسير ٨٠ كذلك، وأهمل في =

﴿مَاذَآ﴾ بمنزلة (ما). وان جعلت ﴿مَاذَآ﴾ بمنزلة «الذي»، قلت: (قُلِ العفوُ)[1]؛ والأولى منصوبة، وهذه مرفوعة، كأنه قال: «ما الذي يُنفِقُون» فقال: «الذي يُنفِقونَ العفوُ». واذا نصبت فكأنه قال: «ما يُنفِقُون» فقال: «يُنفِقُونَ العَفوَ» لأن ﴿مَآ﴾ اذا لم تجعل بمنزلة «الذي»، فـ «العَفوَ» منصوب بـ «يُنفِقُون». وان جعلت بمنزلة «الذي»، فهو مرفوع بخبر الابتداء، كما قال ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [النحل]، جعل ﴿مَاذَآ﴾ بمنزلة «الذي»، وقال ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ [النحل/ ٣٠]، جعل ﴿مَاذَآ﴾ بمنزلة «ما». وقد يكون إذا جعلها بمنزلة «ما»، وحدها، الرفع على المعنى. لأنّه لو قيل له: «ما صَنَعْتَ»؟ فقال: «خيرٌ»، أي: الذي صنعت خيرٌ، لم يكن به بأس. ولو نصبت إذا جعلت «ذا» بمنزلة «الذي»، كان أيضاً جيّداً، لأنه لو قيل لك: «ما الذي صنعت» فقلت: «خيراً» أي: صنعتُ خيراً. كان صواباً. قال الشاعر (من الوافر وهو الشاهد الثلاثون):

دَعِي ماذا عَلِمْتُ سأتّقيهِ
ولكِنْ بالمُغَيَّبِ نَبِّئيني

جعل «ما» و«ذا» بمنزلة «ما» وحدها، ولا يجوز أن يكون «ذا» بمنزلة «الذي» في هذا البيت لأنك لو قلت: «دعي ما الذي علمت» لم يكن كلاما. وقال أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [النحل/ ٢٤]، لأنّ الكفار جحدُوا أنْ يكونَ ربّهم أنزل شيئا، فقالوا لهم: «ما تقولونَ أنتم أساطيرُ الأوّلينَ» أي: «الذي تقولونَ أنتم أساطيرُ الأوّلينَ»، ليس على «أنزَل ربُّنا أساطيرَ الأوّلين». وهذا المعنى فيما نرى ـ والله أعلم ـ كما قال تعالى ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ﴾ [الآية ٢٢٠] أي: فهم إخوانكم.

قال تعالى ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ﴾ [الآية ٢٢٢] والمحيض هو: الحَيْضُ.

وإنّما أكثر الكلام في المصدر إذا بني

= البحر ٣/ ١٥٩ أبا عمرو، وزاد على أبي عمرو في الجامع ٣/ ٦١ قتادة والحسن وابن أبي اسحاق، أما في المشكل ٦٨ فبلانسبة، وكذلك في الكشاف ١/ ٢٦٢، والبيان ١/ ١٥٣، والإملاء ١/ ٩٣.

(١) في السبعة ١٨٢ والكشف ١/ ٢٩٢ والتيسير ٨٠، و البحر ٢/ ١٥٩ إلى أبي عمرو، وزاد في الجامع ٣/ ٦١ عليه الحسن وابن أبي اسحاق. وفي المشكل ٦٨ والكشاف ١/ ٢٦٢، والبيان ١/ ١٥٣، والإملاء ١/ ٩٣ بلا نسبة.

هكذا، أنْ يُرادَ به «المَفْعَل» نحو قولك: «ما في بُرِّكَ مَكالٌ» أي: كَيْلٌ. وقد قيلت الأخرى أي: قيل «مَكِيلٌ» وهو مثل «مَحِيضٍ» من الفعل، اذا كان مصدراً للّتي في القرآن، وهي أقل. قال الشاعر[1] [من الكامل وهو الشاهد الثاني والأربعون بعد المئة]:

بُنِيَتْ مَرافِقُهُنَّ فَوْقَ مَزِلَّةٍ
لا يَسْتَطِيعُ بِها القُرادُ مَقِيلا

يريد: «قَيْلُولَةً». ويقول: «جِئْتُ مَجِيئاً حَسَناً». فبنوه على «مَفْعِل» وهو مصدره.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [الآية ٢٢٢] لأنك تقول: «طَهَرَتِ المرأةُ» فـ «هِيَ تَطْهُرُ». وقال بعضهم «طَهُرَت». وقالوا: «طَلَقَتْ» «تَطْلُقُ» و«طَلُقَت» «تَطْلُقُ» أيضاً. ويقال للنُّفَساءِ إذا أصابها النِّفاسُ: «نَفِسَت» فاذا أصابها الطَّلْقُ (قيل): «طُلِقَتْ».

قال تعالى ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ [الآية ٢٢٥] تقول: «لَغَوْتُ في اليمين» فـ «أنا ألغو» «لَغْواً» ومن قال: «هو يَمْحا» قال: «هو يَلغا» «لَغْواً» و«مَحْواً». وقد سمعنا ذلك من العرب[2].

وتقول: «لَغِيتُ باسمِ فلانٍ» فـ «أنا أَلْغى به» أي: أذكُرُهُ.

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ [الآية ٢٢٦]، تقول: «آلَى مِن امرأتِهِ» يُؤْلي «إيلاءً» و«ظاهَرَ مِنها» «ظِهاراً»، كما تقول «قاتَلَ» «قِتالاً». ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ جعل ذلك لهم أجلاً ﴿فَإِن فَآءُو﴾ [الآية ٢٢٦] يعني: «فإن رَجَعُوا» لأنك تقول: «فِئْتُ إلى الحَقّ».

وقال: ﴿ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [الآية ٢٢٨] ممدودة مهموزة وواحدها «القَرْءُ» خفيفة مهموزة مثل: «القَرْع» وتقول: «قَدْ أَقْرَأَتِ المَرأةُ» «إقراءً» بالهمز، إذا صارت صاحبة حَيْض. وتقول: «ما قَرَأَتْ حَيْضَةً قطُّ» مثل: «ما قَرَأْتُ قُرآناً». و: «قَدْ قَرَأَتْ حَيْضَةً أوْ حَيْضَتَيْنِ» بالهمز، و«ما قَرَأَتْ جَنِيناً قطُّ» مثلها. أي: ما حَمَلَتْ. و«القَرْءُ»: انْقِطاعُ الحَيْض، وقال

---

(١) هو الراعي النُّمَيْري. ديوانه١٢٦، والكتاب وتحصيل عين الذهب ٢/٢٤٧، واللسان «زلل» والمخصص ١٦/١٢٢، وهو في المخصص ٩/٥٥، وفيه وفي اللسان بـ «مَزَلّة».

(٢) هي لغة أزد شنوءة. اللهجات ٤٥٦.

بعضهم: «ما بَيْنَ الحَيْضَتَيْن»[1] قال الشاعر[2] [من الوافر وهو الشاهد الثالث والاربعون بعد المئة]:

ذِراعَـي بَـكْـرَةٍ أدْمـاء بِـكْـرٍ
هِجانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرأ جَنِينا[3]

وأما قول الشاعر[4] [من الطويل وهو الشاهد الرابع والاربعون بعد المئة]:

فَتُوضِحَ فالمِقراةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها
لِما نَسَجَتْها مِن جَنُوبٍ وَشَمْالِ

فان «المِقراة»: المَسِيل، وليس بمهموز.

وقال تعالى ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [الآية ٢٣٢]، ينهى أزواجهنّ أن يَمنعُوهنّ من الأزواج.

وقال تعالى ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [الآية ٢٣٣]. تقول: «بيني وبَيْنَكَ رَضاعةٌ» و«رَضاعٌ» وتقول: «اللُّؤمُ والرَّضاعَةُ» وهي في كل شيء مفتوحة. وبعض بني تميم بكسرها، إذا كانت في الارتضاع يقول: «الرِّضاعة»[5].

وقرأ قوله تعالى ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ﴾ [الآية ٢٣٣] برفع «تضارُّ» على الخبر، يقول: «هكذا في الحكم أنه تضارُّ» في موضعه، صار على لفظه. ومثله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [الآية ٢٣٤] فخبر ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾، ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ [الآية ٢٣٤] «بَعْدَ مَوْتِهِمْ»[6] ولم يذكر «بَعْدَ

---

(١) نقلها في الصحاح «قرأ» واجتزأ بشيء يسير، فمنها في التهذيب «قرأ»، والجامع ٣/ ١١٣، والبحر ٢/ ١٧٥.

(٢) هو عمرو بن كلثوم التغلبي.

(٣) البيت في معلّقته، وهو في شرح القصائد السبع ٧٩ بـ «عيطل» بدل بكرة، وعجزه: تربّعت الأجارع والمتونا»، في شرح القصائد التسع ٢/ ٦٢٠ كذلك، وفي ٢/ ٧٨٣ ورد بـ «عيطل»، وفي شرح المعلّقات السبع ١٤٣ بـ «عيطل»، وفي شرح القصائد العشر بـ «عيطل» وتربّعت الأجارع والمتونا». وفي مجاز القرآن ١/ ٢ بـ «حرّة» بدل «بكرة»، وفي شرح ديوان العجاج ٢٣ برواية الاخفش. وفي المقاييس ٥/ ٧٩، والتهذيب ٢/ ١٦٦، والصحاح «عطل» و«هجن»، وأضداد اللغوي ٥٧٥، واللسان «قرأ» و«عطل» و«هجن»، والتاج «قرأ»، وكلها بـ «عيطل». وفي اللسان «بكر»، والتاج «بكر»، وعجزه بـ «غذاها» الخفض لم تحمل جنينا».

(٤) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي والبيت ثاني أبيات معلقته المشتهرة. ديوانه ٨، وشرح القصائد العشر ٥.

(٥) ذكر الكسائي الكسر، وعزاه إلى بعض العرب بلا تعيين؛ معاني القرآن ١/ ١٤٩، وفي الكشاف ١/ ٢٧٨، أنه قرئ بكسر الراء. وأشار في الإملاء ١/ ٩٧ إلى القراءتين، وفي الجامع ٣/ ١٦٢، أن كسر الراء قراءة أبي حيوة وابن أبي عبلة والجارود بن أبي سبرة، وقال هي لغة كالحَضارة والحِضارة.

(٦) نقله في المشكل ١/ ١٣١، وإعراب القرآن للزجاج ١/ ١٧٥، والبحر ٢/ ٢٢٢.

مَوْتِهِمْ» كما يحذف بعض الكلام يقول: «يَنْبَغي لَهُنّ أنْ يَتَرَبَّصْنَ»، فَلَمّا حذف «يَنْبغي»، وقع «يَتَرَبَّصْنَ» موقعه. قال الشاعر[1] [من الطويل وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد المئة]:

على الحَكَمِ المَأْتِيِّ يَوْماً إذا قضى
قَضِيَّتَهُ أنْ لا يَجُورَ وَيَقْصِدُ

فَرَفَعَ «وَيَقْصِدُ» على قوله: «وَيَنْبَغي»[2]. ومن قرأ ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ [الآية ٢٣٣] جعلها على النهي، وهذا في لغة من لم يضعّف، فأمّا من ضعّف، فإنّه يقول (لا تُضَارَرْ) إذا أراد النهي، لأنّ لام الفعل ساكنة، إذا قلت «لا تُفاعَلْ» وأنت تَنهَى. إلا أنّ «تضارّ» ها هنا غير مضعّفة، لأنّ ليس في الكتاب إلاّ راء واحدة[3].

وقال تعالى ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية ٢٣٥] فـ «الخِطْبَةِ» الذِّكر، و«الخُطْبَةُ»: التَّشَهُّد[4].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [الآية ٢٣٥] لأنه لمّا قال ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ كأنه قال: «تذكرون» ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟﴾ [الآية ٢٣٥] استثناء خارج على «ولكنْ».

قال تعالى ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [الآية

---

(١) هو عبد الرحمن بن أمّ الحكم، كما في الكتاب وتحصيل عين الذهب ١/ ٤٣١، واللسان «قصد» في رواية مرجوحة. وقيل هو أبو اللّحام أو اللُّجام التغلبي، كما في الخزانة ٣/ ٦١٣، والتاج «قصد»، واللسان «قصد» في رواية راجحة وشرح المفصّل لابن يعيش ٧/ ٣٨، والبيت أيضا في الصحاح «قصد».

(٢) نقله في الصحاح «قصد»، مع الشاهد الشعري.

(٣) قراءة الرفع براء واحدة في الطّبري ٥/ ٤٧ إلى بعض أهل الحجاز وبعض أهل البصرة، وفي السبعة ١٨٣ إلى ابن كثير وأبي عمروا وأبان عن عاصم، وفي الكشف ١/ ٢٩٦ والتيسير ٨١ إلى ابن كثير وأبي عمرو، وفي الجامع ٣/ ١٦٧ أضاف أبان عن عاصم وجماعة، وفي البحر ٢/ ٢١٤ لم يذكر الجماعة بل أضاف يعقوب، وفي معاني القرآن ١/ ١٤٩ و ٢٠٥ وحجّة ابن خالويه ٧٣، بلا نسبة. أمّا قراءة فتح الراء الواحدة، ففي الطّبري ٥/ ٤٦ إلى عامة قرأة أهل الحجاز والكوفة والشام، وفي ٥/ ٤٩ و ٥٠ و ٥١ أنّ مجاهداً وقتادة والحسن والضحاك والسدّي وابن شهاب وسفيان وابن زيد وعطاء وعكرمة، قد تأوّلوا بها. وفي السبعة ١٨٣ إلى نافع وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي، وأنها لأهل الشام؛ وفي الكشف ١/ ٢٩٦ والتيسير ٨١، إلى غير ابن كثير وأبي عمرو. وفي الجامع ٣/ ١٦٧ إلى نافع وعاصم وحمزة والكسائي، وفي البحر ٢/ ٢١٥ إلى غير من قرأ بغيرها من السبعة. وفي الجامع ٣/ ١٦٧ أنّ عمر بن خطاب قرأ براءين مفتوحة أولاهما، وأنّ أبا جعفر بن القعقاع قرأ براء واحدة ساكنة، وأنّ ابن عبّاس والحسن وأبان في رواية عن عاصم، قرأوا براءين مكسورة أولاهما.

(٤) في الأصل: الشهد.

٢٣٧] أي: فعليكم نصفُ ما فرضتم ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ [الآية ٢٣٧] وإنْ شئتَ نصبْتَ (نصفَ ما فَرضْتُمْ) على الأمر[1].

قال تعالى ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [الآية ٢٣٧][2].

وقرأ بعضهم (ولا تَناسَوْا)[3]، وكلٌّ صَوابٌ. وقرأ بعضهم (وَلاَ تَنْسَوِا الفَضْلَ)[4] فكسر الواو لاجتماع الساكنين كما قرأ بعضهم: (اشْتَرَوِا الضَّلاَلَةَ)[5].

قال تعالى ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [الآية ٢٣٩] يقول: «صَلُّوا رِجالاً أَوْ صَلُّوا رُكْباناً».

وقال تعالى ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ [الآية ٢٣٢] و﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [الآية ٢٣٢] لأنّه خاطب رجالاً، وقال في موضع آخر ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف/٣٢] لأنّه خاطب نساءً، ولو تركَ «ذلك» كما هي، ولم يلحق بها أسماء الذين خاطب كان جائزاً. وقال: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب/٣٠] ولم يقل «ذلِكُنَّ» وقال: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة]. وقال: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [المجادلة/١٢].

وليس بأبعد من قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس/٢٢] فخاطب، ثمّ حدّث عن غائب، لأنّ الغائب هو الشاهد، في ذا المكان. وقال ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً﴾ [المائدة/٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ

---

(١) في الجامع ٣/٢٠٤ أنّ ضم الفاء قراءة الجمهور والامام علي بن أبي طالب، وفتح الفاء قراءة فرقة لم يعيّنها.

(٢) في الجامع أنّ ضمّ الواو قراءة الجمهور ٢/٢٠٨، وأشار اليها الخليل في الكتاب ٢/٢٧٦.

(٣) في الشواذ ٥ إلى الامام علي بن أبي طالب مع كسر الواو، وفي المحتسب ١٢٧ إلى الإمام علي بن أبي طالب وأبي رجاء وجؤية بن عائذ، وفي الجامع ٣/٢٠٨ إلى الإمام علي بن أبي طالب ومجاهد وأبي حيوة وابن أبي عبلة، وكذلك في البحر ٢/٢٣٨.

(٤) في الجامع ٣/٢٠٨، والبحر ٢/٢٣٨ إلى يحيى بن يعمر، وأشار إليها الخليل في الكتاب ٢/٢٧٦.

(٥) البقرة ٢/١٩، وهي في الشواذ إلى يحيى بن يعمر، وزاد في المحتسب ٥٤ ابن أبي اسحاق وأبا السمال، وفي الجامع ١/٢١٠ أسقط أبا السمال، وفي الكشف ١/٢٧٥، والمشكل ١/٢٠، والبحر ١/٧١؛ بلا نسبة.

﴿بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا﴾ [الآية ٢٤١] أي: أُحِقّ ذلك حقًّا[1].

وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ [الآية ٢٤٥] بالنَّصْبِ، على إضمار «أنْ» بعد الفاء في ﴿فَيُضَاعِفَهُ﴾. وليس قوله تعالى ﴿يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ لحاجة بالله؛ ولكن هذا كقول العرب: «لكَ عِندي قَرْضُ صِدْقٍ» و«قَرْضُ سَوءٍ» لأمرٍ تأتي، فيه مسرّتُه أو مساءته[2]. وقال الشاعر[3] [من البسيط وهو الشاهد السادس والأربعون بعد المئة]:

لا تَخْلِطَنْ خَبيثاتٍ بِطَيِّبَةٍ
اِخْلَعْ ثِيابَكَ مِنها وانْجُ عُرْيانا[4]

كُلُّ امرئٍ سوفَ يُجْزَى قَرْضَهُ حَسَناً
أوْ سَيِّئاً أوْ مَدِيناً مثلَ ما دانا[5]

فـ «القَرْض»: ما سلف من صالح أو من سيئ.

قال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية ٢٤٦] فـ «أن» هُهنا[6] [في ألّا] زائدة، كما زيدت بعد «فلمّا»، و«لمّا»، و«لَوْ»، فهي تزاد في هذا المعنى كثيراً. ومعناه «ومالنا لا نُقَاتِلُ»، فأعملَ «أنْ» وهي زائدة، كما قال: «ما أتاني منْ أحَدٍ» فأعمل «مِنْ» وهي زائدة، قال الفرزدق[7] [من البسيط وهو الشاهد السابع والأربعون بعد المئة]:

لَوْ لَمْ تَكُن غَطَفانُ لا ذُنوبَ لها
إليّ لامَتْ ذَوو أحسابِها عُمَرا[8]

المعنى: لَوْ لَمْ تَكُنْ غطَفانُ لَها ذُنوبٌ، و«لا» زائدة، وأعملها.

وقال تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية ٢٤٨]. و«السَّكِينَةُ» هي:

---

(١) نقلها في اعراب القرآن ١/ ١٢١.

(٢) نقلها عنه في البحر ٢/ ٢٤٨ و٢٥٣.

(٣) هو أمية بن أبي الصلت. ديوانه ٢٥٨، تحقيق الحديث والتهذيب ٨/ ٣٤٠، واللسان «قرض».

(٤) وفيه «وحديثا كالذي دانا».

(٥) في التهذيب «ومدينا»، وكذلك في الصحاح «قرض»، وفي اللسان «قرض» أو «مدينا».

(٦) نقله في المشكل ١/ ١٣٤، وإعراب القرآن ١/ ١٢٢، والجامع ٣/ ٢٤٤، واعراب القرآن للزجاج ١٠/ ١١٠ و٣/ ٨٥٩، والبيان ١/ ١٦٥.

(٧) هو همّام بن غالب، مرّت ترجمته فيما سبق.

(٨) ديوان الفرزدق ١/ ٢٣٠، وفيه «الام» بلا تاء. والبيت في الخصائص ٢/ ٣٦.

الوَقارُ. وأما الحديدُ فهو «السُّكِّينُ»، مشدد الكاف. وقال بعضهم: «هي السِّكّينُ»، مثلها في التشديد، إلا أنّها مؤنثة فأنث[1]. والتأنيث ليس بالمعروف، وبنو قُشَيْرٍ يقولون: «سِخِّين» للسكين[2]. وقال تعالى ﴿وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا﴾ [يوسف/ ٣١].

وقال تعالى ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ [الآية ٢٥١][3].

بنصب ﴿ٱلنَّاسَ﴾ على إيقاع الفعل بهم، ثمّ الإبدال منهم ﴿بَعۡضَهُم﴾ للتفسير.

وقال تعالى ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [الآية ٢٥٣] أي كلّمَهُ اللهُ، فلفظ الجلالة في ذا الموضع، رفعٌ.

وقال ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [الآية ٢٥٣] أي رفع الله بعضهم درجاتٍ.

وقال ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [الآية ٢٥٥] تقول «وسِنَ» «يوسَنُ» «سِنَةً» و«سَناً».

وقال ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ [الآية ٢٥٥] لأنه من «آدَه» «يَؤُودُهُ» «أَوْداً» وتفسيره: لا يُثقِلُهُ.

وقال ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [الآية ٢٥٦] وإن شئت (الرَّشَدُ من الغَيِّ)[4] مضمومة ومفتوحة.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [الآية ٢٥٧]، «فالطاغوت» جماعة في المعنى، وهو في اللفظ واحد، وقد جمع، فقالوا « الطواغيت».

وأمّا قوله تعالى:

---

(١) لم تحدّد كتب التأنيث والتذكير، ولا كتب اللهجات معاد التذكير والتأنيث هذا.

(٢) في اللسان «سخن»: السخاخين: المساحي، واحدهما سخّين بلغة عبد القيس وهي مسحاة منعطفة... ويقال للسكّين: السخينة... والسخاخين: سكاكين الجزّار.

(٣) في الأصل «دفاع»، وهي قراءة منسوبة في السبعة ١٨٧ إلى نافع وإلى عاصم في رواية؛ واقتصر في الكشف ١/ ٣٠٤، والتيسير ٨٢، والبيان ١/ ١٦٧، والاملاء ١/ ١٠٥، والجامع ٣/ ٢٥٦، على نافع، أمّا قراءة «دفع» ففي السبعة ١٨٧ إلى ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي، أمّا في الكشف والتيسير والجامع «كما سبق» فقد نسبتها إلى غير نافع. وأمّا في حجة ابن خالويه ٧٥، والبيان ١/ ١٦٧، والإملاء ١/ ١٠٥، فقد ذُكرت القراءتان بلا نسبة.

(٤) أشار في الإملاء ١/ ١٠٧ إلى القراءتين ولم ينسب، وفي الجامع ٣/ ٢٧٩ أنها قراءة أبي عبد الرحمن والحسن والشعبي.

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الآية ٢٥٧] فبمعنى: «يَحْكُم بأنَّهُمْ كذاك»، كما تقول: «قَدْ أخْرَجك الله من ذا الأمر»، ولم تكن فيه قطّ. وتقول: «أَخْرَجَنِي فُلانٌ من الكِتْبَةِ»، ولم تكن فيها قطّ. أي: لَمْ يجعَلْني من أهلها ولا فيها.

وقال ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [الآية ٢٥٩] الكاف زائدة والمعنى ـ والله أعلم ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [الآية ٢٥٨] «أوْ الذي مَرَّ على قَرْيَةٍ» والكاف زائدة. وفي كتاب الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى/١١] يقول: «لَيْسَ كَهُو» لأنَّ الله سبحانه ليس له مثيل.

قال تعالى ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [الآية ٢٥٩] فتثبت الهاء للسكوت، وإذا وصلت حذفتها[1] مثل «اخْشَهْ». وأثبتها بعضهم في الوصل، فقال ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ﴾[2] فجعل الهاء من الأصل وذلك في المعنى: لم تمرر عليه السنون فـ «السَّنَة» منهم من يجعلها من الواو، فيقول: «سُنَيَّةٌ» ومنهم من يجعلها من الهاء، فيقول: «سُنَيْهَةٌ» بجعل الذي ذهب منها هاء، كأنه أبدلها من الواو كما قالوا: «أَسْنَتُوا»: إذا أصابتهم السنون. أبدل التاء. ويقولون: «بِعْتُهُ مُسَانَاةً» و«مُسَانَهَةً». ويكون: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أن تكون هذه الهاء للسكون. ويُحْمَلُ قول الذين وصلوا بالهاء، على الوقف الخفيّ، وبالهاء نقرأ في الوصل.

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ إذا عَنى نفسه. قرأ بعضهم (قال اعْلَمْ) بجزم على

---

(١) هي في الطبري ٥/ ٤٦٠ إلى عامة قرأة الكوفة، وفي السبعة ١٨٩ أنّ إبقاءها في السكون للجميع، وأنّ حذفها في الوصل إلى حمزة والكسائي؛ وفي التيسير ٨٢ والجامع ٣/ ٢٩٢ والبحر ٢/ ٢٩٢ إلى الأخوين حمزة والكسائي؛ وفي الكشف ١/ ٣٠٧ اقتصر على حمزة؛ وفي معاني القرآن ١/ ١٧٢، وحجّة ابن خالويه ٧٦، والمشكل ٧٨، بلا نسبة، وأورد السجستاني في المصاحف ٤٩، إلى أنها كانت تُكتب بتضعيف النون، وأنّ الحجّاج هو الذي أدخل عليها الهاء.

(٢) في الطبري ٥/ ٤٦١ ـ ٤٦٦ أنها قراءة عامة قرأة أهل المدينة والحجاز، وأيدها بنقل عن عثمان وأُبيّ وزيد بن ثابت، وأنه تأوّل بها وهب بن منبّه وقتادة والسُّدّي والضّحّاك وابن عباس وابن زيد وبكر بن مضر ومجاهد والربيع، ونسبها في السبعة ١٨٩ إلى ابن كثير ونافع وعاصم وأبي عمرو وابن عامر، وفي الكشف ١/ ٣٠٧ إلى غير حمزة، وفي التيسير ٨٢ إلى غير حمزة والكسائي، وفي الجامع ٣/ ٢٩٢ إلى الجمهور، وفي المشكل ٧٦، ومعاني القرآن ١/ ١٧٢ و ١٧٣، وحجّة ابن خالويه ٧٦، فبلا نسبة.

الامر، كما يقول: «اعْلَمْ أنّه قَدْ كان كذا وكذا» كأنه يقول ذاك لغيره، وإنّما ينبّه نفسه؛ والجزم أجود في المعنى، إلا أنه أقل في القراءة[1]؛ والرفع قراءة العامة، وبه نقرأ[2].

وأمّا قوله تعالى: على لسان النبي إبراهيم (ع) ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية ٢٦٠] فلم يكن ذلك شكًا من إبراهيم (ع) ولم يُرِد به رؤية القلب، وإنما أراد به رؤية العين[3].

وقول الله عز وجل له ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ [الآية ٢٦٠] كأنه يقول: «أَلَسْتَ قَدْ صدقت» أي: أنت كذاك. قال الشاعر[4] [من الوافر وهو الشاهد الثالث والثلاثون]:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا
وَأَنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ راحِ

وقوله تعالى، على لسان ابراهيم (ع): ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [الآية ٢٦٠] أي: قلبي ينازعني إلى النظر، فإذا نظرتُ اطمأنّ قلبي.

قال تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [الآية ٢٦٠] أي: قَطِّعْهُنَّ وتقول منها: «صارَ» «يَصُورُ»[5]. وقال

---

(1) هو في معاني القرآن ١/ ١٧٣ و ١٧٤ قراءة ابن عباس وأبي عبد الله، وفي الطّبري ٥/ ٤٨١ و٤٨٢ و٤٨٣ إلى عامة قرأة أهل الكوفة، وأيّدها بقراءة عبد الله وابن عباس، ورجّحها؛ وفي السبعة ١٨٩ والتيسير ٨٢ والجامع ٣/ ٢٩٦، إلى حمزة والكِسائي؛ وزاد في الكشف ١/ ٣١٢ ابن عباس وأبا رجاء وأبا عبد الرحمن؛ وفي البحر ٢/ ٢٩٦ زاد على حمزة والكِسائي، أبا رجاء وعبد الله والأعمش.

(2) في معاني القرآن ١/ ١٧٤ إلى العامّة، وفي الطّبري ٥/ ٤٨٢ و ٤٨٣ إلى عامة قرأة أهل المدينة، وبعض قرأة أهل العراق، وتأوّل بها وهب بن منبّه وقتادة والسدّيّ والضّحّاك وابن زيد؛ وفي السبعة ١٨٩ إلى ابن كثير ونافع وعاصم وأبي عمرو وابن عامر، وفي الشواذ ١٦ إلى ابن مسعود؛ وفي الكشف ١/ ٣١٢ و ٣١٣ إلى الحسن والأعرج وأبي جعفر وشيبة وابن أبي إسحاق وعيسى وابن محيصن، وعليها الحَرَميّانِ وعاصم وابن عامر وأبو عمرو، وفي التيسير ٨٢ إلى غير حمزة والكِسائي؛ وفي الجامع ٣/ ٢٩٦ إلى الأكثر من القرّاء، وتأوّل بها قتادة ومكّي؛ وفي البحر ٢/ ٢٩٦ إلى الجمهور.

(3) نقلها عنه في الجامع ٣/ ٢٩٨.

(4) هو جرير بن عطية بن الخطفي. وقد مرت ترجمته قبلُ، والبيت في ديوانه ١/ ٨٩ من شواهد الشعر المعروفة.

(5) وهي في معاني القرآن ١/ ١٧٤ إلى العامة، وفي الطّبري ٥/ ٥٠٤ إلى عامة قرأة أهل المدينة والحجاز والبصرة، وفي السبعة ١٩٠ والتيسير ٨٢ إلى غير حمزة، وأضاف في الكشف ١/ ٣١٣ إلى علي بن أبي طالب والحسن وأبي عبد الرحمن وعكرمة ومجاهد، وفي البحر ٢/ ٣٠٠ إلى غير من أخذ بالأخرى من السبعة، وفي الجامع ٣/ ٣٠١، وحجّة ابن خالويه ٧٧ بلا نسبة.

بعضهم ﴿فَصُرْهُنَّ﴾[1] فجعلها من «صار» «يَصِيرُ» وقال ﴿إِلَيْكَ﴾ لأنه يريد: «خُذْ أربعةً إليكَ فَصُرْهُنَّ».

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ [الآية ٢٦٥][2] وبعضهم قرأ (بربوةٍ)[3]، (وبِرِباوَةٍ)[4]. و(بَرَباوَةٍ)[5]، كلٌ من لغات العرب[6] وهو كلّه من الرابية وفعله «رَبا» «يَرْبو»[7].

قال تعالى ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ [الآية ٢٦٤] والواحدة «صَفْوانةٌ». ومنهم من يجعل «الصَّفْوان» واحداً[8] فيجعله: الحجر. ومن جعله جميعاً جعله: الحجارة مثل: «التَمْرَة» و«التَمْر». وقد قالوا «الكَذّان»: و«الكَذّانَة» وهو شبه الحجر من الطِّين.

قال تعالى ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ [الآية ٢٦٥] وقال ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ [الأنعام/١٤١] و«الأُكُل»: هو: ما يؤكل. و«الأَكْلُ» هو الفعل الذي يكون منك. تقول: «أَكَلْتُ أَكْلاً» و«أَكَلْت أَكْلَةً واحدةً» وإذا عَنَيْتَ الطعام قلت: «أُكْلَةً واحدةً». قال [من الطويل وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد المئة]:

---

(١) في معاني القرآن ١/ ١٧٤ إلى أصحاب عبد الله استناداً إلى لغة هُذَيْل وسُلَيْم، وفي الطبري ٥/ ٤٩٥ إلى جماعة من أهل الكوفة وهي لغة هذيل وسليم، وفي السبعة ١٩٠ والتيسير ٨٢ إلى حمزة، وفي الكشف ١/ ٣١٣ إلى حمزة وابن عباس وشيبة وعلقمة وابن جبير وأبي جعفر وقتادة وابن وثاب وطلحة والأعمش، واختلف عن ابن عباس؛ وفي البحر ٢/ ٣٠٠ إلى حمزة ويزيد وخلف ورويس؛ وفي حجة ابن خالويه ٧٧، والجامع ٣/ ٣٠١، بلا نسبة.

(٢) فكلمة «ربوة» في المصحف، بفتح الراء؛ وضمّها في الطبري ٥/ ٥٣٦ إلى عامة قرأة أهل المدينة والحجاز والعراق، وفي السبعة والكشف ١/ ٣١٣ والتيسير ٨٣ والبحر ٢/ ٣١٢ إلى غير ابن عامر وعاصم؛ وفي الجامع ٣/ ٣١٦ إلى ابن كثير وحمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو؛ وفي الحجة ٧٨، والإملاء ١/ ١١٣ بلا نسبة.

(٣) في الطبري ٥/ ٥٣٦، والبحر ٢/ ٣١٢، إلى ابن عباس؛ وزاد في الجامع ٢/ ٣١٦ أبا اسحاق السبيعي؛ وفي الإملاء ١/ ١١٣، بلا نسبة.

(٤) في الجامع ٣/ ٣١٦، والبحر ٢/ ٣١٢، إلى الأشهب العقيلي.

(٥) في الجامع ٣/ ٣١٦، والبحر ٢/ ٣١٢، إلى أبي جعفر وابن عبد الرحمن. وأورد في الاملاء ١/ ١١٣، القراءة بالألف بلا تعيين حركة الراء، وبلا نسبة.

(٦) في اللسان «ربا» أنّ فتح الراء في «ربوة» لغة تميم، وأنّ ضم الراء، وهو الاختيار، لأنها أكثر اللغات.

(٧) في الأصل: يربوا بألف بعد الواو. وقد أفاده في إعراب القرآن ١/ ١٣٠.

(٨) وقد نقل رأي الأخفش في المشكل ١/ ١٤٠، وإعراب القرآن ١/ ١٢٩، والجامع ٣/ ٣١٣.

ما أُكْلَةً أَكَلْتُها بِغَنيمَةٍ
ولا جَوْعَةً أنْ جُعْتُها بِغَرامِ

ففتح الألف لأنه يعني الفعل. ويدلك عليه «وَلا جَوْعَةً»، وإن شئت ضممت «الأُكْلَة»، وعنيت به الطعام.

وقال تعالى ﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [الآية ٢٦٦] وقال في موضع آخر ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾ [النساء/ ٩] وكلٌ سواء لأنك تقول: «ظَرِيفٌ» و«ظِرافٌ» و«ظُرَفاءُ»، هكذا جمع «فَعِيل».

وقال تعالى ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [الآية ٢٦٥][1].

وتقول في «الوابِل» وهو: المطرُ الشديد: «وَبَلَتِ السَّماءُ»[2] و«أَوْبَلَتْ» مثل «مَطَرَتْ» و«أَمْطَرَتْ»، و«طَلَّتْ» و«أَطَلَّتْ» من «الطَلّ»، و«غاثَتْ» و«أَغاثَتْ» من «الغَيْث». وقوله تعالى: ﴿أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل] من ذا، يعني: شديداً[3]. وقال تعالى ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ [الآية ٢٦٨] وقرأ بعضهم (الفُقْر)[4] مثل «الضَّعْف» و«الضُّعْف» وجعل «يَعِدُ» متعدياً الى مفعولين.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [الآية ٢٧٠] تحمل الكلام على الآخر، كما في قوله تعالى ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ [النساء/ ١١٢] وإن شئت جعلت تذكير هذا على «الكَسْب» في المعنى كما في قوله تعالى ﴿إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية ٢٧١] كأنه يقول: «فالإيتاءُ خيرٌ والإخفاء».

وأمّا قوله تعالى ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [الآية ٢٣١] فهذا على ﴿مَآ﴾. وأما قوله تعالى ﴿أَوْ نَذَرْتُم﴾ [الآية ٢٧٠] فتقول: «نَذَرَ» يَنْذُرُ على نَفْسِهِ» «نَذْراً» و«نَذَرْتُ مالي» فـ «أنا

(١) نقلها في الجامع ٣/ ٣١٣.

(٢) زيادة يقتضيها السياق، لتسويغ كلامه الآتي على الوابل، والفعل منه، والفعل من الطلّ.

(٣) نقلها في الجامع ٣/ ٣١٣.

(٤) في الشواذ ١٧ إلى عيسى بن عمر؛ وذكرها في البحر ٢/ ٣١٩، والجامع ٣/ ٣٢٨ بلا نسبة، وكذلك في الكشاف ١/ ٣١٥.

«أَنْذُرُهُ» «نَذْراً» أخبرنا بذلك يونس[1] عن العرب[2] وفي كتاب الله عز وجل ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران/ ٣٥]. قال الشاعر[3] [من مجزوء الكامل وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد المئة]:

هُمْ يَنْذُرُونَ دَمِي وَأَ ... نْذُرُ أَنْ لَقِيتُ بِأَنْ أَشُدَّا

وقال عنترة[4] [من الكامل وهو الشاهد الخمسون بعد المئة]:

الشَّاتِمَيْ عِرْضِي وَلَمْ أَشْتِمْهُمَا ... وَالنَّاذِرَيْنِ إِذَا لَمْ الْقَهُمَا دَمِي

قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية ٢٧٤] بجعل الخبر بالفاء لأنّ «الذي» في معنى «مَنْ». و«مَنْ» يكون جوابها بالفاء في المجازاة لأنّ معناها «مَنْ ينفق ماله فله كذا». وقال تعالى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [محمد] وقال ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾﴾ [محمد] وهذا في القرآن والكلام كثير؛ ومثله «الذي يأتينا فله درهم».

قال تعالى ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ﴾ [الآية ٢٧٩] تقول «قد أذنت منك بحرب» و«هو يأذن».

وقال تعالى ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾[5]. وقرأ بعضهم (لا تُظْلَمُونَ ولا تَظْلِمُونَ)[6] كلّه سواء في المعنى؛

وقال: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [الآية ٢٨٠] فكأنّه يقول:

---

(١) هو يونس بن حبيب النحوي. وقد مرّت ترجمته فيما سبق.

(٢) في الصحاح «نذر»، نقل العبارة مع بعض التغيير؛ وفي اللسان «نذر» كذلك، واستشهد بالآية التالية أيضاً.

(٣) هو عمرو بن معدي كرب الزبيدي. وهو في ديوانه ٦٩.

(٤) هو عنترة بن شدّاد العبسي. ديوانه ٢٢٢، ومعاني القرآن ١/ ٣٨٧ و ٣/ ٢٤٠، والبيت يعدّ من معلّقته، وهو في شرح القصائد السبع ٢/ ٥٣٥، وشرح القصائد السبع ٣٦٤.

(٥) هي في الجامع ٣/ ٣٧٠، والبحر ٢/ ٣٣٩، إلى جميع القرّاء؛ وفي السبعة ١٩٢ استثنى عاصماً؛ وفي حجة ابن خالويه ٨٠ بلا نسبة؛ وفي الإملاء ١/ ١١٧، والكشاف ١/ ٣٢٢، بلا نسبة.

(٦) في الجامع ٣/ ٣٧٠ إلى عاصم برواية المفضّل، وفي البحر ٣/ ٣٣٩ إلى أبان والمفضّل عن عاصم، واقتصر في السبعة ١٩٢ على عاصم؛ وفي حجة ابن خالويه ٨٠ بلا نسبة، وفي الكشاف ١/ ٣٢٢ إلى المفضّل عن عاصم، وفي الإملاء ١/ ١١٧ بلا نسبة.

«وان كان ممّن تُقاضون ذو عُسْرَة فعليكم ان تنظروا الى المَيْسَرَةِ» وقال بعضهم (فَنَظْرَةٌ)[1] وإن شئت لم تجعل لـ «كان» خبراً مضمراً وجعلت «كان» بمنزلة: «وقع» وقال بعضهم (مَيْسُرِهِ)[2] وليست بجائزة لأنّه ليس في الكلام «مَفْعُلٌ»[3]. ولو قرأوها (مُوسَرِهِ) لجاز، لأنّه من «أيسر» مثل: «أدخل»، فـ «هو مُدْخَل»[4]. وقرأ بعضهم (فناظِرْهُ[5] الى مَيْسَرَةٍ) فجعلها «فاعل» من«ناظر»، وجزمها للأمر.

وقال تعالى ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية ٢٨٠] فكأنه يقول: «الصَّدَقَة خيرٌ لَكُمْ». فـ ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾ اسم مبتدأ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ خبر المبتدأ.

وقال تعالى ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾ [الآية ٢٨٢] أي: إن لم يكن الشهيدان رجلين، ثم قال ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ فالذي يُستشهَدُ رجل وامرأتان.

وقال تعالى ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ [الآية ٢٨٢] من «سَئِمْتُ» «تَسْأَمُ» «سآمةً» و«سَأْمَةً» و«سآماً» و«سأماً»[6].

وقال تعالى ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ﴾ [الآية ٢٨٢] بالجزم لأنّه نهي، وإذا وقفت قلت «يأبَ» فتقف بغير ياء.

وقال تعالى ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [الآية ٢٨٢] على النّهي، والرّفع

---

(١) في الجامع ٣/ ٣٧٣ إلى مجاهد وأبي رجاء والحسن، وزاد في المحتسب ١٤٣ أنّ الخلاف في النسبة إلى الحسن، وزاد في البحر ٢/ ٣٤٠ الضّحّاك وقتادة، وقال إنها لغة تميمية، وفي التيسير ٨٥ إلى غير نافع.

(٢) في المحتسب ١٤٣ إلى عطاء بن يسار في رواية. وفي البحر ٢/ ٣٤٠ إلى مجاهد وعطاء. وزاد في الجامع ٣/ ٣٧٤ إثبات الياء في الدرج بعد الهاء، وفي المشكل ١/ ٨١ والكشاف ١/ ٣٢٣ والإملاء ١/ ١١٧ بلا نسبة.

(٣) نقله في الصحاح «يسر».

(٤) نقلها في إعراب القرآن مع إبدال بهاء الضمير هاء تأنيث في «موسرة»، وإلحاقها «مدخل» ١/ ١٣٥.

(٥) في الشواذ ١٧ إلى عطاء بن رباح، وفي المحتسب ١٤٣ إحدى قراءتين إلى عطاء بن أبي رباح، وكذلك في البحر ٢/ ٣٤٠، وفي الجامع ٣/ ٣٧٤ إلى مجاهد وعطاء. أمّا «ناظره» بهاء التأنيث، ففي الجامع ٣/ ٣٧٤ بلا نسبة.

(٦) نقلها عنه في إعراب القرآن ١/ ١٣٧ والجامع ٣/ ٤٠٠ باختلاف في ترتيب المفردات، وزاد في الجامع قوله: كما قال الشاعر:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم

وفي الصحاح «سأم» نسب سرد هذه المصادر إلى أبي زيد. وفيها جميعاً بفتح الهمزة في «سأم».

على الخير[1]. وهو مثل ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ [الآية ٢٣٣] إلاّ أنّهُ لَمْ يُقرأ (لاَ تُضارُّ) رفعاً[2].

وقال تعالى ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [الآية ٢٨٣]؛ تقول: «رَهْنٌ». و«رِهانٌ» مثل: «حَبْلٌ» و«حِبالٌ»[3]. وقال أبو عمرو[4] «فَرُهُنٌ»[5] وهي قبيحةٌ لأنَّ «فَعْلاً» لا يجمع على «فُعُل» إلاّ قليلاً شاذاً[6]، رغم أنّهم يقولون: «سَقْفٌ» وسُقُفٌ[7] وقرأوا هذه الآية (سَقْفاً مِنْ فِضَّةٍ)[8] وقالوا: «قَلْبٌ» و«قُلُبٌ» و«قِلْبٌ» من «قَلْبِ النَّخْلَة» و«لَحْد» و«لُحُد» لـ «لَحْدِ القَبْرِ»، وهذا شاذٌ لا يكاد يُعْرَفُ. وقد جَمَعُوا «فَعْلاً» على «فُعْلٍ»، فقالوا: «ثَطٌّ» و«ثُطٌّ»، و«جَوْنٌ»، و«جُونٌ» و«وَرْدٌ» و«وُرْدٌ». وقد يكون «رُهُنٌ» جماعةً لـ «الرِّهانِ» كأنّه جمع الجَماعة[9] و«رِهانٌ» أَمْثَلُ[10] من هذا الاضطرار. وقد قالوا: «سَهْمٌ خَشْنٌ» في «سِهامٍ خُشْنٍ» خفيفة. وقال أبو

---

(١) قراءة الرفع في المحتسب ١٤٩ والبحر ٢/ ٣٥٤ إلى ابن محيصن، وفي حجة ابن خالويه ٧٣ بلا نسبة.

(٢) سبق للأخفش أن أورد في كلامه على هذه الآية قراءة الرفع ووجهها، وتمّ تخريجها.

(٣) هي قراءة منسوبة في الطبري ٦/ ٩٦ إلى عامة قراء الحجاز والعراق، وفي البحر ٢/ ٣٥٥ إلى الجمهور، وفي الكشف ١/ ٣٢٢ والتيسير ٨٥ إلى غير ابن كثير وأبي عمرو، وفي المشكل ١/ ٨٣ وحجة ابن خالويه ٨٠، بلا نسبة.

(٤) هو أبو عمرو بن العلاء. وقد مرت ترجمته فيما سبق.

(٥) في معاني القرآن ١/ ١٨٨ إلى مجاهد، وفي السبعة ١٩٤ إلى ابن كثير وأبي عمرو، وأنهما في رواية أخرى أسكنا الهاء؛ وفي الشواذ ١٨ إلى أبي عمرو وشهر بن حوشب وجماعة؛ وقصرها في حجة ابن خالويه ٨٠ على أبي عمرو؛ وفي الكشف ١/ ٣٢٢ والتيسير ٨٥ والبحر ٢/ ٣٥٥ إلى أبي عمرو وابن كثير؛ وفي الجامع ٣/ ٤٠٨ زاد عاصماً وابن أبي النجود وأهل مكة؛ وفي المشكل ٨٣ بلا نسبة، وكذلك في الكشاف ١٢/ ٣٢٨ والبيان ١/ ١٨٤ والإملاء ١/ ١٢٦.

(٦) نقلها في الصحاح «رهن» والمحكم «صقر».

(٧) نقلها في الصحاح «رهن».

(٨) الزخرف ٤٣/ ٣٣، وقد نقله في الصحاح: «سقف» وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، كما في الجامع ١٦/ ٨٤ والسبعة ٥٨٥ والتيسير ١٩٦ والكشف ٢/ ٢٥٨؛ وذكرت من غير عزو، في البيان ٢/ ٣٥٣ وحجة ابن خالويه ٢٩٤. والقراءة التي عليها رسم المصحف الشريف هي: ﴿سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾.

(٩) نقله في الصحاح «رهن» والمحكم «صقر» والجامع ٣/ ٤٠٨.

(١٠) أفاد ما جاء عن «ورد» و«جون» في الصحاح، ولم ينسبه.

عمرو[1]: «قالت العرب: «رُهُنٌ» ليفصلوا بينه وبين رِهانِ الخيل قال الأخفش[2]: «كلُّ جماعة على «فُعْل» فإنّه يقال فيها «فُعُل».

وقال تعالى ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [الآية ٢٨٣] «يؤدّ» من «أدّى» «يُؤدِّي» فلذلك كان الهمز و«أؤتُمِنَ» بالهمز لأنها من «الأمانة»، وموضع الفاء منها همزة، إلاّ أنّكَ إذا استأنفت، ثَبَتَتْ ألفُ الوَصْل فيها، فلم تَهْمِز موضع الفاء، لِئلاّ تجتمع همزتان.

وقال تعالى ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [الآية ٢٨٥] فغفران بدلٌ من اللفظ بالفعل، كأنه قال: «إغْفِر لنا غُفْرانَكَ رَبّنا» ومثله «سُبْحانَكَ» إنّما هو «تسبيحَكَ» أي «نُسَبِّحُكَ تَسْبِيحَكَ» وهو البراءة والتنزيه.

وفي قوله تعالى ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ [الآية ٢٨٢] فقوله ﴿بِدَيْنٍ﴾ تأكيد، نحو قوله تعالى ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الحجر وص/ ٧٣] لأنّكَ تقول «تدايَنّا»، فيدلُّ على قولك «بِدَيْنٍ»، قال الشاعر[3] [من الرجز وهو الشاهد الحادي والخمسون بعد المئة]:

دَايَنْتُ أَرْوَى والدُّيونُ تُقْضَى
[فَمَطَلَتْ بَعْضاً وَأَدَّتْ بَعْضا][4]

تقول: «دايَنْتُها ودايَنَتْني فقد تَدايَنّا» كما تقول: «قابَلْتُها وقَابَلَتْني فقد تَقابَلْنا».

وقال تعالى ﴿أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ [الآية ٢٨٢] بإضمار «الشاهد» ثمّ قال ﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ أي إلى الأجل الذي تجوز فيه شهادته، والله أعلم.

---

(١) هو أبو عمرو بن العلاء، وقد سبقت ترجمته.

(٢) هو المؤلّف أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدَة الأخفش.

(٣) هو رُؤْبة بن العَجّاج الراجز المعروف، انظر ديوانه في مجموع أشعار العرب ص ٧٩، والكشاف ١/ ٣٢٤.

(٤) والمصراع الثاني من مراجع الشاعر، ومن الكتاب ٢/ ٣٠٠، والبيان ٢/ ٤٨١، والخصائص ٢/ ٩٦ و٩٧.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «البقرة»(*)

لِمَ قال تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية ٢] على سبيل الاستغراق، وكم ضال قد ارتاب فيه، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [الآية ٢٣].

قلنا: المراد أنّه ليس محلاً للرَّيْب، أو معناه: لا رَيْبَ فيه عند الله ورسوله والمؤمنين، أو هو نفي معناه النَّهي: أي لا ترتابوا في أنه من عند الله تعالى، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الحج/٧].

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ والمتقون مهتدون فكأن فيه تحصيلاً لحاصل؟

قلنا: إنّما صاروا متّقين بما استفادوا من الهدى، أو أراد أنه ثبات لهم على الهدى وزيادة فيه، أو خصّهم بالذكر لأنهم هم الفائزون بمنافعه حيث قبلوه واتّبعوه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥﴾ [النازعات] أو أراد الفريقين من يتّقي ومن لم يتّقِ، واقتصر على أحدهما، كقوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل/٨١].

فإن قيل: المخادعة إنّما تُتَصوّر في حق من تَخفى عليه الأمور ليتحقّق الخداع في حقّه؛ يقال: خدعه إذا أراد به المكروه من حيث لا يعلم، والله تعالى لا يخفى عليه شيء، فلِمَ قال سبحانه ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية ٩]؟

قلنا معناه يخادعون رسول الله، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح/١٠] وقوله تعالى:

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، المؤلف: محمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء/ ٨٠] أو سمّى نفاقهم خداعاً، لشبهه بفعل المخادع.

فإن قيل: لِمَ حصر الفساد في المنافقين، بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾ [الآية ١٢] ومعلوم أنّ غيرهم مفسد؟

قلنا: المراد بالفساد، الفسادُ بالنفاق وهم كانوا مختصّين به.

فإن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [الآية ١٥] والاستهزاء من باب العبث والسخرية وهو قبيح، والله تعالى منزه عن القبيح؟

قلنا: سمي جزاء الاستهزاء استهزاءً، مشاكلة، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى/ ٤٠] فالمعنى الله يجازيهم جزاء استهزائهم.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية ١٩] ومعلوم أنّ الصَّيب لا يكون إلاّ من السماء؟

قلنا: الحكمة فيه، أنّ السّياق ذكر السماء معرفة، وأضافه إليها ليدلّ على أنّه من جميع آفاقها لا من أفق واحد، إذ كل أفق يسمّى سماء؛ قال الشاعر:

وَمِنْ بُعْدِ أرضٍ بَيْنَنا وَسَماءِ

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ مع أنّ المشركين لم يكونوا عالمين، أنّه لا ندّ له سبحانه ولا شريك له، بل كانوا يعتقدون أنّ له أنداداً وشركاء؟.

قلنا: معناه: وأنتم تعلمون، أنّ الأنداد لا يقدرون على شيء ممّا سبق ذكره في الآية. أو وأنتم تعلمون أنّه ليس في التوراة والإنجيل جواز اتخاذ الأنداد.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [الآية ٢٤] فعرّف النار هنا، ونكّرها في سورة التحريم؟

قلنا: لأنّ الخطاب في هذه مع المنافقين، وهم في أسفل النار المحيطة بهم، فعرّفت بلام الاستغراق أو العهد الذهني؛ وفي تلك مع المؤمنين؛ والذي يعذّب من عُصاتهم بالنار يكون في جزءٍ من أعلاها، فناسب تنكيرها لتقليلها. وقيل: لأنّ تلك الآية نزلت بمكّة قبل هذه الآية فلم تكن النار التي وَقودُها النّاس والحجارة معروفة فنكّرها؛ ثم نزلت هذه الآية بالمدينة، فعرفت إشارة بها إلى ما عرفوه أولاً.

فإن قيل: إنَّ «تَلْبِسُوا» و«تكتُمُوا» في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [الآية ٤٢]، ليسا فعلين متغايرين فَيُنْهَوْا عن الجمع بينهما، بل أحدهما داخل في الآخر؟

قلنا: هما فعلان متغايران، لأنّ المراد بتلبيسهم الحق بالباطل، كتابتُهم في التوراة ما ليس منها، وبكتمانهم الحقّ بقولهم لا نجد في التوراة صفة محمد (ص).

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ما فائدة الثاني، والأوّل يدل عليه ويقتضيه؟

قلنا: قوله تعالى: ﴿مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ أي ملاقو ثواب ربّهم، ما وعدهم على الصبر والصلاة، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ أي موقنون بالبعث، فصار المعنى أنهم موقنون بالبعث، وبحصول الثواب الموعود، فلا تكرار فيه.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية ٥٩]، وهم لم يبدّلوا غير الذي قيل لهم، لأنهم قيل لهم قولُوا حِطَّةٌ فقالوا حنطة؟

قلنا: معناه فبدّل الذين ظَلَمُوا قولاً قيل لهم، وقالوا قولاً غير الذي قيل لهم؟

فإن قيل: قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

العَثْو: الفساد، فيصير المعنى ولا تفسدوا في الأرض مفسدين؟

قلنا: معناه ولا تَعْثَوْا في الأرض بالكفر، وأنتم مفسدون بسائر المعاصي.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [الآية ٦١] وطعامهم كان المنّ والسلوى وهما طعامان؟

قلنا: المراد أنّه دائم غير متبدّل، وإن كان نوعين.

فإن قيل: لِمَ قال جلّ جلاله: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية ٦١] وقتل النبيين لا يكون إلاّ بغير الحقّ؟

قلنا: معناه بغيرِ الحقّ في اعتقادهم، ولأنّ التصريح بصفة فعلهم القبيح أبلغ في ذمّهم وإن كانت تلك الصفة لازمة للفعل، كما في عكسه، كقوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء/ ١١٢].

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ وانتقالهم من

صورة البشر إلى صورة القردة، ليس في وسعهم؟

قلنا هذا أمرُ إيجادٍ لا أمر إيجاب، فهو من قبيل قوله عزّ وجلّ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران/ ٤٧ وسورة يس/ ٨٢].

فإن قيل: لِمَ قال سبحانه: ﴿عَوَانُۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية ٦٨] ولفظة بين تقتضي شيئين فصاعداً، فكيف جاز دخولها على ذلك، وهو مفرد؟

قلنا: ذلك يشار به إلى المفرد والمثنى والمجموع، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس/ ٥٨] وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ١٨٦﴾ [آل عمران] وقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران/ ١٤] إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فمعناه عوان بين الفارض والبكر، وسيأتي تمامه في قوله عزّ وجل: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [الآية ٢٨٥] إن شاء الله تعالى.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ [الآية ٧٤] كلاهما بمعنى واحد، فما فائدة الثاني؟

قلنا: التفجّر يدلّ على الخروج بوصف الكثرة، والثاني يدلّ على الخروج نفسه: وهما متغايران فلا تكرار.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الآية ٧٩] والكتابة لا تكون إلاّ باليد؟

قلنا: الحكمة فيه تحقيق مباشرتهم ذلك التحريف بأنفسهم، وذلك زيادة في تقبيح فعلهم، فإنه يقال: كتب فلان كذا وإنْ لم يباشره بنفسه، بل أمر غيره به من كاتب له، ونحو ذلك.

فإن قيل: التولّي والإعراض واحد، فلِمَ قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ٨٣﴾.

قلنا: معناه: ثمّ تولّيتم عن الوفاء بالميثاق والعهد، وأنتم معرضون عن الفكر والنظر في عاقبة ذلك.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [الآية ٩٦] ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ وهم من جملة الناس؟

قلنا: إنما خُصّوا بالذكر بعد العموم،

لأنّ حرصهم على الحياة أشدّ، لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث.

فإن قيل: قوله عزّ وجل: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ [الآية ١٠٢] يدلّ على أن علم السحر لم يكن حراماً.

قلنا: العمل به حرام، لأنهما كانا يعلّمان الناس السحر ليجتنبوه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [الآية ١٠٢]. نظيره لو سأل إنسان: ما الزنا؟ لوجب بيانه له ليعرفه فيجتنبه.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ لِمَ أثبت لهم العلم أولاً مؤكداً بلام القسم، ثم نفاه عنهم.

قلنا: المثبت لهم، أنهم علموا علماً إجمالياً، أنّ من اختار السحر ماله في الآخرة من نصيب؛ والمنفي عنهم، أنهم لا يعلمون حقيقة ما يصيرون إليه، من تحسّر الآخرة، ولا يكون لهم نصيب منها؛ فالمنفي غير المثبت، فلا تنافي.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ وإنما يستقيم أن يقال: هذا خير من ذلك، إذا كان في كل واحد منهما خير، ولا خير في السحر؟

قلنا: خاطبهم على اعتقادهم أن في تعلم السحر خيراً، نظراً منهم إلى حصول مقصودهم الدنيوي به.

فإن قيل: لِمَ قال سبحانه هنا: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [الآية ١٢٦] وقال في سورة إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم/ ٣٥]؟

قلنا: في الدّعوة الأولى كان مكاناً قفراً، فطلب منه أن يجعله بلداً آمناً؛ وفي الدعوة الثانية كان بلداً غير آمِنٍ فعرّفه وطلب له الأمن، أو كان بلداً آمناً فطلب له ثبات الأمن ودوامه.

فإن قيل: أيّ مدح وشرف لإبراهيم صلوات الله عليه في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ مع ما له من شرف الرسالة.

قلنا: قال الزجاج: المراد بقوله تعالى: ﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ أي لمن الفائزين.

فإن قيل: الموت ليس في وسع

الانسان وقدرته حتّى يصحّ أن ينهى عنه، على صفة أو يؤمر به على صفة، فلِمَ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

قلنا: معناه: اثبتوا على الإسلام، حتّى إذا جاءكم الموت مُتُّمْ على دين الإسلام، فهو في المعنى أمر بالثبات على الإسلام والدوام عليه، أو نهي عن تركه.

فإن قيل: قوله عزّ وجل: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [الآية ١٣٧]. إن أريد به الله تعالى فلا مثل له، وإن أريد به دين الإسلام فلا مثل له أيضاً، لأن دين الحق واحد؟.

قلنا: كلمة مثل زائدة. معناه: فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به، يعني بمن آمنتم به وهو الله تعالى، أو بما آمنتم به وهو دين الإسلام، و«مثل» قد تزاد في الكلام كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى/١١] وقوله تعالى: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام/١٢٢] ومثل بمعنى واحد؛ وقيل الباء زائدة كما في قوله تعالى: ﴿بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم/٢٥] أي مثل إيمانكم بالله أو بدين الإسلام.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [الآية ١٤٣] وهو لم يزل عالماً بذلك؟

قلنا: قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي لنعلم كائناً موجوداً ما قد علمناه، أنه يكون ويوجد، أو أراد بالعلم التمييز للعباد، كقوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال/٣٧].

إن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [الآية ١٤٤] وهذا يدل على أنه (ص)، لم يكن راضياً بالتوجّه إلى بيت المقدس، مع أنّ التوجّه إليه كان بأمر الله تعالى وحكمه؟

قلنا: المراد بهذا، رضا المحبّة بالطبع، لا رضا التسليم والانقياد لأمر الله تعالى.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ [الآية ١٤٥] ولهم قبلتان: لليهود قِبلة، وللنصارى قِبلة؟.

قلنا: لَمّا كانت القِبلتان باطلتين مخالفتين لقِبلة الحقّ، فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة.

فإن قيل: كيف يكون للظالمين من اليهود أو غيرهم حجة على المؤمنين، حتّى قال تعالى ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ

﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [الآية ١٥٠]؟.

قلنا: معناه إلاّ أن يقولوا ظلماً وباطلاً، كقول الرجل لصاحبه: مالك عندي حق، إلاّ أن تظلم أو تقول الباطل؛ وقيل معناه: والذين ظلموا منهم، فـ «إلاّ» هنا بمعنى واو العطف، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ [النمل] وقيل: «إلاّ» فيهما بمعنى لكن. وحجّتهم أنّهم كانوا يقولون، لمّا توجه النبي (ص) إلى بيت المقدس: ما درى محمّد أين قبلتُه حتّى هديناه، وكانوا يقولون أيضاً: يخالفنا محمّد في ديننا ويتبع قبلتنا، فلما حوّله الله تعالى إلى الكعبة انقطعت هذه الحجّة؛ فعادوا يقولون: لِمَ تركت قبلة بيت المقدس؟ إن كانت باطلة فقد صلّيت إليها زماناً، وإن كانت حقاً فقد انتقلت عنها؛ فهذا هو المراد به بقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ وقيل: المراد به قولهم: ما ترك محمّد قبلتنا إلاّ ميلاً لدين قومه وحبّاً لوطنه، وقيل: المراد به قول المشركين: قد عاد محمّد إلى قبلتنا لعلمه أنّ ديننا حق، وسوف يعود إلى ديننا، وإنما سمّى الله باطلهم حجة لمشابهته الحجة في الصورة، كما قال الله تعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ [الشورى/١٦] أي باطلة، وقال سبحانه: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر/٨٣].

فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بعد قوله سبحانه: ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ [الآية ١٥٢] والشكر نقيض الكفر، فمتى وُجد الشكر انتفى الكفر؟

قلنا: قوله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ معناه استعينوا بنعمتي على طاعتي، وقوله سبحانه ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ معناه لا تستعينوا بنعمتي على معصيتي. وقيل: الأوّل أمرٌ بالشكر. والثاني أمرٌ بالثبات عليه.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝٨٧﴾ [آل عمران] وأهل دينه لا يلعنونه إذا مات على دينهم؟.

قلنا: المراد بالناس المؤمنون فقط، أو هو على عمومه وأهل دينه يلعنونه في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت/٢٥] وقال سبحانه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف/٣٨].

فإن قيل: ما الحكمة في لفظ «إله» في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الآية ١٦٣].

قلنا: لو قيل: وإلهكم واحد، لكان ظاهره إخباراً عن كونه واحداً في الإلهية، يعني لا إله غيره، ولم يكن إخباراً عن توحّده في ذاته، بخلاف ما إذا كرّر ذكر الإله، والآية إنّما سيقت لإثبات أحديّته في ذاته، ونفي ما يقوله النّصارى أنه واحد، والأقانيم ثلاثة: أي الأصول؛ كما أنّ زيداً واحدٌ وأعضاؤه متعددة؛ فلما قيل إله واحد دل على أحديّة الذات والصفة. ولقائل أن يقول: قوله تعالى ﴿وَاحِدٌ﴾ يحتمل الأحديّة في الذات، ويحتمل الأحدية في الصفات، سواء كرّر ذكر الإله أو لم يكرر، فلا يتم الجواب.

فإن قيل: ما الحكمة في التشبيه في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ [الآية ١٧١] وظاهرهُ تشبيه الكفّار بالرّاعي؟.

قلنا: فيه إضمار تقديره: ومَثَلُكَ يا محمّد مع الكفار كَمَثَلِ الرّاعي مع الأنعام، أو تقديره: ومَثَلُ الذين كفروا كمَثَلِ بهائم الرّاعي، أو ومَثَلِ واعظ الذين كفروا كَمَثَلِ الناعق بالبهائم، أو ومَثَلِ الذين كفروا في دعائهم الأصنام كَمَثَلِ الرّاعي.

فإن قيل: لِمَ خصّ المنعوق بأنّه لا يسمع إلاّ دعاءً ونداءً، مع أنّ كلّ عاقل كذلك أيضاً لا يسمع إلاّ دعاءً ونداءً؟

قلنا: المراد بقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُ﴾ [الآية ١٧١] أنّه لا يفهم كقولهم: أساء سمعاً، فأساء إجابة، أي أساء فيهما.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الآية ١٧٤] وقال في موضع آخر ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ [الحجر]؟

قلنا: المنفي كلام التلطّف والإكرام، والمثبت سؤال التوبيخ والإهانة فلا تنافي.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [الآية ١٧٨] أي فُرِضَ، والقِصاصُ ليس بفرض، بل الوليّ مخيّر فيه، بل مندوب إلى تركه؟

قلنا: المراد به فرض على القاتل التمكين، لا أنّه فرض على الوليّ الاستيفاء.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [الآية ١٨٠] عطف الأقربين على الوالدين، وهما أقرب الأقربين، والعطف يقتضي المغايرة؟

قلنا: الوالدان ليسا من الأقربين، لأنّ القريب من يدلي إلى غيره بواسطةٍ، كالأخ والعمّ ونحوهما، والوالدان ليسا كذلك، ولو كانا منهم لكان تخصيصهما بالذّكر لشرفهما، كقوله تعالى: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [الآية ٩٨].

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية ١٨٣] وصوم هذه الأمة، ليس كصوم أمّة موسى وعيسى عليهما السلام؟.

قلنا: التشبيه في أصل الصوم لا في كيفيّته أو في كيفيّة الإفطار، فإنّه، في أول الأمر كان الإفطار مباحاً من غروب الشمس إلى وقت النوم فقط، كما كان في صوم مَنْ قَبْلَنا، ثم نُسخ بقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [الآية ١٨٧]، أو في العدد أيضاً على ما رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: فُرِض على النصارى صوم رمضان بعينه، فقدّموا عشرة أو أخّروا عشرة لئلاّ يقع في الصيف، وجبروا التقديم والتأخير بزيادة عشرين، فصار صومهم خمسين يوماً، بين الصيف والشتاء.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [الآية ١٨٥] بعد قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾.

قلنا: ذكر سبحانه أوّلاً أنه هُدًى، ثم ذكر أنّه بيّنات من الهدى: أي من جملة ما هدى الله به عبيده، وفرّق به بين الحق والباطل، من الكتب السماوية الهادية الفارقة بين الحق والباطل، فلا تكرار.

فإن قيل: ما الحكمة في إعادة ذكر المريض والمسافر؟

قلنا: الحكمة فيه أنّ الآية المتقدمة نسخ مما فيها تخيير الصحيح، وكان فيها تخيير المريض والمسافر أيضاً. فأعيد ذكرهما لئلاّ يُتوهم أنّ تخييرهما نسخ، كما نسخ تخيير الصحيح.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [الآية ١٨٦] يدلّ على أنّه يجيب دعاء الداعين،

ونحن نرى كثيراً من الداعين لا يُستجاب لهم؟

قلنا: روي عن النبي (ص)، أنّه قال: «ما من مسلم دعا الله بدعوة ليس فيها قطيعة رحِم ولا إثم، إلاّ أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إمّا أن يعجّل دعوته، وإمّا أن يدّخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها» ولأنّ قبول الدعاء شرطه الطاعة لله تعالى، وأكل الحلال، وحضور القلب وقت الدعاء؛ فمتى اجتمعت هذه الشروط حصلت الإجابة، ولأن الداعي قد يعتقد مصلحته في الإجابة، والله تعالى يعلم أنّ مصلحته في تأخير ما سأل، أو في منعه، فيجيبه إلى مقصوده الأصلي، وهو طلب المصلحة، فيكون قد أجيب وهو يعتقد أنّه منع عنه.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [الآية ١٩٦] ومعلوم أنّ ثلاثة وسبعة عشرة، ثم ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿كَامِلَةٌ﴾ والعشرة لا تكون إلاّ كاملة، وكذا جميع أسماء الأعداد، لا تصدق على أقل من المذكور، ولا على أكثر منه؟

قلنا: الحكمة في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ أن لا يُتوهم أنّ الواو بمعنى أو، كما في قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء/٣] وألا تحل التسع جملةً، فنفى بقوله سبحانه: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ ظنّ وجوب أحد العددين فقط، إما الثلاثة في الحج، أو السبعة بعد الرجوع، وأن يعلم العددين من جهتين جملةً وتفصيلاً، فيتأكّد العلم به، ونظيره فذلكة الحساب، وتنصيف الكتاب. وأما قوله تعالى: ﴿كَامِلَةٌ﴾ فتأكيد كما في قوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [الآية ٢٣٣] أو معناه كاملة في الثواب مع وقوعها بدلاً من الهدى، أو في وقوعها موقع المتتابع مع تفرّقها، أو في وقوعها موقع الصوم بمكّة مع وقوع بعضها في غير مكّة، فالحاصل أنّه كمالٌ، وصفاً لا ذاتاً.

فإن قيل: ما الحكمة في تكرار الأمر بالذكر في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ [الآية ١٩٨].

قلنا: إنّما كرره تنبيهاً على أنّه سبحانه أراد ذكراً مكرّراً، لا ذكراً واحداً، بل مرّة بعد أخرى، ولأنه زاد في الثاني فائدة أخرى، وهي قوله

تعالى: ﴿كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ يعني اذكروه بأحديته كما ذكركم بهدايته، أو إشارة الى أنّه جلّ وعلا أراد بالذكر الأوّل الجمع بين الصلاتين بمزدلفة، وبالثاني الدعاء بعد الفجر بها، فلا تكرار.

فإن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾ [الآية ١٩٨] إلى أن قال: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية ١٩٩] وأراد به الإفاضة من عرفات بلا خلاف، وبعد المجيء إلى مزدلفة والذّكر فيها مرتين، كما فسّرنا كيف يفيضون من عرفات.

قلنا: فيه تقديم وتأخير تقديره: من ربكم ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، فإذا أفضتم من عرفات.

فإن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ [الآية ٢٠٣] ومعلوم أنّ المتعجّل التارك بعض الرمي، إذا لم يكن عليه إثم، لا يكون على المتأخّر الآتي بالرمي كاملاً؟

قلنا: كان أهل الجاهلية فريقين، منهم من جعل المتعجّل آثماً، ومنهم من جعل المتأخّر آثماً، فأخبر الله تعالى بنفي الإثم عنهما جميعاً، أو معناه لا إثم على المتأخر في تركه الأخذ بالرخصة، مع أنّ الله تعالى يُحِبُّ أن تُؤتَى رُخَصُه كما يحبّ أن تُؤتى عزائمه، أو أنّ معناه أن انتفاء الإثم عنهما موقوف على التقوى، لا على مجرّد الرخصة أو العزيمة في الرمي؛ ثمّ قيل المراد به تقوى المعاصي في الحجّ، وقيل تقوى المعاصي بعد الحجّ في بقيّة العمر، بالوفاء بما عاهد الله تعالى عليه، بعرفة وغيرها من مواقف الحجّ من التوبة والإنابة. والمشكل في هذه الآية قوله تعالى: ﴿فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ والتعجيل المرخّص فيه، إنّما هو التعجيل في اليوم الثاني من أيام التشريق.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾ وهو يدلّ على أنّها كانت إلى غيره، كقولهم: رجع إلى فلان عبده ومنصبه؟

قلنا: هو خطاب لمن كان يعبد غير الله تعالى، وينسب أفعاله إلى سواه؛ فأخبرهم أنّه إذا كشف لهم الغطاء يوم القيامة، ردّوا ما أضافوه لغيره بسبب كفرهم وظلمهم؛ ولأنّ رجع يستعمل بمعنى صار ووصل، كقولهم: رجع عليّ من فلان مكروه، قال الشاعر [بحر الطويل]:

وَمَا المَرْءُ إلَّا كالشِّهابِ وضَوئِه
يَحُورُ رَماداً بَعْدَ إذْ هُوَ سَاطِعُ

ولأنّها كانت إليه قبل خلق عبيده، فلمّا خلقهم ملكهم بعضها خلافة ونيابة، ثم رجعت إليه بعد هلاكهم، ومنه قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر/١٦] وقوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان/٢٦] وإنما قال سبحانه: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ ولم يقل إليه، وإن كان قد سبق ذكره مرة، لقصد التعميم والتعظيم.

فإن قيل: لِمَ طابق الجواب السؤال في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الآية ٢١٥] فإنّهم سألوا عن بيان ما ينفقون، وأجيبوا عن بيان المصرف؟.

قلنا: قد تضمّن قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ بيان ما ينفقونه وهو كلّ خير، ثمّ زيد على الجواب بيان المصرف، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ * قَالَ هِىَ عَصَاىَ﴾ [طه].

فإن قيل: لِمَ جاء «يسألونك» ثلاث مرات بغير واو: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [الآية ٢١٥]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية ٢١٧]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [الآية ٢١٩]، ثم جاء ثلاث مرات بالواو: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [الآية ٢١٩]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [الآية ٢٢٠] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾؟ [الآية ٢٢٢].

قلنا: لأنّ سؤالهم عن الحوادث الأُوَل وقع متفرّقاً، وعن الحوادث الأُخَر وقع في وقت واحد، فجيء بحرف الجمع دلالة على ذلك.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾. وعزمهم الطلاق ممّا يُعلم، لا ممّا يُسمع؟

قلنا: الغالب أنّ العزم على الطلاق، وترك الفيء، لا يخلو من دمدمة، وإن خلا عنها، فلا بُدّ له أن يحدّث نفسه ويناجيها بما عزم عليه، وذلك حديث لا يسمعه إلاّ الله تعالى، كما يسمع وسوسة الشيطان.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ [الآية ٢٢٨] ولا حقّ للنساء في الرجعة، وأفعل يقتضي الاشتراك؟

قلنا: المراد أنّ الزوج إذا أراد الرجعة وأبت، وجب إيثار قوله على قولها، لأنّ لها حقاً في الرجعة.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ [الآية ٢٢٨] والزوج أحقّ بالرجعة، سواء أراد الإصلاح أو الإضرار بها، بتطويل العِدّة؟

قلنا: المراد أنّ الرجعة أصوب وأعدل، إن أراد الزوج الإصلاح، وتركها أصوب وأعدل، إن أراد الإضرار.

فإنْ قيل: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [الآية ٢٤٣] وقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان/ ٥٦].

قلنا: المراد بالآية الأولى إماتة العقوبة مع بقاء الأجل، وبالآية الثانية الإماتة بانتهاء الأجل؛ نظيره قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [الآية ٥٦] لأنها كانت إماتة عقوبة، أو كان إحياؤهم آية لنبيّهم على ما عرف في قصّتهم، فصار كإحياء العُزير حين مرّ على قرية؛ وآيات الأنبياء نوادر مستثناة، فكان المراد بالآية الثانية الموتة التي ليست بسبب آية نبي من الأنبياء؛ أو إحياء قوم موسى آية له أيضاً، فكان هذا جواباً عاماً، مع أنّ في أصل السؤال نظراً، لأنّ الضمير في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ﴾ للمتقين، والمقصود في قوله تعالى ﴿فِيهَا﴾ الجنّات، على ما يأتي بيانه في سورة الدخان، إن شاء الله على وجه يندفع به السؤال من أصله.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ﴾ [الآية ٢٤٧] والله تعالى لا يؤتي ملكه أحداً؟

قلنا: المراد بهذا الملك السلطنة، والرياسة التي أنكروا إعطاءها لطالوت؛ وليس المراد بأنّه يعطي ملكه لأحد، لأنّ سياق الآية يمنعه.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى في الماء: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ [الآية ٢٤٩] ولم يقل ومن لم يشربه، والماء مشروب لا مأكول؟

قلنا: طَعِمَ بمعنى أكل، وبمعنى ذاق، والذوق هو المراد هنا، وهو يعمّ.

فإن قيل: لِمَ خُصّ موسى وعيسى (عليهما السلام) من بين الأنبياء بالذكر في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ [الآية ٢٥٣]؟

قلنا: لِمَا أوتيا من الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة، مع الكتابين العظيمين المشهورين.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ [الآية ٢٥٤] وفي يوم القيامة شفاعة الأنبياء وغيرهم بدليل قوله سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [الآية ٢٥٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء/٢٨] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾ [سبأ/٢٣].

قلنا: هذه الآيات لا تدل على وجود الشفاعة يوم القيامة، بل تدل على أنها لا توجد ولا تنفع من غير إذنه تعالى، ولا توجد لغير مرضيٍّ عنده، وهذا لا يتعارض مع وجودها، بل المتعارض معه هو الإخبار عن وجودها، لا الإخبار عن إمكان وجودها، ولو سُلِّمَ، فالمراد به نفي شفاعة الأصنام والكواكب التي كانوا يؤمنون بها. ولهذا عرّض بذكر الكفّار، بقوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ٢٥٤﴾ وقيل: المراد، أنّه لا شفاعة في إثم ترك الواجبات، لأنّ الشفاعة في الآخرة في زيادة الفضل لا غير، والخطاب مع المؤمنين في النفقة الواجبة وهي الزكاة.

فإن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ على وجه الحصر، وغيرهم ظالم أيضاً؟

قلنا: لأنّ ظلمهم أشدّ، فكأنّه لا ظالم إلا هم، نظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر/٢٨].

فإن قيل لِمَ قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [الآية ٢٥٧] بلفظ المضارع، ولم يقل أخرجهم بلفظ الماضي، والإخراج قد وجد، لأنّ الإيمان قد وجد؟

قلنا: لفظ المضارع فيه دلالة على استمرار ذلك الإخراج، من الله تعالى في الزمان المستقبل، في حقّ من آمن، بزيادة كشف الشبه ومضاعفة الهداية، وفي حقّ من لم يؤمن، ممّن قضى الله أنّه سيؤمن بابتداء الهداية وزيادتها، أيضاً، ولفظ الماضي لا يدلّ على هذا المعنى.

فإن قيل: متى كان المؤمنون في ظلمات الكفر، والكافرون في نور الإيمان ليخرجوا من ذلك؟

قلنا: الإخراج يستعمل بمعنى المنع عن الدخول، يقال لمن امتنع عن الدخول في أمر خرج منه وأخرج نفسه منه، وإن لم يكن دخله؛ فعصمة الله تعالى المؤمنين عن الدخول في ظلمات الضلال، إخراج لهم منها؛ وتزيين قرناء الكفّار لهم الباطل الذي يصدّونهم به عن الحق، إخراج لهم من نور الهدى؛ ولأنّ إيمان رؤساء أهل الكتاب بالنبي عليه الصّلاة والسلام قبل أن يظهر كان نوراً لهم، وكفرهم به بعد ظهوره خروج منه إلى ظلمات الكفر، ولأنّه لمّا ظهرت معجزاته عليه الصّلاة والسلام، وكان مُوافِقُه ومتَّبِعُه خارجاً من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومخالِفُه خارجاً من نور العلم إلى ظلمات الجهل.

فإن قيل: لِمَ انتقل إبراهيم (ع) إلى حُجّةٍ أخرى، وعَدَلَ عن نصرة الأولى، مع أنه لم ينقطع بما عارضه به نمرود، من قتل أحد المجوسيين وإطلاق الآخر، فإن إبراهيم (ع) ما أراد هذا الاحياء والإماتة؟

قلنا: إمّا لأنّه رأى خصمه قاصر الفهم عن إدارك معنى الإحياء والاماتة التي أضافهما إبراهيم (ع) إلى الله تعالى، حيث عارض معارضة لطيفة، وعمي عن اختلاف المعنيين؛ أو لأنّه علم أنّه فهم الحجة لكنه قصد التمويه والتلبيس على أتباعه وأشياعه؛ فعدل إبراهيم (ع) إلى أمر ظاهر يفهمه كل أحد، ولا يقع فيه تمويه ولا تلبيس.

فإن قيل: لم طبع الله على قلبه فلم يعارض بالعكس في طلوع الشمس؟

قلنا: لأنّه لو عارض به لم يأت الله بها من المغرب، لأنّ ذلك أمارة قيام الساعة، فلا يوجد إلاّ قريباً من قيامها، ولأنّه وأتباعه كانوا عالمين أن طلوعها من المشرق سابق على وجوده، فلو ادّعاه لكذّبوه.

فإن قيل: لِمَ قال عزيرٌ عليه السلام ـ كما ورد في التنزيل ـ منكراً مستبعداً ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية ٢٥٩] وهو نبيٌّ، والنبي لا تخفى عليه قدرة الله تعالى، على إحياء قرية خربة، وإعادة أهلها إليها؟

قلنا: لم يَقُلْهُ منكراً مستبعداً لعظيم قدرة الله تعالى، بل متعجباً من عظيم قدرته تعالى، أو طلباً لرؤية كيفية الإعادة، لأنّ كلمة «أنّى» بمعنى كيف أيضاً. وقد نقل مجاهد أنّ المارّ على القرية القائل ذلك، كان رجلاً كافراً

شاكّاً في البعث، وإن كان الأول هو المشهور.

فإن قيل: لِمَ قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ [الآية ٢٦٠] وقد علم أنه أثبت الناس إيماناً؟

قلنا: ليجيب بما أجاب به، فتحصل به الفائدة الجليلة، للسامعين من طلبه لإحياء الموتى.

فإن قيل: ما المقصود بقول إبراهيم (ع) كما ورد في التنزيل: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [الآية ٢٦٠] مع أنّ قلبه مطمئنّ بقدرة الله على الإحياء؟

قلنا: معناه ليطمئنّ قلبي، بعلم ذلك عياناً، كما اطمأن به برهاناً؛ أو ليطمئنّ بأنّك اتخذتني خليلاً، أو بأني مستجاب الدعوة.

فإن قيل: فما الحكمة في قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [الآية ٢٦٠] أي فضمّهنّ، ولفظ الأخذ مغنٍ عنه؟

قلنا: الحكمة فيه تأمّلها ومعرفة أشكالها وصفاتها، لئلاً يلتبس عليه بعد الإحياء، فيتوهّم أنّه غيرها.

فإن قيل: لِمَ مدح الله سبحانه المتقين بترك المنّ، ونهى عن المنّ أيضاً، مع أنّه وصف نفسه بالمنّان، في نحو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران/ ١٦٤]؟

قلنا: منّ بمعنى أعطى، ومنه المنّان في صفات الله تعالى. وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أنعم عليهم، ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ [سورة ص/ ٣٩]. أما وقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ [محمد/ ٤]، فهو من الإنعام بالإطلاق من غير عوض. المنّ هنا بمعنى الاعتداد بالنعمة، وذكرها واستعظامها، وهو المذموم.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات/ ١٧] من القسم الثاني.

قلنا: ذلك اعتداد بنعمة الإيمان، فلا يكون قبيحاً، بخلاف نعمة المال، ولأنه يجوز أن يكون من صفات الله تعالى ما هو مدح في حقّه، ذم في حق العبد كالجبّار، والمتكبّر، والمنتقم، ونحو ذلك.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [الآية ٢٦٦] ثُمّ قال ﴿فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الآية ٢٦٦]؟

قلنا: لمّا كان النخيل والأعناب أكرم

الشجر، وأكثرها منافع، خصّهما سبحانه بالذِّكر وجعل الجنّة منهما، وإن كان فيها غيرهما تغليباً لهما وتفضيلاً.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [الآية ٢٧٣] يدلّ بمفهومه على أنّهم كانوا يسألون الناس برفق، فلِمَ قال سبحانه: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [الآية ٢٧٣].

قلنا: المراد به نفي السؤال والإلحاف جميعاً، كقوله تعالى: ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية ٧١]، أو كقول الأعشى:

لا يغمِزُ الساقَ مِنْ أينٍ ولا وَصَبٍ

معناه ليس بساقه أينٌ، ولا وَصَبٌ، فغمزها.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [الآية ٢٧٥]، ألحق الوعيد بأكله مع أنّ لابسه، ومدّخره، وواهبه، أيضاً، في الإثم سواء؟

قلنا: لمّا كان أكثر الانتفاع والهمّ بالمال، إنّما هو الأكل، لأنه مقصود لا غناء عنه ولا بدّ منه، عبّر عن أنواع الانتفاع بالأكل كما يقال: أكل فلان ماله كلّه، إذا أخرجه في مصالح الأكل وغيره؟

فإن قيل: لِمَ خص الآكل بذكر الوعيد، دون المُطْعِم، وكلاهما آثم؟

قلنا: لأنّ انتفاعه الدنيويّ بالرِّبا، أكثر من انتفاع المُطْعِمِ.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [الآية ٢٧٥] والكلام إذ ذاك في الربا، ومقصودهم تشبيهه بالبيع؛ فقياسه إنّما الربا مثل البيع في حلّه؟

قلنا: جاؤوا بالتمثيل على طريق المبالغة، وذلك أنّه بلغ من اعتقادهم استحلال الربا، أنّهم جعلوه أصلاً في الحلّ والبيع، وفرعاً كقولهم: القمر كوجه زيد، والبحر ككفّه، إذا أرادوا المبالغة.

فإن قيل: كيف قلتم إنّ أهل الكبائر لا يخلدون في النار، وقد قال الله تعالى في حق آكل الربا: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾؟

قلنا: الخلود يستعمل بمعنى طول البقاء وإن لم يكن بصفة التأبيد، يقال: خلّد الأمير فلاناً في الحبس، إذا طال حبسه، أو أنّ قوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى من عاد إلى استحلال الربا،

بقوله جلّ وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [الآية ٢٧٥] بعد نزول آية التحريم، وذلك يكون كافراً، والكافر مُخَلَّدٌ في النار.

فإن قيل: إنظار المُعْسِر، فُرِضَ بالنصّ، والتصدّقُ عليه تطوّع، فلِمَ قال تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية ٢٨٠].

قلنا: كلُّ تطوّع كان محصّلاً للمقصود من الفرض، بوصف الزيادة كان أفضل من الفرض؛ كما أنّ الزهد في الحرام فرض، وفي الحلال تطوّع؛ والزهد في الحلال أفضل، كما بيّنا كذلك هنا.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿بِدَيْنٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿تَدَايَنتُم﴾ [الآية ٢٨٢] مغنٍ عنه.

قلنا: فائدته رجوع الضمير إليه في قوله تعالى: ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ [الآية ٢٨٢] إذ لو لم يذكره لقال: فاكتبوا الدَّين، فالأول أحسن نظماً، أو لأنّ التداين مشترك بين الإقراض والمبايعة وبين المجازاة، وإنّما يميّز بينهما بفتح الدال وكسرها؛ ومنه قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة]، أي الجزاء، ومنه أيضاً قوله سبحانه ﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢﴾ [الذاريات]، فذكر الدَّين ليتعيّن أيّ المعنيين هو المراد.

فإن قيل: لم شرط السفر في الارتهان بقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [الآية ٢٨٣]، وجواز الرهن لا يختصُّ بالسفر؟

قلنا: لم يذكره سبحانه، لتخصيص الحكم به، بل لمّا كان السفر مظنّة عوز الكاتب، والشاهد الموثوق بهما أمر على سبيل الإرشاد، لحفظ مال المسافرين بأخذ الرهان.

فإن قيل: ما الحكمة في ذكر القلب، في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [الآية ٢٨٣] مع أنّ الجملة هي الموصوفة بالإثم لا القلب وحده؟

قلنا: كتمان الشهادة، هو أن يضمرها ولا يتكلم بها، فلمّا كان ذلك إثماً مقترناً بالقلب، ومكتسباً له أسند إليه، لأنّ إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ، كما يقال: هذا ما أبصرته عيني، وسمعته أذني، ووعاه قلبي.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ

﴿اللَّهُ﴾ [الآية ٢٨٤]، وما يحدث به الإنسان نفسه لا يأثم به ما لم يفعله، إمّا لأنه لا يمكن الاحتراز عنه في الوسع والطاقة، أو بالحديث المشهور فيه؟

قلنا: قيل أريد بالآية العموم، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الآية ٢٨٦] وقيل: لا نسخ فيه لأنه خبر، لا أمر أو نهي، بل العموم غير مراد، وإنّما المراد ما يمكن الاحتراز عنه، وهو العزم القاطع والاعتقاد الجازم، لا مجرّد حديث النفس والوسوسة. ولأنّ السّياق أخبر عن المحاسبة لا عن المعاقبة، فهو سبحانه يوم القيامة يخبر العباد بما أبدوا وما أخفوا، ليعلموا إحاطة علمه بجميع ذلك؛ ثم يغفر لمن يشاء فضلاً، ويعذّب من يشاء عدلاً، كما أخبر جلّ وعلا في الآية.

فإن قيل: أيّ شرف للرسول (ص)، في مدحه بالإيمان، مع أنه في رتبة الرسالة ودرجتها، وهي أعلى من درجة الإيمان، فما الحكمة في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ﴾ [الآية ٢٨٥].

قلنا: الحكمة فيه أن يبيّن للمؤمنين زيادة شرف الإيمان، حيث مدح به خواصّه ورسله؛ ونظيره في سورة الصافات قوله تعالى في خاتمة ذكر كلّ نبيّ ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١)﴾ [الصافات].

فإن قيل: روي عن ابن عباس أنّه قرأ: (مَلَائِكَتِهِ وكِتَابِهِ) [الآية ٢٨٥] فسئل عن ذلك، فقال كتاب أكثر من كتب فما وجهه؟

قلنا: قيل فيه إنّه أراد أن الكتاب جنس، والكتب جمع، والجنس أكثر من الجمع، لأنّ حقيقته في الكل على ما ذهب إليه بعضهم؛ ويَرِدُ على هذا أن يقال: الكلام في الجمع المضاف، والمفرد المضاف للاستغراق عرفاً وشرعاً، كقوله لعبده: أكرم أصدقائي، وأهن أعدائي، وقوله: زوجاتي طوالق وعبيدي أحرار، بخلاف قوله: صديقي وعدوي وعبيدي وامرأتي، فظهر أنّ الجمع المضاف أكثر. فإن قيل: إنّ «بين» لا تضاف إلاّ إلى اثنين فصاعداً، فلِمَ قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [الآية ٢٨٥]؟

قلنا: أحد هنا بمعنى الجمع، الذي هو آحاد كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [الحاقة/٤٧] فإنّه ثم بمعنى الجمع بدليل قوله تعالى: ﴿عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾

[الحاقة/٤٧] فكأنه قال: لا نفرق بين آحاد من رسله كقولك: المال بين آحاد الناس، ولأنّ أحداً يصلح للمفرد المذكر والمؤنث، وتثنيتهما وجمعهما نفياً وإثباتاً، تقول: ما رأيت أحداً إلاّ بني فلان، أو إلاّ بنات فلان سواء، وتقول إن جاءك أحد بكتابي فأعطه وديعتي، يستوي فيه الكلّ؛ فالمعنى لا نفرّق بين اثنين منهم أو بين جماعة منهم، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٍ﴾ [الأحزاب/٣٢].

فإن قيل: من أين دلّ قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [الآية ٢٨٦] على أنّ الأول في الخير، والثاني في الشر؟

قلنا: قيل هو من كسب واكتسبت، فإنّ الأول للخير والثاني للشر، وهذا الرأي ليس دقيقاً، وليس لديه دليل، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا﴾ [النساء/١١٢] وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨﴾ [المدثر] وقوله: ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ﴾ [الشورى/٣٤] وقوله: ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ﴾ [الشورى/٢٣] والاقتراف والاكتساب بمعنى واحد. وقيل: هو من «اللام» و«على»، وليس هذا الرأي بدليل أيضاً، لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾ [الرعد] وقوله تعالى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ [الإسراء/٧] وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [الآية ١٥٧]. اللهمّ إلاّ أن يُدّعى أنّ «اللام» و«على» عند الإطلاق يقتضيان ذلك، أو لأنّهما يستعملان لذلك عند تقاربهما، كما في هذه الآية، لا نُفرّقُ بين ذِكْر الحسنة والسيئة، أو الحسن والقبيح، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ﴾ [الأنعام/١٦٤] أطلقه، وأراد به الشرّ بدليل ما بعده. وقولهم: الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك. وقولهم: فلان يشهد لك وفلان يشهد عليك. ويقول الرجل لصاحبه: هذا الكلام حجّة عليك لا لك، قال الشاعر:

عَلى أنّني رَاضٍ بأن أحْمِلَ الهَوَى
وَأخْلُصَ مِنْهُ لا عَلَيَّ وَلاَ لِيَا

وأمّا قوله تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ [فصلت/٤٦] وإن كان مقيّداً، إلاّ أنّ فيه دلالة أيضاً، من جهة «اللام» و«على»، لأنّ القيد شامل للظرفية.

المعاني المجازية في سورة «البقرة»(*)

... ولكنّهم لما لم يعلموا هذه الآلات في مذاهب الاستدلال بها، كانوا كمن فقد أعيانها، ورمى بالآفات فيها. قال تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة/٨٧][1] كما قال سبحانه: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية ٧] لأنّ الطبع من الطابع، والخَتم من الخاتم، وهما بمعنى واحد. وإنّما فعل سبحانه ذلك بهم عقوبةً لهم على كفرهم.

وقوله سبحانه: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ﴾ [الآية ٧] استعارة أخرى. لأنهم كانوا على الحقيقة ينظرون إلى الأشخاص، ويقلّبون الأبصار، إلاّ أنهم لمّا لم ينتفعوا بالنظر، ولم يعتبروا بالعبر وَصَفَ سبحانه أبصارهم بالغَشي، وأجراهم مُجرى الخوابط الغواشي، أو يكون تعالى كنّى ههنا بالأبصار عن البصائر، إذ كانوا غير منتفعين بها، ولا مهتدين بأدلّتها. لأنّ الإنسان يُهْدَى ببصيرته إلى طرق نجاته، كما يُهْدى ببصره إلى مواقع خطواته.

وقوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [الآية ١٠] والمرض في الأجسام حقيقة وفي القلوب استعارة، لأنه فساد في القلوب كما أنّه فساد في الحقيقة، وإن اختلفت جهة الفساد في الموضعين.

وقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾ وهاتان

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) وفي الآية ٣ من سورة «المنافقون» ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالفاء لا بالواو.

استعارتان. فالأولى منهما إطلاق صفة الاستهزاء سبحانه، والمراد بها أنّه تعالى يُجازيهم على استهزائهم بإرصاد العقوبة لهم، فسمّى الجزاء على الاستهزاء باسمه، إذ كان واقعاً في مقابلته، والوصف بحقيقة الاستهزاء غير جائز عليه تعالى، لأنه عكس أوصاف الحليم، وضد طريق الحكيم، والاستعارة الأخرى قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي يَمُدُّ لهم كأنّه يخلّيهم والامتدادَ في عَمَهِهم، والجِماحَ في غَيِّهم، إيجاباً للحُجّة، وانتظاراً للمراجعة، تشبيهاً بمن أرخى الطِّوَل للفرس أو الراحلة، ليتنفّس خناقُها، ويتسع مجالُها.

ورُبما جُعِل قوله سبحانه: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية ٩][1] على أنّه مستعار في بعض الأقوال، وهو أن يكون المعنى أنّهم يُمَنُّون أنفسهم ألاّ يُعاقبوا، وقد علموا أنّهم مستحقون للعقاب، فقد أقاموا أنفسهم بذلك مقام المخادعين، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾[2].

وقوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَٰلَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝١٦﴾ وهذه استعارة. والمعنى أنّهم استبدلوا الغَيَّ بالرشاد، والكفرَ بالإيمان، فخسرت صَفقَتُهم، ولم تربح تجارتهم. وإنّما أطلقَ سبحانه على أعمالهم اسم التجارة لما جاء في أول الكلام، بلفظ الشِّرى تأليفاً لجواهر النظام، وملاحمةً بين أعضاء الكلام.

وقوله سبحانه: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [الآية ٢٠]. وهذه استعارة، والمراد يكاد يَذْهَبُ بأبصارهم من قوة إيماضه وشدة التماعه. والدليل على ذلك قوله تعالى في الآية ٤٣ من سورة النور: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَٰرِ﴾ ومُحصَّل المعنى: تكاد أبصارهم تذهب عند رؤية البرق، فجعل تعالى الفعل للبرق دونها لمّا كان السبب في ذهابها.

(١) كان من حق هذه الآية في الترتيب أن تأتي قبل الآية العاشرة التي سبق الحديث عنها في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ الخ ولا أدري أكان ذلك سهواً من المؤلف رضي الله عنه، أم سهواً من الناسخ حيث وضعها في غير موضعها، وأنزلها في غير ترتيبها.

(٢) في الأصل (وما يخادعون) على أنها قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، ليتجانس اللفظان في الموضعين. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر «يخدعون»، كما أثبتناه. وكما نقرأ في المصحف الذي بين أيدينا.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [الآية ٢٢] وهذه استعارة. لأنه سبحانه شبّه الأرض في الامتهاد بالفِراش، والسماء في الارتفاع بالبناء.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [الآية ٢٩] أي قصد إلى خلقها كذلك. لأنّ الحقيقة في اسم الاستواء الذي هو تمامٌ بعد نقصان، واستقامةٌ بعد اعوجاج، من صفات الأجسام، وعلامات المحدثات.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [الآية ٤٢] وهذه استعارة. والمراد بها: ولا تخلطوا الحقّ بالباطل، فتَعْمَى مسالِكُه، وتُشكِلَ معارفه. وذلك مأخوذ من الأمر الملتَبِس، وهو المختلِطُ المشتبه. ويقول القائل قد أَلْبَسَ عليّ هذا الأمر: إذا انغلقت أبوابه عليه، وانسدّت مطالع فهمه.

وقوله سبحانه: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [الآية ٦١]. وهذه استعارة والمراد بها صفة شمول الذِّلّة لهم، وإحاطة المسكنة بهم، كالخِباء المضروب على أهله، والرُّواقِ[1] المرفوع لمستظلّه.

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [الآية ٦٦] أي للأمم التي تشاهدها، والأمم التي تكون بعدها، أو للقرى التي تكون أمامها، وللقرى التي تكون خلفها. ولقول العرب: كذا بين يَدَيّ، كذا وجهان: أحدهما أن تكون بمعنى تقدُّم الشيء للشيء. يقول القائل لغيره: أنا بين يديك. أي قريب منك. وقد مضى فلان بين يَدَيْكَ، أي تقدَّمَ أمامك.

وقوله تعالى في وصف الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الآية ٧٤] وهذه استعارة. والمراد ظهور الخضوع فيها لتدبير الله سبحانه بآثار الصنعة وأحلام الصنعة.

وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [الآية ٨١] وهذه استعارة فيها كناية عجيبة عن عظم الخطيئة، لأنّ الشيء لا يحيط بالشيء من جميع جهاته إلاّ بعد أن

(١) وتقرأ أيضاً: الرِّواق، بكسر الراء.

يكون سابغاً غير قالص[1]، وزائداً غير ناقص.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [الآية ٨٨] فيه استعارة على التأويلين جميعاً. إما أن تكون «غُلف» جمع أغلَف، مثل أحمر وحُمر، يقال سيف أغلف، أو تكون جمع غلاف، مثل حِمَار وحُمُر، وتخفف فيقال حُمْر، وكذلك يجمع غلاف، فيقال: غُلُف وغُلْف بالتثقيل والتخفيف. قال أبو عبيدة: كل شيء في غلاف فهو أغلَف، يقال: سيف أغلَفُ، وقوس غَلْفَاء، ورجلٌ أغلَف: إذا لم يُختتن. فمن قرأ غُلف، على جمع أغلف، فالمعنى أنّ المشركين قالوا: قلوبنا في أغطية عمّا يقوله، يريدون النبيّ (ص). ونظير ذلك قوله سبحانه، حاكياً عنهم: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت/٥]. ومن يقرأ: (قلوبُنا غُلُف) على جمع غلاف بالتثقيل والتخفيف، فمعنى ذلك: قالوا قلوبنا في أوعية فارغة لا شيء فيها. فلا تُكثِر علينا من قولك، فإنّا لا نعي منه شيئاً. فكان قولهم هذا على طريق الاستعفاء من كلامه، والاحتجاز عن دعاته.

وقوله سبحانه: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [الآية ٩٣] وهذه استعارة. والمراد بها صفة قلوبهم بالمبالغة في حبّ العجل، فكأنّها تشرّبَتْ حُبّه فمازَجها ممازجة المشروب، وخالطها مخالطة الشيء الملذوذ. وحذف حُبّ العِجْل لدلالة الكلام عليه، لأنّ القلوب لا يصحّ وصفها بتشرُّب العجل على الحقيقة.

وقوله سبحانه: ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٣)﴾ استعارة أخرى: لأنّ الإيمان على الحقيقة لا يصحّ عليه النطق، فالأمر إنّما يكون بالقول. فالمراد إذاً بذلك ـ والله أعلم ـ أنّ الإيمان إنّما يكون دلالةً على صدّ الكفر والضّلال، وترغيباً في اتّباع الهدى والرشاد، وأنّه لا يكون ترغيباً في سفاهة، ولا دلالة على ضلالة. فأقام تعالى ذِكْرَ الأمر هٰهنا مقام الترغيب والدلالة، على طريق المجاز والاستعارة، إذ كان المرغَّبُ في الشيء والمدلول عليه، قد يفعله كما يفعله المأمور به والمندوبُ إليه.

---

(١) قلص الثوب بعد غسله = انكمش، فهو قالص.

وقوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ هذه استعارة: لأنّ بيع نفوسهم على الحقيقة لا يتأتى لهم. والمراد به ـ والله أعلم ـ أنّهم لمّا أوبقوا أنفسهم بتعلّم السحر، واستحقّوا العقاب على ما في ذلك من عظيم الوزر، كانوا كأنّهم قد رَضُوا بالسِّحر ثمناً لنفوسهم، إذ عرّضوها بعمله للهلاك، وأوبقوها لدايم العقاب. وكانت كالأعلاق الخارجة عن أيدانهم بأنقص الأثمان، وأدْوَنِ الأعْواض.

وقوله سبحانه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [الآية ١١٢] أي أقبل على عبادة الله سبحانه، وجَعَلَ توجُّهه إليه بجملته لا بوجهه دون غيره. والوجه هُهنا استعارة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [الآية ١١٥] أي جهة التقرب إلى الطريق الدالّة عليه، ونواحي مقاصده ومعتمداته الهادية اليه.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [الآية ١٣٠] والتقدير: سَفِهَ نَفْساً، على أحد التأويلات. وهذه استعارة. لأنّه تعالى علّق السَّفهَ بالنفس. وقولنا: نَفْسُ فلانٍ سفيهة: مستعارة، وإنّما السَّفهُ صفةٌ لصاحب النفس لا للنفس.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ [الآية ١٣٣] أي ظهرت له علاماته، ووردَتْ عليه مقدّماته، فهي استعارة. لأنّ الموت لا يصح عليه الحضور على الحقيقة.

وقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [الآية ١٣٨] أي دين الله، وجعله بمنزلة الصِّبْغ لأنّ أثره ظاهر، ووسْمَه لائح. وهذا من محض الاستعارة.

وقوله سبحانه: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية ١٥٠] فهذه استعارة على قول من قال: إنّ الشطر هُهنا البعد. أي ولِّ وجهك جهة بعده. إذ لا يصح أن تولّيَ وجهكَ جهةَ بُعْدِ المسجد على الحقيقة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [الآية ١٦٨] أي لا تنجذبوا في قياده، لأنّ المنجذب في قياده[1] غيره

(١) في الأصل «في قيادة». وقد جعلناها «قياده» بدلاً من «قيادة» تمشياً مع ما جرى عليه المؤلف في قوله: «لا تنجذبوا في قياده».

تابع لخطواته. وهذه من شرائف الاستعارة. فهي أبلغ عبارة عن التحذير من طاعة الشيطان فيما يأمر به، وقبول قوله فيما يدعو إلى فعله.

وقوله تعالى: ﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ [الآية ١٧٤]. وهذه استعارة. كأنّهم إذا أكلوا ما يُوجب العقاب بالنار، كان ذلك المأكول مشبهاً بالأكل من النار. وقوله سبحانه ﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾: زيادة معنى، وإن كان كلّ آكل إنّما يأكُلُ في بطنه، ذلك أنّه أفظع سماعا، وأشدُّ إيجاعاً. وليس قول الرجل للآخر: إنّك تأكل النار، مثل قوله: إنّك تُدخل النارَ في بطنك.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ [الآية ١٧٥] وقد مضى نظير ذلك، وأمثاله كثير في هذه السورة وغيرها.

وقوله تعالى في ذِكر النساء: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [الآية ١٨٧] واللباس ههنا مستعار، والمراد به قرب بعضهم من بعض، واشتمال بعضهم على بعض، كما تشتمل الملابس على الأجسام[1]. وعلى هذا المعنى كَنَوْا عن المرأة بالإزار.

وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [الآية ١٨٧] وهذه استعارة، لأنّ خيانة الإنسان نفسه لا تصحّ على الحقيقة، وإنّما المراد أنّه سبحانه خفّف عنهم التكليف في ليالي الصيام، بأن أباحهم فيها مع أكل الطعام وشرب الشراب الإفضاء إلى النساء، ولو منعهم من ذلك لعلم أنّ كثيراً منهم يخلع عذار الصبر، ويضعُفُ عن مغالبة النفس، فيواقعُ المعصية بغشيانه النساء، فيكون قد كسب نفسه العقاب، ونقصها الثوب فكأنّه قد خانها في نفي المنافع عنها، أو جرّ المضارّ إليها. وأصل الخيانة في كلامهم: النقص، فعلى هذا الوجه تحمل خيانة النفس.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [الآية ١٨٧]. وهذه استعارة عجيبة.

(١) استشهد ابن قتيبة في كتابه «تأويل مشكل القرآن» بقول النابغة الجعدي:

إذا ما الضجيع ثنى جيدها ... تثنّتْ عليه فكانت لباسا

على أنّ اللباس معناه، أنّ المرأة والرجل يتضامّان، فيكون كلّ واحد منها للآخر، بمنزلة اللّباس.

والمراد بها على أحد التأويلات: حتى يتبيّن بياض الصبح من سواد الليل. والخيطان هُهنا مجاز. وإنّما شبّهها بذلك لأنّ خيط الصبح يكون في أوّل طلوعه مستدقًا خافياً، ويكون سواد الليل منقضياً مولّياً، فهما جميعاً ضعيفان، إلاّ أنّ هذا يزداد انتشاراً، وهذا يزداد استتاراً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ [الآية ١٨٨].

...

وقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [الآية ٢٤٥]. وهذه استعارة لأنّ الغنيّ بنفسه[1] لا يجوز عليه الاستقراض على حقيقته، ولكن المقرض في الشاهد لمّا كان اسماً لمن أعطى غيره على أن يُردّ عليه عوضُه، أقام سبحانه توفية[2] العوض عليه مقام ردّ القرض.

وقوله سبحانه: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [الآية ٢٥٠] فهذه استعارة. كأنّهم قالوا: أمطرنا صبراً، واسقنا صبراً وفي قوله تعالى: ﴿أَفْرِغْ﴾، زيادة فائدة على القول: أنزِل، لأنّ الإفراغ يفيد سعة الشيء وكثرته، وانصبابه.

وقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الآية ٢٥٧] وهذه استعارة. والمراد بها إخراج المؤمنين من الكفر إلى الايمان ومن الغيّ إلى الرشاد، ومن عمياء[3] الجهل إلى بصائر العلم.

وكلُّ ما في القرآن من ذِكر الإخراج من الظلمات إلى النور فالمراد به ما ذكرنا. وذلك من أحسن التشبيهات. لأنّ الكفر كالظلمة التي يتسكّع فيها الخابط، ويضلّ القاصد. والإيمان كالنور الذي يَؤُمّه الحائر، ويهتدي به الجائر، لأنّ عاقبة الإيمان مضيئة بالإيمان والثواب، وعاقبة الكفر مظلمة

(١) في الأصل «الغني لنفسه» وهو تحريف من الناسخ، فالله سبحانه غنيٌّ بنفسه، لا غنيٌّ لنفسه.

(٢) في الأصل: «توفيه» بالهاء لا بالتاء المربوطة كما أصلحناه.

(٣) جرى الناسخ على عدم إثبات همزة الممدود فكتب «عميا» بدون همزة، وقد همزنا ما أغفله في جميع المواطن بالكتاب، فلا حاجة إلى التنبيه عليه.

بالجحيم والعذاب. وفي لسانهم وصف الجهل بالعَمَى والعَمَه، ووصف العلم بالبصر والجَلِيَّة. يقال: قد غُمّ عليه أمرُه، وأظلم عليه رأيهُ، إذا كان جاهلاً بما يرتئيه ويفعله. ويقال في نقيض ذلك: هو على الواضحة من أمره، والجليّة من رأيه. إذا كان عالماً بما يُورد ويُصدر، فيما يأتي ويذر.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [الآية ٢٨٣]. وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الآية ٢٢٥] لأنّ الآثم والكاسب صاحب القلب، دون القلب، على ما تقدّم من القول.



الفهـــرس

سورة البقرة

